بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

وبه

كتاب سراج الملوك وصراج الولاة والامراء

وتدبير الملوك والدول واخبار الانبياء عليهم السلام مقتبس

من كتاب الله العزيز وسياسات ملوك العرب والعجم

والروم والفرس والهند والسند والصين

وهند ومستحسن اخلاقهم واخبارهم ونوادر

حكاياتهم وتتبع وقائع رؤسائهم مما عنى الشيخ

الفقيه العالم الوجيه الفاضل الكامل ابو [illegible]

مهذب الوليد محمد الطرطوشي رحمه الله

تقالى ونفعنا بعلومه

امين

بالشراء من عبد الناصر ابن عبد الكافي

محمد ملكه بفضل الله ومنه الفقير الى الله عبد الله بن احمد بن عبد الله

في ثالث عشر رجب المحرم من سنة ٦٣٤ هـ

بيانه نمر النخيلي

المبادريه اثنا عشر من الابع دخل الكندوج عشرة امنا الاربع

البريه اخلاصها اربعة امنا ب ونصف ربع نصف من وصل البيت

المجد واحد واربعين قياسه والشبيبي من وربع

او عونات خمسة عشر حبا سه

www.alabdulgader.com

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا وآله وصحبه وسلم

قال الامام الفقيه ابوبكر محمد بن الوليد بن محمد الفهري الطرطوشي رحمه الله تعالى الحمد لله

الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الاعيان والاثار ومكور الليل على النهار

والليل والنهار العالم بالخفيات وما تنطوي عليه الارضون والسموات

سواء عنده الجهر والاسرار ومن هو مستخف بالليل وساربٌ بالنهار الا يعلم

من خلق وهو اللطيف الخبير خلق الخلق بقدرته واحكمهم بعلمه

وصورهم بمشيئته ودبرهم بحكمته لم يكن له في خلقهم معين ولا في تدبيرهم مشير

وكيف يستعين من لم يزل بمن لم يكن او يستظهر من تقدس عن الذل

بمن خلق تحت ذل التكوين ثم كلفهم معرفته وجعل علم العالمين بعجزهم عن ادراكه

دليلا على قدرته وعلم العارفين بتقصيرهم عن شكره شاهدا على اقرارهم بوقوف عقولهم عن الاحاطة بحقيقته

فانهم لا يتوهمون ولا يحدون ولا يكيفون ولا يمثلون ولا يحيطون به كيف ولا

يناله حد ولا يطلله فوق ولا يقله تحت ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند

ولا يأتي خلف ولا يحده امام ولم يتظهر قبل ولم يتغيب بعد ولم يجمعه كل

ولم يوجده كان ولم تفقده ليس وصفة لا صفة له وكونه لا امد له ولا تخالطه الاد

والصور والغير ولا تغيره الايام والعبر ولا تحوذ عليه المادة ولا المقارنة ولا تستحيل عليه

المحادثات والمقابلة ان قلت لم كان فقد سبق العلم ذاته ومن كان معلولا كان

له غيره علة تسبق في الوجود وهو قبل جميع الاشياء بلا علاج وعلمه بكل شيء صنعه ولا

علة لصنعه فان قلت اين هو فقد سبق العلم وجوده من اين لا يبتدئ لم

يفتقر وجوده الى اين هو بعد خلق المكان غني بنفسه كما كان قبل خلق

المكان وكيف يحل في ما هو بدأ او يعود اليه ما هو نشأ وان قلت

ما هو فالماهية لوجوده وما موضوعة السؤال عن

الجنس

الجنس والقديم تعالى لا جنس له لان الجنس مخصوص بمعنى داخل تحت الماهية

وان قلت كم هو فهو احد في ذاته متفرد بصفاته وان قلت متى كان فقد سبق

الوقت كونه وان قلت كيف هو فمن كيف هو الكيف لا يقال له كيف ومن جازت

عليه الكيفية جاز عليه التغيير واه قلت هو فالهاء والواو خلقة بل الزم الكل الحدث

وقال بعض الاشياخ لان القديم له فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذي

بالاداة اجتماعه فقواها تمسكه والذي يولغه وقت يفرقه وقت والذي يقيمه

غيره فالضرورة تمسه والذي الوهم نظفر به فالتصوير يرتقي اليه ومن اواه

محل ادراك اين وما كان له جنس طالبه كيف وجوده اثباته ومعرفته توحيده

وتوحيده تميزه من خلقه فما تصوره الاوهام فهو بخلافه لا تماثله العيون ولا

تخالطه الظنون ولا تنصوره الاوهام ولا تحيط به الافهام ولا يقدر قدره الا

نام ولا يحويه مكان ولا يقارنه زمان ولا يحصره احد ولا يشغله ولد ولا

يجمعه عدد قربه كرامته وبعده اهانته علوه من غير تنقل ومجيئه من غير تنقل

هو الاول والاخر والباطن والظاهر القريب البعيد الذي ليس لمثله شيء

وهو السميع البصير واشهد له بالربوبية والوحدانية وبما شهد لنفسه

من الاسماء الحسنى والصفات العليا والنعوت الاولى الا له الخلق والامر

تبارك الله رب العالمين وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد

من رسله ونحن له مسلمون واشهد ان محمدا عبده ورسوله المصطفى واميه

المرتضى ارسله الى كافة الورى بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا

صلى الله عليه وعلى اهل بيته الطاهرين وازواجه الطاهرات امهات المؤمنين

وسلم تسليما اما بعد فاني لما نظرت في سير الامم الماضية والكرة

والامم الخالية وما وضعوه من السياسات في تدبير الدول والتزموه من القوانين

ه حفظ النحل فوجدت ذلك نوعين احكاما وسياسات فاما الاحكام المشتملة
على ما اعتقدوه من الحلال والحرام والبيوع والانكحة والطلاق والاجارات ونحوها
والرسوم الموضوعة لها والحدود القايمة على من كان حالف شيئا منها فامر اصطلحوا
عليه بعقولهم ليس على شئ منه برهان ولا انزل الله به من سلطان ولا اخذوه
عن نبي ولا اتبعوا فيه رسولا وانما صادرة عن خزنة الشيطان وسدنة بيوت
الاصنام وعبدة الانداد والاوثان وليس يجسر احد من خلق الله تعالى ان
يضع من تلقاء نفسه امثالها واشباهها واما السياسات فالنبي و
ضعوها في التزام تلك الاحكام والذب عنها والحماية لها والتعظيم لمن عظمها
واهانة من استهان بها وخالفها فقد ساروا في ذلك بسيرة العدل وحسن
السياسة وجمع القلوب عليها والتزام النصفة فيما بينهم على ما توجبه تلك الاحكام
وكذلك في تدبير الحرب وامن السبل وحفظ الاموال وصون الاعراض
والحريم كل ذلك قد سار وافيه بسيرة جميلة لا يبقى في العقول شئ منها لو كانت
الاصول صحيحة والقواعد واجبة فكانوا في حسن سيرتهم بحفظ تلك الاصول
الفاسدة كمن زخرف كنيفا او بنا على ميت قصرا منيفا وما احسن قول القائل

ولو لبس الحمار ثياب خز ... لقال الناس يا لك من حمار

فجمعت محاسن ما انطوت عليه سيرتهم خاصة من ملوك الطوايف وحكام الدول
فوجدت ذلك في ستة من الامم وهم العرب والفرس والروم والهند والسند
والسند هند فاما ملوك الصين وحكامها فلم تبلغ الى ارض العرب من سياستهم
كثير شئ لبعد الشقة وطول المسافة ولما من عدى هؤلاء لهم من الامم فلم
يكونوا اهل حكم بارعة وتواريخ نافذة واذهان ثاقبة وانما صدر عنهم الشئ
اليسير من الحكمة فنظمت ما العيت في كتبهم من الحكم البالغة والسير

المستحسنة والكلمة اللطيفة والطريقة المالوفة والتوقيع الجميل والاثر النبيل الى ما رويته و
وجمعته من سير الانبياء صلى الله عليهم وسلم واثار الاولياء وبراعة العلماء وحكمة الحكماء ونوادر
الخلفاء وما انطوى عليه القران العزيز الذي هو بحر العلوم وينبوع الحكم ومعدن
السياسات ومقاصد الجوامع الكلمات ان اختصر بلمحة دالة واشارة خفية
وان اطال بالفاظ بارعة وايات معجزة وهو الهادي من الظلالة والحاوي لمحا
سن الدنيا وفضايل الاخرة ورتبته ترتيبا انيقا وترجمته تراجما رايعة حاوية
لمقاصدها ناطقة بالحكم ومضمونها تلج الاذن من غير اذن وتتولج النافور من
غير استيمار الفاظها قوالب لمعانيها ليس الفاظها الى السمع باسرع من معا
نيها الى القلب فانتظم الكتاب بحمد الله وعونه واحسانه وجاء غاية في بابه غريبا
في فنونه واسلوبه خفيف المحمل كثير الفايدة لم يسبق الى مثله اقلام العلماء ولا
جالت في نظمه افكار الفضلاء ولا حوته خزاين الملوك والرؤساء فلا يسمع به
ملك الا استكتبه ولا وزير الا استصحبه ولا اديب الا استحسنه واستر
شده عصمة لمن عمل به من الملوك واهل الرياسة وجنة لمن تحصن به
من اولي الامرة والسياسة وجمالا لمن تحلى به من اهل الاداب والمحاضرة
وعنوانا لمن فاوض به من اهل المجالسة والمذاكرة وسميته سراج الملوك
يستغني الحكيم بدراسته عن مباحثة العلماء والملك عن مشاورة الوزراء
واعلموا رحمكم الله ان احق من اهديت اليه الحكم واوصلت اليه النصايح وحملت
اليه العلوم من اتاه الله سلطانا فنفذ في الخلق حكمه وجاز عليهم قوله
ولما رايت الامير الاجل نظام الدين خلاصة امير المؤمنين ابي عبد الله محمد
الاموي ادام الله لاعزاز الدين نصره وانفذ في العالمين بالحقائه واوزع
كافة الخلق شكره وكفاهم ما فيه محذوره وضره قد تفضل الله به على المسلمين

خ واحكمته

خ الحكم

٢ المامون ص

فبسط فيهم يده ونشر في مصالح احوالهم كلمته وعرف الخاص والعام يمنه وبركته
وتقلد امر الرعيه وسار فيهم على احسن قضيه متحريا للصواب راغبا في الثواب
طالبا سبل العدل ومناهج الانصاف والفضل راغبا ان اخصه بهذا الكتاب
رجا لطف الله تعالى في يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ولا تذكر فضائله ومحاسنه آخر الدهر كما قيل

الناس يهدون على قدرهم ٭ لكنني اهدي على قدري ٭ ما يبقى

يهدون ما يفنى واهدي الذي ٭ يبقى على الايام والدهر ٭

فان العلم عصمة الملوك والامراء ومعقل السلاطين والوزراء ينعهم من الظلم
ويردهم الى الحلم ويصدهم عن الاذيه ويعطفهم على الرعيه فمن حقهم ان يعرفوا حقه
ويلزموا حرمته ويتبطنوا اهله **وهذه ابواب الكتاب**

الباب الاول في مواعظ الملوك وحكمها اربعة وستون بابا
الباب الثاني ٢ في مقامات العلماء والصالحين عند الامراء
الباب الثالث ٣ في ما جاء في الولاة والقضاة وما جاء
في ذلك من الغرر والخطر
الباب الرابع ٤ في معرفة ملك سليمان
بن داود عليهما السلام ووجه طلبه للملك وسؤاله ان لا يوتاه احد من بعده ٭
الباب الخامس ٥ في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا
الباب السادس ٦ في السلطان مع رعيته معنون غير غابه وخاسر غير رابح
الباب السابع ٧ في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض
الباب الثامن ٨ في منافع السلطان كلها حيث كانت ومضاره
الباب التاسع ٩ في معرفة منزلة السلطان من الرعيه
الباب العاشر ١٠ في معرفة خصال ورد بها الشرع فيما مطلع الملك والدول
الباب الحادي عشر ١١

او جبر فيها نظام الملك والدول

في معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولا ثبات له دونها
الباب الثاني عشر ١٢ في معرفة الخصال التي زعم الملوك انها زالت دولتهم وهدمت
سلطانهم
الباب الثالث عشر ١٣ في معرفة الصفات التي زعم الحكماء انه لا
يدوم معها مملكة
الباب الرابع عشر ١٤ في الخصال المحمودة في السلطان
الباب الخامس عشر ١٥ في معرفة الخصال التي يعز فيها السلطان
الباب السادس عشر ١٦ في معرفة الخصال التي هي ملاك امور السلطان
الباب السابع عشر ١٧ في معرفة خير السلطان من شره
الباب الثامن عشر ١٨ في معرفة منزلة السلطان من القرآن
الباب التاسع عشر ١٩ في معرفة خصال جامعة لامر السلطان
الباب العشرون ٢٠ في العشرون في معرفة الخصال
التي هي اركان السلطان
الباب الحادي والعشرون ٢١ في حاجة السلطان
الى العلم
الباب الثاني والعشرون ٢٢ وصيه امير المؤمنين علي كرم الله وجهه لكميل
به زياد بالعلم واهله
الباب الثالث والعشرون ٢٣ في معرفة العقل
والدها والجهل والمكر
الباب الرابع والعشرون ٢٤ في معرفة الوزراء
وصفاتهم
الباب الخامس والعشرون ٢٥ في الجلساء واداهم
الباب السادس والعشرون ٢٦ في معرفة الخصال التي هي جمال السلطان
الباب السابع والعشرون ٢٧ في المشاورة والنصيحة
الباب الثامن والعشرون ٢٨ في الحلم ومحاسنه ومحمود عواقبه
الباب التاسع والعشرون ٢٩ في ما يسكن به
الغضب
الباب الثلاثون ٣٠ في الجود والسخاء
الباب الحادي والثلاثون ٣١ في معرفة الشح والبخل وما يتعلق بهما
الباب الثاني والثلاثون ٣٢ في معرفة الصبر وجميل عواقبه
الباب الثالث والثلاثون ٣٣ في كتمان السر ومحاسنه
الباب الرابع والثلاثون ٣٤ في بيان الخصلة

التي زهت بسائر الخصال وزعيم بالمزيد من الآلاء والنعائم ذي الجلال
والاكرام وهي الثلة الباب ٣٥ الخامس والثلاثون في بيان السيرة
التي يصلح عليها الامير والمامور ويستريح بها الرئيس والمرؤس ويسهل
عليها صحبة الخلايق اجمعين الباب ٣٦ السادس والثلاثون
في معرفة الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان وشفا الصدور وراحت القلوب
وطيب النفوس الباب ٣٧ السابع والثلاثون في معرفة الخصلة
التي فيها ملجا الملوك عند الشدايد ومعقل السلاطين عند اضطراب الممالك والامور و
تغير الوجوه والاحوال الباب ٣٨ الثامن والثلاثون في بيان الخصال
الموجبة لذم الرعيه للسلطان الباب ٣٩ التاسع والثلاثون
في مثل السلطان الجايد والعادل الباب ٤٠ الاربعون في ما يجب
على الرعيه اذا جار السلطان الباب ٤١ الحادي والاربعون في
كما تكونوا يولا عليكم الباب ٤٢ الثاني والاربعون في بيان الخصله
التي بها تصلح الرعيه الباب ٤٣ الثالث والاربعون فيما يملك
السلطان من الرعيه الباب ٤٤ الرابع والاربعون في التحذير من صحبة
السلطان الباب ٤٥ الخامس والاربعون في صحبة السلطان الباب ٤٦
السادس والاربعون في سيرة السلطان في استجياء الخراج الباب ٤٧ السابع
والاربعون في سيرة السلطان في استجياء الخراج الباب ٤٨ الثامن والاربعون
في سيرة السلطان في بيت المال الباب ٤٩ التاسع والاربعون في سيرة
السلطان في الانفاق من بيت المال الباب ٥٠ الخمسون في تدويه الدوا
وين وفرض الارزاق وسيرة العمال الباب ٥١ الحادي والخمسون
في احكام اهل الذمه الباب ٥٢ الثاني والخمسون في بيان الصفة المعتبرة

في الولاة الباب ٥٣ الثالث والخمسون في بيان الشروط والعهود التي توخذ
على العمال الباب ٥٤ الرابع والخمسون في هدايا العمال والرشا على الشفاعات
الباب ٥٥ الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق الباب ٥٦ السادس و
الخمسون في الظلم وشومه وسوء عاقبته الباب ٥٧ السابع والخمسون في السعاية
والنميمة وقبحها الباب ٥٨ الثامن والخمسون في القصاص وحكمته الباب ٥٩
التاسع والخمسون في الفرج بعد الشدة الباب ٦٠ الستون في الشجاعة
وثمراتها الباب ٦١ الحادي والستون في الحروب وتدبيرها الباب ٦٢ الثاني
والستون في الجامع في القضا والقدر واحكامها الباب ٦٣ الثالث والستون
في الجامع في اخبار ملوك العجم وحكمهم الباب ٦٤ الرابع والستون مشتمل
على حكم حكم منثورة وآداب مشهوره الباب ٦٥ الاول
في مواعظ الملوك لقد خاب وخسر من كان حصته من الله الدنيا اعلم ايها
الرجل وكلنا ذلك الرجل ان عقول الملوك وان كانت كبارا فانها مستغرقة
بكثرة الاشغال فتستدعى من الموعظة ما يتولج على تلك الافكار وتتغلغل
في مكامن تلك الاسرار فتقع تلك الاستار وتتفكك تلك الاكنة والاقفال
ويصقل ذلك الصدا والران قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل فوصف
الله جميع الدنيا بانه متاع قليل وانت تعلم انك ما اوتيت من ذلك الفليل الا
قليلا ثم ان ذلك الفليل ان تمتعت به ولم تقض الله تعالى فيه فهو لهو ولعب
قال الله تعالى انما الحيوة الدنيا لهو ولعب ولهو ثم قال عز وجل وان
الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبع ايها العاقل لعبا قليلا يفنى
بحياة الابد حياة لا تفنى وشباب لا يبلى قال الفضيل بن عياض لو كانت الدنيا
ذهبا والاخرة خزفا يبقى لوجب ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد

www.arabdulgadir.com

اخترنا حزفا يفنى على ذهب يبقى تامل يعتدك هل اتاك ايها من الدنيا ما اتى
سليمان بن داود عليهما السلام حيث اتاه ملك جميع الدنيا والجن والانس والطير
والوحش والريح تجري بامره رخاء حيث اصاب يعني حيث اراد ثم زاده ما هو اعظم
منها فقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فواالله ما عدها
نعمة كما عدد تموها ولا حسبها رفعة ومنزلة كما حسبتموها بل قال عند ذلك
هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر فهذا فضل الخطاب لمن تدبره
ان يقول له ربه تعالى في معرض المنة هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير
حساب ثم خاف سليمان عليه السلام ان يكون استدراجا من حيث
لا يعلم هذا وقد قال لك ولسائر اهل الدنيا فويلك لنا نهم اجمعين عما كانوا
يعلمون وقال وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
تامل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كانت الدنيا تزن
جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء والق سمعك الى ما انزل به جبريل عليه
السلام من عند الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد ان الله
تعالى يقول لك عش ما شئت فانك ميت واحبب من شئت فانك مفارقه
واعمل ما شئت فانك مجزي به فانظر الى ما اشتملت عليه هذه الكلمات من مرارة
الموت وفراق الاحبة والجزا على الاعمال فلو لم ينزل من السما غيرها لكانت كافية
انظر بفهمك الى ما رواه الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بمنزل قوم قد ارتحلوا
منه واذا طالي مطروح فقال ما هذا هان على اهله فقالوا من هوانه عليهم القوه
قال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله من هذا على اهله فجعل الدنيا
اهون على الله من الجيفة المطروحة وقال ابو هريرة قال لي النبي صلى الله
عليه وسلم الا اريك الدنيا جمعا بما فيها قلت بلى فاخذ بيدي الى وادي من اودية المدينة

فاذا امزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم
ثم قال يا ابا هريرة هذه الروس كانت تحرص حرصكم وتامل املكم ثم هي
اليوم بتساقط عظاما بل حلد ثم هي صايرة رمادا وهذه العذرات
الوان اطعمتهم اكتسوها من حيث اكتسبوها وقذفوها من بطونهم
واصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية ريا شهم ولباسهم ثم
اصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينجفون
عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى
استندبكاؤنا وقال بن عمر اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض
جسدي فقال يا عبد الله كن في الدنيا كانك غريب او كعابر سبيل واعدد
نفسك في الموتى يا ايها الرجل ان كنت لا تدري متى يجاؤك الاجل
فلا تغتر بطول الامل فانه يقسي القلوب ويعيد العمل وقد عير الله اقواما
فلا تغتر بطول الامل فانه يقسي القلوب ويعيد العمل وقد عير الله اقواما
مد لهم في الاجل فقست قلوبهم فطال عليهم الامد فقال تعالى الم يان
للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين
اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم
فاسقون شعرا

احسنت ظنك بالايام اذ احسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

يا ايها الرجل الغافل الى متى تسمع وارعني لبك فان كنت لا تدري متى الموت
فاعلم بانك لا تبقى الى احد الاهرين اما ان تموت او يموت من هو بعدك
ايين نوح عليه السلام شيخ المرسلين ايين ادريس عليه السلام رفيع رب
العالمين ايين ابراهيم عليه السلام خليل الرحمن ايين موسى عليه السلام الكليم

من بين سايرالنبيين والمرسلين اين عيسى عليه السلام روح الله وكلمته راس الزاهدين
وامام الساجدين اين محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين اين اصحابه الابرار
المتجنون اين الامم الماضية اين الملوك السالفة اين القرون الخالية اين
الذين وضعت على مقادرهم البتجان اين الذين اعتمروا بالاجناد والسلطان اين اصحاب
السطوة والولايات اين الذين خفقت على رؤسهم الالوية والرايات اين
الذين قادوا الجيوش والعساكر اين الذين عمروا القصور والدساكر اين الذين
اعطوا النصر في مواطن الحروب والمواقف اين الذين دانت لهم المشارق والمغارب
اين الذين تمتعوا باللذات والمشارب اين الذين تاهوا على الخلق كبرا وعتيا
اين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشيا اين الذين استلانوا الملابس اثاثا وريا
وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورءيا وعزا اين الذين فرشوا القصور حزا وقزا اين الذين تضعضعت لهم الا
رض هيبة وهزا اين الذين استذلوا العباد قهرا ولزا هل تحس منهم
من احد او تسمع لهم ركزا افناهم والله مفني الامم وابادهم مبيد الرمم واخرجهم
من سعة القصور واسكنهم في ضنك القبور تحت الجنادل والصخور فا
صبحوا الا تري الامساكنهم خفاث الدود في اجسامهم واتخذ مقيلا في ابدانهم فسا
لت العيون على الخدود وامتلاءت تلك الافواه بالدود وتساقطت الاعضاء
ومزقت الجلود وتناثرت اللحوم وتقطعت البطون فلم ينفعهم ما جمعوا ولا
اغنى عنهم ما كسبوا اسلمك الاحبة والاولياء وهجرك الاخوان والاصفياء وسيدك
القريب والبعد فاصيت ولو نطقت لانشدت قولنا عن سكان الثرى

ميقيم بالحجون رهين رمس ... واهلي راحلون بكل وادي

كانبي لم اكن لهم حبيبا ... ولا كانوا الاحبة في السواد

فعودوا

فعودوا بالسلام فان ابيتم ... فاموا بالسلام على بعادِ

فان طال المدا وصفى خليل ... سوانا فاذكروا صغو الوِدِ

وذاك اقل مالك من خليل ... واخره الى يوم التنادِ

فلو انا بمو تقفكم وقفنا ... سقينا الرب من مهج الفؤادِ

وقال مكرم بن يوسف العابد اوحى الله تعالى الى نبي من
انبياء بني اسرائيل ان قف على المدائن والحصون وبلغهم عني حرفين لا
تاكلوا الاطيبا ولا تتكلموا الا بالحق ولما دخل يزيد الرقاشي على عمر
بن عبد العزيز قال عظني يا يزيد قال اعلم يا امير المومنين انك اول
خليفة تموت فبكا عمر وقال زدني فقال يا امير المؤمنين ليس بينك
وبين ادم الا اب ميت فبكا وقال زدني يا يزيد قال يا امير المؤمنين ليس
بين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه يا ايها الرجل لا تغفلن
عن تذكر ما تتيقنه من وجوب الفنا وتقضي المسار وذهاب اللذات
وانقضاء الشهوات وبقاء التبعات وانقلابها حسرات وان الدنيا دار
من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي
من لا دار له وعليها يحسد من لا فقر له من صح فيها سقم ومن سلم فيها
من لا عم له وعليها يحسد من لا فقر له من صح فيها سقم ومن سلم فيها
ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها
عقاب ومشتبهاتها عتاب من طلبها فاتته ومن بعد عنها اتته و
من نظر اليها اعمته ومن نظرتها بصرته لاخيرها يدوم ولا شرها يبقى ولا
فيها المخلوق بقا يا ايها الرجل لا تخدعن كما خدع من قبلك فان الدنيا صبحت
فيه من النعم انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن يدك
بمثل ما صار اليك فلو بقيت الدنيا للعالم لم تصر الى الجاهل ولو بقيت للاول

www.alabdulgader.com

لم تستقل الاحزنا يا الرجل لو كانت الدنيا كلها ذهبا وفضة ثم سلم عليك بالخلافة والقيت اليك مقاليدها وافلاذ كبدها ثم كنت طريدة للموت ما كان ينبغي لك ان تنتهي لعيش لا فخر فيما يزول ولا اعتنى فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال الاول قد ينعلي وكنيف يملا كما قال الشاعر

ولقد سالت الدار عن اخبارهم ۞ فتبسمت عجبا ولم تتبدد
حتى مررت على الكنيف فقال لي ۞ امواتهم وتواتهم عندي

من كان لا يطأ التراب برجله ۞ وطئ التراب بناعم الخدي

ولقد اصاب به السماك لما قال له الرشيد عظني وبيده شربة من ماء فقال يا امير المؤمنين ارايت لو حبست عنك هذه الشربة اكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا امير المؤمنين فلو حبس عنك اخراجها اكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا امير المؤمنين فما خير في ملك لا يساوي شربة ولا بولة

يا ايها الشاب لا تغتر بشبابك فان اكثر من يموت الشباب والدليل عليه ان اقل السن الشيوخ يا ايها الشاب كم جدي في القبور وابوه يرعى وكم طفل في التراب يحبى وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لاسقف قد اسلم عظني قال يا امير المؤمنين ان كان الله عليك ممن ترجوا قال احسنت زدني قال ان كان الله تعالى معك ممن تخاف قال احسنت فزدني قال احسب ان الله تعالى قد غفر ذنوب المذنبين اليس قد فاتهم ثواب المحسنين قال حسبي حسبي وبكا على بها اربعين صباحا وقال الحسن قدم صعصعة يعني عم الفرزدق على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه يقرا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال حسبي حسبي لا ابالي ان لا اسمع اية غيرها وقال سليمان بن عبد الملك لحميد الطويل عظني قال ان كنت اذا عصيت الله

[illegible] يا ايها [illegible] وقال [illegible] واعلم [illegible] تعالى

تعالى ظننت انه يراك فلقد اجترات على رب عظيم وان كنت ظننت انه لا يراك فلقد كفرت برب كريم وكتب علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى سلمان الفارسي رحمه الله انما مثل الدنيا كمثل الحية ليّن مسها وسم قاتل فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وودع عنك همومها لما تيقنت من فواتها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمان فيها الى سرور شخص منها الى مكروه وقال ابو العتاهية

هي الدار دار الاذى والقذى ۞ ودار الفنى ودار الغير
ولو نلتها بحذافيرها ۞ لمت ولم تقض منها الوطر
ايا من يؤمل طول الحياة ۞ وطول الخلود عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان المشيب ۞ فلا خير في العيش بعد الكبر

ولما بلغ عمر بن عبد العزيز من الدنيا افضل ما سمت اليه نفسه ورقت اليه همته رفضها ونبذها وقال هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هلك وغنا لولا انه فنا وجسيم لولا انه ذميم ومحمود لولا انه مفقود وغنى لولا انه منى وارتفاع لولا انه اتضاع وعلا لولا انه بلى وحسن لولا انه حزن وهو يوم لو وثق له بغد

يا ايها الرجل لا تكن كالمخل يرسل اطيب ما فيه ويمسك الخبيث واعلم ان من قسى قلبه لا يقبل الحق وان كثرت دلائله قال الله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وذلك ان كثرة الذنوب مانعة من قبول القلوب للحق ولولوج المواعظ فيها قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اي غطى عليها وغشيها فلا تقبل خيرا

ولاتصغ لموعظة جاء في التفسير اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة
سوداء ثم ان اذنب نكت في قلبه نكتة سوداء ثم ان اذنب نكت في قلبه نكتة
سوداء حتى يسود قلبه وقال حذيفة القلب كالكف فاذا اذنب العبد
انقبض وقبض اصبعا ثم اذنب انقبض وقبض اصبعا اخرى ثم
كذلك في الثالث والرابع حتى ينقبض الكف كله ثم يطبع الله عليه فذلك
الران وقال بكر بن عبد الله اذا اذنب العبد صار في قلبه كوخز
الابرة ثم كل ما اذنب صار فيه كوخز الابرة حتى يعود القلب كالمخل وقال
الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال بعض الحكماء
اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما بحب
الدنيا لم تنفعه الموعظة وفيه يقول الشاعر

اذا قسى القلب لم تنفعه موعظة ... كالارض ان اسبخت لم ينفع المطر

ويروى ان ابا العتاهية مر ببعض الوراقين فاذا الكتاب فيه بيت فيه
من الشعر وهو

لن تنتهي الانفس عن غيها ... ما لم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا فقيل لابي نواس فقال وددت انه لي بنصف شعري
قال الاصمعي ان النعمان بن امرئ القيس الاكبر الذي بنا الخورنق
اشرف على الخورنق يوما فاعجبه ما راى وما اوتي من الملك والسعة في الدنيا
ونفوذ الامر واقبال الوجوه نحوه فقال لاصحابه هل اوتي احد مثل ما اوتيت
فقال له حكيم من حكماء اصحابه هذا الذي اوتيت شيء لم يزل ولا يزال
ام شيء كان لمن كان قبلك زال عنه وصار اليك قال بل شيء كان لمن كان
قبلي زال عنه وصار الي وسيزول عني قال فسرت بشيء يذهب عنك لذته

وبقي

وتبقى تبعته قال فاين المهرب قال اما ان تقيم وتعمل بطاعة الله تعالى
او تلبس مسحا وتلحق بجبل تعبد ربك فيه وتفر من الناس حتى ياتيك اليوم
قال فانا فعلت ذلك فما لي قال حياة لا تموت ونشاب لا يهرم وصحة
لا تسقم وملك جديد لا يبلى قال فاي خير فيما يفنى والله لاطلبن عيشا لا يزول
ابدا فانخلع عن ملكه ولبس المسح وسار في الارض وتبعه الحكيم وجعلا
يسيحان ويعبدان ربهما حتى ماتا وفيه يقول عدي بن زيد شعرا

وتبين رب الخورنق اذ اصبح ... يوما وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة ماله ... عاين والجر معرض والسدير
فارعوى قلبه وقال فما غبطت حي الممات يصير
اين كسرى كسرى الملوك انوشروان ام اين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
لم تهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور

وفيهم يقول الاسود بن يعفر شعرا

ولقد علمت سوى الذي بينا لنا ... ان السبيل سبيل ذي الاعواد
ما ذا اؤمل بعد آل محرق ... تركوا منازلهم وبعد اياد
ارض الخورنق والسدير وبارق ... والقصر ذي الشرفات من سنداد
نزلوا بانقرة يسيل عليهم ... ماء الفرات يسيل من اطواد
ارض تخيرها الطبب مقيلها ... كعب بن مامة وابن ام دواد
جرت الرياح على محل ديارهم ... فكانهم كانوا على ميعاد
فاري النعيم وكل ما يلهى به ... يوما مصيره الى بلاء ونفاد

وقال وهب بن منبه اصبت على عمدان وهو قصر سيف بن ذي

www.alabdulgader.com

على باب البحر اذ جائني رجل فاكتراني انظر له بستانا فتوجهت معه فكنت ن
في البستان اياما كثيرة فاذا الخادم قد اقبل ومعه اصحاب له ولو علمت ان البستا
لخادم ما نظرته فقعد في مجلسه وقال يا يانا طورنا فاجبته قال فاذهب فا
تنا باكبر رمان تقدر عليه واطيبه فاتيته برمان فاخذ الخادم رمانة فكسرها
فوجدها حامضة فقال يا يانا طورنا انت مذ كذا وكذا في بستاننا تاكل من
فاكهتنا لا تعرف الحلو من الحامض قلت والله ما اكلت من فاكهتكم شيئا
وما اعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم اصحابه وقال الا تعجبوا من هذا
ثم قال لي لو كنت ابا الهيم بن ادهم ما زاد على هذا فلما كان من الغد حدث
الناس في المسجد بالقضيب فجاء الناس وعبروا البستان فلما رايت
كثرة الناس اختبيت والناس داخلون وانا هارب منهم وكان ابراهيم ياكل من
عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين والعمل في الطين وكان يوما يحفظ
كرما لمزربه جندي فقال اعطها من هذا العنب فقال ما امرني صاحبه
فاخذ يضربه بالسوط فطأطأ راسه وقال اضرب راسا طال ما عصا الله تعالى
فاعجز الرجل ومضى وقال سهل بن ابراهيم صحبت ابراهيم بن ادهم
ممرضت فانفق علي نفقته فاشتهيت سمكة فباع حماره وانفق علي فلما اكلت
قلت اين الحمار يا ابراهيم قال بعناه فقلت فعلى ما اركب قال يا اخي اركب
على عنقي قال فحملني ثلاثة منازل وانشدوا

يا ايها المرء ان دنياك بحر طامح ... موجه فلانا منها
وسبيل النجاة فيها عسير ... وهو اخذ الكفاف والقوت منها

وبلغني ان بالهند يخرج الناس فيه الى البرية فلا يبقى في البلد بشر يمشي
طيره ولا شيخ كبير ولا مولود صغير وهذا اليوم يكون بعد انقراض مائة

سنة من يوم مثله فاذا اجتمع الخلايق في صعيد واحد نادى منادي الملك
لا يصعدن هذا البحر لجر هناك منصوب الامن حضر المجمع الذي قد خلا من
مائة سنة فرب ما جاء الشيخ الهرم الذي قد ذهبت قوته وعمي بصره وفني شبابه
وبقي العجوز ترجف لم يبق الا رسمها وقد اخنى الدهر عليها وربما لم يبق لاحد وقد
فني القرن كاملا باسره فيصعد من بقي على البحر ويقول الشيخ الفاني حضرت
المجمع الاول منذ مائة سنة وانا طفل صغير وكان الملك فلانا ويصف الجيوش
الماضية والامم الخالية وكيف طحنهم البلا وصاروا تحت اطباق الثرى و
يقوم خطيبهم فيعظ الناس ويذكرهم سرعة الموت وحسرة الفوت فيبكي
القوم ويتوبون من المظالم ويكثرون الصدقات ويخرجون من التبعات
ويصلحون على ذلك مدة وقال وهب بن منبه صحب رجل بعض
الرهبان سبعة ايام ليستفيد منه شيئا فوجده مشغولا عنه بذكر الله تعالى
والفكر لا يفتر ثم التفت اليه في اليوم السابع ثم قال يا هذا قد علمت ما تريد
حب الدنيا راس كل خطيئة والزهد في الدنيا راس كل خير والتوفيق تاج
كل خير فاحذر راس كل خطيئة وارغب في راس كل خير وتضرع الى ربك يا اخي
ان يهب لك تاج كل خير قال فكيف اعرف ذلك قال كان جلك رجلا من
الحكما قد شبه الدنيا بسبعة اشياء شبهها بالماء الملح يغر ولا يروي ويضر ولا
ينفع وبالبرق الخلب يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع وبظل
الغمام يغر ويزول وبزهر الربيع ينضر ثم يصفر فتراه هشيما وبا
حلام النايم يرى السرور في منامه فاذا استيقظ من نومه لم يكن
في يده شيء الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الذعاف يغر ويقتل
فتدبرت هذه الاحرف السبعة سبعين سنة لم ترد حرفا واحدا

فشبهتها بالغول التي تهلك من اجابها وتترك من اعرض عنها فرايت
جدي في المنام فقال لي يا بني انت مني وانا منك هي والله كالغول التي تهلك
من اجابها وتترك من اعرض عنها قلت فبماي شيء يكون الزهد في الدنيا
قال باليقين واليقين بالبصر والبصر بالعبر والعبر بالفكر ثم وقف
الراهب وقال خذها منا ولا اراك خلفي الا متجردا بفعل دون قول فكان
اخر العهد به قلت وقد وصف الله تعالى الدنيا واهلها بصفة
اعم من هذه الصفة فقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم
وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه
مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله
ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور والكفار هاهنا الزراع
فكان الزرع يكون اول نباته اخضر ناعما اهتزت به الارض بعد
يبسها فجات به في العين كاملح ما يكون ثم تهيج فتراه مصفرا اي يكبر
ويستوي فيجف ويحترق وينتكس اعلاه ويتسفل سنبله ثم ييبس فيكون
حطاما اي تبنا مكسورا منقطعا هذا مثل ضربه الله تعالى لبني ادم
اذا كانوا اطفالا اول الولاده وفي حال الطفوليه فيكونون كما حسن
ترى يعجبون الاباء ويفتتنون ذوي الاحلام والنهى ثم يكبرون فيصيرون
شيوخا منكسة رؤسهم مقوسة ظهورهم قد ذهب حسنهم ونعومتهم
وفني شبابهم وذوت غضاضتهم وتقادتهم واستولى عليهم الهدم واليبس
ثم يموتون فيصيرون حطاما في القبور كالنبت في الجرين هذا بعد
ما وصفها الله تعالى بخمس صفات مذمومة لعب ولهو وزينة وتفاخر
وتكاثر وكان الصدر الاول يسمون الدنيا خنزيره ولو وجدوا

اسما قبح منه ليسموها به وكانوا ليسموها ام ذفر والذفر النتن وقال
مالك بن انس بلغني ان ملكا من ملوك بني اسرائيل ركب يوما في زي
عظيم فتشرف الناس ينظرون اليه افواجا حتى مر برجل يعمل شيئا مكبا عليه ولا
يلتفت اليه ولا يرفع راسه فوقف الملك عليه وقال كل الناس ينظرون الي الا
انت فقال له الرجل اني رايت ملكا مثلك وكان على هذه القريه مات
هو ومسكين فدفن في جنبه في يوم واحد فكنا نغرفهما في الدنيا باجسامهما
ثم كنا نغرفهما بقبريهما ثم نسفت الريح قبريهما وكشفت عنهما فاختلطت
عظامهما فلم اعرف الملك من المسكين فلذلك اقبلت على عملي وتركت
النظر اليك وروي ان داود عليه السلام بينما هو يسيح في الجبال اذا هو
برجل على اعلا غار فنظر فاذا فيه رجل وهو خلق عظيم من بني ادم واذا عند
راسه حجر مكتوب بكتاب محفور يقول فيه انا دريسم الملك ملكت
الزعام وفتحت الف مدينه وهزمت الف جيش وافترعت الف بكر
من بنات الملوك ثم صرت الى ما ترى فصار التراب فراشي والحجر وسادي
فمن رآني فلا تغره الدنيا كما غرتني وقال وهب بن منبه خرج
عيسى عليه السلام ذات يوم مع جماعة من اصحابه فلما ارتفع النهار وراوا
بزرع قد امكن من الزرع فقالوا يا نبي الله انا جياع فاوحى الله تعالى
اليه ان ائذن لهم في قوتهم فاذن لهم فتفرقوا في الزرع يفركون ويا كلون
فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع وهو يقول زرعي وارضي ودتها
عن اباي باذن من تاكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى عليه السلام ربه
تعالى فبعث الله سبحانه وتعالى جميع من هلك تلك الارض من لدن
ادم عليه السلام الى ساعته فاذا عند كل سنبلة او ماشاء الله رجل او امراة

كلهم ينادون زدني وارضني وزنتها عن اباي فقزع الرجل منها وكان قد بلغه
من امر عيسى عليه السلام وهو لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا رسول الله
اني لم امرفك زدني ومالك لحلال فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء
كلهم قد ورثوا هذه الارض وعمروها ثم ارتحلوا عنها وانت مرتحل وبهم لاحق
ويحك ليس لك ارض ولا مال وقال ابو العتاهية

وعظتك احداث صمتّ ونعتك السنّ خفت
وتكلمت عن اوجه تبلى وعن صور سبيت وامرتك قبرك في القبور وانت حي لم تمت
يا شامتا بمنيتي ان المنية لم تفت ولربما انقلب الشمات وحل بالقوم الشمت

وروي ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما دفن فاطمة رضي الله عنها
مسجاة بثوبها بكا حتى رثى له ثم قال

لكل اجتماع من خليلين فرقة وان الذي دون الممات قليل
ارى علل الدنيا علي كثيرة وصاحبها حتى الممات عليل
اذا القطعت عني العشيرة مدية فان عنا الباكيات قليل
وان افتقادي واحدا بعد واحد دليل على ان لا يدوم خليل

وقال رضوان الله عليه ورحمته

الا ايها الموت الذي ليس تاركي ارحني فقد افنيت كل خليل
اراك بصيرا بالذي احبهم كانك تنحو نحوهم بدليل

ولما نفض يديه من تراب قبرها تمثل بقول بعض بني ضبينة

اقول وقد فاضت دموعي حسرة ارى الارض تبقى والاخلاء تذهب
اخلاي لو غير الحمام اصابكم عتبت ولكن ما على الموت معتب

وقال العتابي رحمه الله وغفر له

ماغنا الحذار والاشفاق وشبابي ومعك المهراق
عذرات الايام منتزعات عتقتنا من طول هذا العناق
ان قضى الله ان يكون فلاق بعد ما تزين كان تلاق
هوني ما عليك وافني حيا ليست بتقتيري ولست ببا قي
اينا قدمت حمام المنايا فالذي اخرت سريع اللحاق
قلت للفرقدين والليل ملق سوء كنافه على الافاق
ابقيا ما بقيتما فسيرا ما بيه شخصيكما بسهم الفراق
غر من ظن ان يفوت المنايا وغرا ها قلايد الاعناق
كم صفيين متعا باجتماع ثم صارا لغربة وافتراق
لا يدوم البقاء للخلق لكن دوام البقاء للخلاق

واخبرني بعض الرواة عن الاصمعي رحمه الله قال لما خرج الرشيد
الى طرسوس وعدل في طريقه وهاج به الدم بحلوان واشار عليه المتطببون
بالكل الجمار فاحضر هقان حلوان فاعلم بحاجة امير المؤمنين الى جمارة فقال
والله ما ببلدنا بلد نخل ولكن على العقبة نخلتان فنقطع احداهما فقطعت
واتى الرشيد بالجمارة فاكل منها فسكن عنه الدم ثم انه سار بعد ما راح
فلما صار في العقبة نظر فاذا احدى النخلتين مقطوعة مطروحة واذا على
الصفحة مكتوب

اسعداني يا نخلتي حلوان واريتا لي من ريب هذا الزمان
ولعلما ان بقيتما ان تحسّا سوف يلقاكما فنفترقان
فلعمري لو ذقتما فرق الفرقة ابكاكما الذي ابكاني

قال فاغتم الرشيد عند ذلك غما شديدا وقال اعز علي بان اكون نحستها

ولو علمت بهذا الشعر قبل ذلك لما قطعت ولو قتلني الدم وانشد بعضهم

سالت الرسم عن اهل المقصور ... فقال ابادهم صيحة في الدهور

ولطلق منهم ما كان غضا ... واخرجهم الى ضيق القبور

والبسهم ثياب الترب فيها ... وجرد عنهم حلل الحرير

وصيرهم للدود نهبا ... على رغم وجوها كالبدور

واصبح ما بنوه وشيدوه ... بلا باب عليه ولا ستور

فقلت اذا فبعدا ثم بعدا ... لمن يلهو ويفرح بالغرور

ولما مات الاسكندر قال ارسطاطاليس ايها الملك لقد حركتنا بسكوتك

وقال بعض الحكماء من اصحابه كان الملك امس انطق منه اليوم وهو

اليوم اوعظ منه امس نظمه ابو العتاهية رحمه الله فقال

كفى حزنا بدفنك اني نفضت ... تراب قبرك من يدي

وكانت في حياتك لي عظات ... وانت اليوم اوعظ منك حيا

ووجد على قبر مكتوبا

قهرنا من قهرنا فصرنا ... كلانا للمناظرين عبرة

وقال ابو العتاهية رحمه الله عليه شعرا

يا موتر الدنيا بلذته ... والمستعد لها بما يفاجره

لم ما بدا لك ان تنال ... من الدنيا فان الموت آخره

اين الملوك واين غيرهم ... صاروا مصيرا انت صايره

الموت لوضح اليقين به ... لم ينتفع بالعيش ذاكره

وسبيلنا في الموت مشترك ... يتلو الاكابر اصاغره

عبد الله بن المعتز رحمه الله

نسير الى الاجال في كل ساعة ... وايامنا تطوى وهن مراحل

ولم ار مثل الموت حقا كانه ... اذا ما تخطته الاماني باطل

وما قبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب في الرأس شامل

ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك ايام تعد قلايل

ولما دخل ابو الدرداء الشام قال يا اهل الشام اسمعوا قولي اخ ناصح

فاجتمعوا عليه فقال مالي اركم تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تا

كلون وتؤملون ما لا تدركون ان الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا وامّلوا

بعيدا وجمعوا ما لا كثيرا فاصبح اهلهم عزورا وجمعهم ثبورا ومساكنهم قبورا

وروى الجاحظ قال وجد مكتوبا في محراب ادم لو رايت نبيذ ما بقي

من اجلك لزهدت في طول ما ترجو من املك ولرغبت في الزيادة من

عملك ولقصرت عن حرصك وجدك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بكم

قدمك وانصرف عنك اهلك وحشمك وبترامنك القريب وانصرف عنك

الحبيب فلا انت في عملك زايد ولا الى اهلك عايد وقال مالك بن انس

بلغني ان امرأتين اتيا عيسى بن مريم عليه السلام فقالتا يا روح الله ادع الله

لنا ان يخرج ابانا فانه هلك ونحن غايبتان عنه فقال انطلقا فان قبره

فقالتا نعم فذهب معهما فاتيا قبرا فقالتا هذا هو فدعا الله سبحانه

فاخرج لهما فاذا هو ليس به فدعا فدّ ثم دلياه على قبر اخر فدعا ان يخرج فاذا

هو قايم فلزمتاه وسلمتا عليه ثم قالتا يا نبي الله يا معلم الخير ادع الله ان يبقيه

لنا قال فكيف ادعوا له ولم يبق له رزق يعيش به لم نزده والصرف وانشدني بعض الادباء

واسقني من فراق قوم ... هم المصابيح والحصون

والحزن والمدن والرواسي ... والامن والخفض والسكون

لم تتغير بنا الليالي ... حتى توفتهم المنون

وكل جمر لنا قلوب ... وكل ماء لنا عيون

وكل نوم لنا سهاد ... وكل شوك لنا جفون

وروي ان النعمان بن المنذر خرج متصيدا ومعه عدي بن زيد فمر بشجرة
فقال عدي بن زيد ايها الملك اتدري ما تقول هذه الشجرة قال لا قال انها تقول

من رانا فليحدث نفسه ... انه موف على قرب الزوال

وصروف الدهر لا تبقي ولا ... لما ياتي به صم الجبال

رب ركب قد انا خوا عندنا ... يمزجون الخمر بالماء الزلال

عمروا الدهر بعيش حسن ... آمني دهرهم غير عجال

عصف الدهر بهم فانقرضوا ... وكذاك الدهر حال بعد حال

ثم قال ثم جاوزوا الشجرة فمروا بمقبرة فقال عدي ايها الملك اتدري ما تقول
هذه المقبرة قال لا قال انها تقول

ايها الركب المخبون ... على الارض المجدون

كما انتم كنا ... وكما نحن تكونون

فقال النعمان قد علمت ان الشجرة والمقبرة لا يتكلمان وانما اردت
عظتي فجزاك الله خيرا فما السبيل الذي ندرك به النجاة قال تدع عبادة الا
وثان وتعبد الله وحده قال وفي هذا النجاة قال نعم قال فترك عبادة
الاوثان وتنصر يومئذ واخذ في الجد والاجتهاد قال عبد الله المعلم فرجنا
من المدينة حجاجا فلما كنا بالروحا نزلنا نوقف بنا رجل عليه ثياب رثة له
منظر وهيئة فقال من يبيع حادما منه يبيع سافيا فقلت دونك هذه القربة
فاملأها فاخذها وانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى افل وقد امتلأت اوانيه
طينا فوضعها كالمسرور الضاحك ثم قال الكم غيرها قلنا لا واطعمناه فرحا

بباردا فاخذه وحمد الله سبحانه وشكره ثم اعتزل عنا وقعد فاكله اكل جايع فاد
ركتني عليه الرقة فقمت اليه بطعام طيب كثير فقلت قد علمت انه لم يقع منك
القرص بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم وقال يا عبد الله
انما هي قوة جوع فما ابالي باي شيء ردتها عني فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبي
اتعرفه قلت لا قال انه رجل من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب
كان يسكن البصرة فتاب وخرج هنا وقعد ثم عرف له اثر ولا وقع له على خبر
فاعجبني قوله ثم اجتمعت به والتسته وقلت له هل لك ان تعاد لني فان معي
فضلا من راطتي فجزاني خيرا وقال لو اردت هذا كان لي معدا ثم انس
الي وجعل يحدثني فقال انا رجل من ولد العباس بن عبد المطلب كنت اسكن
البصرة وكنت ذا كبر شديد وبذخ واني امرت خادما ان يحشو لي فراشا
من حرير ومخده بوبر فنير فبينما انا نايم اذا بقمع وردة قد اغفلتها الخادم
فقمت اليها فاوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة
فاذا اني اتيت في منامي في صورة فضيعة فضربني وقال افق من غشيتك
البصر من حيرتك ثم انشاء يقول

يا خل انك ان تؤسد لينا ... وتسدت بعد الموت ضم الجندل

فامهد لنفسك صالحا تستعد به ... فلقد ترى عند اذا لم تفعل

فانتبهت فزعا مرعوبا فخرجت من ساعتي هاربا الى ربي كما ترى فاعجبني
قوله وقال عبد الواحد بن زيد ذكر لي انه في خرايب ايليا جارية
مجنونة تنطق بالحكمة فلم ازل اطلبها حتى وجدتها في خربة جالسة على حجر و
عليها جبة صوف وهي محلوقة الراس فلما نظرت الي قالت من غير ان اكلمها
مرحبا بك يا عبد الواحد فقلت لها رحب الله بك وعجبت من معرفتها

www.alabdulgader.com

ي ولم ترين قبل ذلك فقالت ما الذي جاء بك هاهنا فقلت جئت لتعطيني فقالت
واعجباه لواعظ يوعظ ثم قالت يا عبد الواحد اعلم اذا كان العبد في كفاية
ثم مال الى الدنيا سلبه الله تعالى صلاوة الزهد خيرا نا والها فا فان كان له
عند الله نصيب عاتبه وحيا في سره فقال عبدي اردت ان ارفع قدرك
عندملايكتي وجملة عشيري واجعلك دليلا لاوليائي والهل طاعتي في ارضي
فملت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتني فورثتك بذلك الوحشة بعد
الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنا عبدي ارجع الى ما كنت عليه
ارجع الى ما كنت تعرفه في نفسك قال ثم تركتني وولت عني وانصرفت عنها و
بقلبي حسرة ضمها واشتد وا شعرا

انك في دار لها مدة ... يقبل فيها عمل العامل
اجابة الموت محيط بها ... يقطع فيها امل الآمل
يحمل الذنب لما يشتهي ... ويومل التوبة من قابل
والموت يا تيك على غفلة ... ماذا يفعل الحازم العاقل

ولما نزلت سعدبه ابي وقاص الحيرة قيل له هاهنا عجوز من بنات
الملوك يقال لها الحرقة بنت قابوس بن النعمان بن المنذر وكانت من
اجل عقايل العرب وكانت اذا خرجت الى ضيعتها نشرت عليها الف قطيفة
خز وديباج ومعها الف وصيف ووصيفة فارسل اليها فجاءت كالشن
البالي وقالت يا سعد كنا ملوك هذا المصر قبلك يجبى الينا خراجه
ويطيعنا اهله مدة من الدهر حتى صاح بنا صايح فشتت شملنا والدهر
ذو نوايب وصروف فلو رايتنا في ايامنا لارعدت فرايصك وزقامنا
فقال لها سعد ما الغم ما تنعمتم به قالت سعة الدنيا علينا وكثرة

الاصوات

الاصعات اذا دعونا ثم انشاءت تقول

وبينا نسوس الناس والامر امرنا ... اذا نحن فيهم سوقة ليس ننصف
فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلب تارات بنا وتصرف

ثم قالت يا سعد انه لم يكن اهل بيت تخبره الا والدهر يعقبهم عبرة حتى يأتي
امر الله على الفريقين فاكرمها سعد وامر برد ها فلما اراد القيام قالت
يا سعد لا ازال الله عنك نعمة ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا ازال عن كريم
حرمه ولا نزع عن عبد صالح نعمة الا جعل لك سبيلا الى ردها عليه وانشد
بعض الشعرا

من كان يعلم ان الموت مدركه ... والقبر مسكنه والبعث مخرجه
وانه بين جنات مستبهجة ... يوم القيمة او نار مستضجه
فكل شيء سوى التقوى به سمج ... وما اقام عليه منه اسجه
ترى الذي اتخذ الدنيا منزلة ... لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

وروي ان عيسى عليه السلام كان مع صاحب له بسيحان فاصابهما
الجوع وقد نيا الى قرية فقال عيسى عليه السلام لصاحبه انطلق فاطلب
لنا طعاما في هذه القرية وقام عيسى يصلي فجاء الرجل بثلاثة ارغفة
فابطا عليه انصراف عيسى عليه السلام من صلاته رغيفا وانصرف عيسى عليه
السلام فقال له اين الرغيف الثالث فقال ما كان الا رغيفين
قال فمر على وجوههما حتى مرا بظباء فدعا عيسى عليه السلام ظبيا منها
فذكياه فاكلا منه ثم قال عيسى السلام قم باذن الله محيي الموتى
فاذا هو ينشد فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام
بالذي اراك هذه من صاحب الرغيف قال ما كانا الا اثنين قال فمضيا

على وجوهها فمرا بنهر عجاج عظيم فاخذ عيسى بيده فمشى به على الماء حتى جاوزوا
الماء فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذي اراك هذه
الاية من صاحب الرغيف قال ماكان الا رغيفين فخرجا حتى اتيا قريبه
عظيمة ضربة واذا قريب منها لبن ثلاثة من ذهب فقال الرجل هذا
مال فقال عيسى اجل هذا مال واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب
الرغيف فقال الرجل انا صاحب الرغيف فقال عيسى عليه السلام هي لك
كلها وفارقه فاقام عليها ليبعد عنه من يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه
واخذ واللبن فقال اثنان لواحد منهم اذهب فاتنا بطعام
فذهب وقال احد الباقيين للاخر تعالى نقتل هذا اذا جا ونقسم المال
بيننا قال الاخر نعم وقال الذي ذهب اجعل في الطعام سما فاقتلهما
واخذ اللبن ففعل فلما جاء قتلاه واكلا من الطعام الذي جاء به فماتا
فمر بهم عيسى عليه السلام وهم حولها صرعى وقال هكذا تفعل الدنيا با
هلها وقال عبد الملك بن عمير رايت في هذا القصر عجبا رايت راس
الحسين بن علي رضوان الله عليهما على توبين مصبوغين بين يدي
بن زياد ثم رايت راس بن زياد بين يدي المختار ثم رايت راس المختار
بين يدي مصعب بن الزبير ثم رايت راس مصعب بن الزبير بين
يدي عبد الملك بن مروان وقال الاصمعي لما زحف الرشيد
مجالسه وتحكم فيها وذوقها وصنع فيها طعاما كثيرا ارسل الى ابي العناهية
فقال صف لنا ماانت فيه من نعيم هذه الدنيا فقال

عش مابدا لك آمنا ... في ظل شاهقة القصور

قال فسعى اليك بما اشتهيت لدى الرواح وفي البكور

فاوفق فقنع
بالله الذي ضمن الرزق
وهو يعافي بالفضل من عصاه
ولكن بالخلوق في الغرار الاريم
فقمت وما عقلت علة جحوده
واخبرته بركي وهمت اليه بصري
عليه جنى غيظا على اذ تركته
تنبهت عن ذكراه بالخير والخنى
المصور وفي ايالتي الخلق

ويحك فكيف تصنع
لنفسك لخال لنفسي قال
جهنم وبئس المصير
بالله يشهدوك وما رحم في
اليوم وهو يراني قال
تحلهم على ظهر بعيرك ولكن اقف
بقبل وسهل حتى ابلغ
واقع الظالم وخذ الضعيف
وانصر قاعما حال وطاب واقتحم
بين الناس بالسوء واقض عنهم
كل الهم بانوك ويسعدوك عم
اقيمت الصلاة فشغل ابو
جعفر بها فلما فرغ منها طلب
الرجل فلم يوجد وفي ون ابنة
الخضر عليه السلام

وهذا ان كنت جالسا عند عبد
الملك بن مروان بقصر الامارة
بالكوفة حين اتي اليه براس مصعب
بن الزبير حين قتل فرأى قد ارتعدت
فقال له مالك ارتعدت فقلت
اعتبرك بالله يا امير المؤمنين كنت
جالسا في هذا المكان يوما فدخل
عليك عبد الله بن زياد فصح

قال احسنت ثم ماذا قال

فاذا النفوس تقعقعت ... في ضيق حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا ... ماكنت الا في غرور

فبكا عند ذلك هرون حتى كاد يموت وحتى ترحم الله من كان حوله فقال
الفضل بن يحيى بعث اليك امير المؤمنين لتسره فاحزنته فقال دعه فانه
رانا في غم فكره ان يزيدنا غما ويروى ان سليمان بن عبد الملك لبس اقمصة
ثيابه ومس اطيب طيبه ونظر في مرآته فاعجبته نفسه وقال انا الملك الشاب
وخرج الى الجمعة فقال لجاريته كيف ترينني فقالت

انت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير ان بقاء للانسان

ليس في عابد لنا منك عيب ... عابد الناس غير انك فان

فاعرض بوجهه ثم خرج فصعد المنبر وصوته يسمع آخر المسجد فركبته الحما
فلم يزل صوته ينقص حتى لا يسمعه من حوله فصلى ورجع بيده اثنين
يستحب رجليه فلما صار على فراشه قال للجارية ما الذي قلت لي في صحن
الدار وانا خارج فقالت ما رايتك ولا قلت لك شيئا واني لي بالخروج الى
صحن الدار فقال انا لله وانا اليه راجعون نعيت الي والله نفسي ثم عهد عهده
واوصى وصيته فلم تات عليه الجمعة الا وهو في قبره ووجد مكتوب باعلى
قصر سيف بن ذي يزن شعرا

من كان لا يطأ التراب برجله ... وطى التراب بصفحة الخد

من كان بينك في التراب وبينه ... شبر ان كان بموضع البعد

لو بعثرت للناس اطباق الثرى ... لم يعرف المولى من العبد

وروي ان الاسكندر من بمدينة قد ملكها املاك سبعة وبادوا فقال

هل بقي من نسل الاملاك الذي ملكوا هذه القرية احد قالوا رجل يكون في المقابر
فدعاه فاتاه وقال ما دعاك الى لزوم المقابر فقال اردت ان اعتزل عظام الملوك
من عظام عبيدهم فوجدت ذلك سواء لا يتميز لي قال فهل لك ان تتبعني
فاحيي بك شرف ايامك ان كانت لك همة قال ان همتي لعظيمة ان كانت بغيتي
عندك قال وما بغيتك قال حياة لا موت فيها وشباب لا هرم معه وغنا
لا يتبعه فقر وسرور لا يعقبه مكروه قال الاسكندر لا اقدر على هذا قال فما
نفذ لشانك وخلني اطلب بغيتي ممن هي عنده فقال الاسكندر هذا احكم
من رايت وقال الهيثم بن عدي وجدوا عارا في جبل لبنان زمن
الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من ذهب وعند راسه لوح من
ذهب مكتوب بالرومية انا سابا بن نواس بن سباخدمت عيصا بن اسحق بن
ابراهيم خليل الرب الديان الاكبر وعشت بعده زمنا طويلا ورايت عجبا كثيرا
فلم ار فيما رايت اعجب من غافل عنه الموت وهو يرى مصارع ابائه ويقف على
قبور احبابه ويعلم انه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاجلاف الجفاة
سينزلوني عن سريري وينتزعونه وذلك حين يتغير الزمان وتتامر الصبيان
ويكثر الحدثان فمن ادرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا ويروى
في الاسرائيليات ان عيسى بن مريم عليه السلام بينا هو في بعض سياحته اذ مر
بجمجمة نخرة فامرها ان تتكلم فقال يا روح الله انا ابن يوم بن حفص ملك
اليمن عشت الف سنة وولدت الف ذكر وافتضضت الف بكر وهزمت
الف عسكر وقتلت الف جبار وافتتحت الف مدينة فمن راني فلا يغتر
بالدنيا فما كانت الا كحلم النائم قال فبكا عليه السلام ووجد مكتوب على
باب قصر لبعض الملوك قد بلى اهله وافقرت ساحته هذه الابيات

هذي

هذي منازل اقوام عهدتهم يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
يبكي عليهم ديار كان يطربها ترنم المجد بين الحلم والكرم
وقال عبد الله بن سرح نزل حي من العرب شعبا من شعاب اليمن
فتشاحوا فيه واختلفوا واستعدوا للقتال فاذا صايح يصيح يا هؤلاء
على رسلكم على ما القتال لقد هلكتني سبعون اعود كلهم اسمه عمرو وقيل
ايها الرجل اعتبر بمن مضى من الملوك والاقيال وخلا من الام والا
جيال وكيف بسطت لهم الدنيا وانسيت لهم الاجال وفسح لهم في
المنى والامال واعدوا بالآلات والعدد والاموال كيف طحنهم بكلكله
المنون وخدعهم بزخرفة الدهر الخؤون واسكنهم بعد سعة القصور لبيه
الجنادل والصخور وعاد العين اثرا والملك خبرا واما اليوم فقد ذهب
صفو الزمان وبقي كدره فالموت اليوم تحفة لكل مسلم حين كان الخير اصبح
خاملا واصبح الشر ناضرا وكان الغي اصبح ضاحكا وادبر الرشد باكيا
وكان العدل اصبح عاثرا واصبح الجور غالبا وكان العقل اصبح مدفونا
والجهل منشورا وكان اللوم اصبح باسقا والكرم ذاويا موطوءا وكان
الود اصبح مقطوعا والبغض موصولا وكان الكرامة قد سلبت من
الصالحين وتقضى فيها الاشرار وكان الحب اصبح مستقضا والوفا نايما
وكان الكذب اصبح متمرا والصدق ماحلا وكان الاشرار اصبحوا يسامون
السما واصبح الاخيار في بطن الثرى اما ترى الدنيا تقبل اقبال الطالب
وتدبر ادبار الهارب وتصل وصال الملوك وتفارق فراق المجول فخيرها
يسير وعيشها قصير واقبالها خديعة وادبارها فجيعة ولذاتها فانية
وبقاياها باقية فاغتنم غفوة الزمان وانتهز فرصة الامكان وخذ من

نفسك لنفسك وتزود من يومك لغدك ولا تنافس اهل الدنيا
في خفض عيشهم وليه رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم

قال الشاعر

رب مغرور يعاش بغرسه ... عدمته عين مغترسه
وكذاك الدهر ماء تمه ... اقرب الاشياء من عرسه

وقال النهامي

تنافس في الدنيا غرورا وانما ... فصارعنا هاان يؤول الى فقر
وانا لفي الدنيا كركب سفينة ... نظن وقوفا والزمان بنا يجري

غيره

تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت ... وتحدث من بعد الامور امور
ويجري الليالي باجتماع وفرقة ... وتطلع فيها انجم وتغور
فمن ظن ان الدهر باق سروره ... فذاك محال لا يدوم سرور
عفى الله عن من صير الهم واحدا ... وايقن ان الابرات تدور

وقال وهب بن منبه قرات في بعض كتب الانبيا عليهم السلام
ان المسيح عليه السلام اجتاز بحجرة عظيمة هائلة نخرة فقال له اصحابه يا
روح الله لو سالت الله يستنطق هذه الحجرة فعسى تخبرنا بما راته من العجب
ففعل فاطقها الله تعالى فقالت يا روح الله عبثت الف سنة وافت ضعضت
الف بكر واستولت الف ولد ذكر وافتتحت الف مدينة وهزمت الف
جيش وقتلت الف جبار وصحبت هذا الدهر واختبرته وامتحنت تقلبه و
انقلابه فلم ار شيئا اشر من طالح يلي امر صالح ولم ار لهذا الدهر شيئا انفع
من الصبر ومسالة الله ولم ار هلاك الا في الحرص والطمع ووجدت
مع الزهد

العز في الرضا بالقسم وقال محمد بن ابي العتاهية اخر شعر قاله اي في مرضه الذي توفي فيه هذه الابيات

الهي لا تعذبني فاني ... مقر بالذي قد كان مني
وما لي حيلة الا رجائي ... لعفوك ان عفوت وحسن ظني
يظن الناس بي خيرا واني ... لشر الناس ان لم تعف عني
فكم من زلة لي في الخطايا ... وانت علي ذو فضل ومني
اذا فكرت في ندمي عليها ... عضضت اناملي وقرعت سني
احب لزهرة الدنيا جنونا ... واقطع طول عمري بالتمني
وبين يدي ميقات عظيم ... كاني قد دعيت له كاني
ولو اني صدقت الدهر فيها ... قلبت لاهلها ظهر المجن

قال ابن عباس لما قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ايكم يعرف قس بن ساعدة قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال ليست انساه
بعكاظ على جمل احمر وهو يخطب الناس ويقول ايها الناس اجتمعوا فاذا
اجتمعتم فاسمعوا فاذا سمعتم فعوا فاذا وعيتم تنتفعوا انه من عاش مات
ومن مات فات وكل ما هو آت آت ان في السما لخبرا وفي الارض لعبرا مهاد مو
ضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحر لا يغور افقسم قس بالله قسما حق لا كذب
فيه ولا اثم ليكونن في الارض رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو احب
اليه من دينكم هذا الذي انتم عليه مالي ارى الناس يذهبون ولا يرجعون ارضوا
بالمقام فاقاموا ام تركوا هناك فناموا ايكم يروي شعره فانشدوا

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رايت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورايت قومي نحوها تمضي الاصاغر والاكابر

٣ فقولوا واذا قلتم فاصدقوا

لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقيه غابر
سكنوا البيوت فطوتهم ان البيوت هي المقابر
ايقنت اني لا محاله حيث صار القوم صاير

ثم قال رجل لقد رايت منه عجبا اقتحمت واديا فاذا انا بعيده خلوة ودوضة مدهامة وشجرة عاديه فاذا انا بقس به ساعدة قاعد في اصل الشجره وبيده قضيب وقد ورد على العيده سباع كثيره فكلما ورد سبع على صاحبه ضربه بالعصى وقال تنح حتى يشرب الذي ورد قبلك فلما رايت ذلك ذعرت ذعرا شديدا والتفت الي وقال لا تخف فالتفت فاذا بقبرين بينهما مسجد فقلت ما هذان القبران فقال هما قبرا اخوين كانا يعبدان الله معي في هذا الموضع وانا اعبد الله بينهما حتى الحق بهما فقلت الا تلحق بقومك فتكون في خيرهم فقال لي تكلتك امك او ما علمت او ما علمت اه ولد اسماعيل تركن دين ابيهما وابتعت الاجداد وعظمت الاوثان ثم تركني واقبل على القبرين وقال

هذه الابيات

خليلي هبا طال ما قد رقدتما اجدكما لا تقضيان كراكما
ارا النوم بين الجلد والعظم منكما كان الذي يسقي العقار سقاكما
الم تعلما اني بسمعا منفردا ومالي فيها من خليل سواكما
مقيم على قبريكما لست بارحا طوال الليالي او يجيب صداكما
سابكيكما طول الحياة وما الذي يرد على ذي لوعة ان بكا كما
ولو جعلت نفس لنفس فديه لجدت بنفسي ان تكون فداكما
سلام وتسليم ورفع ورحمة ومغفرة المولى علي ساكنيكما

وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انه يبعث امة وحده يعني كل امة

امنت

امنت بنبيها تبعث امة وحدها لا يخالطها غيرها ويبعث قس ايضا وحده امة ليس معه احد وروي ان المهدي نام يوما فانشد في منامه شعرا

كاني بهذا القصر قد باد اهله واوحش منه ركنه ومنازله
فلم يبق الا ذكره وحديثه ينادي بليل معولات ثواكله

وصار عميد القصر من بعد بهجة الى قبر يبتغي عليه جنادله

فما انت عليه عاشرة حتى مات رحمه الله وانشدني القاضي ابو العباس الجرجاني بالبصره

بالله ربك كم قصر مررت به قد كان يعمر باللذات والطرب
صارت عقاب المنايا في جوانبه فصاح من بعده للويل والحرب
اجمل وكن طالبا للرزق في دعة فلا وربك ما الارزاق بالطلب

وانشدني ايضا لبعض الشعرا

ايها الرافع البناء رويدا لن يزود المنون عنك المباني
ان هذا الذي يزين ويفني كل شيء ابقاه من الانسان

وقال الحكم بن عمرو قال ابو جعفر المنصور عند موته اللهم ان كنت تعلم اني ارتكبت الامور العظام جراءة مني عليك فانك تعلم اني اطعتك في احب الاشياء اليك شهادة ان لا اله الا الله منا منك لا منا عليك وكان سبب اخراجه من الخضراء انه كان يوما نايما فاتاه آت في منامه فقال

كاني بهذا القصر قد باد اهله واوحش منه اهله ومنازله
وصار عميد القصر من بعد بهجة الى قبر يبتغي عليه جنادله

فاستيقظ مرعوبا ثم قام فانشد هذه الابيات

ابا جعفر حانت وفاتك وانقضت سنوك وام الله لابد واقع
فهل كاهن اعددته او منجم ابا جعفر عنك المنية دافع

فقال يا ربيع ايتني بطهوري فقام واغتسل ولبس وتجهز للحج ثم قال يا ربيع

القضي في حرم الله تعال وانشدني القاضي ابو العباس الجرجاني بالبصره شعرا

ان كنت تسمو الى الدنيا وزينتها ... فانظر الى ملك الاملاك قارون

زم الامور فاعطتة مقادتها ... وسخر الناس بالتشديد واللين

حتى اذا ظن ان الامن غالبه ... ومكنت قدماه اي تمكين

رجت عليه المنايا روحة تركت ... ذا الملك والعز تحت الماء والطين

وانشدني ابو محمد التميمي رحمه الله ببغداد شعرا

لمن ابني لمن اسم المطايا ... لمه استانف الشئ الجديدا

اذا ما صار اخواني رفاتا ... وصرت لفقدهم فردا وحيدا

اعانق معشرا لهم سلوك ... واشكالي قد اعتنقوا اللحودا

ومن زهد في الدنيا وابصر عيوبها من ابنا الملوك ابو عقال علوان بن الحسن من بني الاغلب وهم ملوك المغرب وكان ذا نعمة وملك وله فتوة ظاهرة فتاب الى ربه فرجع عن ذلك رجوعا فاق نظراءه فرفض المال والاهل والهجر النساء والوطن وبلغ من العبادة مبلغا ارتي فيه على المجتهدين وعرف باجابة الدعوة وكان عالما اديبا قد صحب عدة من اصحاب سحنون و سمع منهم ثم انقطع في بعض سواحل البحر فصحب رجلا يكنى اباهرون الا ندلسي منقطعا منتلا الى الله تعالى فلم ير منه كثير اجتهاد في العمل فبينما ابو عقال يتهجد في بعض الليالي وابو هرون نايم اذ غالبه النوم فقال لنفسه يا نفس هذا عابد جليل القدر ينام الليل كله وانا اسهر الليل كله فلو راحت نفسي فوضع جنبه فراى في منامه شخصا قفلي عليه الم حسب الذين اجترحوا السيات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سوا محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون فاستيقظ فزعا وعلم

الله المراد فايقظ اباهرون وقال سالتك بالله هل اتيت كبيرة قط قال يا اخي ولا صغيره عن تعمد والحمد لله فقال ابو عقال لهذا تناما انت ولا يصلح النوم لمثلي الا الكد والاجتهاد ثم رحل الى مكه ولزم بيت الله الحرام وحج مرارا وارتى على عباد المشرق وكان يعمل بالقوبه على ظهره لقوته ومات بمكه وهو ساجد في صلاة الفريضه في المسجد سنة ست وتسعين ومايتين وقال له رجل كان يصحبه يوما اي اليك حاجة قال مقتضيه بعد الجهد به قال ان كانت لك شهوه اخبرني بها قال نعم اشتهي الكل راس قال فاشتريت راسين ولففتهما في رقاق وجيتة بهما ثم سالته بعد ايام هل طاب لك الراسان قال لا ما هو الا ان فتحتهما فاذا هما محشوان دودا ليس بهما البته لحم الا الدود فابيت الرواس فاخبرته فاطرق متعجبا ثم قال ما ظننت ان في زماننا احدا يحمي عن الحرام هذه الحمايه تلك الرؤس كانت من غنم انتهبها بعض العمال ثم اعطاني راسين من غير تلك الغنم فابيت بهما ابا عقال فاكلها واضربته عما قال الرواس فبكا وقال يا رب ما كان يستحق عندك ابو عقال مثل هذه الحمايه والكرامه مفضلك وكرمك فلك عليا رب لا اكل طعاما الشهوة اشتهيتها حتى الفاك وكانت له اخت متعبده فلما مات لحقت قبره بمكه فكتبت على قبره هذه الابيات

ليت شعري ما الذي عاينته ... بعد دوم الصوم مع نقي الوسن

مع عزوف النفس عن اوطانها ... والتخلي عنه جيب وسكن

يا شقيقا ليس في وجدي به ... علة تمنعني من ان اجن

وبما تبلى وجوه في الثرى ... فكذا يبلى عليها الحزن

وروي ان رجلين تنازعا في ارض فاوفق الله تعالى لبنه من جدار

تلك الارض قال اني كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا الف سنة ثم مت
وصرت رميما الف سنة فاخذني خزاف فاتخذني خزفا ثم اخذني وضربني لبنا
فانا في الجدار منذ كذا وكذا سنة فلم يتنازعا في هذه الارض ولبعضهم
ان الاجل الحبيب المغانيا ... لبسن البلا لما لبسن اللياليا
اذا ما تقاضى المرء يوما وليلة ... تقاضاه شيئا لا يمل التقاضيا
جفونك الليالي بعد ما كنت مدة ... سوى العهد لو كن يبقين باقيا
ومن اعجب ما روى في الاسرائيليات ان ابنة من بنات الملوك زهدت في الدنيا
وتابت ثم خرجت من ملكها فتفقدت فلم يسمع لها خبرا ولا علم لها اثرا وقد
كان هناك دير للمتعبدين فلحقت بهم شاب متعبد فاخبروا به من الاجتهاد
والجد في العمل ومن كثرة الاوراد ومواصلة العمل ما فاق جميع الاجتهاد
من اهل الدير فاقام على ذلك ما شاء الله الى ان تقضت ايامه ووافاه حمامه
فقضى الفتى نحبه فخزن له اهل الدير من العباد والزهاد والمنقطعين
واذرعوا عليه الدموع ثم اخذوا في غسله فاذا هو امراة فتخصوا عنه امره
فاذا هي ابنة الملك فزادهم ذلك اعجابا به وتعظيما له وتشاوروا في امره ماذا
يحدثون له من الكرامة فاجمعوا امرهم على ان لا يدفنوه تحت الثرى وان
يحملوه فوق اكفهم فغسلوه وكفنوه وحنطوه وصلوا عليه ثم اقبلوا يحملونه
على الاكف والسواعد كلما ضجى واحد جاء اخر يحمل مع من يحمل وكلما انقطع
في الدير لعبادة ربه جعل يحمل معهم الى ان بلي وتقطعت اوصاله مع طول
الزمن فدفن حينئذ وكان في بلاد الروم ما يلي الاندلس رجل نصراني
قد بلغ من التخلي عن الدنيا والاعتزال للخلق ولزوم تلك الجبال و
السياحة في الارض الغائرة القصوى فورد على المستعين به هود

فاكرمه هود واخذ بيده وجعل يعرض عليه ذخاير ملكه وخزائن امواله
وما حواه من الحمراء والبيضاء والاحجار الياقوت والجواهر ونفايس الاعلاق
والجواري والخشم والاجناد والكراع والسلاح اقاموا في ذلك اياما فلما انقضى
قال له كيف رايت ملكي قال رايت ملكا ولكنه يعوزك منه خصلة واحدة
ان انت قدرت عليها تم انتظام الملك وان لم تقدر عليها فهذا الملك يشبه
لا شيء قال فما تلك الخصلة قال تعمد فتصنع عظاء عظيما حصينا قويا ويكون
مساحة البلد ثم تكبه على البلد حتى لا يجد ملك الموت مدخلا اليك فقال
المستعين سبحان الله ويقدر البشر على هذا فقال العلج يا هذا افتفتخر
بامر تتركه غدا ومثال من يفخر بما يفنى كمثال من يفخر بما يراه في النوم وروي
ان ملكا من الملوك بنا قصرا وقال انظروا من عاب منه شيئا فاصلحوه
واعطوه درهمين فاتاه رجل فقال ان في هذا القصر عيبين قال وما هما
قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم اقبل على نفسه وترك الدنيا
ومن عجايب اخبار الخضر عليه السلام قالوا سيل الخضر عن اعجب شيء
رايته في الدنيا في طول سياحتك وكثرة طوافك وتقطعك القفار و
الفلوات فقال اعجب ما رايت انني مررت على مدينة لم ار على وجه
الارض احسن منها فسالت بعضهم متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله
ما يذكر اباؤنا ولا اجدادنا متى بنيت وما زالت كذلك من عهد الطوفان
ثم غبت عنها نحو من خمسمائة عام وعبرت عليها بعد ذلك فاذا هي خاوية
على عروشها وليس بها احد ولا اثاله واذا رعاة غنم قد نزلوا منها فقلت اين
المدينة التي كانت ها هنا فقالوا سبحان الله ما يذكر اباؤنا ولا اجدادنا
انه كانت قط ها هنا مدينة عامرة فغبت عنها نحو من خمسمائة سنة عام

ثم اتيت اليها فاذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منها شبه
الحلية فقلت لبعض الغواصين منذ كم كان هذا البحر فقالوا سبحان الله
ما يذكر اباؤنا ولا اجدادنا انه كان ها هنا قط الا بحرا منذ بعث الله الطوفان
فغبت عنها نحوا من خمس مائة عام ثم انتهيت اليها فاذا ذلك البحر قد غاض
ماؤه واذا مكانه غيظة ملتفة بالقصب والبردى والسباع فيها واذا صيادون
يصيدون السمك في زوارق صغار فقلت لبعضهم اين البحر الذي
كان ها هنا فقال سبحان الله ما يذكر اباؤنا ولا اجدادنا انه كان ها هنا
قط بحرا فغبت عنها نحوا من خمس مائة عام ثم اتيت الى ذلك الموضع فاذا هو
مدينة على الحالة الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم
اين الغيظة التي كانت ها هنا ومتى بنيت هذه المدينة فقال سبحان
الله ما يذكر اباؤنا ولا اجدادنا الا ان هذه المدينة على حالها منذ بعث الله تعالى
الطوفان فغبت نحوا من خمس مائة عام ثم انتهيت اليها فاذا عاليها سافلها
وهي تدخن بدخان شديد فلم ار احدا اسئله ثم رايت راعيا فسالته
عن المدينة التي كانت ها هنا ومتى حدث بالموضع الدخان فقال سبحان الله
ما يذكر اباؤنا ولا اجدادنا الا ان هذا الموضع كان هكذا منذ كان فهو
اعجب شيء رايته في سياحتي في الدنيا سبحان الله مبيد العباد ومفني
البلاد ووارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وانشد بعضهم

قف بالديار فهذه آثارهم ... تبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها اسائل مخبرا ... عن اهلها واذا طلاقا مشفقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها ... فارقت من تهوى فصرت الملتقا

وسمعت بالعراق منشد ينشد هذه الابيات

ايها الربع الذي قد درثرا ... كان عينا ثم اضحى اثرا
اين سكانك ماذا فعلوا ... اخبرنا عنهم سقيت المطرا
ولقد نادى منادي لهم ... رحلوا واستودعوني نهبا

ومن الشعر المستحسن في هذا الباب

رب ورقاء هتوف في الضحى ... ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت عهدا والفا صالحا ... فشكت حزنا فهاجت حزني
فبكاي بما ارقها ... وبكاها ربما ارقني
فاذا تسعدني اسعدها ... واذا اسعدتها تسعدني
ولقد تشكو فما افهمها ... ولقد اشكو فما تفهمني
غير اني بالجوى اعرفها ... وهي ايضا بالجوى تعرفني

ونظر رجل من العباد الى باب ملك من الملوك قد شيده واحكمه
وزوقه فقال باب جديد وموت عتيد ونزع شديد وسفر بعيد
ولما تقل عبد الملك بن مروان راى غسالا يلوب بيده ثوبا فقال
وددت اني اكون غسالا لا اعيش الا بما كسبت يدي يوما فيوما فبلغ
ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن
فيه ولا نتمنى عنده ما هم فيه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع ودعاء
لا تسمع هل يتوقع احدكم من الدنيا الا غنا مطغيا او فقرا منسيا
او مرضا مفسدا او هرما مفندا او الدجال فالدجال شر غايب ينتظر
او الساعة والساعة ادهى وامر وقال عيسى عليه السلام اوحى الله
تعالى الى الدنيا يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه

وفي بعض الالفاظ يا دنيا مرّي على اوليائي ولا تحلولي لهم فتفتنيهم وهذا
الحرف يروى بكسر الميم من المراره وقال مورق العجلي ابن ادم في كل يوم
تؤتى برزقك وانت تحزن ويقتضي امدك وانت لا تحزن فطلب ما
يطغيك وعندك ما يكفيك لا بقليل تقنع ولا بكثير تتبع وقال
النبي صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه ايها الناس ان الايام فطوى
والاعمار تفنى والابدان في الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض
البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما الهى عن
الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات وقال بعض الحكما الدنيا
كالماء المالح كلما ازداد صاحبه شربا ازداد عطشا وكالماس من العسل في
اسفله السم فللذ ايق منه حلاوة عاجله وله في اسفله موت ذعاف
وكاحلام النايم الذي يفرح في منامه فاذا استيقظ انقطع الفرح وكا
لبرق الذي يضيء قليلا ويذهب وشيكا ويبقى صاحبه في الظلام معتما
وكدود الابريسم التي لا يزداد الابريسم على نفسه لفا الا ازدادت من الخروج
بعدا وانشد وا في اهل الدنيا

الا ان الفتى طرا كدود تزيد نسجه ابدا وكدود القز ينسج دائما ويقتله غما وسط ما هو ناسجه

ومثال من يستعجل زهرة الحياة الدنيا ويعرض عن الاخرة مثال رجلين
لفظا من الارض حبتي عنب فاما احدهما فجعل يمص الحبة التذاذا بها
ثم يلفظها واما الاخر فزرع الحبة فلما كان بعد زمان التقيا فاذا الذي
زرع الحبة قد صارت له كرما وكثرت ثمرته وفكر الاخر في صنعه بالحبة
فوجدها قد صارت عذرة ليس عنده منها شيئا الا الحسرة على تفريطه والغبطة
لصاحبه وقال وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى نبي من انبياء بني اسرائيل

ان تسكن معي في حضيرة القدس فكن في الدنيا فريدا وحيدا مهموما و
حشيا بمنزلة الطائر الوحداني الذي يظل في الفلاة ويأكل من رؤس
الشجر ويشرب من ماء العيون فاذا كان بالليل آوى وحده ولم يأوي
مع الطير استيناسا بروية الله تعالى ولبعضهم

كم للحوادث من صروف عجايب ونوايب موصولة بنوايب
ولقد تقطع من شبابك والقضى مالست اعلمه اليك بايب
تبغي من الدنيا الكثير وانما يكفيك مثل زاد الراكب

قال مالك بن انس بلغني ان عيسى عليه السلام انتهى الى قرية خربت قد
حصونها وجفت انهارها وتشعثت شجرها فنادى يا خراب اين اهلك فلم يجبه احد ثم نادى يا خراب
فنودي يا عيسى بن مريم باد واوقفتهم الارض وعادت اعمالهم قلايد
في رقابهم الى يوم القيمة فخر عيسى من لم فجد وقال مالك سئلت امراة
من بقية قوم عاد يقال لها هرية اي عذاب الله تعالى رايتيه اشد
قالت كل عذاب الله شديد وسلام الله ورحمته على ليلة لا ريح فيها
ولقد رايت العير تحملها الريح بين السما والارض وقال مجاهد
كان طعام يحيى بن زكريا عليهما السلام العشب وان كان ليبكي من خشية
الله تعالى ما لو كان الغار على عينيه لحرقه ولقد كان الدمع اتخذ مجرى
في وجهه ومر بعض الملوك بسقراط الحكيم وهو نايم فوكزه برجله
وقال قم فقام غير مرتاع منه ولا ملتفت اليه فقال له الملك الا تخافني
فقال لا ولكني ارافيد طبع الدواب فهي تركض برجلها فغضب وقال
اتقول لي هذا وانت عبدي فقال له سقراط انت عبد عبدي
قال وكيف ذلك قال لان شهواتك ملكتك واما ملكت الشهوات

قال فانا الملك بن الاملاك السادة املك من البلاد كذا وكذا ومن الرجال
كذا وكذا ومن الاموال كذا وكذا قال اراك التفت علي بما ليس من جنسك وانما
سبيلك ان تقنع بنفسك وكلي تعالى تلقى ثيابا وتلبس جميعا ثوبا ثم اني
هذا النهر وتتكلم فحينئذ يتبين الفاضل من المفضول فانصرف الملك خجلا
ولا يزال مراه في حتى يواريني التراب وذلك اني كنت يوما بالعراق واتا اشرب
ما فقال لي صاحب لي وكان له عقل يا ابا فلان لعل هذا الكوز الذي
تشرب منه الماء كان انسانا يوما من الدهر فمات فصار ترابا فا
تفرق للفخاري ان اخذ تراب القبر فعجنه وشواه بالنار فانتظم
كوزا كما ترى وصار آنية يمتهن ويستخدم بعدما كان بشرا سويا يا
كل ويشرب ويلذ ويطرب فاذا الذي قاله من العجائبات فان الانسان
اذا مات عاد ترابا كما كان في النشاءة الاولى ثم قد يتفق ان يحفر لحد
ويجعل بالما ترابا فيتخذ منه آنية كمتهن في البيوت او لبنة يبنا في الجدار
وقد يحوج ان يغرس عند قبره شجرة يستحيل تراب القبر شجرة ورقا وثمرة
فترعى البهايم اوراقها وتاكل الانس ثمرتها فينبت منه لحم وينشا عظمه
ويا كل تلك الثمرة الحشرات والبهايم فبينما كان يقتات صار قوتا وبينما
يا كل صار ما كولا ثم يعود في بطن الارض رجيعا يقذف به في بيت الراحة
او بعرا ينبذ ثم ينبذه بالعراء وجوز اذا حفر قبره ان تسفي الريح تراب
فتفرق اجزاؤه في بطون الاودية والتلول والوهاد اليس في هذا ما اذهب
العقول وطيش الحلوم ومنع اللذات وهانت عنده مفارقة الاهلين
والاموال وهجر الاوطان واستعمل الخوف بقلل الجبال والانس بالوحوش حتى

ويطين به سطوح البيوت
او يفرش في التراب ويوطا
بالاقدام ويجعل طينا
في الجدران ضربه

يا ي الله تعالى اليس في هذا ما صغر الدنيا وما فيها اليس في هذا ما
حقر الملك عند من عظم والمال عند من جمع اليس في هذا ما زهد في
اللذات وسلا عن الشهوات وقال مسعر كم من مستقبل يوما
لا يستكمله ومنتظر غدا وليس من اجله انكم لو ابصرتم الاجل ومسيره
لابغضتم الامل وغروره ولما بنى المامون بن ذي النون بطليطله
وكان من ملوك الاندلس قصره وانفق فيه بيوت الاموال فجا على احكم بنيان
في الارض وكان من عجيبه ان صنع فيه بركة ما وكانها بحيرة وبنى
في وسطها قبة وبسبق الماء الى داس القبة على تدبير احكمه بعضه
ببعض فكانت القبة في علالة من ماء سكبا لايفتر والمامون قا
عد فيها فروى عنه بينما هو نايم اذ سمع منشدا ينشد شعرا

ابتنى بنا الخالدين وانما ... بقاؤك فيها لو عقلت قليل
لعمرك ان في ظل الاراك لكفاية ... لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعد هذا الا يسيرا حتى قضى نحبه ووجد مكتوب
على قصره قد باد اهله واقفرت منازله هذين البيتين

هذي منازل اقوام عهدتهم ... في خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نايبات الدهر فانقلبوا الى القبور ولا عين ولا اثر

وللصاحب عفا الله عنه

ولقد مررت على ديارهم ... وطلولها بيد البلا نهب
فوقفت حتى عج من لغب ... بضنوي وضج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت ... عنها الطلول تلفت القلب

ولو قيل للدنيا صفي بنفسك ما عدت هذا البيت وهو

٧ وكان الماء ينزل من اعلى القبة وحوليها محيط بها متصل من تحت الارض

وطلبت لي قلبا اعيش به ... فعدمت جسمي والرقيب

ومن يامن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فروجها ساعة بعد ساعة
وروي ان الحجاج قال في خطبته ايها الناس انما بقي من الدنيا اشبه بما
مضى من الماء بالماء فوالله لو اعطيت ما مضى من الدنيا بعامتي هذه ما قبلته
فكيف ابتئس على ما بقي منها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا للدنيا
ولابن ادم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة اخلاء فلما حضره الموت قال لاحدهم قد كنت لي خلا موثرا مكرما وقد حضرني من امر الله ما ترى فما ذا عندك
فيقول هذا امر الله غلبني عليك لا استطيع ان انفس كربتك ولكن هاؤذا
بين يديك فخذ مني زادا تنتفعه ثم يقول للثاني قد كنت عندي انثرا
لك الملاطفة وقد نزل بي من امر الله ما ترى فما ذا عندك قال هذا امر الله غلبني
عليك ولا استطيع ان انفس كربتك ولكن سائق عليك في مرضك فاذا
مت انقيت غسلك وجودت كفنك وسترت جسدك وعورتك وقال
للثالث قد نزل بي من امر الله ما ترى وكنت الهون الثلاثة علي فما ذا عندك
قال اني قرينك وحليفك في الدنيا والاخرة ادخل معك قبرك حتى تدخله
واخرج منه حين تخرج ولا افارقك ابدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
الاول ماله والثاني اهله والثالث عمله ولما التقى ميمون بن مهران
الحسن البصري قال له قد كنت احب لقاءك فعظني فقال الحسن افرايت
ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
فقال عليك السلام ابا سعيد فقد وعظت احسن من عظة واعجبا كل
العجب للمكذب بالنشاءة الاخرى وهو يرى النشاءة الاولى واعجبا كل العجب للشا
ك في قدرة الله سبحانه وهو يرى خلقه واعجبا كل العجب للمكذب بالبعث
وهو يموت كل يوم وليلة واعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى

لدار الغرور واعجبا كل العجب للمختال الفخور وانما خلق من نطفة ثم يعود
جيفة وهو بين ذلك لا يدري ما يفعل به ويروى ان الله سبحانه اوحى
الى ادم عليه السلام فقال جماع الخير في اربعة واحدة لي وواحدة لك وواحدة
بيني وبينك وواحدة بينك وبين الناس فاما التي لي تعبدني
لا تشرك بي شيا واما التي لك فاعمل ما شئت فانا اجزيك به واما التي
بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة واما التي بينك وبين الناس
فكن لهم كما تحب ان يكونوا لك وقال سليمان بن داود عليهما السلام
اوتينا ما اوتي الناس وعلمنا ما علم الناس وعلمنا ما لم يعلموا
فلم نجد شيا افضل من مخشية الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق
في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنا وكتب معوية الى عايشة
رضي الله عنها ان اكتبي لي بكتاب توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه
عايشة رضي الله عنها سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله
الى الناس والسلام ولما ضرب عبد الرحمن بن ملجم عليا رضي الله عنه ادخل منزله
فاعترته غشوة ثم افاق فدعا الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال
اوصيكما بتقوى الله والرغبة في الاخرة والزهد في الدنيا ولا تاسفا على شيء
فاتكما منها اعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا
وقال اما سمعت ما وصيت به اخوتك قال بلى فاني اوصيك به وعليك
ببر اخوتك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع امرا دونهما ثم اقبل
عليهما وقال اوصيكما به خيرا فانه سيفعل مثله بابيكما وانتما تعلمان ان ا
باكما كان يحبه فاحباه ثم قال يا بني اوصيك بتقوى الله في الغيب والشهادة

وكلمة الحق في الغضب والرضا والقصد في الغنا والفقر والعدل في الصديق
والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله في الشده والرخا يا بني ما
شر بعده الجنة بشر والخير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل
بلا دون النار عافيه يا بني من ابصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره
ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قتل به ومن
حفر لاخيه بيرا وقع فيها ومن هتك حجاب اخيه انكشف عورات بيته
ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن اعجب برايه ضل ومن
استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن سفه عليهم شتم
ومن خالط الاندال حقر ومن جالس العلما وقر ومن دخل مداخل
السفلة اتهم ومن مزح استخف به ومن اكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه
كثر خطاؤه ومن كثر خطاؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل
ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بني الادب خير ميراث
وحسن الخلق خير قرين يا بني العافيه عشره اجزا تسعة منها في الصمت
الا عن ذكر الله وواحدة في ترك مجالسة السفها يا بني زينة الفقر الصبر
وزينة الغنا الشكر يا بني لا شرف اعلى من الاسلام ولا عز اعز من التقوى
ولا معقل احرز من الورع ولا شفيع انجح من التوبه ولا لباس اجمل من العافيه
يا بني الحرص مفتاح النصب ومطية التعب التدبير قبل العمل يؤمنك
من الندم يئس الزاد للمعاد العدوان على العباد وطوبى لمن اخلص
لله قال عمله وعلمه وبغضه وحبه واخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله
وفعله وروي ان عمر رضي الله عنه لما طعن دعا بلبن فشربه فخرج
من طعنته فقال الله اكبر فجعل جلساؤه يثنون عليه فقال وددت

اني اخرج منها كفافا كما دخلت فيها لوان لي اليوم ما طلعت عليه الشمس و
غربت لافتديت به من هول المطلع قال ولما احتضر عمر غشي عليه
فاخذت راسه فوضعته في حجري فقال ضع راسي بالارض لعل الله يرحمني
فمسح خديه بالتراب وقال ويل لعمر وويل لامه ان لم يغفر له فقلت
وهل حجرك والارض الا سوا يا ابتاه فقال ضع راسي بالارض لا امر لك
فلا امت فاسرعوني الى حفرتي فانما هو خير تقدمونني او شر تضعونه
عن رقابكم ثم بكا فقيل له ما يبكيك قال خبر السما لا اري الى جنة ينطلق
بي او الى نار ولما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال اللهم انك امرتني
ففقصرت ونهيتني فعصيت والغيت علي فافضلت فان عفوت فقد
منت وان عاقبت فما ظلمت الا اني اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ثم قضى رحمه الله ولما حضرت
هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى اهله يبكون حوله فقال جادكم
هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكا وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما حمل
ما اعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له ودخل على المامون في مرضه
الذي مات فيه فاذا هو امر ان يفرش له على دابة ويبسط عليه الرماد
وهو راقد عليه يتضرع ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من يزول
ملكه وروي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه مر على طاير واقع على
شجرة فقال طوبى لك يا طاير تطير فتقع على الشجر وتاكل من الثمر و
ليس عليك حساب ولا عذاب يا ليتني كنت مثلك والله لوددت
اني شجرة على جنب الطريق تمر علي بعير فاخذني فلاكلني ثم ازدردني
فاخرجني بعرا ولم اكن بشرا وقال عاصم بن عبد الله اخذ عمر بن الخطاب

لا امر لك كما امرك

وروى ان امير المؤمنين علي رضي الله عنه
لما رجع من صفين فدخلها وابيل الكوفه
فاذا هو بقبر قال وقبر من قالوا قبر
خباب بن الارت رضي الله عنه فوقف
عليه وقال رحم الله خبابا اسلم راغبا
وهاجر طائعا وعاش مجاهدا
وابتلي في جسمه اخرا ولم يضيع الله
اجر من احسن عملا كم مضى فلا
اقبر فحاوحتى وقف عليها فقال
السلام عليكم اهل الديار الموحشه
والمحال المقفره انتم لنا سلف
ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون
اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا
وعنهم طويل لمن ذكر المعاد وعمل
للحساب وقنع بالكفاف ورضي
بالبلاغ الخ
عن الله تعالى ثم قال يا اهل القبور
اما الازواج فقد نكحت واما الديار
فقد سكنت واما الاموال فقد
قسمت وهذا خبر ما عندنا فما
خبر ما عندكم ثم التفت الى اصحابه
فقال اما انهم لو تكلموا
لقالوا قد وجدنا
خير الزاد التقوى
اخره

رضي الله عنه بتنة من الارض فقال يا ليتني مثل هذه التبنة يا ليت امي
لم تلدني يا ليتني كنت شيأ منسيا وقال بن مسعود رضي الله عنه وددت
اني طاير في منكبي دبيش وسمع رجلا يقول يا ليتني من اصحاب اليمين
فقال بن مسعود يا ليتني اذا مت لم ابعث قال عمران بن حصين لوددت
اني رماد تسفني الرياح في يوم عاصف وقال ابو الدرداء يا ليتني كنت
شجرة تعضد وتوكل ولم اكن بشرا

الباب الثاني في مقامات العلما والصالحين عند الامرا والسلاطين

دخل الاحنف بن قيس على معويه
وعليه شملة ومدرعة صوف فلما مثل بين يديه اقتحمة عينه فاقبل عليه
وقال له فقال الاحنف يا امير المومنين اهل البصره عدد يسير وعظم كثير
مع تتابع من الحول والقال من الدحول فالمكثر فيها قد طرق والمقل قد
املق وبلغ به المحتف فان رأى امير المومنين ان ينعش الفقير ويجبر
الكسير ويسهل العسير ويصفح عن الدحول ويداوي المحول ويامر
بالعطا ليكشف البلا ويزيل اللاوا الا ان السيد من يعم ولا يخص
ويدعوا الجفلا ولا يدعوا النقري ان احسن اليه شكر وان اسي اليه غفر
لم يكون من ورا الرعيه عمادا يدافع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات
فقال معويه هاهنا يا ابا جرد لتعرفنهم في لحن القول وقال سفيان
الثوري لما حج المهدي قال لابد لي من سفيان فوضعوا لي الرصد
حول البيت فاخذوني بالليل فلما مثلت بين يديه اومأ لي فقال لي
لاي شيء لا اتيتنا فنستشيرك في امورنا فما امرتنا من شيء صرنا اليه وما
نهيتنا عن شيء انتهينا عنه فقلت كم انفقت في سفرك هذا فقال لا ادري
لي الهاوه وكلا فلت فما عذرك غدا اذا وقفت بين يدي الله تعالى يسئلك

عن

عن ذلك لكن عمر بن الخطاب لما حج قال لغلامه كم انفقنا في سفرتنا هذه
قال يا امير المؤمنين ثمانية عشر دينارا قال ويحك اجحفنا بيت مال المسلمين
وقال الزهري ما سمعت احسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد
الملك فقال يا امير المؤمنين اسمع مني اربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك
واحرزك ودينك قال ماهن قال لا تعد احدا عدة وانت لا تريد انجازها
ولا يفوتك مرتقاسها لا اذا كان المخدد وعرا واعلم ان الاعمال جزا فاحذروا
العواقب والدهر تارات فكن على حذر ولما دخل بن السماك على هرون
الرشيد قال له عظني قال يا امير المؤمنين ان الله تعالى لم يرض لخلافته
في عباده عيزك فلا ترض من نفسك الا بما يرضى به عنك فانك بن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم واولى الناس بذلك يا امير المؤمنين من طلب
فكاك رقبته في مهلة من اجله كان خليقا ان يعتق نفسه يا امير المؤ
من ذوقته الدنيا حلاوتها بركون منه اليها اذاقته الاخره مرارتها بتجافيه
عنها يا امير المؤمنين ناشدتك الله تعالى ان تقدم على جنة عرضها السموات
والارض قد دعيت اليها ولكن لكل منها نصيب يا امير المؤمنين انك
تموت وحدك وتحاسب وحدك وانت لا تقدم الا على نادم مشغول
ولا تخلف الا مغبونا مغرورا وانك واياانا في دار سفر وجيران ظعن

ولما
فقال له تكلم
يا ابا حازم

حج سليمان بن عبد الملك فحضر ابا حازم قال يم اتكلم قال في الخروج من
هذا الامر قال يسيرا ان انت فعلته قال وما ذاك قال الا تاخذ
الا شيأ الا بحلها ولا تضعها الا في اهلها قال ومن يقوى على ذلك قال من
قلده الله من الامر ما قلدك قال عظني يا ابا حازم قال يا امير
المؤمنين ان هذا الامر لم يصل اليك بموت من كان قبلك وهو

خان عنك بمثل ما صار اليك ثم قال يا امير المؤمنين نزه ربك في عظمته عن
ان يراك حيث نهاك او يفقدك من حيث امرك يا امير المؤمنين انما انت
سوق فما نفق عندك حمل اليك من خير او شر فاختر لنفسك ايهما شئت قال
فما لك لا اتيتنا قال فما اصلح باتيانك ان ادنيتني وقربتني وان اقصيتني
احرزتني وليس عندي مال اخاف عليه ولا عندك مال ارجوك له قال
فارفع الي حوائجك قال قد رفعتها الى من هو اقدر منك عليها فما اعطاني
منها قبلت وما منعني منها رضيت يقول الله تعالى نحن قسمنا بينهم
معيشتهم فالحيوة الدنيا فمن ذا الذي يستطيع ان ينقص من كثير ما قسم
له او يزيد في قليل ما قسم له قال فبكا سليمان بكاء شديدا فقال له
رجل من جلسائه اساءت الى امير المؤمنين قال ابو حازم اسكت
فان الله تعالى اخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم خرج من
عنده فلما وصل الى منزله بعث اليه بمال فرده وقال للرسول قل له
يا امير المؤمنين والله ما ارضاه لك فكيف ارضاه لنفسي قال
الفضل بن الربيع حج هرون الرشيد فبينما انا نايم ذات ليلة سمعت
قرع الباب فقلت من هذا فقال اجب امير المؤمنين فخرجت مسرعا
فاذا به امير المؤمنين فقلت يا امير المؤمنين لو ارسلت الي اتيتك قال
يحك قد حاك في نفسي شيء لا يخرجه الا عالم فانظر لي رجلا اسأله قلت ها هنا
سفيان بن عيينة فقال امض بنا اليه فاتيناه فقرعنا عليه الباب
فقال من هذا فقلت اجب امير المؤمنين فخرج الينا مسرعا فقال يا امير
المؤمنين لو ارسلت الي اتيتك قال خذ لما جينا له فحادثه ساعة
ثم قال عليك دين قال نعم قال يا عباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال

حاك

ما اغنى عني صاحبك شيئا فانظر لي رجلا اسأله قلت ها هنا عبد الرزاق
بن همام قال امض بنا اليه نسأله فاتيناه فقرعنا عليه الباب فقال
من هذا فقلت اجب امير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا امير المؤ
منين لو ارسلت الي اتيتك قال خذ لما جينا له فحادثه ساعة ثم قال
عليك دين فقال نعم قال يا عباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما
اغنى عني صاحبك شيئا فانظر لي رجلا اسأله قلت ها هنا الفضيل
بن عياض قال امض بنا اليه فاتيناه فاذا هو قايم في غرفته يصلي
في غرفته يتلو الاية من كتاب الله عز وجل يرددها فقرعت الباب
فقال من هذا فقلت اجب امير المؤمنين فقال مالي ولامير المؤمنين
فقلت سبحان الله اما عليك طاعة اوليس قد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ليس للمؤمن ان يذل نفسه ثم نزل ففتح الباب
ثم ارتقا الى الغرفه فاطفى السراج ثم تنحى الى زاوية من زوايا الغرفه
فجعلنا نجول عليه بايدينا فسبقت كف امير المؤمنين الرشيد اليه قبل
كفي اوه من كف ما الينها ان نجت غدا من عذاب الله تعالى فقلت فقال
في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي فقال خذ لما جينا اليه
رحمك الله قال وقيم جيت خبطت على نفسك وجميع من معك ضبطوا
عليك حتى لو سألتهم عندا لكشاف الغطا عنك وعنهم ان يتحملوا عنك
شعصا من ذنب ما فعلوا ولكان اشدهم حبا لك اشدهم هربا
منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافه دعا سالم بن عبد الله
ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني قد ابتليت بهذا
البلا فاشيروا علي فعد الخلافة بلاء وعدد تعانت واصحابك نعمة

فقال له سالم بن عبد الله ان اردت النجاة غدا من عذاب الله سبحانه فصم عن الدنيا
وليكن افطارك فيها الموت وقال محمد بن كعب ان اردت النجاة غدا من عذاب الله
فليكن كبير المسلمين لك ابا وسطهم عندك اخا وصغيرهم ولدا فبر اباك وارحم
اخاك وتحنن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة ان اردت النجاة غدا من عذاب الله
فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت ان شئت
مت واني لا اقول لك هذا واني لاخاف عليك اشد الخوف يوم تزل فيه الاقدام
فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء القوم من يامرك بمثل هذا فبكا هرون بكا شديدا
حتى غشي عليه فقال الربيع ارفق يا امير المؤمنين فقال يا بن ام الربيع قتلته
انت واصحابك وارفق به انا ثم افاق فقال زدني قال يا امير المؤمنين
بلغني ان عاملا لعمر بن عبد العزيز شكي اليه فكتب اليه عمر يا اخي اذكر سهر اهل
النار وخلود الابد ان كان ذلك يطرد لك دبيبا ويقظانا واياك ان تزل
قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما
قرئ الكتاب طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما اقدمك فقال
له قطع قلبي كتابك لا وليت لك ولاية ابدا حتى القى الله سبحانه فبكا هرون
بكا شديدا ثم قال زدني فقال يا امير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى
الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وسلم جاءه فقال يا رسول الله امرني على
امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس عم النبي صلى الله عليه وسلم نفس
تحييها خير من امارة لا تحصيها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيمة فا
ن استطعت ان لا تكون اميرا فافعل فبكا هرون بكا شديدا ثم قال زدني
فقال يا حسن الوجه انت الذي يسئلك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيمة
فان استطعت ان تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك ان تصبح وتمسي وفي

قلبك غش لرعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اصبح لهم غاشا
لم يرح رائحة الجنة فبكا هرون بكاء شديدا ثم قال اعليك دين قال
نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي ان سئلني والويل لي ان ناقشني
والويل لي ان لم يغفر لي قال انما اعني دين العباد قال ان ربي
لم يامرني بهذا امرني ان اصدق وعده واطيع امره فقال تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما
اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هرون
هذه الف دينار فخذها وانفقها على عيالك وتقو بها على عبادة
ربك فقال سبحان الله ادلك على النجاة وتكافيني بمثل هذا سلمك الله
ووفقك ثم صمت ولم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هرون
اذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا هذا سيد المسلمين اليوم
وروي ان امراة من نسائه دخلت عليه فقالت يا هذا قد ترى
ملكنا فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال لتفرجنا به قال
انما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير ياكلون من كسبه فلما كبر نحروه فا
كلوا لحمه موتوا يا اهلي جوعا ولا تذنبوا فضيلا فلما سمع الرشيد ذلك قال
ادخل فعسى ان يقبل هذا المال قال فدخلنا فلما علم بنا الفضيل خرج
فجلس على التراب على السطح فجاء هرون فجلس الى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه
فبينا نحن كذلك اذ خرجت جارية سوداء فقالت يا هذا قد اذيت
الشيخ هذه الليلة فانصرف يرحمك الله وعظ شبيب بن شيبة
المنصور فقال يا امير المؤمنين ان الله تعالى لم يجعل فوقك احدا فلا تجعل
فوق شكرك شكرا ودخل عمرو بن عبيد على المنصور فقرا والنجم والليل عشر

حتى يبلغ ان ربك لبالمرصاد لمن فعل مثل فعالهم فاتق الله يا امير المؤمنين
فان نبيك نبي رحمة انت تتايج لا يعمل فينا بكتاب الله ولا بسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم وانت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت
فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك اما والله لو علم عمالك انه لا يرضيك الا
العدل لتقرب به اليك من لا يريده فقال له سليمان بن مجالد اسكت
فقد علمت امير المؤمنين فقال عمرو ويلك يا ابن ام مجالد اما كفاك ان
حمت نصيحتك عن امير المؤمنين حتى اردت ان تحول بينه وبين
من ينصحه اتق الله يا امير المؤمنين فان هوى لا قد اتخذوك سلما الى
شهواتهم فانت كالماسك بالقرن وغيرك يحلب وان هوى لا لم يغنوا
عنك من الله شيئا **وقال** الاوزاعي للمنصور في بعض كلامه
يا امير المؤمنين اما علمت انه كان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فاتاه جبرائيل وقال
يا محمد هاهذه الجريدة بيدك اقذف بها لا تملأ قلوب الناس رعبا فكيف بمن
سفك دماء المسلمين وشقق ابشارهم وانتهب اموالهم ان المغفور له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر **وجاء** الى القصاص من نفسه بخدشة
خدشها اعرابيا من غير عمد فقال له جبرائيل عليه السلام ان الله لم
يبعثك جبارا تكسر قرون رعيتك يا امير المؤمنين لوان ذنوبا من
النار صب على ما في الارض لاحرقه فكيف بمن يتجرعه ولوان حلقة من
سلاسل جهنم وضعت على جبال الدنيا لذابت فكيف بمن يسلك فيها
ويرد فضلها على عنقه **ودخل** بعض العقلاء على سلطان فقال ان احق
الناس بالاحسان من احسن الله اليه واولاهم بالانصاف من بسطت

يده

يده بالقدرة فاستدم ما اوتيت من النعم بتادية ما عليك من الحق
وروي ان اعرابيا قام بين يدي هشام بن عبد الملك فقال يا امير المؤ
منين انت على الناس سنون ثلاثة فاما الاولى فاكلت اللحم واما
الثانية فاكلت الشحم واما الثالثة فحفاضت العظم وعندك فضول
اموال فان كانت لله تعالى فاقسمها بين عباد الله وان كانت لهم
فلم تحضرها عليهم وان كانت لكم فتصدقوا فان الله يجزي المتصد
قين فامر هشام بمال ففرق بين الناس واصر للاعرابي بمال فقال
اكل المسلمين له مثل هذا قال لا يقوم بذلك بيت المال قال فلا
حاجة لي فيما يبعث لائمة الناس على امير المؤمنين **وقال** رجل
لعمر بن عبد العزيز يا امير المؤمنين اذكرني بمقامي هذا مقاما لا يشغل
الله عنك كثرة من يخاصم من الخلايق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل
ولا براءة من ذنب فبكا عمر بكاء شديدا ثم استرده الكلام فجعل
يرده وعمر يبكي وينتحب ثم قال عاملك يا ذا يزيد فقال حاجتك قال
اخذ مني اثنا عشر الف درهم قال اكتبوا له حتى يردها عليه **ولما**
دخل زياد على عمر بن عبد العزيز قال يا زياد والامرى ما ابتليت به
من امر امة محمد صلى الله عليه وسلم قال زياد يا امير المؤمنين والله
لوان كل شعرة منك تطعنت ما بلغت كنه ما انت فيه فاعمل لنفسك
بالخروج مما انت فيه يا امير المؤمنين كيف حال رجل يخصم الدهر قال
سيء الحال قال فان كان له خصمان الدهر قال اسوء لحاله قال
فان كانوا ثلاثة قال لا يهنيه عيش قال فوالله ما احد من امة محمد
صلى الله عليه وسلم الا وهو خصمك فبكا حتى تمنيت ان لا اكون قلت له

وقال محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز يا امير المؤمنين انما الدنيا سوق
من الاسواق فيها خرج الناس بما يضرهم وبما ينفعهم فكم
من قوم غرهم مثل الذي اصبحنا فيه حتى اتاهم الموت فخرجوا من الدنيا
مؤملين لم ياخذوا من الدنيا للاخرة فاقتسم مالهم من لا يحمدهم وصا
روا الى من لا يعذرهم فانظر الذي تحب ان يكون معك فقدمه بين يديك
حتى تخرج اليه فانظر الذي تكره ان يكون معك اذا قدمته فابتغ به
البدل حتى يجوز البدل ولا تذهبن الى سلعة قد بارت على غيرك
ترجو جوازها عنك يا امير المؤمنين افتح الابواب وسهل الحجاب
وانصر المظلوم وحضر رجل بين يدي بعض الملوك فاغلظ له
السلطان فقال له الرجل انما انت كالسما اذا ارعدت وابرقت فقد
قرب خيرها فسكن ما به واحسن اليه ولما احتاج المنصور بن ابي عامر
ملك الاندلس ان ياخذ ارضا محبسة ويعاوض عنها خيرا منها
احضر الفقها في قصره فافتوا بانه لا يجوز فغضب السلطان
وارسل اليهم رجلا من الوزرا مشهورا بالحدة والعجلة فقال لهم يقول
لكم امير المؤمنين يا مشيخة السو يا مستحلي اموال الناس اليتامى يا اكلي
اموال اليتامى ظلما يا شهدا الزور واخذي الرشا وملقني الخصوم
وملحقي الشرور وملبسي الامور وملتمس الروايات التي فيها اتباع
الشهوات تبا لكم ولارائكم فهو اعزه الله واقف على فسوقكم قديما وخونكم
اماناتكم مغض عنكم صابر عليه ثم احتاج الى دقة نظركم في حاجة مرة وا
حدة في دهره فلم تسعفوا ارادته ما كان هذا ظنه بكم والله ليعارضنكم
ويكشفن ستورتكم وليبا صحن الاسلام فيكم والحش عليهم بهذ
ونحوه

وعوه فاجابه شيخ منهم ضعيف فقال نتوب الى الله مما قاله امير المؤمنين
ونسله الاقالة فرد عليه زعيم القوم محمد بن ابراهيم بن حيوة وكان
جلدا صارما فقال للمتكلم مم نتوب يا شيخ السو نحن برا من متابك
ثم اقبل على الوزير فقال يا وزير بئس المبلغ انت وكل ما نسبته الينا
عن امير المؤمنين فهي صفتكم معاشر حلقته فانتم الذين تاكلون اموال
الناس بالباطل وتستحلون ظلمهم بالاخافة وتتخيفون معايشهم
بالرشا والمصانعة وتبغون في الارض بغير الحق فاما نحن فليست
هذه صفتنا ولا كرامة ولا يقولها لنا الا متهم في الدين فنحن اعلام
الهدى وسرج الظلام بنا يتضح الاسلام ونفرق بين الحلال والحرام
وننفذ الاحكام وبنا تقام الفرائض وتثبت الحقوق وتحقن
الدما وتستحل الفروج فهلا اذ بعثت علينا سيدنا امير المومنين
بشي لا ذنب فيه علينا وقال بالغيظ بعض ما قاله تانيت
لا بلاغنا رسالته باهون من افحاشك وعرضت له بانكاره
ففهمنا منك واجبناك عنه بما يصلح الجواب به فكنت تزين على
السلطان ولا تفشي سره وتستحيينا بما استقبلتنا به فنحن نعلم
ان امير المومنين لا يتمادى على هذا الراي فينا ولا يعتقد هذا المعتقد
في صفاتنا وانه سيراجع بصيرته في اثيارنا وتعزيزنا فلو كنا
عنده على الحالة التي وصفتها عنا والعياذ بالله من ذلك لبطل
عليه كل ما صنعه وعقده من اول خلافته الى هذا الوقت فما
يثبت له كتاب من حرب والا سلم ولا شرا ولا بيع ولا صدقة ولا حبس
ولا هبة ولا عتق ولا غير ذلك الا بشهادتنا هذا ما عندنا والسلام

www.alabdulgader.com

ثم قاموا منصرفين فلم يكادوا يبلغوا باب القصر الا والرسل تناديهم
ارجعوا فدخلوا الى القصر فتلقاهم الوزراء بالاعظام ورفعوا منازلهم
واعتذروا عما كان من امر صاحبهم وقالوا لهم امير المؤمنين
يعتذر اليكم عن فرط موجدته ويستجير الله تعالى من الشيطان
الرجيم ونزغته التي حملته على الجفا عليكم ويعلمكم انه نادم على ما كان
مستبصر في تعظيمكم وقضاء حقوقكم وقد امر لكل رجل منكم بمائتي دينار
من صلته وكسوته علامة لرضاه عنكم فدعوا له وقبضوا
ما امرلهم والصرفوا فالتقى البين لايسهم سوء وقال فظر مالك بن دينار
الى المهلب بن ابي صفرة يجر ازياله ويتبختر في اثوابه فجاء حيلانه فاداه
انا رفع من ثيابك فقال له المهلب اما تعرفني فقال مالك بلى اني
اعرفك اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك
تحمل عذرة ويروى ان رجلا قال لعبيد الله العمري هذا هرون
الرشيد في الطواف فدا فقال له المسعى فقال له اجزك الله عني خيرا
كلفتني امرا كنت عنه غنيا ثم جاء اليه فقال يا هرون فلما
نظر اليه قال له لبيك يا عمي فقال له ترى ههنا احدا من خلق قال لا
يحصيهم الا الله تعالى فقال اعلم ايها الرجل ان كل واحد منهم
يسال عن خاصة نفسه وانت وحدك تسال عنهم كلهم فانظر كيف
تكون قال فبكا هرون الرشيد وجلس فجعلوا يعطونه منديلا للدموع ثم قال له
ويلك الرجل ليسرع في مال نفسه فيستحق الحجر عليه
فكيف عن اسرع في مال المسلمين فيقال ان هرون الرشيد كان يقول
بعد ذلك اني لاحب ان احج في كل عام فما يمنعني من ذلك الا عبيد الله

العمري

ويروى ان الحسن بن محمد بن الحسن دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له
يا عمر ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان فقال عمر ايها اهل بيت
النبوة ومعدن الرسالة وجثى على ركبتيه فقال الحسن من اذا رضي لم
يدخله رضاه في باطل ومن اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ومن
اذا قدر لم يتناول ما ليس له فقال عمر بن عبد العزيز وفد عليه
الوفود من كل بلد فوفد عليه الحجازيون فتقدم غلام منهم للكلام وكان
حديث السن فقال له عمر ليتكلم من هو اسن منك فقال الغلام
اصلح الله امير المؤمنين انما المرء باصغريه لسانه وقلبه واذا منح تعالى
لعبده لسانا حافظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام وعرف فضله من
سمع خطابه ولو كان الامر بالسن يا امير المؤمنين لكان في الامة
من هو احق بمجلسك هذا منك فقال له نعم صدقت قل ما بدا لك فقال
الغلام اصلح الله امير المؤمنين نحن وفد تهنئة لا وفد مرزية وقد اتيناك
بمن الله الذي من علينا بك لم نقدم هنا اليك رغبة ولا رهبة اما الى غنية
فقد استغنينا الى بلدنا واما الرهبة فقد امنا جورك بعدلك فقال عمر عظني
يا غلام فقال اصلح الله امير المؤمنين ان فاسا من الناس غرهم حلم الله
تعالى عنهم بطول املهم وكثرة ثناء الناس عليهم فنزلت بهم اقدامهم فهو في
النار فلا يغرنك حلم الله تعالى عنك وطول املك وكثرة ثناء الناس
عليك فتزل بك قدمك فتلحق بالقوم فلا جعلك الله منهم والحقك بعبا
لحي هذه الامة ثم سكت فسال عمر الغلام عن سنه فاذا هو ابن احد عشر
سنة ثم سال عنه فاذا هو من ولد الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم
اجمعين فتمثل عند ذلك عمر رضي الله عنه

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس اخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده ... صغير اذا التفت عليه المحافل

وفي مثل هذا قيل للعتابي وكان ليس يبالي بما لبس مالك لا تجيد الملبوس فقال انما يرفع المرء ادبه وعقله لا حليته وخلقه لحى الله امرء يرضى ان يرفع هيئته وجماله لا والله حتى تشرف اصغراه لسانه وقلبه ويعلو ابه اكبراه همته ولبه ولما دخل ضمرة بن ضمرة على المنذر بن النعمان بن المنذر وهو ملك وكان ضمرة ذا رأي وعقل احتقرته عينه لدمامته فقال لان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فقال ضمرة ابيت اللعن ان القوم ليسوا بجزر يجز ولا نما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا انطق بيان ناطق واذا قال قال بجنان والرجال لا تكال بالقفزان ولا توزن بالقبان فاعجب المنذر بكلامه وروي ان رجلا من بني نباع كان في طريق مكة في يوم شديد الحر مع اصحابه فنزلوا وضربت لهم الخيام والظلال وقدم اليهم الطعام والشراب المبرد فبينما هم كذلك اذ مر بهم راعي فدعاه الى الطعام فابى وقال اني صائم فقال له رجل في مثل هذا اليوم الحار فقال افدع ايامي تمضي باطلا فقال عند ذلك رجل لقد ضننت بايامك اذ جاد لها رجل من بني نباع وروي ان اعرابيا قام بين يدي سليمان بن عبد الملك فقال يا امير المؤمنين اني متكلم بكلام فاحتمله ان كرهته فان وراءه ما تحب ان قتلته فقال هات يا اعرابي قال اني ساطلق لساني بما خرست به الالسن بحق الله وحق امانتك انك قد اكتنفتك رجال اساؤا الاختيار لانفسهم فابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك ولم يخافوا الله تعالى فيك فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فاعظم الناس غبنا

يوم القيمة من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان اما انت فقد نصحت وارجو ان الله سبحانه وتعالى يعين على ما قلدنا وقد جردت لسانك وهو سيفك فقال اجل يا امير المؤمنين هو لك لا عليك وقال بن ابي عروبة حج الحجاج فنزل بعض المياه بين مكة ودعا بالغداء وقال لحاجبه انظر من يتغدى معي واسأله عن بعض الامر فنظر يمنة الجبل فاذا الراعي بين شهلتين نايم فضربه برجله وقال اي الامير فاتاه فقال له الحجاج اغسل يديك وتغد معنا فقال قد دعاني من هو خير منك فاجبته قال ومن هو قال الله سبحانه وتعالى دعاني الى الصيام فصمت قال في هذا الحر الشديد قال نعم صمت ليوم هو اشد حرا منه قال فافطر وتصوم غدا قال ان ضمنت لي البقاء غدا قال ليس ذلك الي قال كيف تسألني عاجلا بآجل لا تقدر عليه قال لانه طعام طيب قال لم تطيبه انت ولا الطباخ وانما طيبته العافية ولما حج هرون الرشيد بعث الى مالك بن انس بكيس فيه خمسمائة دينار فلما قضى نسكه وانصرف وقدم المدينة بعث الى مالك بن انس ان امير المؤمنين يجب ان تنتقل معه الى مدينته السلام فقال للرسول قل له ان الكيس بخاتمه وقال الرسول وكلهم اهل المدينة حيرهم لو كانوا يعلمون وقال وهب بن منبه ان ملكا كان يفتن الناس بحكمته وحلمه امر فقال له صاحب شرطته الملك انا انيك بحدي تذبحه حتى احمل لك اكله واذا دعا الملك بلحم الخنزير اتيتك به ففعل ثم اتى به الملك فدعا بلحم الخنزير فاجابه ان ياكله فامر الملك صاحب الشرطة ان يقتله فلما ذهب به قال له ما منعك ان تاكله وهو اللحم الذي انت ذبحته قال قد علمت انه هو ولكني خفت ان يفتنني

فاتى صاحب الشرطة بذلك الجدي فامره الملك ان ياكله فابى ففعل صاحب الشرطة بعجزه اذا ياكل

الناس فان اريد واعلى لحم الخنزير فابوا قالوا قد اكله فلان فسخت بني فاكون
فتنة لهم فقتله رحمه الله وروي ان ملكا كان يقرب القربان بالذبايح للاصنام
فقيل له ان في مملكتنا رجلا لا يرى ذلك ولا يذبح للاصنام فامر به فاحضر فقال
له قرب ذبيحة بيده يدي هذا الصنم تكون بقرة فابى فقيل له قرب كبشا فابى
فقيل له قرب ذبيحة بيده يدي هذا الصنم تكون بقرة كبشا ديكا فابى فقيل له قرب
دجاجة فابى فامر به فقتله رحمه الله وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال لكعب يا كعب خوفنا قال اوليس فيكم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه
قال بلى ولكن خوفنا فقال يا امير المومنين اعمل عمل رجل لو وافيت يوم القيمة
بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم مما ترى فانكسر عمر واطرق مليا ثم افاق فقال
يا كعب خوفنا فقال يا امير لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب
لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فانكسر عمر ثم افاق فقال يا كعب زدنا فقال
يا امير المؤمنين ان جهنم لتزخر يوم القيمة فما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل
الا خر على ركبتيه حتى يخر ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام على ركبتيه
يقول يارب لا اسئلك الا نفسي واستاذن ابو دهمان على بعض الامراء
فحجبه ثم اذن له قال فلما دخل قال له هذا الامر الذي صار اليك قد
كان في يد غيرك فامسوا والله صبيا فان خيرا فخير وان شرا فشر فتحبب
الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وسهل الحجاب فان حب عباد الله
موصول بحب الله سبحانه وبغضهم موصول ببغضه لانهم شهداء الله
على خلقه ولما دخل محمد بن واسع سيد العباد على بلال بن ابي برده امير
البصرة وكان ثوبه الى نصف ساقه قال له بلال ما هذه الشهرة يا ابن
واسع قال له بن واسع انتم شهرتمونا هكذا كان لباس من مضى يحفظ

وانتم فطولتم ذيولكم فضارت السنة بينكم بدعة وشهرة واما انا فلما
دخلت على ملك مصر وهو الافضل بن امير الجيوش فقلت له السلام
عليك ورحمة الله وبركاته فرد علي السلام على نحو ما سلمت فقلت له ايها
الملك ان الله سبحانه قد احلك محلا عاليا شامخا وانزلك منزلا شريفا
باذخا وملكك طايفة من ملكه واشركك في حكمه ولم يرض ان يكون احد
فوق امرك ولا ترض ان يكون احد اولى منك بالشكر وان الله سبحانه
قد الزم الورى طاعتك فلا يكن احد اطوع لله منك وليس الشكر باللسان
وانما هو بالفعل والاحسان قال الله تعالى اعملوا ال داود شكرا واعلم ان
هذا الذي اصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو
خارج من يديك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما انت فيه بهذه النعم وان الله
سايلك عن النقير والفتيل والقطمير قال الله تعالى فوربك لنسئلنهم
اجمعين عما كانوا يعملون وقال سبحانه وتعالى وان كان مثقال حبة من
خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم ايها الملك ان الله
تعالى قد اتانا ملك الدنيا بحذافيرها سليمان بن داود عليه السلام فسخر
له الانس والجن والشياطين والطير والوحوش والبهايم وسخر له
الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال
له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها فقمة كما
عد نقوطها ولا احسبها كراهة كما حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا
من الله تعالى ومكرا فقال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر
افتح وسهل الحجاب وانصر المظلوم اعانك الله على ما قلدك وجعلك كهفا
للملهوف واما نا للخايف ثم اتممت المجلس بان قلت قد دوخت البلاد

يا حسن رد واجمله واذن لي
فجلست

شرقا وغربا فما اخترت مملكة تزوجت فيها وولدلي فيها غير هذه المملكة ثم
ان والناس اليس من ان يحمد رجلا حتى يرى عنه اثار الاحسان
وكتب حكيم الى حكيم اني سايلك عن ثلاثة اشيا ان اجبت عنها صرت لك
تلميذا اي الناس اول بالرحمة ومتا تضيع امور الناس ومتى تتلق النعم
من الله تعالى فكتب اليه اول الناس بالرحمة ثلاثة البر يكون في سلطان
الفاجر فهو الدهر حزين لما يرى ويسمع والعاقل يكون في تدبير الجاهل فهو الدهر
متعب مغبون والكريم يحتاج الى اللئيم فهو الدهر خاضع له ذليل وتضيع
امور الناس اذا كان الراي عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله
والمال عند من لا ينفقه وتتلقى النعم من الله تعالى بكثرة شكره ولزوم
طاعته واجتناب معصيته حضر لد تلميذا الى ان مات وقال يحيى بن سعيد
لما حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز فلما اشرفا على عقبة
عسفان نظر سليمان الى السراد قد غطت له فقال يا عمر كيف ترى
فقال ارى دنيا عريضة قد اكل بعضها بعضا وانت المسؤول عنها والماخوذ
بها فبينما هم كذلك اذ طار غراب من سراد سليمان في منقاره كسرة
فصاح فقال اخبرني بعلم قال اخبرني قال هذا غراب طار من
سراد تلك وفي منقاره كسرة انت بها ماخوذ وعنها مسؤول من اين
دخلت ومن اين خرجت قال انك بحي بالعجب قال افلا اخبرك بما
عجب من هذا قال بلى قال من عرف الله كيف عصاه ومن عرف الشيطان
كيف اطاعه ومن ايقن بالموت كيف يهنيه العيش قال لقد عيبت
علينا ما نحن فيه ثم ضرب فرسه وسار وروي ان بلال بن ابي برده
خرج في جنازة وهو امير البصرة فنظر الى جماعة وقوفا فقال ما هذا

الغراب
الملك اخبرك عن هذا
فقال سليمان ما يقول هذا الغراب
فقال ان سليمان سئلت اخبرت بذلك

قالوا

قالوا لما لك بن دينار يذكر الناس فقال لوصيف معه اذهب الى ما
لك بن دينار فقل له يرتفع الينا الى القبر فجاء الوصيف فادى الرسالة
الى مالك فصاح به مالك لا مالي اليه حاجة فاجيبه فيها فان يكن له حاجة
فليجيء في حاجة نفسه فلما دفنوا ميتهم قال بلال ومن معه الى حلقة مالك
فلما دنى منها نزل ونزل من معه ثم جاء يمشي الى الحلقة حتى جلس فلما
راه مالك بن دينار سكت فاطال السكوت فقال له بلال يا ابا يحيى ذكرنا
قال ما سنيت شيئا اذكرك قال فحدثنا قال اما هذا فنعم قدم علينا
امير المؤمنين من قبلك البصرة فمات فدفناه في هذه الجبانة ثم اتينا
بزنجي فدفناه الى جنبه فوالله ما ادري ايهما كان اكرم على الله تعالى فقال
بلال يا ابا يحيى اما تدري ما الذي جرك علينا وما الذي يسكتني عنك
لانك لم تاخذ من دراهمنا شيئا اما والله لو اخذت من دراهمنا شيئا ما
اجتريت علينا هذه الجراة فما زاد في هذا الحديث على الافاقة دراهمهم
ودخل بن شهاب على الوليد بن عبد الملك فقال يا بن شهاب ما حديث
تحدثناه اهل الشام قال وما هو يا امير المؤمنين قال حدثونا بان الله
تعالى اذا استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات ولكن يكتب عليهم
السيات قال كذبوا يا امير المؤمنين ابني خليفة اقرب الى الله تعالى
ام خليفة ليس بنبي قال بل نبي خليفة قال فانا احدثك يا امير
المؤمنين بامر لا تشك فيه قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل
الله الاخر الاية يا امير المؤمنين فهذا وعيد الله تعالى لنبي خليفة فما

في هذا الحديث

طلك بخليفة ليس بنبي فقال الوليد ان الناس ليغرونا عن ديننا

وروي زياد عن مالك بن انس قال بعث الي جعفر المنصور والي به طاووس فدخلنا عليه فاذا هو جالس على فرش قد نضدت وبين يديه انطاع قد بسطت وبين يديه جلاوزة باديهم السيوف يضربون الاعناق فاومى الينا ان اجلسا فجلسنا فاطرق عنا طويلا ثم رفع والتفت الى به طاووس فقال ص تشتهي عن اليك قال نعم سمعت اني يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله الناس عدا يوم القيمة رجلا اشركه الله في هلكه فادخل عليه الجود في حكمه فامسك ابو جعفر ساعة قال مالك فضمت ثيابي مخافة ان يلاني من دمه فامسك ساعة حتى سود ما بيننا وبينه ثم قال يا به طاووس ما ولني هذه الدواة فامسك عنه ثم قال ما يمنعك ان تنا ولنيها قال احشى ان تكتب بها معصية فاكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوموا عني قال به طاووس ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم قال مالك فما زلت اعرف لابه طاووس فضله قال احمد بن ابي الحواري سمعت رجلا يحدث عن به السماك قال بعث الي هرون الرشيد فلما انتهيت الى باب القصر اخذ حرسيان بضبعي فاعجلاني في دهليز القصر فلما انتهيت الى باب القاعة لعبتها خصيان ضخمان فاخذاني فاعجلاني في النهوض فقال لهما هرون ارفقا بالشيخ فلما وقفت بين يديه قلت يا امير المؤمنين ما مر علي يوم منذ ولدتني امي كنت فيه اتعب من يومي هذا فاتق الله تعالى في خلقه واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في امته وانصح لنفسك في رعيتك فان لك مقاما بين يدي الله تعالى انت فيه اذل من مقامي هذا

في قاعة القصر فانتهيت الى البهو الذي هو فيه فلقياني خصيان دونهما فاخذاني فاعجلاني

بين

بين يديك فاتق الله واعلم ان من اخذ الله وسطوته على اهل كيت وكيت فاضطرب على فراشه حتى نزل الى حصلي بين يدي امه فراشه فغلت يا امير المؤمنين هذا ذل الصفة فكيف لو رايت ذل المعاينة قال فكادت روحه تخرج فقال يحيى للخصيين اخرجوه فقد ابكى امير المؤمنين ودخل عليه في مجلس اخر فقال له عظني واوجز فقال له يا امير المؤمنين ان الذي اكرمك بما اكرمك به لحقيق عليك ان تحب ما احب وتبغض ما ابغض فوالله لقد احب الله دارا فابغضتها وابغض دارا فاجبتها كما ما اردت خلاف ربك واردت سواه واعلم يا امير المؤمنين ان الذي في يديك لو بقي على من كان قبلك لم يصل اليك وكذلك لا يبقى لك كما لا يبقى لغيرك فاتق الله خليفته واحفظ وصية محمد صلى الله عليه وسلم

ودخل هرون على الفضيل بن عياض فسلم عليه فقال وعليك السلام ايها الملك ثم قال له يا ايها الملك احب الله قال نعم قال افتعصيه قال نعم قال كذبت والله في حبك اياه لو حببته اذا ما عصيته ثم انشاء يقول

- تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا محال في القياس بديع
- لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع
- في كل يوم يبتديك بنعمة ... منه وانت لشكر ذاك مضيع

وروى يزيد بن اسلم عن ابيه قال قلت لجعفر بن سليمان الهاشمي والي المدينة اعذران ياتي رجل غدا ليس له في الاسلام نسب ولا اب ولا جد فيكون اولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك كما كان امراة فرعون اولى بنوح ولوط من زوجيهما وكما كانت زوجة نوح ولوط اولى بفرعون من زوجته من ابطا به عمله لم يسرع به نسبه وقال بشر بن السري بينما الحجاج جالس اذ دخل رجل من اهل اليمن فجعل يطوف فوكل به بعض من معه وقال اذا فرغ من

في الحجر

ايتني به فاتاه به فقال ممن انت فقال من اهل اليمن قال افلك علم بحمير به
يوسف قال نعم قال فاخبرني عنه قال لقد تركته ابيض الرأس واللحية طويلا
عريضا قال ويلك ليس عن هذا اسألك قال فمه سمين سيرته وطعمته قال
فاجود السيرة واخبث المطعم واعدى العداة على الله تعالى يا حكامه
قال فغضب الحجاج وقال ويلك اما علمت انه اخي قال بلى قال فانت اما
علمت ان الله رضي والله لهو امنع لي منك واكثر منك لاحيك قال اجل ارسله
يا غلام قال الاصمعي حدثني رجل من اهل المدينة قال سمعت محمد
بن ابراهيم يحدث قال شهدت ابا جعفر بالمدينة وهو ينظر فيما بين
رجل من قريش واهل بيت من المهاجرين ليسوا بقريش فقالوا
لابي جعفر اجعل بيننا وبينهم ابن ابي ذيب قال ابو جعفر لابن ابي
ذيب ما تقول في بني فلان قال اشرار من اهل بيت اشرار قالوا
سله يا امير المؤمنين عن الحسن بن زيد وكان عامله على المدينة
قال ما تقول في الحسن قال عامل اخيه ويقضي بالهوى قال والله يا امير
المؤمنين لو سألته عن نفسك لرماك بداهيه ونهنك بشر قال فما
تقول في قال اعفني قال لا الا ان تقول قال لا اعدل في الرعيه ولا اقسم بالسويه
قال فتغير وجه ابي جعفر فقام ابراهيم بن عمر بن علي صاحب الموصل فقال
طهر يدك يا امير المؤمنين قال له ابن ابي ذيب اقعد يا بني فليس في دم
رجل يشهد ان لا اله الا الله طهور ثم تدارك ابن ابي ذيب الكلام فقال دعنا
يا امير المؤمنين مما نحن فيه بلغنا انك رزقت ابنا صالحا بالعراق يعني
المهدي قال اما ان قلت ذلك انه لصوام اليوم البعيد ما بين
الطرفين قال ثم قام ابن ابي ذيب فخرج ابو جعفر والله ما هو بمستوثق

العقل ولقد خاطر ببنات نفسه ودخل ابو النظر سالم مولى عمر بن عبيد الله
على عامل الخليفة فقال له يا ابا النظر انه ياتينا كتب الخليفة فيها وفيها ولا نجد
بدا من انفاذها فما ترى فقال ابو النظر قد اتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة
فالزمها اتبعت كنت من اهله الباب الثالث فيما جاء
في الولاة والقضاة وفيما يذكر من العزل والخطر قال الله تعالى يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله جاء
في التفسير من اتباع الهوى ان يحضر الخصمان بين يديك فتود ان يكون الذي الحق
له منك خاصة وهذه الخصلة سلب سليمان بن داود عليهما السلام
ملكه قال ابن عباس كان الذي اصاب سليمان بن داود عليهما السلام انا
سأل اهل جزاده امراة من اكرم نسائه عليه فتحاكموا اليه مع غيرهم فاحب ان
يكون الحق لاهل جزاده فيقضي لهم فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدا
ومن ذلك اية الملوك التي انزلها الله تعالى في السلاطين لما اقتضته من
السياسة العامة التي بها بقاء الملك وثبوت الدول قال الله تعالى
ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ثم سمى المنصورين واوضح
الشرائط فقال عز من قائل الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة
واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور فضمن الله
تعالى النصر للملوك وشرط عليهم اربع شرائط كما ترى فما تضعضعت قواعد
وانتقضت عليهم سرى من اطراف مملكتهم او ظهر عليهم عدو او باغي فتنة
او حاسد نعمة او اضطربت عليهم الامور او راط سباب الغير فليلجؤا الى الله
تعالى ويستجيروا من سوء قدره باصلاح ما بينهم وبينه سبحانه باقامة
الميزان بالقسط الذي شرعه الله تعالى لعباده وركوب سبيل العدل والحق

الذي به قامت السموات والارض واظهار شعاير الدين ونصر المظلوم والاخذ
على يد الظالم وكف يد القوى عن الضعيف ومراعاة الفقرا والمساكين وملا
حظة ذوى الخصاصة والمستضعفين وليعلم الامم قد اخلوا ببنى من
الشروط الاربع الذي شرطت فالنصر وروي ان الرسول صلى الله عليه وسلم
قال الا كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته والرجل راع على اهل بيته ومسؤل
عن رعيته والمراة راعية على اهل بيت زوجها وولدها وهي مسئولة عنهم و
عبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤل عنه الا كلكم راع وكل راع مسؤل
عن رعيته فجعل النبى صلى الله عليه وسلم كل ناظر فى حق غيره راعيا له واللفظة
ماخوذة من الرعاية والمراعاة فاذا تقدم برعاية غيره من يا كله فهو
الهلاك كما قال الشاعر

ورعي الشاة يحمى الذيب عنها فكيف الرعاة لها ذياب

وروى مسلم فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مامن امير
يلي امر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح الا لم يدخل معهم الجنة وقال
معقل بن يسار سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول مامن عبد يسترعيه الله رعية فلم يحفظها بنصيحة الا لم يدخل الجنة وروى عبد الرحمن
بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة
لا تسال الامارة فانك ان اعطيتها عن غير مسئلة اعنت عليها وان
اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم
القيمة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة وقال ابو ذر قلت
او لني يا رسول الله قال نعم الامانة وانها حسرة وندامة يوم القيمة

في الامام الذى على الناس
راع وهو مسؤل عن رعيته

وروى البخاري ان النبى صلى الله عليه وسلم قال تجدون من خير
الناس اشد الناس كراهية لهذا الامر حتى يقع يوم القيمة الامن
اخذها بحقها وادى الذى عليه فيها وفى الحديث من ولي من امر المسلمين شيا ثم لم
يحطهم بنصيحه كما يحوط اهل بيته فليتبوء مقعده من النار وروى ان
عمر بن الخطاب بعث الى عاصم ان يستعمله على الصدقة فابى قال سمعت
النبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيمة يوتى بالوالي فيقذف
على جسر جهنم فاوحى الله سبحانه فينتفض انتفاضة يزول كل عضم
عن مكانه ثم ياءمر الله تعالى العظام فترجع الى مكانها ثم يسيله فان
كان مطيعا اخذ بيده واعطاه كفلين من رحمة وان كان لله عاصيا
خرق به فى الجسر فهوى به فى جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر
سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم ما لم اسمع قال نعم وقال سلمان اي والله
يا عمر ومع السبعين سبعين خريفا وادى نار الحاضرين فقال سلمان اي
والله يا عمر تلتهب التهابا فقال عمر بيده على جبهته انا لله وانا اليه راجعون
من ياخذها بما فيها قال سلمان من سلب الله الغنم والصوف خذه بالا
رض وروي ان العباس قال امرني يا رسول الله فاصيب واستريش
فقال له يا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وسلم نفس تحييها خير من امارة
لا تحصيها الا احد تكلم عن الامارة اولها ملامة واوسطها ندامة واخرها
خسرة يوم القيمة وروى ابو داود فى السنن جاء رجل فقال يا رسول الله
ان ابي عريف على الماء وانه يسلك ان تجعل لي العرافة من بعده فقال العرفاء
فى النار وروى المساجي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة الامام الجاير وقال

القضاء والارتياء وبعضهم يجعل الامر وقضى بمعنى واحد
لا تعبد الا ما قضى فيها انت قاض وبعضهم يجعل القضاء
وبعضهم يجعل الحكم قضاء اذا قضى بما يجب امضاءه
وبعضهم يجعل القضاء الفراغ قضى الامر
وبعض العرب يجعل القضاء الموت
وما كانت كاذبة قول الله تعالى
يا ليتها كانت القاضية
الذي فيه اذا قضينا امرا وبعضهم يجعل القضاء
الاعلام قضى بينهم اي اعلمهم
وبعضهم يجعل القضاء الخلق قضاهن سبع سموات
وبعضهم يجعل القضاء الامر قضى ربك
وبعضهم يجعل القضاء الاداء قضيت ديني
وبعضهم يجعل القضاء الصنع قضاها صنعها
وبعضهم يجعل القضاء الحتم قضى ربك
وبعضهم يجعل القضاء الوجوب قضى الامر
وبعضهم يجعل القضاء العلم

على بن ابي طالب رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
ليس من والٍ ولا قاضٍ الا يوتى به يوم القيمة حتى يوقف بين يدي الله تعالى
على الصراط ثم تنشر الملايكة سيرته فيقرؤنها على رؤس الخلايق فان كان
عادلا نجاه الله تعالى بعدله وان كان غير ذلك انتفض به الصراط انتفاضة
صار بين كل عضو من اعضائه مسيرة سنة ثم ينخرق به الصراط فما
بقي فعره جهنم الاجر وجنته وروى معاذ بن معاذ به جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان القاضي ليزل في مزلقة ابعد من عدن في جهنم وقالت عايشة
رضي الله عنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوتى بالقاضي العدل
يوم القيمة فيلقى من شدة الحساب ما يود انه لم يقض بين اثنين
في تمرة وروى الحسن البصري ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن
به سمرة ليستعمله فقال يا رسول الله حزني قال اقعد في بيتك وفي
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليودن اقوام يوم القيمة لو
قطعوا من الثريا ولم يكونوا امرا على شيء ولم يتحرص في مال الله وقال رسول
الله في النار عدا وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان لا تنا
لهم شفاعتي يوم القيمة امام ظالم غشوم وعامل في الدين ما رق منه
وقال حذيفة بن اليماني من اقتراب الساعة ان يخرج ووزراء
كذبة وامناء خونة وعلماء فسقة وعرفاء ظلمة وقال عبيد الله بن عمير
ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا اكثر اتباعه
الا اكثر شيا طينه ولا اقاله الا اكثر حسابه وقال ابو هريرة ما من
امير يؤمر على عشرة الا جي به يوم القيمة مغلولة يداه الى عنقه اطلقه عمله
او اهلكه وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدري يا امير

المؤمنين من اشد الناس عذابا يوم القيمة فقال سليمان قل فقال طا
ووس اشد الناس عذابا يوم القيمة من اشركه الله في ملكه فجار في حكمه
فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي فما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه
وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القضاة ثلاثة اثنان
في النار وواحد في الجنة رجل قضى بغير علم فهو في النار ورجل قضى
بعلم فجار فهو في النار ورجل قضى بالحق فهو في الجنة رواه يزيد عن
النبي صلى الله عليه وسلم وقال بن سيرين جاء صبيان الى ابي عبيدة
السلماني يتخايرون اليه في الواحهم فلم ينظر في كتابتهم فقال وهذا حكم ولا تقولا
حكما ابدا وتحاكم غلمان الى بن عمر فجعل ينظر في صحيفتا من فوعا رواه ابو داود
في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قدم للقضا فقد ذبح بغير
سكين وفي اخبار القضاة ان قاضيا قدم الى بلد فجاه رجل له عقل
ودين فتقدمه وقال ايها القاضي البلد قول النبي صلى الله عليه وسلم من
قدم للقضا فقد ذبح بغير سكين قال نعم قال فبلغك ان امور المسلمين
ببلد ناضايعة فجيت تجربها قال لا قال فاكرهك السلطان على ذلك
قال لا قال فاشهد اني لا اطأ اك مجلسا ولا اودي عنك شهادة ابدا وروي
ان ابا بكر الصديق قال في بعض خطبه ايها الناس ان الملك اذا هلك
زهده الله في ماله ورغبه فيما بيد غيره واشرب قلبه الاشفاق فهو
يجسد على القليل ويسخط الكثير جزل الظاهر خرب الباطن فاذا وجبت
نفسه ونضب عمره ومحي ظله حاسبه الله فاشد حسابه واقل عفوه
وذكر السلطان الاعرابي فقال والله ليرعزوا في الدنيا بالجور لقد
ذلوا في الاخرة بالعدل وبقليل فاني رضوا من كثير باقي وانما يكون

كتابتهم فما حكم ولا بد من النظر هذا
والمصنفون يرسلون في كتبهم

الندم حيث لا ينفع الندم وقال ابو بكر بن ابي مريم حج قوم فمات صاحب
لهم بارض فلاة فلم يجد واء فاتاهم رجل فقالوا دلنا رحمك الله على الما
فقال احلفوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا انه لم يكن صرافا ولا مكاسا ولا عريفا
ولا بريدا ويروى ولا عرافا وانا ادلكم على الما فحلفوا له ثلاثا وثلاثين يمينا
كما تقدم ذكره فاعانهم على غسله ثم قالوا له تقدم فصل عليه رحمك الله
قال لا حتى يحلفوا لي اربعا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فصلى عليه
ثم التفتوا فلم يجدوا احدا فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام وقال
ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيمة
رجل قتل نبيا او قتله نبي وامام ضلالة وممثل من الممثلين وقال ابو
ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة ايام اعقل يا اباذر ما اقول لك ثم
لما كان في اليوم السابع قال اوصيك بتقوى الله في امر سرك وعلانيتك واذا
اسأت فاحسن ولا تسئلن احدا ان يسقط سوطك ولا تؤتمن امانة ولا تؤتين
يتيما ولا تقضين بين اثنين وقال ابو ذر ايضا قلت قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا اباذر احب لك ما احب لنفسي واني اراك ضعيفا فلا تا
مرن على اثنين ولا تلين مال يتيم وقال روى ابو ذر ايضا قلت يا رسول الله
الا تستعملني قال فضرب بيده على منكبي وقال يا اباذر انك ضعيف و
انها امانة وانها يوم القيمة خزي وندامة الا من اخذها وادى الذي
عليه فيها وروى علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى اليمن وانا حديث السن فقلت يا رسول الله ابعثني
الى قوم شيوخ ذوي اسنان ولا علم لي بالقضا فقال ان الله سبحانه هاد
قلبك ولسانك فاذا جلس الخصمان فلا تقض للاول حتى تسمع كلام الآخر

فانك اذا عرفت كلامه عرفت كيف تقضي فان قال قايل كيف
نهى اباذر عن القضا وامر عليا بالقضا مع ما فيه من التعزير وقد روى
ان من قدم الى القضا فقد ذبح بغير سكين وفيه البعد عن حضرته و
التيمن بمشاهدته وتعليم سننه وشرايع دينه والتخلق باخلاقه وشيمه
وانما افضل المتولي بين يديه والكون بحضرته ومشاهدته والصلاة خلفه
او القضا في غيبته مع البعد عنه قلنا انما نهى اباذر عن القضا لمعنى
فيه يقصر به عن رتبة القضا بما كان عنده في علي رضي الله عنه من استجماع
شرايط القضا وقوته عليه الا ترى قال لابي ذر اراك ضعيفا ثم قال في
آخره الا من اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها فاستعد لنا بذلك ان
من استجمعت فيه شرايط القضا طلبه اياه اداله الى عدم عواقبه وقد وصف
الله سبحانه المتسرع الى الامانات بالجهل والضعف فقال عز من قا
يل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها
واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ظلوما لنفسه جهولا
بعاقبة امره والدليل على صحة هذا التاويل قول النبي صلى الله عليه
القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف الحق فقضى به
فهو في الجنة ورجل عرف الحق ولم يقض به وجار في الحكم فهو في النار
ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل فهو في النار قلت فهذا
ان الرجلان ضعيفان عن رتبة القضا احدهما بفسقه وظلمه والآخر
بجهله ولكن الحق بان تكون الملك منه ولم يؤت سعة من المال فغابون
بخصلتين الفقر وانه ليس من سبط المملكة فقال لهم النبي ان بنيهم
ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم فبين شروط الولا

الولايات والممالك وانما تتقرر العلم الذي به يحكم والقوة التي بها ينفذ
الاحكام دون ما طلبته بنو اسرائيل واما قوله ايهما افضل القضاء في غيبته
والمصود بين يديه والكون في حضرته والجواب ان نقول فمن يقتضي بتركها
والكون في حضرته مستحب فجد المجوة فلا يقتضي بتركها فعلها لهذا
انما بعثه الله تعالى لها فهو خليفة في ذلك يدل على هذا انه اوجب الجنة
لمن قضى بالحق الباب الرابع في معرفة ملك سليمان
بن داود عليهما السلام ووجه طلبه للملك وسؤاله ان لا يؤتى لاحد من بعده
ونفي البخل عنه فان قال قايل اليس سليمان بن داود عليهما السلام قد
رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي ثم زاده على ذلك بان لا يؤتى مثله
احدا بعده وظاهره يؤذن بالبخل فالكلام على هذه الآية من وجوه احدها
انه انما سال هذا بعد ان سلبه الله ملكه ثم اعاده عليه فحينئذ طلب الملك
فكانه قال هذا الملك الذي جدد تني لي على صفات لا اعصيك فيه فسلبنيه
اياه وعاقبني بدل عليه انه بدا بالمغفرة فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا
لا ينبغي لاحد فلا اعصيك فيه فتواخذني والدليل على ذلك قوله تعالى
هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فكانه اجاب دعاءه فقال
تصرف كيف شئت فلا حساب عليك فيه وقيل ان اعطيت اجرت وان
امسكت فلا تبعة عليك فيه وهذه خصوصا لسليمان بن داود عليهما السلام
لم يجب بها احدا من ولد آدم عليه السلام سواه لان الله تعالى قال للخلايف
اجمعين فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون واما قوله لا ينبغي
لاحد من بعدي فقال عطاء معناه لا سلبه في باقي عمري فيصير لغيري
كما سلبته فيما مضى من عمري وقيل لا تسلط علي فيه شيطانا مثل الذي

سلطت علي وقيل انما سال ذلك ليكون علما على المغفرة وقبول
التوبة فاجيب الى ذلك فعلم انه قد غفر له وقيل انما سال ذلك
ليكون اية لنبوته وعلما على معجزته وقال مقاتل بل كان سليمان ملكا
ولكنه اراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي تسخير الرياح والطير يدل عليه
ما بعده قوله فسخرنا له الريح الى اخر الايات وقيل ان سليمان عليه السلام
كان ملكه في خاتمه ولهذا ذهب ملكه لذهاب خاتمه على ما سنذكره
في باب الفرج بعد الشدة ان شاء الله تعالى فقال لا ينبغي لاحد من
بعدي يقول اجعل ملكي في نفسي لا في خاتمي حتى لا يملكه غيري فان
ابليس لما اخذ خاتم سليمان يحكم فيه حتى انكرت بنو اسرائيل احكامه
وقد القي عليه شبهه وقال عمر بن عثمان انما اراد به ملك النفس وقهر
الهوى يدل عليه ما روى سليمان الشعباني قال بلغني ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اريت سليمان وما اتاه الله من ملكه فانه
لم يرفع راسه طرفة عين الى السماء تحشما الله حتى قبضه الله عز وجل
وزاد غيره فقال انما اراد ملك النفس وقهرها لئلا يغتر بالملك
ولهذا قدم سوال المغفرة على طلب المملكة وقال بعض الوعاظ
ظانما اراد حتى انتقم لادم ابي عليه السلام من ابليس وذريته حيث
كان سببا في اخراجه وذريته من الجنة وروى النجاد في ضحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن جعل يتفلت
علي البارحة ليقطع علي صلاتي وان الله سبحانه امكنني منه فاخذته
فلقد هممت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى يصبح
فتنظروا اليه كلكم فذكرت قول سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي

لاحد بعدي وزيده الله خاسيا فان قيل فما معنى قول يوسف عليه السلام اجعلني
على خزائن الارض اني حفيظ عليم قلت يستفاد من الآية ان من حصل بين
يدي ملك لا يعرف قدره او امة لا يعرفون فضله يخاف على نفسه جاز ان يبتهم
على مكانته وما يحسنه دفعا للشر عن نفسه وفيه فايدة اخرى وهو انه اذا
راى الامور في ايدي الخونة واللصوص ومن لا يؤدي الامانة ويعلم من نفسه اداء
الامانة مع الكفاية جاز ان يتسبب السلطان على كفاية وامانته **الباب**
الخامس في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا قال الله تعالى
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض يعني لولا ان الله
اقام السلطان في الارض يدفع القوي عن الضعيف وينتصف للظالم
لاهلك القوي الضعيف ولتواثب الخلق بعضهم على بعض فلا تنتظم حال
ولا يتستقر بهم قرار فتفسد الارض ومن عليها ثم امتن الله على الخلق باقامة
السلطان فيما من الناس به ويكون فضله على الظالم كفه يديه وفضله على المظلوم
امانه وكف يد الظالم عنه وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة
لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشا
ب نشا في عبادة الله وتعفف وعلق قلبه في المساجد ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف
الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفقت يمينه ورجل
ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وروى كثير بن مرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم السلطان ظل الله في الارض ياوي اليه كل مظلوم فان عدل كان له
الاجر وعلى الرعية الشكر وان جار كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر وروى ابو
هريرة يرفعه قال لعمل العادل في رعيته يوما افضل من عبادة العابد في اهله

ستين سنة وقال قتيبة بن سعد ليوم من امام عادل خير من
عبادة رجل في بيته ستين سنة وقال مسروق لان اقضي يوما بالحق احب من
ان اغزو في سبيل الله وروى ان سعد بن ابراهيم وابا سلمة بن عبد الرحمن
ومحمد بن مصعب بن شرحبيل ومحمد بن صفوان قالوا لسعيد بن سليمان بن
زيد بن ثابت لقضاء يوم بحق افضل عند الله من صلاتك عمرك وسيتضح
لك صحة هذه الاقوال اذا وقفت على ما نالته الرعية من الصلاح بصلاح
السلطان واعلم ارشدك الله ان الانسان اعز جواهر الدنيا واعلاها قدرا
واشرفها منزلة وبالسلطان صلاح الانسان اذا فهو اعز اخلاق الدنيا
واعمها بركة وكذلك خلق الله تعالى الدين والدنيا والدار الاخرة ثم كان بالسلطان
العادل صلاح الدارين فاخلق بشخص يعم نفعه العباد والبلاد ويصلح
بصلاحه الدنيا والاخرة ان يكون شرفه عند الله عظيما كما كان قدره في العقول
جسيما ومقامه عند الله كريما كما كان نفعه للبلاد والعباد عميما وعلى قدر
عموم المنفعة تكون المنة الا ترى ان الانبياء عليهم السلام اعم خلق الله نفعا
فهم اجل خلق الله تعالى قدرا لانهم تعاطوا صلاح الخلايق واخراجهم من
الظلمات الى النور وكذلك سلطان الله تعالى في الارض هو خلافة النبوة
في اصلاح الخلايق ودعايهم الى رضا الرحمن واقامة دينهم وتقويم اودهم
وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبي مرسل او ملك مقرب فا
تخذ عظيم قدر السلطان عندك حجة الله تعالى على نفسك وناصحة
على قدر ما نفعك وليس نفعه مقصورا على عجالة من حطام الدنيا يجبوك
بها ولكن صيانة جمجمتك وحفظ حرمك وحراسة مالك من البغاة اعم
نفع لك ان عقلت ولله تعالى في الارض الاوقد اخذ عليه شرائط العدل

سنة في م

شرف الاعمال وعلى قدر النفع م

واظهار الفضيلة فيحكم في هذا
هذا قال بعض العلماء واصحاب الرأي ففي
زماننا من كملت فيه آلات الاجتهاد وشروط
القضاء جاز ان ينيبه السلطان على مكانته
ويخطه خطة القضاء وفي زمن بعضهم
يجب ذلك عليه اذا كان الامر في يدي من
لا يعرف حق المظلوم من م

كما ترى وكان الله ذو فضل على
العالمين بعض صح

ورجل قلبه معلق بالمسجد
ورجلان تحابا في الله
اجتمعا على ذلك صح

لعله تحت

ومواثيق
وتواصلهم الانصاف وشرايع الاحسان وكانه ليس فوق رتبة السلطان العادل
رتبة كذلك ليس دون رتبة السلطان الشرير رتبة لان شره يعم كان
خيره الاول يعم وكان بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد وينيل
الزلفى الى الله تعالى والفوز بجنة المأوى كذلك بالسلطان الجائر يفسد البلاد
والعباد وتعترف المعاصي والاثام ويورث دار البوار وذلك كان السلطان
اذا عدل انتشر العدل في رعيته فاقاموا الوزن بالقسط وتعاطوا الحق
فيما بينهم ولزموا قوانين العدل فمات الباطل وذهب رسوم الجور والشر
وانفسحت قوانين الحق فارسلت السماء غيثها واخرجت الارض بركاتها ونمت
تجاراتهم وزكت زراعاتهم وتناسلت انعامهم فدرت ارزاقهم ورخصت
اسعارهم وامتلات اعينهم فواسى البخيل واحسن الكريم وقضيت الحقوق
واعمرت المراعين وتهادوا فضول الاطعمة والتحف فهان الحطام
لكثرته وذل بعد عزته وتماسكت على الناس مروآتهم وتحفظت
عليهم اديانهم وهذا بين لك ان الوالي ماجور على ما يتعاطاه من
اقامة العدل وماجور على ما يتعاطاه الناس بسببه واذا جار
السلطان انتشر الجور في البلاد وعم العباد وفرقت اديانهم واضمحلت
مروآتهم فغشت فيهم المعاصي وذهبت امانآتهم فضعفت النفوس
وقنطت القلوب فمنعوا الحقوق وتعاطوا الباطل وبخسوا المكيال
والميزان ورضوا بالظلم فرفعت منهم البركة وامسكت السماء غيثها
ولم تخرج الارض ربيعها ونباتها فقل في ايديهم الحطام فقنطوا وامسكوا
الفضل الموجود وتناجزوا على المفقود فمنعوا الزكاة المفروضة وبخلوا
بالمواساة المسنونة وقبضوا ايديهم عن المكارم وتنازعوا المقدار اللطيف

وتحاسدوا والقدر الخسيس فغشت فيهم الايمان الكاذبة والحيل
في البيع والخداع في المعاملة والمكر والحيلة في القضاء والاقتضاء فلا يمنعهم
من السرقة الا العار ومن الزنا الا الحيا فيظل احدهم عاريا من
محاسن دينه مخدوعا عن جلباب مروته الكثيف هم قوت دنياه واعظم
همه اكله من هذا الحطام ومن عاش كذلك فبطن الارض خير
له من ظهرها وقال وهب بن منبه اذا هم الوالي بالجود او
عمل به ادخل الله النقص في اهل مملكته وفي الاسواق والزرع والضرع
وكل شيء واذا هم بالخير والعدل او عمل بهما ادخل الله البركة في اهل
مملكته بذلك وقال عمر بن عبد العزيز تهلك العامة بذنوب
الخاصة ولا تهلك الخاصة بذنوب العامة والخاصة هم الولاة وفي
هذا المعنى قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة وقال الوليد بن هشام ان الرعية لتفسد بفساد
الوالي وتصلح بصلاحه وقال سفيان الثوري لابي جعفر المنصور
اني لاعلم رجلا ان صلح صلحت الامة قال ومن هو قال انت وقال
ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته مستخفيا
بمكانه فنزل على رجل له بقرة وراحت البقرة فحلبت له ثلاثين حلابا
بقرة فعجب الملك لذلك وحدث نفسه باخذها فلما راحت عليه من الغد
حلبت على النصف فقال له الملك ما بال حلابها نقصت اربعة في غير
مرعاها بالامس فقال لا والله ما اظن ملكنا هم باخذها فنقصت لبنها
فان الملك اذا ظلم وهم بالظلم ذهبت البركة معاهد الله الملك
في نفسه ان لا ياخذها فراحت من الغد فحلبت حلابا ثلاثين بقرة

فتاب الملك وعاهد ربه لاعدلن ما بقيت ومن المشهود في ارض المغرب ان السلطان
امراة لها حديقة فيها القصب الحلو واراد قصبة منها تعصر قدحا فعزم على اخذها
منها ثم اتاها وسالها عن ذلك فقالت نعم لم منها عصرت قصبة فلم تبلغ نصف
قدح فقال اين الذي كان يقال فقالت هو الذي بلغك الا ان يكون السلطان
قد عزم على اخذها فنى فارتفعت بركتها فتاب السلطان واخلص سرائره نية
الايا ايها الملك اذا امرها فعصرت قصبة نجات على قدح محدثني بعض الشيوخ
ممن كان يروي الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة ارادب تمرا
ولم يكن في الزمن نخلة تحمل نصف ذلك فغضبها السلطان فلم تحمل في ذلك العام
ولا ثمرة واحدة وقال لي شيخ من اشياخ الصعيد انا اعرف هذه النخلة في القريه
يحيى عشرة ارادب ستين وبية وكان صاحبها يبيعها في سنين الغلا كل
وبية بدينار وشهدت انا بالاسكندرية والصيد بالخليج مطلق للرعية والسمك
فيه يغل الماء كثرة وتصيده الاطفال بالخرق ثم حجره السلطان ومنع الناس
من صيده فذهب السمك منه حتى لا يكاد يوجد منه الا الواحدة بعد واحدة
الى يومنا هذا وهكذا يتعدى شر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمايرهم الى الرعية
الا خير يخبر وان شرا فشر وروى اصحاب التواريخ قالوا كان الناس اذا اصبحوا
في زمن الحجاج فتالوا تسالون من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن
قطع في امثال ذلك وكان الوليد صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس
يتسالون في زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الا
شجار ولما ولي سليمان كان صاحب نكاح وطعام فكان الناس يتخذون
الاطعمة الرقيقة ويتوسعون في الانكحة والسراري ويعيرون مجالسهم بذكر ذلك
ولما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان الناس يتسالون كم تحفظ من القرآن

وكم وردك في كل ليلة وكم يحفظ فلان ومتى يختم وكم يصوم من الشهر فامثال
ذلك وبالله التوفيق **الباب السادس في ان السلطان هو رعيته** مفهوم غير عابر
وخاسر غير رابح اعلموا ارشدكم الله ان خطر السلطان عظيم وبليته عامة وقد تطرقه
الافات وتخوشه من الامور المهلكات ما يجب على كل ذي لب ان يستعيذ بالله
مما حمله ويشكره على ما عصمه لا يهدى فكره ولا تشكن خواطره ولا يصفو قلبه
ولا يستقر له الخلق في شغل عنه وهو مشغول بهم والرجل يخاف عدوا واحدا وهو يخاف الف عدو والرجل يضيق بتدبير اهل بيته وصيغته وتقدير
معيشته وهو مدفوع لسياسة جميع اهل مملكته وكلما رتق فتقا من حواشي
مملكته انفتق لخر وكلما رم منها شعثا رث اخر وكلما تمم عدوا رصد له
اعدا الى سايرها يعاينه من اخلاق الناس ويقاسيه من حضومانهم وغضب
الولاة والعقاة وبعث الجيوش وسد الثغور واستجبا الاموال ودفع المظالم
ثم من العجب العجاب ان له نفسا واحدة وانما يرد عليه من الدنيا قوتها مثل ما يرد
احاد الرعايا ثم يسال عن اجمعهم ولا يسالون عنه فيا لله ويا للعجب من رجل
رضي ان يسال رغيفا ويحاسب منها على الالف الالف ويا كل في معا واحد ويحاسب
على الف الف معا ويستمتع بنفس واحدة ويحاسب على الالف من الانفس وعلى
هذا النمط في جميع احواله يحمل اثقالهم ويريح اسرارهم ويجاهد عدوهم ويسد
ثغورهم ويدافع منا صبهم ومنا ويهم ويحصي ربه فيهم ويجالف امره ويركب
فيه من امرهم ويقتحم جرائم جمة على بصيرة فيهم ثم تجدهم له قالين وعنه
غير راضين ولو لا ان الله يحول بين المرء وقلبه لم يرض عاقل بهذا وعنه بمعزل
راضين منزلة ولم يخترها لبيت مربته وكل ما ذكرته في هذا الكتاب احكمه
النبي صلى الله عليه وسلم في كلمة فقال ما لكم ولامرائكم صفوا موالكم وعليهم كدره

فقال الطباخ
فقد عنى الخلق غيري
فجدت فهم من الارض
فقال ما لي عيني الوفاء بحيلة
فحال الطعام ما عملي عليه الوفا
فقال التعب ما عملي عليه
فقلم تلوف غيلة فقلا دعني
فمن لا وفاء لم لا يحسن
الي النعمان ووصله فاغناه واعاده
كما كان الى اصله وقال ما اعتاده

ومثال السلطان مع الرعية كالطباخ مع الاكلة عليه العنا ولهم الهنا وعليه الحار ولهم الغار طلب القوم الراحة فحصلوا على التعب وطلب القوم الراحة و الغنيم فاخطؤا الصراط المستقيم وعن هذا قال واسيد القوم اشقاهم وفي الحديث ساقي القوم اخرهم شربا وكان بعض سلاطين المغرب يسير يوما وبين يديه الوزعة اذ نظر الى جماعة من التجار فقال لوزيره احب ان اريك ثلاثة طوايف طايفة لهم الدنيا والاخرة وطايفة دنيا بلا اخرة وطايفة لا دنيا لهم ولا اخرة فقال وكيف ذلك ايها الملك فقال اما الذين لهم الدنيا والاخرة فهو لا التجار يكتسبون اقواتهم ويصلون صلاتهم ولا يؤذون احدا واما الذين لا دنيا لهم ولا اخرة فهو لا الشرط والخدمة الذين بين ايدينا واما الذين لهم الدنيا بلا اخرة فانا وانت وساير السلاطين فخف علي جميع الوزراء ان يبيد والسلطان بالمناصحات و يحضوك بالدعوات ويعينونه في ساير المحاورات والمحاولات ويكونوا له اعينا ناظرة وايدي باطشة وجنة واقية والسنة ناطقة وقوادم تنهضه وقوايم تعتله وهيهات منه السلامة وعن هذا قال بعض السلاطين يوما لاصحابه اعلموا ان السلطان والجنة لا يجتمعان وحد ثني رجل له قدر قال ارسل الي السلطان ان طلق امرتك وكان قد اراد ها لبعض اصحابه فابيت ذلك وراجعت الرسول غير مره فقال خذ الامر مقبلا فانه لا حيلة لك فان السلطان لا يحاف في الدنيا عارا ولا في الاخرة نارا ففارقتها وروى عن عبد الملك بن مروان انه لما ولي الخلافة اخذ المصحف في حجره ثم قال هذا فراق بيني وبينك ولما حج هرون الرشيد لقيه عبيد الله العمري في الطواف فقال له يا هرون فقال له لبيك يا عم قال كم ترد ها هنا

لي ناصح منهم

من خلق لا يحصيهم الا الله سبحانه وتعالى فقال اعلم ايها الرجل ان كل واحد منهم يسال عن خاصة نفسه وانت وحدك تسال عنهم كلهم فانظر كيف تكون فبكا هرون فجعلوا يعطونه منديلا للدموع ثم قال والله ان الرجل ليسرع في مال نفسه فيستحق الحجر عليه فكيف بمن اسرع في مال المسلمين وقيل ان هرون كان يقول والله اني لاحب ان احج في كل سنة وما ينعني الا رجل من ولد عمر يسمع ما اكره وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن اغر ممن اغتر بي يا راعي السود فعت اليك غنما صحاحا سمانا فاكلت اللحم وشربت اللبن وايتدمت السمن ولبست الصوف وتركتها عطاما تتقعقع ولم تاو الضالة ولم تجبر الكسيرة اليوم انتقم لها منك

الباب السابع
في بيان الحكمة في كون السلطان

اعلم ان في وجود السلطان في الارض حكمة لله تعالى عظيمة ونعمة على العباد جزيلة عميمة لان الله سبحانه جبل الخلق على حب الانتصاف وعدم الانقياد ومثلهم بلا سلطان مثل الحوت في الماء يزدرد الكبير الصغير فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم حال ولم تستقم لهم معايش ولم يتهنوا بالحياة ولهذا قال بعض القدماء لو رفع السلطان من الارض ما كان لله تعالى في اهل الارض من حاجة ومن الحكم التي في اقامة السلطان انه من حج الله سبحانه على وجوده ومن علاماته على توحيده لانه كما لم يكن استقامة امر العالم واعتداله بغير مدبر يفرد بتدبيره كذلك لا يتوهم وجوده وترتيبه وما فيه من الحكمة ودقايق الصنعة بغير خالق خلقه وعالم اتقنه وحكيم دبره وكما لا يستقيم سلطانان في بلد واحد لا يستقيم الهان للعالم والعالم

باسره في سلطان اسعر وجل الملك الواحد في يد سلطان الارض ولهذا
قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه امران جليلان لا يصلح احدهما الا بالتفرد
ولا يصلح الاخر الا بالمشاركة وهما الملك والراي فكما لا يستقيم الملك بالشركة
لا يستقيم الراي بالتفرد به ومثال السلطان القاهر لرعيته ورعية
بلا سلطان مثال بيت فيه سراج منير وحوله قيم من الخلق يعالجون صنايعهم فبينما هم كذلك طفي السراج فقبضوا ايديهم للوقت
وتعطل جميع ما كانوا فيه فتحرك الحيوان الشرير وحشحش الهوام الخشيش
فدبت العقرب من محلها وكسعت الفاره من جحرها وخرجت الحيه
من معدنها وجا اللص بحيلته وهاج البرغوث مع حقارته فتعطلت
المنافع واستطارت فيهم المضار كذلك السلطان اذا كان قاهر الرعيته
كانت المنفعة عامة فكانت الدماء اهلها محقونة والحرم في خدر
رهن مصونة والاسواق عامره والاموال محروسة والحيوان الغا
ظل ظاهرا والمرافق حاصله والحيوان الشرير من اهل العسوق والدعارة
خامل لانه اذا اختل امر السلطان دخل الفساد على الجميع ولو جعل ظلم
السلطان حولا في كفه ثم جعل فساد الرعيه ومظالمهم وهرجهم في ساعة
اذا اختل امر السلطان ومظالمهم في كفه كان ذلك من هرج ساعة اعظم واربح
من ظلم السلطان حولا واكثر وارجح وكيف لا وفي زوال السلطان اوضعف
شوكته سوق اهل الشر وكسب الاجناد ونفاق اهل العياره والسوقه
واللصوص والمناهبه قال الفضيل بن عياض جور سنتين
سنة خير من هرج سنة فلا يتمنى زوال السلطان الا جاهل مغرور او
فاسق يتمنى كل محذور فحقيق على كل رعية ان ترغب الى الله تعالى في صلاح

السلطان وان تبذل له نصحها وتخصه بصالح دعايها فان في صلاحه صلاح
البلاد والعباد وكان العلما يقولون ان استقامت لكم امور السلطان
فاكثروا حمد الله وشكره وان جاكم منه ما تكرهونه وجهوه الى ما تستوجبوه
بذنوبكم وتستحقونه باثامكم واقيموا عذر السلطان لانتشار الامور
عليه وكثرة ما يكابده من ضبط جوانب المملكه وانتشار الاعدا
وارضاء الاوليا وقلة المناصح وكثرة المدلس والطامع وفي كتاب التاج
هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار والباب الملوك مشغولة بكل شي
والباب السوقة مشغولة بايسر شي والجاهل منهم يعذر نفسه عندها
هو عليه من الوسيلة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو عليه من المؤنة ومن
هناك يعزه الله بحياته وبيضره وبرشده وعن هذا قال حكما العجم
لا تستوطن الا بلدة فيها سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قايم
وطبيب عالم ونهر جاد الباب الثامن في مناضع السلطان
كلها ومضاره قال حكما العرب والعجم مثل مضار السلطان في جنب منا
فعه مثل الغيث الذي هو سقي الله تعالى وبركات السماء وحيات
الارض ومن عليها وقد يتاذى به المسافر ويتداعى به البنيان ويكون
فيه الصواعق وتدرسيوله فيهلك الناس الشاص والدواب والذخاير
ويموج له البحر فتشتد بليته على اهله فلا يمنع ذلك الخلق اذا نظروا
الى اثار رحمة الله في الارض التي احياها والنبات الذي اخرج والرزق
الذي بسط والرحمة التي نشران يعظموا نعمه ربهم ويشكروها و
يلغوا ذكر خواص الاذيه التي دخلت على خواص الخلق ومثاله
ايضا مثال الرياح التي يرسلها الله تعالى بشرا بين يدي رحمته

يسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات ورواحا للعباد ينتشقون منها
ويتقلبون فيها ويحيون بها مياههم وتنقد بها بنوانهم وتسير بها في البحر افلا
كهم وقد يضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم ويخلص الى انفسهم فيشكرها
الشاكرون وقد يتاذى بها كثير من الناس فلا يزيلها ذلك عن منزلتها
من قوام عباده وتمام نعمته ومثاله ايضا مثال الشتاء والصيف الذي
جعل الله تعالى حرهما وبردهما صلاحا للحرث والنسل ونتاجا للحب والثمر
يخرجهم البرد باذن الله تعالى ويخرجهم الحر باذن الله تعالى فتنضج باعتدال
الزمهرير ذلك من منافعها وقد يكون الاذى في حرهما وبردهما وسمايهما و
زمهريرهما ومع ذلك لا ينسبان الا للخير والصلاح وقد عم صلاحهما
اذيتهما ومثاله ايضا مثال الليل الذي جعله الله تعالى سكنا ولباسا
ونوما وراحة وسباتا وقد يستوحش له اخو الفقر وتسارع فيه اهل
الدعاره والفساد ويعد وافيه السباع وتنتشر فيه الهوام وذوات الحمة
والسموم القاتلة لا ينسى نعم الله عليهم به ولا يزدري صغير ضرره نفعه العباد
ومثاله ايضا مثال النهار الذي جعله الله تعالى ضياء ونشورا
وانتسابا وانتشارا وقد يكون فيه الحروب والغارات والنهب والنصب
والشخوص والخصومات فتستريح الخلق فيه الى الليل ثم لا تنسى العباد
نعمة الله تعالى عليهم فيه وهكذا كل جسم من امور الدنيا يكون ضرره خا فهو نعمة عامه
صا ونفعه عاما فهو بالاعمام ولو كان نعيم الدنيا من غير كدر وميسو
رها من غير معسور لكانت الدنيا هي الجنة التي لا نصب فيها ولا تعب
وقال الشاعر

لا تنج شيا خالصا نفعه ... فالغيث لا يخلو من العيب

الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية اعلموا رحمكم الله

ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فاذا صفت
الروح من الكدر سرت الى الجوارح سليمة وجرت في جميع اجزاء الجسد فامن الجسد من الكدر والجسد
من الغير واستقامت الجوارح والحواس وانتظم امر الجسد وان تكدرت
الروح او فسد مزاجها فيا ويح الجسد فيسري الى الحواس والجوارح كدورة
فتخرقه عن الاعتدال فاخذ كل عضو وحاسته بقسطه من الفساد فمرضت
الجوارح وتعطلت فتعطل نظام الجسد وجرى الى الفساد والهلاك ومثال
السلطان مثال النار ومثال الخلق مثال الخشب فما كان منها معتدلا لم
يحتج الى النار وما كان منها مياديا احتاج الى النار لقيام اوده ويتعديل
عوجه فان افرطت النار احترق الخشب قبل ان يستقيم اوده وان قصرت
النار لم يلن الخشب لقبول الاعتدال فيبقى مياديا واذا كانت النار متعدلة
اعتدل الخشب كذلك السلطان في اطواره ان افرط اهلك الخلق فان فرط
لم يستقيموا وان اعتدل اعتدلوا ومثاله مثال عين خراره في ارض
خواره فان حلي مشربه وعذب مطعمه وسلمت من الكدر والفساد او ضافه
نخل الارض فابتلعته صافيا مرقالا شربته عروق الاشجار فاعتدلت به
كذلك فتغلظ سوقها وفرعت اغصانها وامتدت افنانها ثم اخرجت او
راقها وابرزت ازهارها ثم قدفت ثمراتها نجمات على اتم طباعها كثرة وطعما
ولونا ورائحة فتقوت بها العباد واكلت خضوتها البهايم والحشرات و
سقط عليها الطير فاحرزت منها قوتها واستقام ودام النظام وان كان في حواشي
الارض ما يرتفع عن الانبات والنفع ويكدى عن الزكاة والريع وكان فيه
من الشجر ما يعز رحله وتقل ريعه اعطى كل ذلك الغاية من نفسه واطلع ما في

ابو الطيب

قواه ولم يغادر ممكنا الا وفاه وان كان في العين كدرا وقساد اوملح شربتها
الاشجاد كذلك فضد مزاجها واضر الجزء الفاسد بالطيب فدقت سوقها
وضعفت اعضانها وتغيرت اوراقها وقلت ازهارها وثمراتها ودخل الفساد
على جميع ذلك فجاءت الثمرة نزرة قدرها ردي طعمها كاسف لونها فدخل لذلك
من النقص على جميع الحيوان مثل ما دخل من المنافع عليهم في الاول ولهذا
قال الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخسل ليموت هزلا في مجره بذنب بني ادم
يعني اذا كثرت المعاصي في الارض حبست السماء غيثها ومنعت الارض
نباتها فهلك الحشرات والهوام والحشرات والدواب وباس الناس فيهن

الباب العاشر في بيان معرفة خصال ورد الشرع فيها

نظام الملك والدول وهي ثلاث اللين وترك الفضاظة والمشاورة و
ان لا يستعمل على الاعمال والولايات راغبا فيها ولا طالبا لها ولما علم الله سبحانه
ما فيها من انتظام امر الملة واستقامة الامر فرض عليها ورسوله اعلم
ان هذه الخصال من اساس الملك وقد مر ان يعمل بها من الملوك اثنتان
نزلت من السماء واحدة قالها الرسول صلى الله عليه وسلم فاما الالهية فقوله
تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وفي الاية اشارتان
الاولى ان الفضاضة تنفر الاصحاب والجلسا وتفرق الجموع والحشم وانما الملك
ملك بجلسائه واصحابه وحشمه واتباعه واخلق بخصلة تنفر الاوليا
ان يطمع فيها الاعداء فمن تكفل ذي سلطان رفضها والاحتراز من
سوء معبتها ولذلك كما قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع اصحابه

اصحابه فجاء رجل فقال ايكم ابن عبد المطلب فقالوا هذا الابيض الممتلي فقال
الرجل يا ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اجبتك فذكر الاعلى
انه ما استانر بشرف المجلس وانما بانهم بزي ولا معتمد وقد بلغ بالدين
ما لا يبلغ بالسدة والغلظة الا ترى ان الريح يهول اصواتها فتداخل
لها الشجر وتنعطف الافنان والاعصان وفي الغرط تتكسر الاعصان
فالما بليته في اصول الشجر يقلعها من عصونها واذا كانت الحية مع سمها
وصعوبتها وتيهها في جحرها ترقا بالكلام حتى تستعطف فتخرج فالانس
احرى ان يستمال بلين الفعل وحسن المنطق واذا اردت ان تنتقم ممن
يسيئ اليك فكافه بجعل كلمة سيئة قالها كلمة حسنة وكلمة جميلة وحسن
ثناء عليه والاشارة الثانية انه قال وشاورهم في الامر فاذا قيل
لنا كيف يشاورهم وهو بينهم وامامهم وواجب عليهم مشاورته وان لا
يفصلوا امرا دونه هذا ادب ادب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وجعله
مادبة لساير الملوك والامراء والسلاطين لما علم الله سبحانه ما في المشاورة
من حسن الادب مع الجليس ومساهمته في الامور وان نفوس الجلساء
النصحا والوزرا تصلح عليه وتميل اليه وتخضع عنوة بين يديه شرعه الله
لنبيه صلى الله عليه وسلم ولذوي الامر من اهل ملته الا ترى ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان في غزاة فامرهم بالنزول فقال سعد يا رسول الله ان كان
هذا بامرك فسمعا وطاعة وان يكن على غير ذلك فليس عنزل فسمع منه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارتحلوا ومن اقبح ما يوصف به الرجل ملوكا
كانوا او سوقة الاستبداد بالراي وترك المشاورة وسنعقد للمشاورة
بابا ان شاء الله تعالى والخصلة الثانية ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما

ان رجلا قال يا رسول الله استعملني فقال النبي صلى الله عليه وسلم نخ انا لا نستعمل
على عملنا من اراده والرشوة ان الولايات امانات وتصرف في ارواح الخلايق و
اموالهم والشرع الى الامانة دليل على الخيانة وانما يخطبها من يريد اكلها واذا
اتمن خاين على موضع الامانات كان كمن استرعا الذيب الغنم ومن هذه
الخصله تفسد قلوب الرعايا على ملوكها لانه اذا انتهضت حقوقهم واكلت
اموالهم ضدت نياتهم واطلقوا السنتهم بالدعا وذكر واساير الملوك بالعدل والا
حسان فكانوا كالبيت الذي انشد ناه اولا

ورعي الشا يحمي الذيب عنها ... فكيف اذا الرعاة لها ذياب

واذا خان اهل الامانات وفسد اهل الولايات كان الامر كما قيل

بالملح يصلح ما يرجى بتغيره ... فكيف بالملح ان حلت به الغير

اخو ذيب تراه مصليا ... فاذا مرت به ركع

يدعو وجل دعائه ... ما للغريسة لا تقع

عجل لها يا ذا العلا ... ان الفواد قد انصدع

ومن اشراط الساعة الحرص على الامانة والتصدي لها وخطبة الولاية
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اشراط الساعة ان تكون الزكاة
مغرما والامانة مغنما حينئذ يدعو اعلية الضعيف واهل الصلاح ويعتدل له
بالمرصاد الشرير ويحام اعلية القوي ويفتح شاؤه عند الجماعة ويمتنو الراحة
منه ونظر وادن يصلح لها سواه

الباب الحادي عشر في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان والاثبات له دونها

فاول الخصال واحقها بالرعاية العدل الذي هو قوام الملك ودوام الدول وراس
كل ملكة سوا كانت نبوية او اصطلاحية اعلم ارشدك الله ان الله

تعال

تعال امر بالعدل ثم علم سبحانه انه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل
تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال عز من قايل ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى فلو وسع الخلق العدل ما
قرن الله به الاحسان فمن لم يصلح حتى يزاد على العدل فكيف يصلح
اذا لم يبلغ به العدل والعدل ميزان الله تعالى في الارض الذي
يوضع به للضعيف من القوي وللحق من المبطل وليس موضوع
الميزان فقط بل يدي السلطان والرعية ايضا فمن تعرض لسخط الله سبحانه
وتعالى اعلم ايها الوالي ان الملك بمنزلة رجل فراسه انت وقلبه
وزيرك ويداه اعوانك ورجلاه رعيتك وروحه عدلك فما بقا جسد
بلا روح فاذا اردت ذروة العدل فاعلم ان الرعية ثلاثة نفس كبير وصغير
ووسط فاجعل كبيرهم ابا واوسطهم اخا وصغيرهم ابنا فبر اباك واكرم اخاك
وارحم ابنك فانك واصل بذلك الى بر الله تعالى وكرامته ورحمته وعدل
الملك يوجب الاجتماع عليه وجوره يوجب الافتراق عنه عدل الملك
حياة رعيته وفي منثور الحكمة سلطان جاير اربعين عاما خير من
رعية مهملة ساعة واحدة من النهار اذا عدل السلطان فيما قرب منه
صلح له ما بعد منه فضل الملوك في الاعطا وشرفها في العفو وعز
ها في العدل عدة السلطان ثلاثة اشيا مشاورة النصحا وشيات
الاعوان واقامة سوق العدل افضل الازمنة ازمنة اقامة العدل ثم
العدل ينقسم قسمين قسم الهي جاءت به الانبيا والرسل عليهم السلام
الله سبحانه وتعالى والثاني ما يشبه العدل وهي السياسة الاصطلا
التي هرم عليها الكبير وشا عليها الصغير وبعيد ان يبقى سلطان او

فمن ازال ميزان الله الذي
وضع من القيام بالقسط
فقد ظلم

وعية في حال ايمان وكفر بلا عدل قايم ولا ترتيب للامور ثابت وذلك مما
يجوز ولا يمكن وقد ذكرت في اول الكتاب ان سليمان عليه السلام سلب
ملكه حين جلس الخصمان بين يديه وكان لاحدهما خاصية بسليمان عليه
السلام فقال في نفسه وددت ان يكون الحق الخاصي فاقضي له فسلبه الله
تعالى ملكه وقعد الشيطان على كرسيه فاجعل العدل راس سياستك
فتسقط عنك جميع الافات المفسده للسياسة ويقوم لك جميع الشرايط
التي تقوم بها المملكه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه امام عادل خير
من مطر وابل واسد حطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير
من فتنة تدوم وقال به مسعود اذا كان الامام عادلا فله الاجر وعليك
الشكر وان كان جايرا فعليه الوزر وعليك الصبر وقال سليمان بن داود
عليهما السلام العدل والرحمة يحرزان الملك واتفقت حكماء العرب والعجم
على هذه الكلمة فقالوا الملك بناء والجند اساسه فاذا قوي الاساس دام
البناء وان ضعف الاساس انهار البناء لا سلطان الا بجند ولا جند
الا بمال ولا مال الا بجباية ولا جباية الا بعماره ولا عماره الا بالعدل فصار
العدل اساسا لساير الاساسات فاما العدل النبوي فجملة القول فيه
ان يجمع السلطان الى نفسه حملة العلم الذين هم به حفظته ورعاته وفقهاؤه
وهم الادلاء على الله تعالى والقايمون بامره والحافظون لحدوده والنا
صحون لعباده وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين
النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولايمة المسلمين
وعامتهم فاتخذ ايها الملك العلماء شعارا والصالحين اوثارا فتدوم المملكة
بين صالح العلماء ودعوات الصلحا واخلق بملك يدوم ملكه هذه الخصلتين

ان يقوم عموده ويطول امره وكيف وقد قرنهم الله تعالى في سلطانه واصطفا
هم بخالصة معرفته فقال شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم
فبدا بنفسه وثنى بملايكته وثلث باولي العلم وهم ورثة الانبيا عليهم السلام
والموفقون عن الله سبحانه لان الانبيا عليهم السلام لم يورثوا دينارا ولا
درهما وانما ورثوا العلم ففي تعزيزهم وتعظيمهم امتثال لامر الله تعالى و تعظيمهم
لدين الله تعالى عليه ويجب ترفيع مجالسهم وتمييز مواضعهم على من سوا
هم قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
وفيه استمالة قلوب الرعية وخلوص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم على محبته
وتوقيره فواجب على السلطان ان لا يسوي امرا دونهم ولا يفصل حكما الا بمشا
ورتهم لانه في فعل الله تعالى يحكم وفي شريعته يتصرف واقل الواجبات على
السلطان ان ينزل نفسه مع الله تعالى منزلة واليه معه اليس اذا خا
لف واليه امره وما رسمه له من الاحكام عزله وعاقبه ولم يامن سطوته
واذا استشل اوامره وازجر عن زواجره يحل منه محل الرضا فواعجبا
لمن يغضب على واليه اذا خالفه لا يخاف سطوة الله عليه اذا خالفه فهذا
طريق لاقامة العدل الشرعي والسياسة الاسلاميه الجامعة لوجوه
المصلحة الآخذة لازمة التدبير السالمة من العيوب المهدة لاستقا
الدنيا والدين وكما ان الملك الحازم لا يتم حزمه الا بمشاورة الوزرا الا
خيار وكذلك لا يتم عدله الا باستفتا العلما الابرار وقد وقع المامون
في قضية متظلم من عروبة مسعده يا عمراه عمر نعتك بالعدل فان الجود
قد مهما وفي اشاعة العدل قوة القلب وطيب النفس ولزوم اليقين
وامان من العدو ولما استاذن الهرمزان على عمر رضي الله عنه لم يجد

حاجبا ولا بوابا فقيل هو في المسجد فوجده مستلقيا متوسدا كوما من الحصبا
ودرته بين يديه فقال له عدلت فامنت فنمت وقال الحسن رايت عثمان
بن عفان وقد جمع الحصا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند راسه وقد
وضع احد جانبي رداه عليه وهو يومئذ امير المومنين ما عنده احد من
الناس ودرته بين يديه **وكتب** عامل حمص الى عمر بن عبد العزيز ان مدينة
حمص قد تهدمت واحتاجت الى الاصلاح فكتب اليه عمر حصنها بالعدل
ونق طرقها من الجور والسلام وقال الحكما من حرم العدل فلا خير له
والناس في سلطانه **وقال** يحيى بن اكثم ما ثبت المامون في بستان
والشمس عن يساري والمامون في الظل فلما رجعنا وقعت الشمس ايضا علي
فقال لي تحول مكاني واتحول مكانك حتى تكون في الظل كما كنت فان اول
العدل ان يعدل الرجل على بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ العدل الى
الطبقة السفلى فعزم علي فتحولت وكان يقول ليس شيء ابعد من بقاء
الملك المغصوب **وقيل** للاسكندر لو اكثرت من الساحتي يكثر نسلك
ويحيي ذكرك فقال انما يحيي الذكر الافعال الجميلة والسير الحميدة ولا يحسن
بمن يغلب الرجال ان تغلبه النساء وقال الحكيم من اتخذ العدل سنة
كان له احصن جنة ومن استشعر حلة العدل استكمل رتبة الفضل
وقال ابو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ان الامام العادل ليسكت الاصوات
عن الله تعالى وان الامام الجائر ليكثر منه الشكاة على الله سبحانه
وقال الحكيم لا يزال السلطان مهملا حتى يتخطى الى اركان العمارة
ومباني الشريعة فحينئذ يريح الله سبحانه منه وقالوا لا تظلمن الضعفا
فتكون من ليام الاقويا **وقال** بعض الحكما امير بلا عدل كغيم

واقبل الشمس كما وقيتني

مطر وعالم بلا ورع كارض بلا نبات وشاب بلا توبة كشجرة بلا ثمرة وغنا
بلا سخا كقفل بلا مفتاح وفقر بلا صبر كسراج بلا ضوء وامراة بلا حيا
كطعام بلا ملح **وقال** كسرى اتفقت ملوك العجم على اربع خصال ان الطعام
لا يوكل الا على شهوة والمراة لا تنظر الا الى زوجها والملك لا يصلحه الا الطاعة
والرعية لا يصلحها الا العدل واحق الناس باجبار نفسه على العدل الملوك
الذين بعدلهم يعدل من دونهم والذين اذا قالوا فعلوا كان نافذا غير
مردود وقال الحكما رب ما شئيت بالانصاف وانا زعيم لك بالظفر به والظلم
ادعى شيء الى تغيير نعمة وتعجيل نقمة وقال الحكيم شر الزاد الى المعاد الذنب بعد
الذنب وشر من هذا العدوان على العباد السلطان ان اراد بعد الصيت و
جميل الذكر فليعم سوق العدل وان احب الزلفا الى الله تعالى وشرف المنزلة
عنده فليعدل وان احبها جميعا فليعدل وبالله التوفيق **الخصلة**
التي يخلد بها ذكر الملوك على غابر الدهور والازمان عدل واضح او جور
فاضح هذا يوجب له الرحمة وهذا يوجب له اللعنة **فصل** واما القسم
الثاني من العدل فهو السياسة الاصطلاحية وان كان اصلها على الجور
فيقوم بها امور الدنيا وكانها تشاكل مراتب الانصاف على نحو ما كانت عليه
ملوك الطوائف في ايام الفرس وكانوا كفارا بالله سبحانه يعبدون الشيطان
ويتبعونه هو احبس الشيطان فتواضعوا بينهم سننا واستنوا بينهم احكاما
ما واقاموا لهم مراتب في التصفه بين الرعايا واستجابا الخراجات وتق
ظيف الملوس على التجارات كل ذلك بعقولهم على وجوه ما انزل الله بها
من سلطان ولا نصب عليها برهانا بداية لما جاءت الشريعة من
عند الله تعالى على لسان رسوله صاحب المعجزة محمد صلى الله عليه وسلم

فيها ما لو تبته في قضايه ومنها ما نسخته وابطلت حكمه فعادت الحكمة البالغة
الى امر الله سبحانه والحكم بما انزل وبطل ما سواه فكان ملكهم محفوظا برعا
يتهم للقوانين المالوفة بينهم فانقطع بذلك جبل الجهل فكانوا يقيمون بها حبل الحمل
واجب الحقوق ويتعاطون بها ما لهم وعليهم ولهذا يقال ان السلطان
الكافر الحافظ لسياسة الاصطلاحية ابقى واقوى من السلطان العدل
في نفسه المضيع لسياسة المبنية العدلية والجور المرتب ابقى من العدل
المهمل اذ لا شيء اصلح لامر السلطان من ترتيب الامور ولا شيء افسد له
من اهمالها واعلم ان درهما يوخذ من الرعية على وجه الاهمال والخرق
وان كان عدلا افسد لقلوبهم من عشرة يوخذ منها بسياسة على زمام
معروف ورسم مالوف وان كان جورا فلا يقوم سلطان لاهل الايمان ولا لاهل
الكفر الا بما فيه من العدل النبوي او ما يشبه العدل من الترتيب الا
صطلاحي وقال به المقنع الملوك ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك
هوى فاما ملك الدين فانه اذا قام لاهل المملكة دينهم كانوا راضين وكان
الساخط منهم بمنزلة الراضي واما ملك الحزم فيقوم به الامر ولا يسلم من
الطعن والسخط ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوي فلعب ساعة
ودهار دهر ولقد بلغنا ان ملكا من ملوك الهند نزل به صمم فاصبح
مستر جعا مهموما بامور المظلومين وانه لا يسمع باستغاثتهم فامر مناديه
ان ينادي لا يلبس في مملكته ثوبا احمر الا مظلوم وقال لان منعت سمعي
لم امنع بصري فكان كل من لبس ثوبا احمر وقف تحت قصره فيكشف
عن ظلامته واخبرني ابو العباس الحجازي وكان ممن دخل بلاد
الصين مسيرة عجيبة غريبة لملوكها في سياستهم وذلك ان البيت

الذي

واما ملك الهوى

الذي يكون فيه الملك فيه ناقوس موصول بسلسلة وطرف السلسلة
في خارج الطريق وعليها امنا للسلطان وحفظة فيأتي المظلوم ويحرك
السلسلة فيمسكها وليكد الحفظة حتى يدخل على السلطان **الباب**
الثاني عشر في التنصيص على الخصال التي دعم الملوك بها ازالت
دولتهم وهدمت سلطانهم ايها الملك احرص كل الحرص ان تكون خيرا بامور
عمالك وان المسيء يعرف من خبر تك به قبل ان تقصيه عقوبتك والمحسن يستبشر
بمعرفتك به قبل ان يأتيه ثوابك قال ابو جعفر المنصور ما زال امر بني اميه
مستقيما حتى افضى امرهم الى ابنائهم المترفين فكانت همتهم من عظيم شان
الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وايثار اللذات والدخول في معاصي
الله تعالى ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله تعالى واملائه المكره
فسلبهم الله تعالى العز ونقل عنهم النعم وقال عبيد الله بن مروان
ومروان هذا المعروف بمروان الحمار اخر ملوك بني اميه قتل في ارض مصر
في كورة بوصير قال لما زال ملكنا وهربنا الى ارض النوبة فيمن اتبعني
من اصحابي فسمع ملك النوبة بخبرنا فجاء وقعد على الارض ولم يقعد
على فراش افترشته فقلت له الا تقعد على شيابنا فقال لا قلت ولم قال اني
ملك وحق على كل ملك ان يتواضع لامر الله تعالى اذا رفعه الله فقال لم تشربون
الخمر وهي محرمة عليكم ولم تطؤون الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم ولم
تستعملون الذهب والفضة وتلبسون الحرير والديباج وهو محرم عليكم فقلت
زال عنا الملك فقلت انصارنا فانتصرنا بقوم من الاعاجم دخلوا ديننا ولنا
عبيد واتباع فعلوا ذلك على كره منا فاطرق مليا يقلب كفيه وينكث
في الارض ثم قال ليس الامر كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله عليكم
وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العزيز نوكيكم ولله فيكم نعمة ولم يبلغ غايتها

واخاف ان يحل بكم العذاب وانتم في بلدي فيصيبني معكم وانما الضيافة ثلاث
فتزودوا ما احتجتم اليه وارحلوا عن بلدي وسئل بزرجمهر ما بال ملك آل سا
سان صار الى ما صار اليه بعد ما كان فيه من قوة السلطان وشدة الاركان فقا
ل ذلك لانهم قلدوا كبار الاعمال صغار الرجال ولهذا قال الحكما موت الف من
العليه اقل ضررا من ارتفاع واحد من السفله وفي الامثال زوال الدول با
صطناع السفل وقال الشافعي رحمه الله اظلم الناس لنفسه اللئيم اذا ارتفع
جفا اقاربه وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل وسئل
بعض الملوك بعد زوال ملكه ما الذي سلبك ما كنت فيه قال دفع عمل اليوم
الى الغد والتماس عدة بتضييع عدد وسئل ملك بعد ذهاب ملكه ما
الذي سلب ملككم فقال باعطائنا المرء ابطر وطغى ودفع عمل اليوم لغد
وسئل بعض الملوك بعد ان سلبوا ملكهم ما الذي سلب عزكم وهدم
ملككم فقال شغلتنا لذاتنا عن التفرغ لمهماتنا ووثقنا بكفاتنا فاثروا
مرافقهم علينا وظلم عمالنا رعيتنا فافسدت نياتهم لنا وتمنوا الراحة منا
وحمل على اهل خراجنا فقل دخلنا وبطل جندنا فزالت الطاعة منهم لنا وقصد
نا عدونا فقل ناصرنا وكان اعظم ما زال به ملكنا استتار الاخبار عنا
وقال الحكما اسرع الخصال في هدم السلطان واسرعها في افساده وتفريق
الجمع عنه اظهار المحاباة لقوم دون قوم والميل الى قبيلة دون قبايل فمتا
اعلن بحب قبيلة فقد بري من قبايل وقديما قيل المحاباة مفسدة وقال
بهنود الموبذان من زوال السلطان تقريب من ينبغي وتبعيد من
ينبغي ان يباعد وتبعيد من ينبغي ان يقرب وحينئذ جا اوان الغدر
قيل لملك بعد زوال ملكه ما الذي اذهب ملككم قال ثقتي بد
ولتي واستبدادي بمعرفتي واغفال استشارتي واعجابي بشدتي و

١٠٨

واضاعتي الحزم في وقت حاجتي والتواني عند عجلتي ولما احيط بمروان
الجعدي وهو اخر ملوك بني اميه قال يا لهفاه على دولة ما نصرت وكف
ما ظفرت ونعمة ما شكرت فقال له خادمه باسيل وكان من اولاد
اشراف الروم من اغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر والخفي حتى
يظهر اصابه مثل هذا وسئل بعض العلما ما الذي اذهب ملك بني مروان
فقال تحاسد الاكفا وانقطاع الاخبار وذلك ان يزيد بن عمر بن هبيرة كان
يحب ان يضع من نصر بن سيار وكان لا يمده بالرجال ولا يرفع الى السلطان
ما يرد عليه من اخبار خراسان فلما راى ذلك نصر بن سيار قال

ارى خلل الرماد وميض نار ... فيوشك ان تكون لها ضرام
وان النار بالعودين تذكى ... وان الحرب اولها كلام
فقلت من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ امية ام نيام
فان كانوا لحينهم نيام ... فقل قوموا فقد حان القيام

فكان العباسيون يوسوسون لدولتهم ولا يصل اخبارهم الى سلطان
بني اميه حتى استفحل امرهم وضعف امر بني اميه واذا اراد الله بامر
قال له كن فيكون

الباب الثالث عشر في معرفة الخصال التي زعم الحكما ان الله لا يدوم معها مملكة

ومن اعجب العجايب
دوام الملك مع الكبر والاعجاب اعلموا ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضا
يل ويكسبان الرذايل لان الكبر والاعجاب يكون بالمنزلة والعجب
يكون بالفضيله والمتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين والمعجب يستكثر
فضله عن استزادة المتادبين وحسبك من رذيله تمنع عن استماع النصح
وقبول التادب والكبر يكسب المقت ويمنع من التالف وكل كبر ذكره

١٠٩

في القرآن مقرونين بالشرك قال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس انهاك
عن الشرك بالله والكبر يا فان الله يحتجب منهما قال زدتني به يا بكل
ما الكبر الافضل حمق لم يدر صاحبه الى اين يذهب به فصرفه الى الكبر
وقال الاحنف به قيس ما تكبر احد الا من ذلة يجدها في نفسه
ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتانف منه قال الشاعر

فتى كان عذب الروح لاعن فضاضة ولكن كبرا يقال له كبر

ونظر افلاطون الى رجل جاهل معجب فقال وددت لو اني مثلك في
ظنك وان اعدائي مثلك في الحقيقة وقال الحكماء قد يدوم الملك
مع معظم النقائص فرب مقتر ساد قومه ورب احمق رأس عشيرته
منهم الاقرع بن حابس الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الا
حمق المطاع قالوا ولا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة
تسلب السيادة واعظم من ذلك ان الله سبحانه حرم الجنة على
المتكبرين فقال تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الا
رض ولا فسادا والعاقبة للمتقين فقرن الكبر بالفساد ومنعا من دخول
الجنة واما العدل فملاك كل واحد يسلم منه قال الله تعالى ساصرف
عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال بعض الحكماء ما رايت
متكبرا قط الا تحول داوه في يعني انه يتكبر على
المقت ومن مقته رجاله لم تستقم حاله ومن البغضته بطانته
كان كمن غص بالماء ومن كرهه جماعته فطالت اليه الاعداء فاما
الاعجاب فيحمل على الاستبداد وترك مشورات الرجال ومن الصفات
التي لا تدوم معها المملكة الكذب والغدر والخبث والجود والسخف وقال

حكما العرب والعجم ست خصال لا تغتفر من السلطان الكذب والخلف
والحسد والحدة والبخل والجبن فانه اذا كان كذابا لا يوثق بوعده ولا بو
عيده فلم يرج خيره ولم تخف سطوته ولا يقال السلطان لا يرهب وقال
الحكماء خراب البلاد وفساد العباد مقرونان بابطال الوعد والوعيد
من الملوك والكذب اسقط الاخلاق واغلب شيء على صاحبه واحرى
ان لا ينزع عنه لضرورانه وقيل لاعرابي لم تكذب فقال لو تعودت به
ما تركته وهو نوع من الفحش وضرب من الدناءة واصله استعذاب
المنى وهو اصغاث فكذا الحمقا ومن بليته انه يحمل على صاحبه ذنب
غيره فاذا سمعت كذبة طايحة نسبت اليه قال الشاعر

حسب الكذوب من المهانة بعض ما يجني اليه واذا سمعت بكذبة من غيره نسبت اليه

وقال غيره

بلى حيلة في من ينم وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليله

واما الحسود فانه اذا كان حسود لم يشرف احد واذا ضاعت
الاشراف هلكت الاتباع ولا يصلح الناس الا على اشرافهم قال الشاعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

واما البخل فانه اذا كان بخيلا لم ينا صحه احد ولا تصلح الولايه الا
بالمناصحه وليس للملك ان يبخل لان بيوت الاموال في يده واما
الجبن فاذا كان جبانا اجترا عليه عدوه وضاعت ثغوره واذا كان
حديدا غضوبا [illegible] القدرة هلكت رعيته وليس للملك
ان يغضب لان القدرة منه وراء حاجته ولما دخل اسقف بخارا على

على مصعب بن الزبير ضرب وجهه بالقضيب فادماه فقال الاسقف ان
شأنهم عجب الامير اخبرته بما انزل الله على عيسى عليه السلام فقال لا ينبغي
للامام ان يكون سفيها ومنه يلتمس الحلم والاحياء ومنه يلتمس العدل
وقال الاوزاعي لهدد السلطان بالاعجاب والاحتجاب واما الاعجاب
فقد ذكرناه واما الاحتجاب فهي اوحى الخلال في هدم السلطان واسرعها
خرابا للدول فانه اذا احتجب السلطان فكانه قد مات لان الحجبة موت
حكمي فتغيب بطانته في ارواح الخلايق وحرمهم واموالهم لان الظالم قد امن
من ان لا يصل المظلوم الى السلطان ومعظم ما رايناه في اعمارنا وسمعنا
عمن سبقنا في دخول الفساد على الارض الملوك من حجابهم عن مباشرة
الامور وانزال الرعية ذا سلطان واحدما وصلوا الى سلطانهم فلذا
احتجب فهناك سلاطين كثيرة يا ايها الملك المغرور احتجبت عن الرعيه
بكثرة الحجاب والابواب وجعلت دونهم حجبا لا مشيدة وحظايرا بالحجاره
والطين مانعة وباب الله تعالى مفتوح للسايلين وليس هناك
حاجب والابواب قال الله تعالى الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
وقال معونية ليس بين ان يملك السلطان رعيته او تملكه رعيته
الا الحزم والتواني وكان له امراء شدة في غير افراط وليه في غير مهانه
وسئل بزرجمهر اي الملوك احزم فقال من ملك جده هزله و
قهر لبه هواه واغرب عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه عن حظه
ولا غضبه عن كيده وقال بعض الحكماء زوال الدول في اصطناع
السفل ومن طال عدوانه زال سلطانه وقالوا من لم يستظهر
بالبقظه لم ينتفع بالحفظه وقال يحيى بن خالد احزم ما وصرت في

في طراز الحكم من البلاغة البخل والجهل مع التواضع خير من العلم والسخاء
الكبر فيالها حسنة غطت على سيئتين ويالها سيئة غطت على
حسنتين **الباب الرابع عشر في الخصال المحموده**
في السلطان وقد اتفقت الحكماء والعلماء عليها فقالوا ايها الملك
ان قصرت قدرتك عن عدوك فتخلق بالاخلاق الجميلة التي ليس لعدو
ك مثلها فانها كافية من العاده الشعوي وقال معويه لمعصعة
بن صوحان صف لي عمر بن الخطاب رض فقال له كان عالما برعيته عادلا في
اقضيته عارفا من الكبر قبولا للعذر سهل الحجاب مصون الباب متحريا
للصواب رفيقا بالضعيف غير محاب للقوي والجاف للقريب قال زد فا
لمنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضا والمضاده توجب العداوة
والمتابعه توجب المحبة والالفه والصدق يوجب الثقه والامانه توجب
الطمانينة والعدل يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعده والانبساط
يوجب المواسه والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب المقت
والتواضع يوجب المحبة والجود يوجب الحمد والبخل يوجب المذمه والتوا
ني يوجب التضييع والجد يوجب رجا الاعمال والتهاون يوجب الحسره
والحزم يوجب السرور والتغرير يوجب الندامه والحذر يوجب العذر
واصابة التدبير توجب بقا النعمه وبالتاني تسهل المطالب وبليه
كنف المعاشره تدوم المودة وبخفض الجانب تاسن النفوس وسعة
خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب التباعد وبكثرة الصمت
تكون الهيبة وبعدل المنطق يوجب الجلاله وبالتصفح تكثر المواصلة
وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكوا الاعمال وباحتمال المؤن

٢ يوجب اجتماع القلوب والجود يوجب الفرقة وحسن الخلق

يجب السودد وجملك عن السفيه تكثر اضدادك عليه وبالرفق والتؤده
تستحق اسم الكرم وبتركك مالا يعنيك يتم لك الفضل وعلى السياسة تكسوا
اهلها المحبه والغضاضة تخلع عن صاحبها ثوب القبول ومن صغر
الهمه الحسد للصديق على النعمه والنظر في العواقب نجاة ومن لم يعلم
ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن خاف حذر ومن اعتبر ابصر
ومن ابصر فهم ومن فهم علم ومن اطاع هواه ضل ومن العجله الندامه
ومع السلامة السلامة وذارع البر يحصد السرور وصاحب العا
قل مغبوط وصديق الجاهل يعب اذا جهلت فاسئل واذا زللت
فارجع واذا اسات فاندم واذا ندمت فاقلع واذا افضلت فاكتم
واذا منعت فاجمل واذا اعطيت فاجزل واذا غضبت فاحلم من بدا ك
بيره فقد شغلك بشكره المروات كلها تبع للعقل والراي تبع للتجربه
العقل اصله التثبت وثمرته السلامه والتوفيق اصله العقل وعرته
النجح والتوفيق والاجتهاد زوجان فالاجتهاد سبب والتوفيق نجح
بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقد
كنت شرعت كتابا فان التوفيق هل هو كسبي للعبد وهل الى اقتنا
صه سبيل ام لا والاعمال كلها تبع للقدر واختارت الحكما اربع كلمات
من اربع كتب من التوراة من قنع شبع ومن الزبور من سكت
سلم ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن القران ومن يعتصم بالله
فقد هدي الى صراط مستقيم الحلم شرف والصبر ظفر والمعروف كنز والجهل
سفه والايام دول والدهر عبر والمرء منسوب الى فعله وما حوذ
بعمله اصطنع المعروف تكتسب الحمد اكرموا الجليس يعمر ناديكم انصفوا

من

من انفسكم يوثق بكم اياكم والاخلاق الدنيه فانها تقنع الشرف وتهدم
المجد تهنهة الجاهل الهون من جريرة راس العشيره حمل اثقالها واجمعت
حكما العرب والعجم على اربع كلمات قالوا لا تحمل بطنك فوق ما لا يطيق
ولا تعمل عملا ما لا ينفعك ولا تغتر بامراة ولا تثق على ثوب الباب
الخامس عشر في بيان الخصلة التي يعز بها السلطان وهي الطا
عه قال ملك فارس لموبذان موبذ ما شيء واحد يعز به السلطان
قال الطاعه قال فما املاك الطاعه قال التودد الى الخاصه والعدل على
العامه قال صدقت وكان يقال الامانه معقل الطاعه والطاعه
زينة المملكه وكان يقال طاعة السلطان على اربعة اوجه على الرغبة
والرهبة والمحبة والديانة ولما دخل سعد العشيرة على بعض ملوك
حمير قال له يا سعد ما صلاح الملك قال معدلة شايعة وهيبة
وازعة ورعية طايعة فان في المعدلة حياة الانام وفي الهيبة نفي الظلام
وفي طاعة الرعيه التالف والالتيام طاعة الايمة فرض على كل رعيه
طاعة السلطان مقرونة بطاعة الله تعالى اتقوا الله لحقه والسلطان
بطاعته من اجلال الله تعالى اجلال السلطان عادلا كان ام جايرا
الطاعه تولف شمل الدين وتنظم امر المسلمين عصيان الايمه يهدم
اركان الملة الطاعه ملاك الدين الطاعه معاقل السلامه وارفع
منازل السعادة الطاعه الطريقة المثلى والعروة الوثقى قوام الامه
وقيام السنه بطاعة الايمه الطاعه عصمة من كل فتنة ونجاة من
كل شبهة طاعة الايمة عصمة لمن لجا اليها وحرز لمن حل فيها ليس على
الرعيه ان تعترض الايمة في تدبيرها وان سولت لها انفسها بل عليها

الانقياد على الايمة الاجتهاد بالطاعة تقام الحدود وتؤدى الفرايض و تحقن
الدماء وتامن السبل اول الناس بطاعة السلطان ومناصحة اهل الدين
والنعم والمروات اذ لا يقوم الدين الا بالسلطان ولا تكون النعم والحرم محفوظة
الا به الامامة عصمة للعباد وحياة للبلاد اوجب الله لهم خصه بفضلها
اوحمله عبئها الطاعه فقرنها بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
طاعة الايمه هدى لمن استضاء بنورها ومؤيل لمن حافض عليها النجا
ج من الطاعه منقطع العصمة بري من الذمه مبدل بالكفر النعمه
طاعة الايمه حبل الله المتين ودينه القويم وجنته الواقيه وكفايته
العاليه اياكم والخروج من ربق الطاعه الى وحشة المعصيه ولا تضروا
غش الايمه وعليكم بالاخلاص والنصيحه ما مشا قوم الى السلطان
ليذلوه الا اذلهم الله تعالى قبل ان يموتوا الطاعه مقرونة بالمحبه طاعة
المحبه افضل من طاعة الهيبة للرعيه على السلطان الاستصلاح لهم
والتعهد لامورهم وحسن السيرة فيهم والعدل عليهم والتعديل
بينهم وحق السلطان عليهم الطاعه والاستقامه والشكر والمحبة
وبالرعية من الحاجة الى الراعي ما ليس بالراعي من الحاجه اليهم لولا الر
عاة هلكت الرعيه ولولا المسيم هلك السوام والهوام **الباب**
السادس عشر في معرفة الخصال التي هي ملاك امور السلطان قال
سليمان بن داود عليهما السلام الرحمه والعدل يحرزان الملك وقال زياد
ملاك السلطان ثلاثة اشياء الشدة على المذنب والمجازات للمحسن و
صدق القول والمغرا بوصرف والاكتفاء ملك الروم واخرب بلاده

وقتل

وقتل جنوده وافنى بطارقته قال له ملك الروم انك قد قتلت واخربت
فاخبرني ما الامر الذي تسببت به حتى قويت على ما اردت ونلت في السياسة
ما لم يبلغه ملك قبلك فان كان مما يضبط الامر عملته وديت لك الخراج وصرت
كبعض الرعية في الطاعة لك فقال له سابور لم ازد في السياسه على ثمان
خصال لم اهزل في امر ولا نهي ولم اخلف في وعد ولا وعيد وليت اهل
الكفاية واثبت على الغنى لا على الهوى وضربت للذنب لا للغضب واودعت
قلوب الرعيه المحبة من غير جراة والهيبة من غير ضيعة وعممت بالقوت
ومنعت الفضول فاذعن له وادى اليه الخراج **وكتب** الوليد الى الحجاج
ان يكتب اليه بسيرته فكتب اليه اني ايقضت راي واتممت هواي واديت
السيد المطاع في قومه ووليت الحرب الحازم في امره وقلدت الخراج
الوفي لامانته وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه ضما من نظري
ولطيف عنايتي وصرفت السيف الى البطر المسي فخاف المذنب صولة
العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب وقال ابو عبيدة اذا كان
الملك محصنا لسره بعيدا من ان يعرف ما في نفسه متخيرا للوزراء هيبا
في النفس العامه مكافيا بحسن البلا لا يخافه البري ولا يامنه المجرم
كان خليقا ببقاء ملكه **الباب السابع عشر في معرفة خير السلطان**
من شره افضل الملوك من كان شركة بينه الرعايا لكل واحد منهم فيه
قسطه ليس احد احق به من احد لا يطمع القوي في ضيعة ولا يياس الضعيف
من عدله وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم تاخذ بيده الامة من اماء
المدينة فتطوف به على سكك المدينة حتى يقضي حاجتها **وفي حكم الهند**
افضل الملوك من امنه البري وخافه المجرم وشر الملوك من خافه البري

وامنه الجرم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمغيرة بن شعبة لما ولاه
الكوفة يا مغيره ليامنك الابرار ويخفك الفجار وفي حكم الهند ايضا قا
لوا شر المال مالم ينفق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه
البري وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا امن وخير السلطان ما اشبه
الشر حوله الجيف لا من اشبه الجيفه حولها السود وعن هذا المعنى
قالوا السلطان تخافه الرعيه خير للرعيه من سلطان يخافها وفي الامثال
العامه وهبوت خير لك من رحموت وكان يقال شر خصال الملوك
الجبن عن الاعدا والقسوة على الضعفا والبخل عن الاعطا وقال عمر
بن الخطاب رضي الله عنه ثلاثة من الفواقر جار ملازم ان راى حسنة
ستر ها وان راى سيئة اظهرها وامراة ان دخلت عليها لسنتك وان
غبت عنها لم تامنها وسلطان ان احسنت لم يحمدك وان اسات قتلك
وقال رجل لبعض الحكما متى اضل وانا اعلم فقال اذا ملكتك امراتك
اطعتها ذلوك وان عصيتها قتلوك وقال ابو حازم لسليمان بن
عبد الملك السلطان سوق ما نفق عنده اتي به وفي كتاب بن المقفع
الناس على دين الملك الا القليل فان يكن للبر والمروة عنده نفاق ور
فستكسبه بذلك الفجور والدناة في افاق الارض وسمع زياد رجلا يذم
الزمان فقال لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ان الزمان هو
السلطان وقال معويه لابن الكوا صف لي الزمان فقال انت الزمان
ان تصلح يصلح وان تفسد يفسد والمثل السايرفي كل زمان وعلى كل
لسان الناس على دين الملك وقال بعض الحكما ان احق الناس ان يحذر
العدو الفاجر والصديق الغادر والسلطان الجاير وقال بزرجمهر

النقب صحبة السلطان السي الخليقه وقال بعض الحكما اذا ابتليت
بصحبة سلطان لا يريد صلاح رعيته فقد خيرت بين خلتين
ليس فيهما خيار اما الميل مع الوالي على الرعيه فهو هلاك الدين واما
الميل مع الرعيه فهو هلاك الدنيا فلا حيلة له الا الموت او الهرب
منه وقالوا الملك العادل كالنهر الصافي ينتفع به الاشرار والاخيار ولا
يضر احدا والملك السوء مثل الجيفه يسرع اليها شرار الحيوان ويتحاموها
الناس ولا يقربونها الباب الثامن عشر في منزلة السلطان
من القران روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه ليزع با
لسلطان ما لا يزع بالقرآن معناه ليدفع وقال كعب مثل الاسلام
والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والاطناب والاوتاد فا
لفسطاط الاسلام والعمود السلطان والاطناب والاوتاد الناس لا
يصلح بعضهم الا ببعض وقال زرشير يا بني ان الملك والدين اخوان
لا غنا باحدهما عن الاخر فالدين اس والملك حارس وما لم يكن له
اس فمهدوم وما لم يكن له حارس فمضايع يا بني اجعل السلطان حديثك
مع اهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد وسرك لاهل الدين وسرك لمن
عناه ما عناك ولتكن من اهل العقل وكان يقال الدين والسلطان
توامان الباب التاسع عشر في خصال جامعة لامر السلطان
قالوا ظفر الملك بعدوه على حسب عدله في رعيته وركونه في حروبه
على حسب جوده في عساكره واصلاح الرعيه انفع من كثرة الجنود وقالوا
تاج الملك عفافه وحصنه نصافه وسلاحه كفاته وماله رعيته و
قال حكما الهند لا ظفر مع بغي ولا صحة مع تهم ولا شامع كبر ولا شرف

مع سوء ادب ولا بر مع تمح ولا اجتناب محرم مع حرص ولا ولاية حكم مع
عدم فقه ولا سودد مع انتقام ولا اثبات ملك مع تهاون وجهال
وزر وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه خطب وقال ايها الناس انه
لا احراتوى عندي من المظلوم حتى آخذ له بحقه ولا اضعف من
الظالم حتى آخذ الحق منه وقيل للاسكندر بم نلت ما نلت قال
باستمالة الاعداء والاحسان الى الاصدقاء وقال بزرجمهر سو
سوا احوال الناس بمحض المودة والعامة بالرغبة والرهبة والسفلة
بالمخافة وقال المؤيد بتلك السياسة التي فيها صلاح الملك الرفق
بالرعية واخذ الحقوق منهم في غير مشقة وسد الفروج من السبل وان
ينصف المظلوم من الظالم ولا يحمل القوي على الضعيف وقال الوالي
من الرعية كالروح من الجسد لا حياة الا به وكالراس من الجسد الرعية
لا بقاء له الا به ويعد الوالي من اصلاح الناس مع افساد نفسه
كبعد الجسد من البقاء بعد ذهاب راسه والسلطان حقيق ان
يعود نفسه الصبر على من خالف رايه من ذوي النصيحة والتخرع
لمرارة قولهم ولا ينبغي ان يحسد الوالي على حسن التدبير ولا يكذب
لان اصل لا يقدر على استكراهه ولا يغضب لان الغضب والقدرة
لقاح الشر والندامة وان لا يبخل لانه اقل الناس حوفا من الفقر
وان لا يحقد لان قدره يجل عن المجازاة ولا ينبغي للوالي ان يستعمل سيفه
فيما يكتفي فيه بالسوط ولا سوطه فيما يكتفي فيه بالسجن ولا حبسه بما
يكتفي فيه بالجفا والوعيد وقال معوية اني لاضع سيفي حيث يكتفي
سوطي وسوطي حيث يكتفي لساني ولو ان بيني وبين الناس شعرة

ما انقطعت اذا مدوها وانما خلوها مدوها ونحو هذا قال الشعبي
كان معوية كالجمل الطب والجمل الطب هو الحاذق بالمشي لا يضع يده
الا حيث يبصر وينبغي له ان يعلم رعيته انه لا يصاب خير الا باعانته
له على الخير ولا ينبغي له ان يدع تفقد صغير امور الرعية اتكالا على
نظره في جسيمها فان للطيف موقعا ينتفع به وقد اتى الله تعالى
ملك الدنيا سليمان بن داود عليهما السلام لم تفقد الطير فقال مالي
لا ارى الهدهد ولان التهاون في اليسير اساس الوقوع في الكبير وقد
قال الشاعر لا تحقرن شبيبا كم جر شر شبيب ه وقالوا
اصل الاشيا كلها شئ واحد فلا يدع مباشرة جسيم اموره فللجسيم
موضع ان غفل عنه تفاقم ولا يلزم نفسه مباشرة الصغير ابدا
فيضيع الكبير وقال زياد لحاجبه ليتك حجابتي وعزلتك عن
اربع المؤذن للصلاة وصاحب الطعام فان الطعام اذا اعيد
تسخينه فسد وصاحب الليل لليل ذهاب وصاحب البريد فانها
ون بالبريد عنه بخريب عمل سنة وقال ابو العباس السفاح لا عملن
اللين حتى لا ينفع الا الشدة ولا كرمن الخاصة ما امنتهم العامة ولا
عمدن سيفي حتى يسله الحق ولا عطين حتى لا ارى للعطية موضعا
وقال ابو شيخ لما كمل ملكه وابادا عداه انه لم يحكم حاكم على العقول كا
لصبر ولم يحكمها محكم كالتجربة وليس شئ اجمع للعقل من خوف وحاجة
يتامل بهما صفحات حاله وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول
ان هذا الامر لا يصلح له الا اللين في غير ضعف والقوة من غير
عنف وقال الاصمعي قال لي الرشيد هل تعرف كلمات جامعات

مكارم الاخلاق يقل لفظها ويسهل حفظها يكون لاعراضها لفقا ولمقاصدها
وقفا تشرح المستبهم وتوضح المستعجم فقلت نعم يا امير المؤمنين دخل اكثم
بن صيفي حكيم العرب على بعض ملوكها فقال له اني سائلك عن اشيا لا
تزال بصدري مضلجة ومايزال الشكوك عليها والجة فابتئني بما
عندك فيها فقال ابيت اللعن سالت جبيرا واستنبات تصيرا
والجواب بشغفة الصواب فاسئل عما بدا لك فقال ما السودد قال
اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة قال فما الشرف قال كف الاذا
وبذل الندا قال فما المجد قال حمل المغارم وابتناء المكارم قال
فما الكرم قال صدق الاخا في الشده والرخا قال فما الحزم قال شدة
العضد وثروة العدد قال فما السماحه قال بذل النايل وحسن
السايل قال فما الغنى قال الرضى بما يكفي وقلة التمني قال فما الرأي
قال لب تعينه تجربه فقال له الملك اوريت زنادي بصيرتي واذكيت
نار حيرتي فاحكم قال لكل كلمة بحجة قال هي لك قال الاصمعي فقا
لـ الرشيد ولك بكل كلمة بدرة فانصرفت بالثمانين الفا وكان
قسم له ساعدة يدل على كرم ويكرمه فقال له يوما ما افضل
العقل قال معرفة الرجل بنفسه قال فما افضل العلم قال وقوف
الرجل عند علمه قال فما افضل المروه قال استبقاء الرجل ماء وجهه قال
فما افضل المال قال ما قضى به الحقوق **الباب العشرون**
في معرفة الخصال التي هي اركان السلطان قال ابو جعفر المنصور
ما احب اني اكون على ما بي اربعة لا يكون على ما بي اعف منهم قيل من هم
يا امير المؤمنين قال هم اركان الملك ولا يصلح الملك الا بهم كما ان السرير لا يصلح

لا يصلح الاباربع فان نقصت منها واحدة عابه احدهم قاض لا ياخذه في الله لومة
لايم والاخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي والثالث صاحب
خراج يستقصي ولا يظلم الرعيه فاني غنى عن ظلمهم ثم عض على اصبعه السبابة
ثلاث مرات يقول في كل مرة اه اه قيل ما هو يا امير المؤمنين قال صاحب
بريد يكتب بخبر هو لا على الصحه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يصلح
الوالي الاباربع خصال ان نقصت واحدة لم تصلح له امره قوة على جمع المال
من ابواب حله ووضعه في حقه وشدة لا جبروت فيها ولين لا وهن فيه

الباب الحادي والعشرون في حاجة السلطان الى العلم

قال ابو المقفع اذا اكرمك الناس لمال او سلطان فلا يعجبنك ذلك فا
نه زوال الكرامه بزوالهما ولكن يعجبك ان اكرموك لعلم او ادب او دين
واعلم ارشدك الله ان احوج الناس الى الفقه اكثرهم عيالا واتباعا
وحشما واصحابا واخلق كلهم مستمدون من السلطان الخلايق
السنيه والطرايق العليه مفتقرون اليه في الاحكام وقطع التشاجر
وفصل الخصام فهو احوج خلق الله الى معرفة العلوم وجمع الحكم وشخص
بلا علم كبلد بلا اهل واقضل ما في السلطان خصوصا وفي الناس عموما
محبة العلم والتحلي به والتشوق الى سماعه والتعظيم لحملته فان ذلك دليل
على قوة الانسانيه فيه وبعده من البهيميه ومضاهاتها للعالم العلوي
وهو من اوكد ما يتحبب به الى الرعيه واذا كان الملك خاليا من العلم ركب
هواه واضر برعيته كالدابه بلا رسن تمر في غير طريق وقد تتلف ما تمر
عليه واعلم ان زهو الفضايل وحسن المناقب وبها المحاسن وما
ضاد ذلك من اقبح المثالب وفحش الرذايل كل ذلك يظهر عليك و

يعظم منك بقدرها او تيقنه من علو المنزله وشرف الحظوة فيكون حسنك
احسن مايكون كما يكون قبحك اقبح وليس احد من اهل الدرجات السنيه و
المراتب العليه احوج الى مجالسة العلما وصحبة الفقها ودراسة كتب العلوم
والحكم ومطالعة دواوين العلما ومجامع الفقها وسيرة الحكما من السلطان
وانما يكون ذلك كذلك بمطالعة دواوين العلما لوجهين احدهما انه قد
نصب نفسه لممارسة اخلاق الناس وفصل خصوماتهم وتعاطي حكومـ
تهم وكل ذلك محتاج الى علم بارع ونظر ثاقب وبصيرة بالعلم قوية ودرا
سة طويلة فكيف تكون حاله ان لم يعد لهذه الامور عدتها ولم
يقدم لها اهبتها والثاني ان من سواه من الناس لا يعدمون من
يكشر عليهم ويعارضهم ويذكرهم مساويهم ويخالفهم في مذاهبهم فيكون
ذلك مما يعينهم على رياضة انفسهم وتعليمهم مراشدهم ومناظرة الاكفا
ومعاشرة النظرا تلقيح للعقول وتهذيب للنفوس وتدريب لماخذ
الاحكام بخلاف السلطان لان ارتفاع درجته تقطع عنه جميع ذلك اذ
لا يلقاه ولا يجالسه الا معظم لقدره ومبجل لشانه وساتر لمساويه وما
دح له بما ليس فيه وانما جوابهم له صدق الامير وعلى قدر علو المرتبه
تكون قبح السقطه كما ان على قدر ارتفاع الحايط يكون صوت الوجيه

فصل ويا ايها الملك ليس احد فوقان يوصى بتقوى الله تعالى
ولا احد دونه الا يامر بتقوى الله تعالى ولاحد اجل قدرا من ان يقبل
امر الله تعالى ولا ارفع خطرا من ان يتعلم حكم الله تعالى ولا اعظم شانا
من ان يتصف بصفات الله تعالى ومن صفاته جل ذكره العلم الذي
وصف به نفسه وتمدح بسعته فقال عز من قايل وسع كرسيه السموات

والارض والكرسي العلم والكراسي العلما واذا كان العلم فضيلة وغبطة الملوك
والاشراف وذوي الاقدار والشيوخ فيه اولى لان الخطا منهم اقبح والابتلا
بالفضيلة فضيله حكي ان ابراهيم بن المهدي دخل على المامون وعنده
جماعة يتكلمون في الفقه فقال ياعم ما عندك فيما يقول هؤلاء فقال
يا امير المؤمنين تشغلونا في الصغر واشتغلنا في الكبر فقال المامون
لم لا تتعلم اليوم فقال ايحسن بمثلي طلب العلم فقال نعم والله ليس
تموت طالبا للعلم خيرا من ان تعيش قانعا بالجهل قال والى متى يحسن
بي طلب العلم قال ما حسنت بك الحيوة وروى ان بعض
الحكما راى شيخا يجب النظر في العلم ويستحي فقال يا هذا استحي
ان تكون في اخر عمرك افضل مما كنت في اوله لان الصغير لعذر وان
لم يكن في الجهل عذر وفي منثور الحكم جهل الشباب معذور وعلمه محقور
فاما الكبير فالجهل به اقبح ونقصه عليه افضح لان علو السن اذا
لم يكسبه فضلا ولم يفده علما كان الصغير افضل منه لان الا
مل فيه اقوى وحسبك نقيصة في رجل يكون الصغير المساوي له
في الجهل افضل منه وكل ما ذكرنا من حاجة الشيخ الى العلم فحاجة
السلطان اليه اكثر ودواعيه الى اكتسابه اشد لان من عداه
انما يخصه نفسه واحدة ويفوت عليه تحصيل ما يقوم بها به والملك
منتصب لسياسة اهل مملكته وتقويم اودهم فهل العلم احوج
وقد قال الشاعر

اذا لم يكن من السنين مترجما ... عن الفضل في الانسان سميته طفلا
ارى الدهر من سوء التصرف مايلا ... الكل ذي جهل كان به جهلا

* وما ينفع الاعوام حين تعدهم * ولم تستفد فيهم علما ولا عقلا *

وقال بعض الحكما كل علم لا يوطؤه علم مذله وكل علم لا يؤيده عقل مضله
وكيف يستنكف ملكا او ذو منزلة عليه عن طلب العلم وهذا موسى عليه السلام
الرتحل من الشام الى مجمع البحرين فاقتصى المغرب على بحر الظلمات الى لقا الخضر
عليهما السلام ليتعلم منه فلما ظفر به قال له هل ابتعدك على ان تعلمني
مما علمت رشدا هذا وهو نبي الله تعالى وكليمه وهذا محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصفوته من جميع خلقه قد وصاه ربه سبحانه وعلمه كيف
يستنزل ما في خزائنه فقال تعالى وقل رب زدني علما فلو كان في خزا
ينه اشرف من العلم لنبهه عليه وهذا ادم عليه السلام لما فخرت
الملايكة بتسبيحها وتقديسها لربها تعالى فخر ادم عليه السلام فقال يا لعلم
البثوتي يا سماء هؤلاء ان كنتم صادقين فلما عجز القوم امرهم بالسجود
واخلق بفضيلة تستدعي السجود لحاملها ان يتنافس كل ذي لب نيلها
وهذا فصل الخطاب لمن تدبره ولا يتصور لك عذر بما روي في بعض
الاخبار مثل الذي يتعلم العلم في الصغر كالرسم على الحجر والذي يتعلمه
في الكبر كالرسم على الماء فقد سمع الاحنف رجلا يقول التعلم في الصغر
كالنقش في الحجر فقال الاحنف الكبير اكبر عقلا ولكنه اشغل قلبا
فحص عن المعنى ونبه على العلم وقد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يسيلون شيوخا وكهولا واحداثا وكانوا يتعلمون العلم والقران و
السنن التعلم وهم بحور في العلم واطوادا لحكمة ومعادن الفقه غير
ان التعلم في الصغر ارسخ اصولا وابسق فروعا وليس اذا لم يحزه كله
يفيته كله وقال رجل لابي هريرة رضي الله عنه اريد ان اتعلم واخاف

حكى سليمان الاكلبي قال بعث الي
هشام بن عبد الملك وهو بالرصافة فاتيته
فلما دخلت عليه اومأ الي ان اجلس
فاصغيت عليه حتى سكن حاشى فقال
انه بلغني عنك فضل واذا بلغني عنك فضل
من غيرك مثل الذي بلغني عنك سارعت
اليه بكل جايحة واستفتيته على
جميع امورك واعلم انك مجبور
امير المؤمنين فاما الذي بلغه
جليته ما بين عينيك واما الذي
بلغه من فضلك
وعلمك والنظر فيها بما يصلح الله
ولاكا امير المؤمنين فقد

ان اصيغه فقال ابو هريرة كفى بترك كله تضييعا وبعض الخير خير
من كل الشر وانما مثل الجاهل يحب عيب الجهل مثل الجمال يحمل الحمل الثقيل
فاذا هو اعي نقصه قليلا قليلا يوشك ان ينقصه كله فيستريح منه وان هو
لم يطرح القليل حتى يطرح الكثير فما اوشكه ان يصرعه جملة وكذلك الجاهل
اذا تعلم قليلا قليلا يوشك ان يابى على بغيته وان لم يتعلم في الكبر لما
فاته في الصغر فاوشك ان يموت تحت عيب الجهل قال الشاعر

* ولا خير في من راح ليس بعالم * بصير بما يابى ولا المتعلم *
* لعمرك ان العلم افضل زينة * من الحلة الحسنا عند التكلم *

غيره

* ما اجمل العلم على عالم * لم يغد في مذهبه يتربا *
* واقبح الجاهل لو انه * قد ملك المشرق والمغربا *
* فاطلب هديت العلم تحظ به * لا مرحبا بالجهل لا مرحبا *

وقال بعض الحكما انا لم نطلب العلم لنحيط به ولكن لنستكثر من
الصواب ونستقل من الخطا

الباب الثاني والعشرون

في وصية امير المؤمنين علي كرم الله وجهه لكميل بن زياد بالعلم

واهله قال كميل بن زياد النخعي خرجت مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه
الى الجبان فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال لكميل بن زياد القلوب اوعية
فخيرها اوعاها للخير احفظ عني ما اقول لك الناس ثلاثة فعالم ربان
ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم
يستضيئوا بنور العلم ويلجوا منه الى ركن وثيق العلم خير من المال لانه
العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال تنقصه

والبسط والايد بكم بالفضل وجوهكم
بالبشر فانكم ملقوون الناس وسوق والاسلام
ولهشوش اعطاكم ولا يعدمون لرفد نداه الا في فشل ولا يثيرون
ملتمسا والا طاعاكم فان ذكرتم عيبه هو دكم الى غيركم فانزلكم عنها
ليسركم الى ما يضركم فان ذكرتم عيبه هو دكم الى غيركم فانزلكم عنها
او وقوره فادخل عليه بعض اهله حتى يكره
برجله الى مجلس ادبه خزه لهذا كلمة وزده من
عندك ما رأيت انه اخزى واحرى الى ان يكف عنك والا فان لكل
وبعد اليوم فان رأيت الموت يتلمس عليك فانك
عليه رؤى الثوابت الموتى فان لكل عقله الذي
الاخرى فلا تلمهم الا نفسك وقد اجربت بكر كل
شهر الف دينار

والعلم حاكم والمال محكوم عليه ومحبة العالم دين يدان الله به يكسبه الطاعه
في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته مات خزان المال وهم احياء والعلما
باقون مابقي الدهر اشخاصهم مفقوده وامثالهم في القلوب موجوده هاه ان
هاهنا واشار بيده الى صدره علما جما لو اصبت له حمله بل قد اصبت له
لقنا غير مامون عليه يستعمل الدين للدنيا فيستظهر بحجج الله على كتابه او
كما قال وبنعمة الله على عباده او منقاد لاهل الحق لا بصيرة له في احيايه
ينقدح الشك في قلبه بارد عارض من شبهة الا اذا ولا اذاك او منهوم
باللذات سريع الانقياد للشهوات او اخر شأنه جمع المال والادخار
ليس من دعاة الدين اقرب شبها بهم الانعام السائمة البهيم وكذلك
يموت العلم بموت حامله ولكن لا تخلو الارض من قائم لله بحجة لئلا
تبطل حجج الله وبيناته ومن اولئك الاقلون عددا الاكرمون عند الله
بهم يحفظ الله حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم
قد باشرت الحكمة قلوبهم فاستلانوا ما استوعره المترفون واستانسوا بما استوحش
منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك
خلفاء الله في بلاده والدعاة على عباده ودعاته الى دينه هاه هاه واشوقاه
الى رؤيتهم الباب الثالث والعشرون في معرفة العقل و
الهوى والخبث والمكر قد ذكرت في كتاب الاسرار حقيقة العقل و
اقسامه ومحله واحكامه بما لا مزيد عليه ونذكرها هنا منافعه
ومدركه ولباب ما يجوز فيه من العقول انه بالاستشهاد بالشاهد
على الغايب فمن كان في طوقه ان يستشهد بما شاهد على ما غاب كان له

www.al-maktabeh.com

عقل وسمي عاقلا عند الموحدين وبه يتوجه التكليف عليه وذلك
ان من نظر الى قصر قد كمل بنيانه وحصنت اركانه وجعلت فيه الآ
لات ما يكتفي به سكنوه فاشرف عليه انسان فراى بيوتا مقطوعة
وابوابا منصوبة وفرشا مفروشة وزرابي مبثوثة وموايد موضوعة
وصحافا مصفوفة واريكا منضوده وحجالا ممدوله ولؤلؤ وساو
اباريق وبيوت ماء بلاليع ومياريب لصب الماء وتحتها بالاليع لغياض
الماء وطيقان للضيا للواقع ومداخن للدخان الخارج ومنافس
للرياح والهوى الى سايرما يستعده العقلا للانتفاع ثم فكر هل هذا
القصر عاحواه صنعة صانع فيستقر في عقله بالضرورة استحالة
وجوده من غير صانع وانه مفتقر الى صانع صنعه وهذا علم
بهجم على العقول لا يفتقر الى نظر واستدلال وانما كثرت لك هذه
الامثله لان ما في الانس من المنا فس والاعضا ولطيف الصنعه
والعجايب اكثر مما في القصر باضعاف مضاعفة فاذا نظر الى نفسه
فراى ما فيها من العجايب اكثر مما في القصر باضعاف مضاعفة
والتركيبا ومنفعة كل عضو وتخصيصه اما بجلب نفع او دفع مضرة
فليتامل نظره في عضو واحد مثلا وهو فمه فيرى من اوله اسنا
فا شبيهة الفاس تفصل للقطع وفي اخره طواحن مضرسة تفصل
للطحن وشدقيه كانهما ثقال الرحا يمنعان ان ينهرق الطعام
الى خارج ولسان يرد ما انقلب من الطعام اليه على الطواحن ثم يلي
ذلك بلعوم يصلح لازدراد هذا الطحين علم بادنى تامل ان هذه
السلسلة ما اتفقت بنفسها اتفاقا بل هي مفتقرة الى قصد

الى ان عرضت عليها امنية وهب
فقالت واللات والعزى انها لنذيرا
او نذير فقولت محمد اصطفاه الله عليه
وسلم ثم عرضت عليها رجالات بني
زهره واحدا واحدا تخبر عنهم عما
يكون منهم الى ان عرض عليها عتبة
بن ابي وقاص فقالت اف وتف
وصرب وخف قبل لها وما ذاك
قالت صفاة في جهنم من قام عليها
اذا بلت مسامعه في الويلها وما
جهنم قالت انتظروا فانى بواد
منكرم قالت كفوا عني فاني اخاف
البلا فوالذي فلق البحر وسطح البر
ليبلغن يوما يذهلكم عن التنعيم
ويدخلكم الجحيم ثم قالت يا فضيلة
يا حميا ليه لو كان هذا الوحي في زماني
لكنت اعلم اسعد ممن لم يعلم حتى
ماتت فخرج عليها في جنازتها
مائة جارية عذراء من ولدها
ومن ولد ولدها من سوى البنت

قاصد وجعل جاعل وعلى هذا النمط لو ذهبنا نذكر منفعة كل عضو لو
قفت على عجب ولكن تركناه خشية التطويل لمعرفة صانع الخلق للصانع يعلم
بالاستدلال والنظر المرتب على المفرد وعلى هذا المعنى نبه الكتاب
المهيمن فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وبهذه العبرة تشتغل العقول
باثبات الصانع في الشاهد مثل البنا والنجار والخياط واشباههم بعد
النظر في صنايعهم على اضطرار العلم المثبت للصانع سبحانه عند النظر
في حدوث العالم علم استدلال اعتبارا للغايب بالشاهد اذ لا فرق
في العقول بين صنعة وصنعة في اقتضاء صانع وانما كان العلم في
الشاهد ضروريا لان الانسان لم يزل يرى البناء يبني والخياط يخيط
والنجار ينجر الخشب ولم يرى العقل القديم سبحانه يخلق ويخترع
وانما استفادوه من النظر في الشاهد فان قيل فاي العلمين اقوى
في النفوس وابثت في العقول عند النظر في السرين واقتضائه للنجار ام
العلم لله سبحانه عند النظر في السموات والارض وما بينهما فالجواب
ان هذا يستدعي تفصيلا وتدقيقا وليس هذا الكتاب موضوعا لذلك
فحينئذ يعلم ان معه عقلا عزيزا وتسميته عقلا توجب التكليف
عليه وهو العقل التكليفي واذا ثبت هذا فاعلم ان الله سبحانه خلق
الحيوان على اربعة انحاء ملايكة وادميون وشياطين وبهايم فاما
الملايكة ففعقل بلا شهوات ولا هوى يقارنه واما البهايم فشهوات بلا
عقل عقول واما الشياطين والجن والانس فركب الله فيها العقول
والشهوات والهوى وهكذا ركب الله في بني ادم العقل والهوى والشهوة
فغلبت شهوات الشياطين وهواهم عقولهم فقطعوا اوقاتهم بالاخلاق

المذمومه

المذمومه الكبر والعجب والمقت والفخر والدعوى والحسد وسائر الاخلاق
المهلكه واما البهايم فتقتضت اوقاتها في الشهوات البطن والفرج و
اما الادميون فركب الله تعالى فيهم عقول الملايكة واخلاق الشياطين
وشهوات البهايم فمن غلب عقله هواه منهم فكانه من عالم الملايكة
كالانبيا والرسل عليهم السلام والاوليا والاصفيا وقليل ماهم واما
من كان عقله مغلوبا بهواه وشهواته فان ذلك في المباحات من
المطاعم والملابس والمراكب والنسا والخيل المسومه والانعام والحرث
ياكل ويتمتع بعد ان كسبه من حله فهذا من عالم البهايم وانما الحقناه
بعالم البهايم لانه لا تكليف عليها وكذلك هذه المباحات لا حرج في الاستمتا
بها بعد ان يكون كسبها من حلها وان كان الغالب عليه اخلاق
الشياطين من الكبر والعجب والحسد والغش الى ساير الاخلاق
المذمومه فهذا من عالم الشياطين فان اجتمع في الشخص الواحد افراط
الشهوات واتباع الهوى والاخلاق المذمومة فيكون ادميا في صورة شيطانا
في اخلاقه بهيمة في شهواته ولا يصلح للصحبة فاذا ثبت هذا فاعلم ان
العقل الغريزي وهو نهاية المعرفة واصابة الفكر وليس له حد ينتهي اليه
لانه ينمي ان استعمل وينقص ان اهمل وغاؤه يكون باحد وجهين اما
ان يقارنه من مبدا النشاة ذكاء وحسن فطنة كالذي قال الاصمعي
قلت لغلام حدث من اولاد العرب كان يحادثني فاستغنى والله بقصا
حته وملاحته ايسرك ان يكون لك مايه الف درهم وانك احمق قال لا والله
قلت ولم قال اخاف ان يجني علي حمقي جناية تذهب بمالي ويبقى علي
الما لم اجده الا مر فاقامت
عليها فانفق ان الاصمعي
اشترى جارية فغلبها على
وعلى حظاياه وشغلها عن سواها
واشتغل بها عن كل
عرض يشغله حتى كاد الذين حوله
غيرها ظلها وكان اول
مشغوفا فانفك بجاريته العاهره
الفاسقه الفاجره فلما
اعرض عن بثك بجاريته
المنعه الجامل المجده

www.alabulgaa.com

حمقى فاستخرج هذا الصبي بفضل ذكائه ما يدق على من هو اكبر منه بسنا وقيل
لبعض الصبيان الكذاب قال كاني عيسى بن مريم وقد قال الحكما العقل سرعة
الفهم وغاية اصابة الوهم وليس للذكا غاية ولا لجودة القريحة نهاية الا ترى
ان اياس بن معويه الذي يضرب المثل بذكائه قال لابيه وهو طفل وكان
ابوه يوثر اخاه عليه يا ابه تعلم ما مثلي ومثل اخي معك كمثل فرخ الحمام
اقبح ما يكون اصغر ما يكون وكلما كبر ازداد ملاحة وحسنا فبنى له العلا
لي وتتخذ له المربعات فتستحسنه الملوك ومثل اخي كمثل الجحش الصغير
املح ما يكون اصغر ما يكون وكلما كبر قبح وصار للقهقرى انما يصلح الحمل
الزبل والتراب والوجه الثاني ما يحصل لذوي الحنكة وصحة الروية بطول
ممارسة الامور وكثرت التجارب ومر ور العبر على اسماعهم وتقلب الايام
وتقرف الحوادث وتناسخ الدول وقد مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدت
لاسماعهم انواع الاخبار واثار الغير قال بعض الحكما كفى بالتجارب ادبا و
بتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل والعثرة ثمرة الجهل و
لذلك حمدت اراء الشيوخ حتى قالوا المشايخ اشجار الوقار وينابيع الاخبار
لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وعليكم بارا المشايخ فانهم ان فقدوا
ذكا الطبع فقد افادتهم الايام حنكة وتجربة وقال الشاعر

الم تران العقل زين لاهله ولكنه تمام العقل طول التجارب
والحزم ان تتهم كل امر مريب في غرافة افادت له الايام في كرها عقلا
غير ان للعقل آفات كما قال بعض الحكما وكيف يرجو العاقل النجاه والهوى والشيطان
قد اكتنفاه والهوى العدو امر ان ينفذ فيه حيلة الحازم المحتال وهو اغمض

مسلكا في الجثمان من الروح في الجثمان واملك للنفس من النفس والمالك
للشيء ولهذا قيل كم من عقل اسير في هوى امير فمن اختار ان يكون حرا فلا
يهوى والا صار عبدا كما قال علي بن الجهم رحمه الله

انفس حرة ونحن عبيد ان رق الهوى لرق شديد

واختلف الناس في العقل المكتسب اذا تناهى وزاد في الانسان هل يكون فضيلة
ام لا فقال معظم العقلا انه فضيلة لانه اذا كان فضيلة مجموع احاد والا
حاد فضايل ولا شك ان كثرة الفضايل فضيلة وانما الشيء المحدد يكون
الزيادة نقصا من الحد وذكا تهور في الشجاعه والتبذير في الكرم
فاما الزيادة في العقل المكتسب فزيادة علم بالامور وحسن اصابة الظنون
ومعرفة ما لم يكن بما كان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل
الناس اعقل الناس وقال عليه السلام العقل حيث كان الف مالوف و
قال القاسم بن محمد من لم يكن عقله اغلب خصاله الخير عليه كان حتفه
في اغلب الخصال عليه الا ترى انه لما مات بعض الخلفا جيشت الروم
واجتمعت ملوكها وقالوا الان تشتغل الملوك بعضها ببعض فتمكننا الغرة
منهم والوثبة عليهم فحزبوا في ذلك مشاورات وتراجعوا فيه بالمناظرات
واجمعوا على انه فرصة الدهر وثغرة الخرق وكان رجل منهم من ذوي الراي
والمعرفة غايبا عنهم فقالوا من الراي عرض الراي عليه فلما اخبروه
بما اجتمعوا عليه فقال لا ارى ذلك صوابا فسالوه عن علة ذلك فقال
عدا اخبركم ان شاء الله تعالى فلما اصبحوا غدوا عليه فقالوا الوعد قال
نعم فاحضر باحصانا وكلبين عظيمين قداعدهما ثم حرش بينهما والكلب كل ووثب
واحد على الاخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية

نفسي حرة ونحن عبيد
ان رق الهوى لرق شديد

فتح باب بيت عنده وارسل منه على الكلاب ذيبا قد اعده فلما ابصره الكلبان
تركا ما كانا عليه وتالفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذيب فنالا منه
ما احبا ثم اقبل الرجل على اهل الجمع فقال لهم مثلكم مع المسلمين مثل هذا
الذيب مع الكلاب لا يزال الهرج والقتل بينهم ما لم يظهر عدو من
غيرهم فاذا ظهر لهم عدو من غيرهم تركوا العداوه بينهم وتالفوا على العدو
فاستحسنوا قوله وتفرقوا على رايه وانما المذموم في هذا الباب
صرف العقل الى الدها والمكر قال الشعبي وقعت الفتنة ودهاة
العرب ستة معوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة
وزياد بن ابيه وقيس بن سعد بن عباده وعبد الله بن بديل الخزاعي قال
الاصمعي كان معوية يقول انا للاناة وعمرو للبديهه وزياد للصغار والكبار
والمغيرة للامر العظيم قال قبيصة بن جابر ما رايت اعطى الجزيل مال
بغير سلطان من طلحة بن عبيد الله ولا رايت انقل حلما ولا اطول اناءة
من معوية بن ابي سفيان ولا رايت اغلب للرجال ولا ابرد لهم حتى يجتمعوا
من عمرو بن العاص ولا اشبه سرا بعلانية من زياد ولولان المغيره كان
في مدينة لها ابواب لا يخرج من باب منها الا بالمكر لخرج من ابوابها كلها
وقال ابو الدرداء قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد من
ربك قربا قلت باي انت وامي ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله
وادّ فرايض الله تكن عاقلا ثم تنفل صالح الاعمال تزدد في الدنيا عقلا
وتزدد من ربك قربا وعليه عزا وروي لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه

ان المكارم اخلاق مطهره ۞ فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها ۞ والجود خامسها والبر سادسها

والبر سابعها والصبر ثامنها ۞ والشكر تاسعها واليمن عاشيها
والنفس تعلم اني لا اصدقها ۞ وليست ارشد الاحين اعصيها
والعين تعلم من عيني محدثها ۞ ان كان من حزنها او من اعاديها

وقال بعض الحكما العاقل من عقله في ارشاده ومن رايه في امداده
فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في اغوائه فقوله سقيم
وفعله ذميم فاما من صرف فضل عقله الى الدها والمكر والشر والحيل والخديعه
كالحجاج وزياد واشباههما فمذموم وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لست بالخب والخب لا يخدعني وقال المغيره كان والله عمر بن الخطاب
رضي الله عنه افضل من ان يخدع واعقل من ان يخدع والموصوف بالدها والمكر
مذموم في صاحبه وهو محذور في رهنه يخاف غوائله وتحذر عواقبه وقد
امر عمر بن الخطاب ابا موسى الاشعري ان يعزل زيادا عن ولايته فقال
زياد عن موجده او خيانة يا امير المؤمنين قال لا عن واحدة منهما ولكن
كرهت ان احمل على الناس فضل عقلك وكتب زياد الى معوية رضي الله
عنه ان العراق في يميني وشمالي فارغة فولني الحجاز اكفك اهله فبلغ
ذلك عمر فقال اللهم اكفه فطعن في اصبعه بعد ايام فمات وعن
ابن كنا نرغب عن الدها والمكر فانا نرغب في الحيلة ونرضى بها والا
تساع في الحيلة مما تواصوا به العقلا قديما وحديثا وليس شي من
امور الدنيا طالب الرفعة وباغي الوسيلة ومرتاد اي امر كان دق
او جل خير من الحيله واضعف الحيله خير من كبير الشده وقال
الحكما ملاك العقل الحيله والتاني السبب القوي والضعيف من عنه
الامور روي ان رجلا وقف لكسرى فقال اني اصنع ما تعجز الخلايق

قال ما هو قال تشد برجلي حبلا طرفه برقبة الفيل وبرجلي الاخرى كذلك و
تشد طرفه برقبة الفيل ثم تساق الافيلة بالضرب والزجر فلا يشرح ففعل
ذلك فتمت حيلته ثم تعاطوا ان يفعل ذلك باربعة من الافيله فمرت بحدتها
فقسمه نصفين فقال كسرى من لم يكن اكبر ما فيه عقله هلك باكبر ما فيه

نظمه بعض الشعرا فقال

من لم يكن اكبره عقله ... اهلكه اصغر ما فيه

وسمعت استاذنا القاضي ابا الوليد يحكي ان رجلا استاذن على هرون وقال
اني اصنع ما تعجز الخلايق عنه قال الرشيد فهات فاخرج ابنوبة قصب
فيها ابر عدة ثم وضع واحدة بالارض وقام على قدميه وجعل يرمي ابرة ابرة من
قامته فتقع كل ابرة بعين الابرة الموضوعة حتى فرغ دسته فامر الرشيد
بضربه مايتي سوط ثم امر له بمايتي دينار فسئل عن جمعه بين الكرامة
والاهانة فقال وصلته لجودة ذكائه وادبته كي لا يصرف فرط ذكائه في الفضول
ومن زعم ان العقل المكتسب اذا تناهى لا يكون فضيلة قال لان الفضايل هيئات
متوسطة بين فضيلتين ناقصتين فما جاوز التوسط خرج عن حد الفضيله
كالكرم الذي هو متوسط بين البذل والتبذير والشجاعه وسط بين
التهور والجبن وقال الحكما للاسكندر ايها الملك عليك بالاعتدال
في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز وفي الحديث ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال خير الامور اوساطها وقال علي رضي الله عنه خير الامور الاوسط
اليه يرجع الغالي ومنه يلحق التالي قالوا ولان زيادة العقل تفضي بزيادته
الى الدهاء والمكر وذلك مذموم قلنا هذا كله باطل لما قدمنا من النصرة
للقول الاول وهو منقوض بالعقل الغريزي وبالعلوم وساير الفضايل واما

قوله

قوله انه يفضي بصاحبه الى الدهاء والمكر قلت الدهاء والمكر كسب معاني احد
غير العقل ليست من لوازم العقل فان شاء تناهى ومكر وان شاء تكاسف كما يقول
في كل شر يكسبه العاقل باختياره ليس عقله اوقعه فيه بل انما اوقعه فيه
قلة عقله وكان بزرجمهر لما فرغ من كتاب امثاله ونسق كل باب
على حياله يقول ليس العجب ممن حفظ هذه الامثال فصار عالما انما
العجب ممن حفظ ولم يصر عالما قال الشيخ رحمه الله وانا اقول
ليس العجب ممن قرأ كتابي هذا وصار مهذبا كاملا انما العجب ممن قرأه
ولم يصر مهذبا

الباب الرابع والعشرون في الوزرا وصفاتهم والمجالسة واداب ذلك

قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من اهلي هرون
اخي فلو كان السلطان يستغني عن الوزرا لكان احق الناس بذلك
كليم الله موسى بن عمران عليه السلام ثم ذكر حكمة الوزاره فقال اشدد به
ازري واشركه في امري دلت الاية على ان موضع الوزاره ان تشد قواعد
المملكة وان يفض السلطان اليه بعجره وبجره اذا استحكمت فيه الخصال
المحموده ثم قال كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا دلت هذه الكلمة على ان
بصحبة العلما والصالحين واهل الخبره والمعرفة تنتظم بيضة الدين
والامره وكما ان اشجع الناس يحتاج الى السلاح كذلك لجل الملوك يحتاج
الى الوزير وكما تحتاج اعزة الخيل الى السوط واحد الشفار الى المسن
تحتاج اجل الملوك واعظمهم الى الوزير وروى ابو سعيد الخدري قال ما
بعث الله نبيا ولا استخلف من خليفه الا كانت له بطانتان بطانة
تامره بالمعروف وبطانة تامره بالشر وتحضنه عليه والمعصوم من عصم الله
سبحانه وانما اشتقت الوزارة من الوزر وهو الثقل يريد انه يحمل من

من اصول المملكة واعيانها مثل الاوزار اسعد الملوك هلك له وزير صادق
ان ننسي ذكره وان ذكر اعانه واعلم ان اول ما يستفيد الملك من الوزرا امران
علم ما كان يجهله ويقوى عنده ما كان يعلمه فيزول شكه **قال** وهب
بن منبه قال موسى عليه السلام لعيسون امن ولك الجنه ولك ملكك قال حتى
اشاورهامان فشاوره في ذلك فقال له هامان بينا انت تعبد اذ صرت تعبد
فانف واستكبر فكان من امره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد
بن ابي مسلم لا يالوه جهدا لاشرقين لشر جديد واشرف منازل الادميين
النبوة ثم الخلافه ثم الوزاره الوزير عون على الامور وشريك في التدبير و
ظهير على السياسة ومفزع عند النازله الوزير مع الملك بمنزلة سمعه
وبصره ولسانه وقلبه **وفي الامثال** نعم الظهير الوزير اول ما يظهر
نبل السلطان وقوة تميزه وجودة عقله في استنجاب الوزرا واستفاد
الحلما ومحادثة العقلا فهذه ثلاث خلال تدل على كماله وبهذه
الخلال يجل في الخلق ذكره ويجل في العيون قدره وتربح في النفوس عظمته
والمرء موسوم بقرينه **وكان** يقال حلية الملوك وزينتهم وزراهم وفي
كتاب كليله ودمنه لا يصلح السلطان الا بالوزرا والاعوان الا بالمودة
والنصيحه ولا المودة والنصيحة الا بالراي والعفاف واعظم الاشيا ضررا
على الناس عامه وعلى الولاة خاصه ان يجر مواصالحي الوزرا غير المحترين
كي لا تضيع الامور والاعوان فيكونوا اعوانهم غير ذوي مروة وغنا ويحذر
الملك ان يولي الوزاره غير المحترين كي لا تضيع الامور كما يحذر ان يتطبب
بغير طبيب بصير مامون وقال شريح بن عبيد لم يكن في بني اسرايل
ملك الا ومعه رجل حكيم فاذا اراد عضبا نهاه كتب له صحايف في كل صحيفة

ارحم المسكين واخش الموت واذكر الاخره وكلما غضب الملك تناوله صحيفة
حتى يسكن غضبه وقال ازد شير يحق على الملك الطف ما يكون نظرا
اعظم ما يكون خطرا ولا يذهب حسن اثره في الرعيه خوفه لها ولا يستغني
بتدبير اليوم عن تدبير غد وان يكون حذره للملاقين اكثر من حذره
للمتباعدين وان يتقي بطانة السوء اشد من اتقايه للعامه ولا يطمعن في
اصلاح العامه الا باصلاح الخاصه **وقال** ازد شير لكل ملك بطانة حتى
يجمع ذلك جميع المملكه فاذا اقام الملك بطانته على حال الصواب اقام كل منهم
بطانة على مثل ذلك حتى يجمع على الصلاح عامة الرعيه **ومثال** الملك
الخير والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالما
الصافي فيه التماسح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان سابحا وكان الى
الماء محتاجا **ومثال** السلطان مثال الطبيب ومثل الرعيه مثل
المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والاطبا فان كذب السفير بطل
التدبير وكما ان السفير اذا اراد ان يقتل احدا من المرضى وصف للطبيب
نقيض دائه فاذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك
الوزير ينقل للملك ما ليس في الرجل فتقتله الملك فمن ها هنا شرطنا ان
يكون الوزير صدوقا في لسانه عدلا في دينه مامونا في اخلاقه بصيرا
بامور الرعيه ويكون بطانة الوزرا ايضا من اهل الامانه والبصيره و
يحذر الملك ان يولي الوزارة لئيما فالليم اذا ارتفع جفا قاربه وانكر
معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل والانصاف **ولما**
اراد سليمان بن عبد الملك ان يستكتب كاتب الحجاج يزيد بن ابي مسلم قال
عمر بن عبد العزيز اسلك ما به يا امير المؤمنين ان لا يحتى ذكر الحجاج

باستكتابك اياه فقال يا ابا حفص اني لم اجد عنده خيانة درهم ولا دينار
فقال عمر انا اوجدك من هو اعف منه في الدينار والدرهم قال ومن هو
قال ابليس ما مس دينارا ولا درهما وقد اهلك هذا الخلق وذخل
رجل له عقل وادب على بعض الخلفا فوجد عنده رجلا ذميا كان
الخليفة يميل اليه ويقربه فقال الرجل يعرض بالذمي
يا ملكا طاعته عصمة وحبه مفترض واجب
ان الذي شرفت من اجله يزعم هذا انه كاذب
واشار الى الذي فسئله يا امير المؤمنين فساله فلم يجد بدا من ان يقول
انه صادق فاعترف بالاسلام لا يعرف الوزير ماله وما عليه حتى يراعي
من صاحبه الواثق به ما يراعي العاشق الغيور من المعشوقة
المتهمه وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره
اذا رايتني غضبانا فارفع الي رقعة في الواحدة انك لست بالاله وانك
ستموت وتعود الى التراب فتاكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم
من في الارض يرحمك من في السما وفي الثالثة بين الناس يحكم الله فانهم
لا يصلحهم الا ذلك اذا كان الوزير يساوي الملك في المال والهيبة فليصر
الملك فان لم يفعل فليعلم انه مصروع وفي الامثال اذا سكنت الد
هما خافت الوزرا ولما كانت امور المملكة عايدة الى الوزرا وازمة
الملوك في اكف الوزرا سبق فيهم بين العقلا المثل السايد فقالوا
تغتر بمودة الامير اذا غشك الوزير واذا احبك فلا تخش الامير
ويقال الحق مارات الامرا ومعاداة الوزرا وربما امر كرهه الامير
فقم بالوزير وكم من امر اراده الامير فثناه عنه الوزير وانما

السلطان

وانما السلطان كالدار والوزير بابها فمن اتا الدار من بابها ولج ومن
اتاها من غير بابها ازعج كاتب الملك مستقر اسراره ولسانه الناطق
عنه في افاق مملكته والمخصوص بقربه ولزومه دون نظرايه
ظهير الامير وزيره ودنيه حاجبه ولسانه كاتبه ورسوله عينه الكاتب
قوام الخلافة وقرينة الرياسه وعودة المملكه للكاتب على الملك ثلاث
يرفع الحجاب عنه ويتهم الوشاة عليه ويفشي سره اليه قال انوشروان
لا يتم للملك امره حتى يرفع نفسه عن كل عيب ويكون له جليس مامون الغيب
وخادم ناصح الجيب وموقع الوزاره من المملكه كموقع المراة من
البصر كما ان من لم ينظر في المراة لا يدر محاسن وجهه وعيوبه كذلك
السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته وعيوبها
وقد قال الحكما لا يطمعن ذو الكبر في الثنا ولا الخبيث في كثرة
الصديق ولا السي الادب في الشرف ولا الشحيح في البر ولا الحريص
في قلة الديون ولا الملك المتهاون الضعيف الوزرا في بقا الملك
وكما ان المراة لا تزيل وجهك الا بصفا جوهرها وجودة صقلها
ونقايها من الصدا كذلك الوزير لا يكمل امره الا بجودة عقله
وصحة فهمه وصفاء نفسه ونقا قلبه ومن شروط الوزير
ان يكون مكين الرحمة للخلق ليتاكسوا برحمته مما يخرجه السلطان
بغلظته ومن شروطه ان يكون نقي الجيب ناصح الغيب لا يقبل د
قيقة ولا يكتم نصيحة قال بعض الملوك لوزيره لا تكن الى ما تسرني
به اسرع مبادرة منك الى انذاري فيما يخاف علي منه وقال بعض
الملوك اعط من انا كره بما تكره كما تقطع من اتاك بما تحب فان من

انذرك كم بشرك ومن شروطه ان يكون معتدلا كليل تهامه لاحرّ
ولابرد وموقع الوزير من الملك موقع الملك من العامه وكما ان السلطان
اذا صلح صلحت الرعيه واذا فسد فسدت الرعيه كذلك الوزراء اذا فسد
فسد الملوك واذا صلحوا صلحوا وكان يقال آفة العقل الهوى وآفة
الامير بخافة الوزير وقال المقتدر بالله لوزيره علي بن عيسى اتق الله
يعطفني عليك ولا تعصه يسلطني عليك وقال المامون لمحمد بن داود
اياك ان تعصي الله فيما تتقرب به الي يسلطني عليك واعلم انه ليس
للوزير ان يكتم السلطان نصيحة ولو استقلها وموقع الوزير من المملكه
كموقع العينين من الانسان واليدين فانه اذا صح قبضها وضبطها
واذا سقما دخل النقص على الجسد ولا تصلح الوزاره ان تكون في غير اهلها
كما لا يصلح الملك ان يكون في غير اهله وشر الوزراء من كان له الاشراف ايضا
وزراء وبطانة ودخلا واوصت امراة ابنها وكان ملكا فقالت
يا بني ينبغي للملك ان يكون له ستة اشياء وزير يثق برايه ويفضي اليه
باسراره وحصن يلجا اليه اذا فزع وسيف اذا نازل الاقران لم يخف
عليه ان يخونه وذخيرة خفيفة الحمل اذا نابته نايبة كانت معه وامراة
اذا دخلت عليه اذهبت همه وطباخ اذا لم تشته الطعام صنع له
ما يشتهيه فهذه الستة لا يستغني عنها الملك الباب الخامس
والعشرون في الجلساء واداهم قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين وقال يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد
اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا وقال
سبحانه يا ليتني ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا فكل خليلين

وصيفين وصاحبين او متوادين اجتمعا على معصية فهم الاعداء حق الاعداء
وينبغي للملك ان يجالس اهل العقل والادب وذوي الراي والحسب وذوي
التجارب والعبر فمجالسة العلماء تفتح العقل وماديته ولذلك عدت اراء
الشيوخ فقال القدماء المشايخ اشجار الوقار وينابيع الاخبار لا يطيش
لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وقالوا عليكم بارا الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكا
الطبع فقد مرت على اعينهم وجوه العبر وتقدت لاسماعهم اثار الغير وقالوا
راي الشيخ خير من مشهد الغلام وقال عبد الملك بن مروان جنبوني ثلاثا لا تطروني
الاظفار فاني اعرف بنفسي منكم ولا تكذبوني فانه لا راي لكذوب ولا تعتابوا
عندي اصدقائي فتفسدوا اقبلي عليكم قال بعض الحكماء كفى بالتجارب تا
ديبا وتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مراة العقل والغرة ثمرة الجهل
وقد قال هرم بن قطبة وهو احد حكماء العرب حين نشأ ولده عا
مر بن الطفيل وعلقمة بن علاقة عليكم بالحديث السن الحديد الذ
هن قال كبير من حكماء العرب عليكم بمشاورة الشباب فانهم ينتجون
رايا لم يثقله طول القدم ولا استولت عليه رطوبة الهرم والمذهب الا
ول اصدق على العقول وقال عبد العزيز بن زراره لمعاوية يا امير
المومنين عليك بمشاورة الاذكيا اعدكانوا واصدقا فان العمل يقع
على العقل وقال بن عباس مجالسة العقلا تزيد في الشرف وقال بن عيينه
ان الرجل ممن كان قبلكم ليبلغ الرجل العاقل فيكون بعقله عاقلا اياما
وقال مالك بن انس مر سليمان بن داود عليهما السلام بقصر بارض
مصر فوجد فيه مكتوبا

عمد ونا من قرى اصطخر الى القصر فقلنا ه

ممن سال عن القصر فقلنا وجدنا
يقاس المرء بالمرء اذا المرء ماشا
وفي الشيء على الشيء دلالات واشبا
وفي العين عما العين دليل حين يلقا
ولا تصحب اخا الجهل واياك واياه
فكم جاهل اردى حليما حين واخاه

ووجد عليه نفر واقفا فدعاه وقال من بنا هذا القصر قال الادري قال كم لك منذ وقفت عليه قال منذ سبع مايه سنة وفي الامثال يظن بالمرء ما يظن بخليله ولما مج عبد الله بن جعفر نزل مكة ليلا فلما اصبح قال يا اهل مكه عرفنا جيرانكم من شراركم في ليلة واحدة قالوا كيف ذلك قال نزلنا ومعنا اجيار واشرار فنزل اجيارنا عما اجيادكم واشرارنا عما اشراركم فعرفنا كم واعلم انه ليس الدخان عما النار بادل من الصاحب عما الصاحب وقال الاوزاعي الصاحب الصاحب كالرقعة في الثوب ان لم يكن مثله شانه وقال عبد الله بن ابي طاهر المال غاد ورايح والسلطان زايل والاخوان كنوز واهره وقال الاصمعي تناظر رجلان واعرابي حاضر فقال لاحدهما مناظرة مثلك في الدين فرض والاستماع منك ادب ومجالستك زين ومعرفتك عرف ومذاكرتك تلقيح للمعقول وتحفيز للخاوك شرف ومخر وقال السختياني اشد مخارق بين يدي المامون رحمه الله عليه

واني لمشتاق الى فضل صاحب يرق ويصفو ان كدرت عليه
عذيرك من الانسان لان جفوته هجراني ولان صرت طوع يديه

فطرب المامون وقال ويحك يا مخارق خذ مني نصف الخلافة واعطني هذا

الانسان وقال ملك بن مسمع للاحنف بن قيس يا ابا بحر ما نشتاق الى غايب اذا حضرت ولا ننتفع بحاضر اذا غبت اخذه ابراهيم بن العباس الكاتب فنظمه فقال

وانت هوا النفس من بينهم وانت الحبيب وانت المطاع
وما بك ان بعد او وحدة وما معهم ان تغورت اجتماع

وقال الحكما النظر في عواقب الامور تليق للعقل وقالوا العاقل لا تنقطع صداقته والاحمق لا تدوم مودته فاتخذ من نصحا اصحابك مراة لطباعك وعيوبك واحرج منك الى تحسين صورتك وقال المامون للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة فملا سبعا قال وما السبع يا امير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرايحة الطيبة والفراش الوطي والنظر الى الحسن من كل شيء قال فاين انت يا امير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهي اولاهن وقال هشام قد قضيت الوطر من كل شيء فاكلت الحلو والحامض حتى للاجد لواحد منهما طعما وشممت الطيب حتى لا اجد له رايحة وايتت الناعم حتى لا ابالي بامراة اتيت ام جدم او حايط فما وجدت شيء الذ من جليس يستفيد بيني وبينه مؤنة التحفظ وقال عبد الملك بن مروان قد قضيت الوطر من كل شيء الا من محادثة الاخوان في الليالي الزهر على التلال العفر وقال عبد الملك من قرب السفلة وادناهم وباعد ذوي العقل واقصاهم استحق الخذلان ومن منع المال من اهله ورثه من لا يحمده ومن الكلام الشريف قول الحكما ما احوج ذوي القدرة الى دين يحجزهم وحيا يكفهم وعقل يعدلهم والى تجربة

تعهد وفعائلك كما تتخذ لوجهك المراة المجلية فانك الى اصلاح صح

طويلة وعبر محفوظة والى العراق تترى واخلاق تسهل الامور اليه عليه
والى جليس رفيق وفوائد شفيق والى عيبه تبصر العواقب وعقل يخاف
الغير ومن لا يؤمن لوم ظفر الايام لم يحترز من سطوات الدهر ولم يتحفظ من
فلتات الزلل ولم يتعاظمه ريب وان عظم ولا ثبا وان سمح واذا رايت
من جليسك امرا تكرهه وخلة لا تحبها او صدرت منه كلمة عودا او هفوة
غيرا فلا تقطع حبله ولا تصرم مودته ولكن داوه كلمته واستر عورته فان
رجع والا فانقه وابرا من عمله قال الله سبحانه فان عصوك فقل اني بري
مما تعملون فلم يامره بقطعهم وانما امره بالبراة من عملهم السوء وقال الشاعر

اذا راب مني معضل فقطعته ... بقيت ومالي في النهوض مفاصل
ولكن اداويه فان صح سربي ... وان هو اعيا كان فيه تحامل

وان رجل الى بعض الحكما يشتكي اليه صديقه وعزم على قطعه والانتقام
منه فقال له الحكيم اتقوم ما اقول لك فاكلمك ام بك من فورة الغضب
ما يشغلك عنه فقال اني لما تقول لواع قال سرورك بموده كان اطول
ام غمك بذنبه قال بل سروري قال فسيانه ام حسانه عندك اكثر قال
بل حسانه قال فاصغ لصالح انبائك عن ذنبه وهب لسرورك جرمه
واطرح مؤونة الغضب والانتقام منه ولعلك لانتال ما املت ٭
فتطول مصاحبة الغضب وانت صابر لما تحب الباب السادس
والعشرون في بيان موفة التي هي جمال السلطان قد ذكرنا الخصال
التي تجري من المملكة مجرى الاساس من البنا ونذكر الان الخصال التي
تجري من المملكة مجرى التاج والطيلسان وهي الهيئة والكمال و
اصلها وقواعدها العفو قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض

الخصال

عن الجاهلين فلما نزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبرئيل ما
هذا قال لا ادري حتى اسئل العالم فذهب جبرئيل عليه السلام ثم عاد فقال
يا محمد ربك يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن
من ظلمك واعلموا ارشدكم الله ان الله امر بالعفو وندب اليه وذكر فضله
وحث عليه ووصف نفسه به فقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين فاوجب الله تعالى محبته للعافين
واثنا عليهم بالاحسان وقال تعالى ولمن صبر وغفران ذلك لمن عزم
الامور وعزايم الامور من صفات المصطفين من الرسل قال الله تعالى
سبحانه فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل قال الله تعالى واذا ما
غضبوا هم يغفرون وقال عز من قايل وليعفوا وليصفحوا الا تحبون
ان يغفر الله لكم فاستطف الخلق وندبهم الى ان يعفوا عن الجناة
والخاطئين كما يحبون ان يفعل الله بهم وقال في من انتصر ولم يعف
ولم ينتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل فرفع الحرج عن المنتصر
والمنتقم ولم يوجب لهم فضيلة ثم كشف الغطا واراح العذر وصرح
بتفضيل العافين على المنتصرين والواهبين حقوقهم على المنتقمين
فقال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين وهذا نص لا يحتمل التاويل وتحقيق القول في ذلك ان
الانتصار عدل والعفو فضل وفضل الله تعالى اصب الينا من عدله
لانه ان عدل علينا فاخذنا بحقه هلكنا وان عفى عنا برحمته تخلصنا
ولو كان العدل سبيع الخلايق لما قرنه الله سبحانه وتعالى بالاحسان

فلما علم الله سبحانه وتعالى ان فى العدل استقصاء منا فتشه وذلك مما يضيق
عنه النفوس وتحرج به الصدور وبسط به الاحسان بالعدل وقال تعالى ان الله يا
مر بالعدل والاحسان فان الانتصار انتقام وعذاب بلا امتنان
والعفو محبة من الله سبحانه وتعالى واحسان وايضا فان الانتصار
سيئة والعفو حسنة وقد قال تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة
والدليل على ان الانتقام يسمى سيئة قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
وانما سميت سيئة لما كانت نتيجة سيئة لانه لا يجوز الانتصار وانما
هو كما قال عمر بن كلثوم

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمى الجزاء على الجهل جهلا وان لم يكن فى الحقيقة جهلا وعن هذا روت
عائشة رضى الله عنها قالت ما رايت النبى صلى الله عليه وسلم منتصرا من
مظلمة ظلمها قط ما لم تنتهك شيا من محارم الله تعالى
فلا يقوم لغضبه شى وروى ايضا قال ينادى مناد يوم القيمة من
كان له على الله اجر فليقم فلا يقوم الا من عفا فى الدنيا فان عفوت
ايها الطالب كان اجرك فى ضمان الله تعالى فان لم تعف كان حقك
قبل من ظلمك ولا تكون اجرك فى ضمان الله تعالى اولى من ان تكون
كما مخلوق وايضا فانك ان لم تعف نلت حقك بلا زيادة عليه وان
عفوت كانت حسنة اسديتها لاخيك والله سبحانه يقول من
جاء بالحسنة فله عشر امثالها ولما دخل عيينة بن حصن
على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو اصل المؤلفة قلوبهم قال له يا بن

الخطاب

الخطاب والله ما تعطينا الجزل ولا تامر فينا بالعدل فغضب وهم ان
يوقع به فقال يا امير المؤمنين ان الله تعالى يقول خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها
عمر حين تلاها وكان وقافا عند كتاب الله تعالى وقال النبى صلى الله
عليه وسلم الرحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء وقال ارحم ترحم وكان
يقال اولى الناس بالسلطان احقهم بالرافة والرحمة وفى الانجيل افلح
اهل الرحمة لانهم يرحمون وقال سليمان بن داود عليهما السلام لقد
ابغض الله المسرعين الى هرق الدما والى هرق الدما انتهت القسوة
والغلظة والتباعد من الرحمة ولما تمكن داود عليه السلام من قتل
طالوت ابقى عليه وهو يومئذ عدوه وطالبه وقال رب اعظم فى عينى
اعدائى وهى كما اعظمت فى عينى دم عدوى وكذلك خلصنى من
جميع الهموم وقال الحكماء الهند لا سؤدد مع انتقام ولا رياسة مع عزازة
نفس وعجب وقال الحكماء ليس الافراط فى شى اجود منه فى العفو ولا هو
فى شى اقبح منه فى العقوبة وكذلك التقصير مذموم فى العفو محمود
فى العقوبة ولان تخطى فى العفو فى الف قضية خير من ان تخطى
فى العقوبة فى قضية واحدة وقال معوية انى لارفع نفسى ان يكون
ذنب اعظم من عفوى وجهل اكبر من حلمى وعورة لا يوارينى سترى وقال
المامون ليس على فى الحلم مؤنة ولوددت ان اهل الجرايم علموا اينى فى
العفو فيذهب الخوف فتخلص لى قلوبهم وقال رجل للمنصور يا
امير المؤمنين ان الانتقام انتصاف والتجاوز فضل والمتفضل
قد جاوز حد المنتصف ونحن نعيذ امير المؤمنين ان يرضى

لنفسه باوكس النصيبين وان لايرتفع الاعلى اعلى الدرجتين فاعف
عنا يعفو الله عنك فعفى عنهم وقال بعضهم لمسلم بن قتيبة لما عفا عنه
والله ما ادري ايها الامير اي يوميك اشرف ايوم ظفرت او يوم عفوت وقال
الناعم ما زلت في العفو للذنوب واطلاقك جان بجرمه علق
حتى تمنى العصاة انهم عندك امسوا في القد والحلق
اخر واذا بغى باغ عليك بجرمه فاقبله بالمعروف لا بالمنكر
ورفع الى انوشروان العامة تعاتب الملك في معاودته الصفح عن المذ
نبين مع تتابعهم في الذنوب فوقع المذنبون مرضى ونحن اطباء ليست
معاودة الآياهم تملغا من معاودة العلاج لهم وقال عمر بن عبد
العزيز ما قرن شيء الى شيء افضل من حلم الى علم ومن عفو الى قدرة وشفع
الاحنف بن قيس في محبوس الى السلطان فقال ان كان مذنبا وسعه
العفو وان كان بريئا وسعه العدل وقيل لبعض الحكماء بلغ امير
المؤمنين عنك امر سوء فقال اذا لا ابالي قيل له ولم فقال ان كان حقا
وسعني حلمه وان كان كذبا وسعني عدله وقال رجل لعبد الملك بن
مروان لما ظفر بالمهلب ما رايت احدا يا امير المؤمنين ظلم ظلمك
ولا نصر بنفرك ولا اعفى عفوك وقال بعض التابعين المعاقب
مستدعي لعداوة اولياء المذنب والعافي مستدعي لشكرهم اومكا
فاتهم ايام قدرتهم ولان يثنى عليك باتساع الصدر خير من ان تثنى
الضيقته واقالة المعثرة موجبة لاقالة عثرتك من ربك وعفوك
عن الناس موصول بعفو الله تعالى عنك وعقابك لهم موصول بعقاب
الله سبحانه وتعالى والله تعالى يحب العافين وقال المنصور عقوبة

الاحرار التعزير وقال المامون رحمه الله
لما رايت الذنوب جلت عن المجازات بالعقاب
جعلت فيها العقاب عفوا امضى من الضرب للرقاب
وقال الاحنف لا تزال العرب بخير ما عقد العفو بينها والندا
شرفا وقال الحكيم اذا اشتهت فقد انت صفت واذا عفوت فقد تفضلت
وقال بعض الحكماء قبل العذر وان كان مصنوعا الا ان يكون محدثا وجبت
المروة قطيعته او يكون في قبوله له تشجيع على المكروه او عونة على الشر فان
قبول العذر فيه اشراك على المنكر ولما دخل الفيل دمشق حشر الناس
لرؤيته وصعد معوية على عليه له متطلعا فبينما هو كذلك اذ ابصر
في بعض حجر قصره رجلا مع امراة من حرمه فانا الحجرة وطرق الباب
فلم يكن من فتحه بد فوقعت عينه على الرجل فقال له ويحك في قصري وتحت
جناحي وتهتك حرمتي وانت في قبضتي ما حملك على ذلك قال فبهت
الرجل وقال حلمك او قعني فقال له معوية فان عفوت عنك تستر بها
علي قال نعم فخلا سبيله وهذا من الدهاء العظيم والعقل الواسع ان
تطلب الستر من الجاني وهو عروض قول الشاعر
اذا مرضنا اتيناكم نزوركم وتذنبون فنا تيكم فنعتذر
واتى موسى الهادي برجل قد جنا جناية فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده فقال
الرجل ان اعتذاري مما تقرعني به رد عليك واقراري بما ذكرت ذنب ولكن
اقول كما قال الشاعر
فان كنت ترجوا في العقوبة راحة فلا تزهدن عند المعافاة في الاجر
فامر باطلاقه وقال المهلب لاستي ابقا للملك من العفو فان الملك

اذا وثقت منه رغبته بحسن العفو لم يوحشها الذنب وان عظم واذا
حشيت منه العقوبة اوحشها الذنب وان صغر حتى يفسطرها ذلك الى
المعصية **وعن الحكم البالغة** قول سابور وقد جمع اولاده فقال يا
بني ان الحزم ان تملؤا قلوب الرعية حبا فاملوها خوفا وليس ذلك بان
تحملوا العقوبة على من لا يستحقها ولكن تعجيلها لمستحقها وفي هذا المعنى
قال الله سبحانه فشرد بهم من خلفهم وهذا معنى قول سابور ولا يخالف هذا
ما قررناه في حسن العفو بل هذا محمول على الواجب المستحق او على ما في بل
تركه اعز بركوب امثاله فهاهنا يكون العفو مفسدة يا ايها المعاقب
اذا امكنت عاهذ بذنب عقوبة فلا تكن كالمستغني الملتذ بعذابه بل لانك واياه
اخوان لاب وام آدم وحوى عليهما السلام افضلك بحولك وقوتك بما فضلك
الله به تطول العليك فاذكر لو كنت في مقامه وكان في مقامك فلا تامن
تقلب الدهر فتقوم مقامه بين يدي من لا يرحم ولا ينظر في العواقب فا
حذر التفريط والتقصير واقم بفسكة مذنبا اقيم للعقوبة وليكن عقا وليكن عقابك مقدما
بك تقديما للتقويم لا للانتقام وللزجر لا للهوى وعلى هذا قال بزرجمهر
لا ينبغي للملوك ان يكرموا احدا بهوان من ليس للهوان اهلا ولا ان يهينوا
احدا بكرامة من ليس للكرامة اهلا لا تكن على الاساءة اقوى منك
على الاحسان ولا الى النحل اسرع منك الى البذل **قال الشاعر**

صفوح عن الاجرام حتى كانه ... من العفو لم يعرف من الناس مجرما
فليس يبالي ان يكون به الاذى ... اذا هاج لم يغش مسلما

وقال سليمان بن داود عليهما السلام التنكيل والعقوبة امنية
الملك الشرير وعلى مثله يبعث الله ملكا عزيزا رحيما وقال معاوية

لا ينبغي

لا ينبغي للملك ان يظهر غضبه ورضى الا ثواب او عقاب وقال ازين شيء فضل
الملوك على السوقة انما هو بتقدمهم على المحامد واستفادة المكارم وكل ما
استكثر منها زادت فضيلته واستحقاقه لمواضعه من الولاية عليهم وكل
ما نقص منها قرب من السوقة وقال المامون اني لاجد للعفو لذة اعظم
من لذة الانتقام **واعلم** انه اذا عاقب الملك واهان على ظن بغير
يقين ادخل على نفسه من قبح الخطا في الراي اعظم مما ادخل على صاحبه من
العقوبة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الغالب بالشر مغلوب وما
ظفر من ظفر بالاثم وقيل لافلاطون اي شيء من افعال الناس يشبه
افعال الله تعالى قال الاحسان الى الناس وقال الحكيم قدام السفيه والعفو
زكاة العقل وقال بعض الحكماء السيد الذي لا يشتهي حسن الظفر
بقبح الانتقام وخير مناقب الملوك العفو **وكان** يحيى بن معاوية
يقول سبحان من ازل العبد بالذنب وادل الذنب بالعفو الهي ان
عفوت فخير راحم وان عذبت فغير ظالم الهي ان كنت لا ترضى الا عن اهل
طاعتك فكيف يصنع الخاطئون وان كان لا يرجوك الا اهل وفائك
فبمن يستغيث المستغيثون **وقال الشاعر**

وان الله ذو حلم ولكن ... بعز الحلم ينتقم الحليم

وروى ان الحجاج اخذ قطري بن الفجاءة فقال لا قتلنك قال ولم قال
لخروج اخيك عليا قال ان معي كتاب امير المؤمنين لانا خذني بذنب اخي
قال هاته قال فان معي اوكد منه قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى
فتعجب من جوابه وخلى سبيله **ولما** وفد عقيل بن ابي طالب على
معوية امر له بماية الف درهم فلما اراد الانصراف راى في الطريق جارية

بار بعين الف درهم فرجع الى معويه فاخبره قال وما تصنع بها قال تدلي
علاما فان اغضبته يضرب مفرقك بالسيف فامر له بها فابتاعها فولدت
له مسلم بن عقيل ثم قدم مسلم الى الشام فابتاع منه معويه ضيعة
فبلغ الحسين بن علي الخبر فكتب الى معاويه اني لاجيز بهبيع مسلم
فارسل معاوية الى مسلم فقال هذا كتاب الحسين يا مربد المال فقال
مسلم اما دون ان اضرب مفرقك بالسيف فلا فضحك معاوية وقال
والله لقد نقدت فيك البوك بذلك قبل ان يشتري اهلك وسوغه المال
فقال الحسين حين بلغه ذلك غلبنا معوية حلما **الباب**
السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة وهذا الباب مما تعتمده
الحكماء من اساس المملكة وقواعد السلطنة ويفتقر اليه الرئيس والمر
وس وقد ذكرناه في باب الخصال اليونانيه ونذكرها هنا فوايدها
ومحاسنها وما يتعلق بها **اعلموا** ان المشير وان كان افضل
رايا من المشير فانه يزداد برايه كما تزداد الشاة بالسليط ضوءا فلا
تقدمن في روعك انك اذا استشرت الرجل ظهر منك الحاجة الى رايه
عيرك فيقطعك ذلك عن المشاورة فانك لا تريد الراي للتجربه
ولكن للانتفاع به وان اردت الذكر كان الفخر لذكرك واحسن عند ذوي
الالباب لسياستك ان يقولوا لا ينفرد برايه دون ذوي الراي من
اصحابه فلا يمنعك عزمك عن انفاذ رايك وظهور صوابه لك عن
الاستشارة الا ترى ان ابراهيم عليه السلام امر بذبح ابنه عزمة
لا مشورة فيها فحمله حسن الادب وتحكم موقعه في النفوس على الاستشا
رة فيه فقال لابنه فانظر ماذا ترى وهذا من ما يرسم في هذا الباب

بلغ مقابلة

خ
الفرقانيه

في الصفات الفرقانيه

الرجال ص

الناس ص

هذا الباب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الراي الفرد كالخيط السحيل
والرايان كالخيطين والثلاثة الآراء لا يكاد ينقطع ويروى ان رومية وفا
رسيا تفاخرا فقال الفارسي نحن لا نملك علينا من يشاور وقال الرومي
نحن لا نملك علينا من لا يشاور وقال بزرجمهر اذا اشكل الراي
على الحازم كان بمنزلة من اصاب لؤلؤة فجمع ما بين مستقطها فالتمسها فوجدها
كذلك الحازم يجمع وجوه الراي للامر المشكل ثم يضرب بعضها ببعض
حتى يخلص له الصواب **وكان** يقال من كثرت استشارته حمدت
اماراته **وفي** حكم الهند قال بعض الملوك ان الملك الحازم يزداد برايه الوزرا
الحرمة كما يزداد البحر بمواده من الانهار وينال بالحزم والراي ما لا ينال
بالقوة والجند ولم يزل حزمة الرجال يستجلون مرايئ قول الفصحا كما يستجلي
الجاهل المساعد على الفور وقال المامون لطاهر بن الحسين صف لي
اخلاق المخلوع يعني اخاه الامين فقال له كان واسع الصدر ضيق الاذن
ينتج من نفسه ما تافه هم الاحرار ولا يصغي الى النصيحة ولا يقبل مشورة
يستبد برايه فيرى سوء عاقبته فلا يرد عنه ذلك عما هم به قال فكيف
كانت حروبه قال كان يجمع الكتايب بالتبذير ويفرقها بسوء التد
بير فقال المامون لذلك حل به ما حل اما والله لو ذاق لذات النصايح
واختار مشورات الرجال وملك نفسه عند شهواتها ما ظفر به وقال
بعضهم انفاذ الملك للامور بغير رويه كالعباده بغير نيه ولم تزل العقلا
على اختلاف مذاهبهم يستهجنون الغيوب ويستشيرون في صواب
الراي من كل احد حتى الامة الوكعا هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول رحم الله امرءا اهدى الينا عيوبنا **وكان** يقال من اعطى رايه

لم يمنع الربعامه اعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطى التوبه لم يمنع القبول ومن
اعطى الاستخاره لم يمنع الخيره ومن اعطى المشوره لم يمنع الصواب وقال بعضهم
خير الراي خير من قطيره وناصر خير من تقدمه **وذكر** صاحب
كتاب التاج ان بعض ملوك العجم استشار وزراه فقال بعضهم ما
ينبغي للملك ان يستشير منا احدا الاحاليا فانه اموت للسر واحزم
للراي واحذر في السلامه واعفا لبعضنا من غايلة بعض وكان
بعض ملوك العجم اذا شاور مرازبته فقصروا في الراي دعا الموكلين
بمراقبهم فعاقبهم فيقولون تخطى مرازبتك فتعاقبنا فيقول نعم لم
يخطوا الا بتعلق قلوبهم بمراقبهم واذا اهتموا اخطوا **وكانوا** اذا هموا
بمشاورة رجل بعثوا اليه بقوته وقوت عايلته سنة ليتفرغ لبه وكان
يقال اذا احرزت النفس قوتها اطمانت واذا شاورت فاصدق المخبر
تقصد قصد المشوره ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك وقال
بعض ملوك العجم لا يمنعك شدة باسك في باطنك ولا علو مكانك في
نفسك من ان تجمع الى رايك راي غيرك فان اهدت اصبت وان
اخفقت عذرت فان في ذلك خصالا منها ان وافق رايك راي
غيرك ازداد رايك شدة عندك وان خالفه عرضته على فطرك وان
رايته معتليا للرايه قبلته وان رايته متصنعا عنه استغنيت وذ
لك انه يجد لذلك النصيحه من مشاورته وان اخطا وتحصن لك في
مودته وان قصر لم يكن من فضيلة المشاورة الا انك ان اصبت
مستبدا سلبت فايدة الاصابه بالسنة الحمد وقال قايل هذا
اتفاق ولو فعلته لكان احسن واذا شاورت واصبت احمد

الجماعة رايك لانهم لنفوسهم يحمدون وان اخطات حملت الجماعة
خطاك لانهم عن نفوسهم يكافحون واعلم ان القول الغليظ يشجع
الفضل على قبله كما يتكار مع شارب المر الحلو لفضل منفعته وقال
اعرابي ما عثرت قط حتى عثر قومي قيل له وكيف قال لا افعل شيا
حتى اشاورهم **وقيل** لرجل من عبس ما اكثر صوابكم يا بني عبس
فقال نحن الف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه فكاننا الف
حازم **وكان** بن هبيره امير البصره يقول اللهم اني اعوذ بك
من صحبة من غايلة خاصة لنفسه والاخطاط في هوى مستشيره
وفي حكم الهند من الثمن من الاصوان الرخصة عند المشوره ومن
الاطباء عند المرض ومن الفقها عند الشبهه احظا الراي واز
داد مرضا وحمل الوزر وقال الحكما لا تشاور معلما ولا راعي الغنم
ولا كثير القعود مع النسا ولا صاحب حاجة يريد قضاها ولا الحا
يفا ولا من يرهقه احد السيلين وقالوا لا راي لحاقن ولا لحازق
ولا لحاقب ولا تشاور من لا دفن عنه الحازق يضغطه الخف
الضيق والحاقب هو الذي يجد في بطنه ريحا وقالوا من شكا
الى عاجز اعاره عجزه واعدده من عجزه **وص** لطيف ما جرى
في الاستشاره ان زياد بن عبد الملك الحارثي استشار عبيد الله
بن عمر في احيه ابي بكر ان يوليه القضا فاشار به فبعث الى ابي
بكر فامتنع عليه فبعث زياد الى عبيد الله يستعين به على ابي
بكر فقال ابو بكر لعبيد الله انشدك الله ترى لي القضا قال اللهم لا
فقال زياد سبحان الله استشيرك فاشرت علي به ثم اسمعك

للمسلمين

تنهاه فقال ايها الامير استشرتني فاجهدت لك الراي ونصحت
واستشارني فاجهدت له الراي و نصحته ويروى ان الحجاج بعث
الى المهلب يستعجله في حرب الازارقة فكتب اليه المهلب ان
من البلاء ان يكون لك ملك دون من ينصره فصل في النصيحة
اعلم ان النصح للمسلمين والخلايق اجمعين من سنن المرسلين
قال الله تعالى ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله
يريد ان يغويكم وقال ستجيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف
اسى على قوم كافرين ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا نصح لسيده واحسن
عبادة الله فله اجره مرتين وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة ثلاث قيل لمن يا رسول الله قال
لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم فالنصح في الجملة
فعل الشيء الذي به الصلاح والنصح ما خوذ من النصاحة وهي
السلوك الذي يخاطها وتصغيرها نصيحة تقول العرب هذا
قميص منصوح اي مخيوط ونصحته فنصحا اذا خيطته ويختلف
النصح في الاشيا لاختلاف احوال الاشيا فالنصح لله سبحانه
هو وصفه بما هو اهله وتنزيهه عما ليس له باهل عقدا وقولا
والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه
والبعد عن مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة من
عصاه والجهاد في رد العصاة الى طاعته قولا وفعلا وارادة بيت
ما ذكرناه في عباده والنصيحة لكتابه ادامته في التلاوة وتحسينه

الراي ح

واشتمال الدرس عنه من تاويل الملحدين وتعليم
وحمله الطاعنين وتعليم
ما فيه للخلائق اجمع

عند القراة وتفهم ما فيه للخلايق اجمعين قال الله تعالى كتاب انزلناه
اليك مبارك ليدبروا ايانه وليتذكر اولوا الالباب والنصيحة للرسول
صلى الله عليه وسلم موازرته ونصرته والحمايز من دونه حيا وميتا
واحيا سنته بالطلب واحيا طريقته في بث الدعوة وتاليف الكلمة
والتخلق بالاخلاق الطاهرة والنصيحة للايمة معاونتهم على ما
تكلفوا القيام به في تنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة
وتعليمهم ما جهلوه وتحذيرهم عمن يريد بهم السوء واعلامهم باخلاق
عمالهم وسيرتهم في الرعية وسد خلتهم عند الحاجة ونصرتهم في جمع
الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة اليهم والنصح لجماعة المسلمين
الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتعريج كربتهم و
دعوتهم الى من يسعدهم وتوفي ما يشغل خواطرهم ويفيح بالوسواس
عليهم ومن النصيحة للمسلمين رفع مؤنة بدنه ونفسه وهو اجبه
عنهم قال الاصمعي لقط عمر بن الخطاب رضي الله عنه نواة في الطريق
فامسكها بيده حتى مر بدار قوم فالقاها في الدار وقال يا كلها
داجنهم والنصح لجمع الملل ان يجب اسلامهم ويدعوهم الى الايمان با
لقول ويحذرهم سوء معيشة الكفر بالسيف اذا كان ذا سلطان
ويكفوا عن قتال المسلمين فيكونوا ذمة والا فالقتل نصحا لله
لاقامة امره فيهم وروى معاذ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة
لا يغل عليهن قلب مسلم ما هن قال معلم العلم لله ومناصحة ولاة الامر
والاعتصام لجماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من وراهم قال
جابر بن عبد الله بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة

والنصح لجميع الخلق

قلب مسلم ح

فلقنني فيما استطعت والنصح لكل مسلم وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه العلم يبلغه البر والفاجر
والحكمة ينطق بها البر والفاجر والنصيحة لله سبحانه وتعالى لا تثبت
الا في قلوب المنتخبين الذين صفت عقولهم وصدقت نياتهم واعلم ان جرعة النصيحة مرة لا يتقبلها الا اولو العزم كان عمر رضي الله
عنه يقول رحم الله امرءا اهدى الي عيوبي وقال ميمون بن مهران قال
لي عمر بن عبد العزيز قل في وجهي ما اكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقوله
له في وجهه ما يكره وقال ملك النصيحة لله في ارضه التي بعث بها
انبياءه عليهم السلام ومن امر الاسلام القصد والنصيحة لعباد الله في
امورهم فالنفس مشتغلة للنصح نافرة عن اهله مائلة الى ما والحق هواها وفي منثور الحكم ودك من نصحك وقلاك من مشاتك هواك و
كما يقال احوك من احمل ثقل نصيحتك ولبعضهم

عرضت نصيحتي منى لزيد ... فقال غششتني والنصح مر
وهان ان اكون اعيب زيدا ... وزيد طاهر الاخلاق بر
ولكن قد اتاني ان زيدا ... يقال عليه نفعا وشر
فقلت له تجنب كل شيء ... يقال عليك ان الحر حر

وقال اخر وعلى النصيح نصيحتي وعلى عصيان النصح
وقال القطامي

ومعصية النصيح عليك مما ... يزيدك مرة منه استماعا
وخير الامر ما استقبلت منه ... وليس يان تتبعه اتباعا

ولورقة بن نوفل

وقال ابو الدرداء

واعلم

ومنثور

لقد نصحت

يا بني اذا اردت ان تواخي رجلا فاغضبه فان انصفك والا فاحذره وكان
سلم بن نوفل سيد بني كنانة ضربه رجل من قومه بسيف فاخذ
واتى به اليه فقال ما الذي فعلت اما خشيت انتقامي قال فلم تسود
نادك الان تكظم الغيظ وتعفو عن الجاني وتحلم عن الجاهل وتحمل الكره
في النفس والمال فخلى سبيله فقال قايلهم

تسود اقوام وليسوا بسادة ... بل السيد المعروف سلم بن نوفل

وقال رجل من كلب للحكم بن عوانة انما انت عبد فقال والله لاعطينك
عطية ما يعطيها العبيد فاعطاه مائة واس عن السبي ومن
امثال العرب احلم تسد ويروى ان هشاما غضب على رجل
من اشراف الناس فشتمه فوجم الرجل فقال اما تشتمني وانت
خليفة الله في الارض فاستحيا هشام وقال اقتص فقال لا اما انا
سفيه متلدد قال فخذ من ذلك عوضا من المال قال ما كنت لافعل
قال فهبها لله قال هي لله لثم لك فبكا هشام وقال والله لا اعود
لمثلها وقال الشاعر

لن تبلغ المجد اقوام وان شرفوا ... حتى يذلوا وان عزوا الاقوام
ويشتموا فترى الالوان دا سفعة ... لا صفح ذل ولكن صفح احلام

وقال اخر

وجهل رددناه بفضل حلومنا ... ولو اننا شئنا رددناه بالجهل
حلمنا وقد خفت حلوم كثيرة ... وعدنا على اهل السفاهة بالفضل

وقال هشام لخالد بن صفوان صف لي الاحنف بن قيس فقال
يا امير المؤمنين ان شئت اخبرتك عنه بثلاث وان شئت باثنين

قال الشاعر شعر
اذا كنت مخطا فاستدرك صاحبا ... من قبل ان تستدرك الارض قاعدا
فخاه كما عودت حلما وتجربة ... وللاخا صبر حليم وتجربة

وان شئت بواحدة قال اخبرني عنه بثلاث قال كان لا يحرص ولا يحمل
ولا يدفع الحق اذا نزل به قال اخبرني عنه باثنين قال كان يؤثر الخير و
يتوقى الشر قال اخبرني عنه بواحدة قال كان اعظم سلطانا على نفسه وقال
اكثم بن صيفي الغلبة والعز للحلم وقال الاحنف وجدت الحلم افضل من
الرجال وصدق الاحنف لان من حلم كان الناس انصاره كما روي ان
رجلا اسرع في شتم بعض الاوباش وهو ساكت فحمل له بعض المارين في
الطريق وقال له رحمك الله الا انتصر لك قال لا قال ولم قال لاني وجدت
الحلم افضل من الرجال وهل حامت الا بحلمي وقال رجل لمعروب العامري
والله لانتزعن لك قال الان وقعت في الشغل وقال عبد الله بن عمر ان
رجلا ممن كان قبلكم استضاف قوما فاضافوه ولهم كلبة تنبح فقالت
والله لانبح ضيف اهلي الليلة فعوى جراؤها في بطنها فبلغ ذلك نبيا
لهم او قيلا فقال مثل هذا مثل امة يكونون بعدكم تظهر سفهاؤها و
عاجلها ايها وقال الاحنف اياكم واياي الاوغاد قال الذين يرون الصفح
والعفو عارا وسئل الاحنف عن الحلم فقال هو الذي تصبر عليه وليست
بحليم ولكن صبور ويروى ان المهلب نازعه رجل من كبار بني تميم فا
دلى على المهلب والمهلب ساكت فقيل له في ذلك فقال كنت اذا سبني
استحييت من سخف السباب واغبت عن غلبة اللئام والسفلة
وكان اذا سبني تهلل وجهه وسمحت نفسه بان ظفر بفضل القحة
وبذة المروة وخلع زينة الحياء وقلة الاكتراث بسوء الثناء ومر المسيح
عليه السلام على قوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل لهم
يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده وقال اكثم

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم انا النذير فلا يغرركم احد
لا شئ مما ترى تبقى بشاشته الا الاله ويودى المال والولد
لن تغتني عن هرمن يوما خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

قال وهب بن منبه انما يحسن الاحتيال لغيره من يحسن الاختيار
لنفسه ولا خير لك فيمن لا خير فيه في نفسه وقال العلماء لن ينصحك
امرؤ لا ينصح نفسه وقال بعضهم رأي غيرك ورأيك في المعرفة امثل لنفسك
من رأيك لانه خلو من هواك وقال ابو الدرداء ان شئتم لا نصحن لكم
ان احب عباد الله الى الله تعالى الذين يحببون الله الى عباده ويعملون
في الارض نصحا وروي ان رجلا لطم ابراهيم بن ادهم فرفع راسه
الى السماء وقال الهي انا اعلم انك تثيبني وتعاقبه فلا تثيبني ولا
تعاقبه ومن الخصال التي تجري مجرى الخصال والكمال الحلم الباب
الثامن والعشرون في الحلم ومحاسنه ومحمود عواقبه و
احواله قال الله تعالى ان ابراهيم لحليم اواه منيب وقال تعالى فاصفح
الصفح الجميل وقال علي رضي الله عنه لابي طالب رضي الله عنه الصفح الجميل الرضي
بلا عتاب وقيل الصفح الجميل الرضي بلا توبيخ فيه ولا حقد معه وفي
الامثال القديمة كاد الحليم ان يكون نبيا وروي ان رجلا قال يا
رسول الله علمني كلمات اعيش بهن ولا تكثر علي فانسى قال لا تغضب
والحلم الحلم اشرف الاخلاق واحقها بذوي الالباب لما فيه من راحة
السر واجتلاب الحمد واحق الناس به السلطان لانه منصوب
لاقامة اود الخلايق وممارسة اخلاقهم ولا يطيقون به في حال
سلمهم وانما يغشون بابه حين تنازعهم وخصوماتهم وشرورهم وتلدد

نفوسهم وضيق اخلاقهم فان لم يكن معه حلم يرد بوادره والورع يحث
حمل ثقيل وكان ابو تمام يقول في بيتين فضلتان لولاهما
ظاهرتان عند الرعية لهتفت بهما ذرعا يعني الحلم والاناءة وروي ان يحيى
بن زكريا لقي عيسى عليه السلام فقال يا روح الله اخبرني باشد الاشياء
في الدنيا قال غضب الله تعالى قال يا روح الله وما ينجيني من غضب الله
قال ترك الغضب قال يا روح الله كيف يرد الغضب قال التعزز والتكبر
والتجبر على الناس وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وجبت
محبة الله تعالى لمن غضب فحلم والذي يحلم يضرب الامثال في هذا الباب
قصة اسحق عليه السلام قال له ابراهيم عليه السلام يا بني اني ارى في
المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابة افعل ما تؤمر ستجدني
ان شاء الله من الصابرين ثم قتله للجبين واضرعا حلقه بالسكين فلم
يقل الاخير فقال الله تعالى فيه فبشرناه بغلام حليم وفي الاخبار يقول ابليس
لعنه لسان الحديد من الرجال لم نيأس منه وان كان يحيي الموتى بدعائه
لانه يأتي عليه ساعة يحتد فيها فنصيد منه الى ما نريد ويروى ان جعفر بن
محمد دخل على الرشيد واستخفه الغضب فقال يا امير المؤمنين الكف انما
تغضب لله تعالى فلا تغضب له تعالى قلبا اكثر من غضبه لنفسه
واعلم ارشدك الله ان هذه الكلمة لا قيمة لها والله اعلم حيث يجعل
رسالته فما افخمها واجل قدرها واعظم شانها لانك اذا كنت ايها السلطان
انما تتصرف في ملك الله بامره سبحانه وتعالى فالله تعالى قد حد حدودا
وشرع شرايع واقام فرايض وسننا ونهى عن حدود ورسوم ثم قدر
في كل خصلة عند مخالفته حدا محدودا ونهى ان يتجاوز ذلك الحد فلا

تقتل

تقتل من استحق الحبس والتاديب وكانت الخلفا يودبون الناس على قدر
منازلهم فمن عثر من ذوي المروات اقيلت عثرته ولم يقابل بشئ لقول
النبي صلى الله عليه وسلم اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم ومن سواهم كان يقا
بل على قدر منزلته وهفوته وكان يقام قايما في مجلس يقعد فيه نظراوه
فتكون هذه عقوبة واخر يشق جيبه واخر تنزع عمامته عن راسه
واخر يكلم بالكلام الذي فيه بعض غلظه قال الشعبي كان العصاة
في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهم اذا ادخل الرجل بثغره نزعت عمامته وطيف
به في المسجد على قومه ويقال هذا ادخل بثغره فلما ولي زياد صنعهم ونزع
عمايمهم فلما ولي مصعب بن الزبير حلق مع الضرب رؤسهم فلما ولي
بشر بن مروان اقامهم على الكراسي ثم مدت ايديهم وسمرها بمسامير ثم
نزع الكرسي من تحت رجليه حتى تتخرم يده فمن مات ومن حي فلما
ولي الرجل المعروف بالحجاج قال كل هؤلا يلعب من ادخل بثغره ضربت
عنقه وقال ارسطاطاليس الحكيم النفس الذليلة لا تحد الهوان
والنفس الشريفة يوثر فيها يسير الكلام وفيه قال الناظم الشاعر

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام

واعلم ان من تجاوز بالعقوبة فوق ما حد الله سبحانه وتعالى فيها
شارك المجرم في الذنب واستوجب ما يستوجبه المجرم من العقوبة
ويتبين بالاخرة انما يعاقب للهوى والشفي اذا مما يغضب الله تعالى
وفي كتاب سليمان بن داود عليهما السلام الظاهر لنفسه اشد ممن
يفتح المدينة وحده وصدق نبي الله عليه السلام فان الانسان
يفتح المدينة ويقهر اهلها ويغلب جنودها وحماتها ويقهر ابطالها

ثم تغلبه شهوته ويبقى اسيرا في ذل هواه وقد قهرته قينة بطنبور او
قدح خمر يذهب بعقله وقال اكثم بن صيفي الصبر على جرع مرارة الحلم
اعذب من جنى ثمر الندم وسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن
كبير امن كبراء فارس عن احد ملوكهم عندهم فقال لا ارد شيء فضل السبق
ان احدهم سيرة النوشروان قال فاي اخلاقه كان اغلب عليه قال الحلم
والاناة فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هما توءمان تنتجهما علو
الهمة ومن محمود السيرة ان تعرف الناس من اخلاقك انك لا تعجل
بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك ادوم لخوف الخايف ورجا الراجي
وقال محمد الوراق

سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وان كثرت منه علي الجرايم
فما الناس الا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثلي مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف فضله ... واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذي مثلي فان زل اوهفا ... تفضلت ان الحلم بالفضل حاكم
واما الذي دوني فان قال صنت عن ... اجابته عرضي وان لام لايم

وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول اسرع الناس جوابا من لم يغضب
ولا توقدن بين جنبيك جمرة الغضب واشدد اساتة بالحلم فان
شجر الينبوت اذا الحت عليه الرياح تحاكت اغصانها فتشتعل نارا وتحترق
من اصولها وقال عمر بن عبد العزيز ثلاث من اجتمعن فيه فقد
سعد من اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضي لم يدخله
رضاه في باطل واذا قدر عفا وكف وسئل جعفر بن محمد عن حد
الحلم فقال وكيف نوصف فضلا حتى لم تر كماله في احد وقال الاحنف

بن صيفي من حلم زاد وساد ومن تفهم ازداد وكف النمه لوم وصحبة الجاهل
شوم ولقا الاخوان تغم والمباشرة يمن ومن الفساد اضاعة الزاد وسب
رجل الشعبي بقبايح نسبها اليه فقال الشعبي ان كنت كاذبا يغفر الله لك
وان كنت صادقا يغفر لي وقال رجل لابي بكر الصديق رضي الله عنه
لابسبنك سبا يدخل معك في قبرك فقال ابو بكر معك والله يدخل الآمعي
وقال رجل للاحنف بن قيس ان قلت لي كلمة لتسمعن عشرا فقال
لكنك لو قلت عشرا لم تسمع واحدة ويروى ان رجلا سب الاحنف
وهو يماشيه في الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف فقال يا
هذا ان كان بقي معك شيء فقله هاهنا فاني اخاف ان يسمعك فتيان
الحي فينوذوك وسب رجل بعض الحكما فقال له الحكيم لست ادخل
في حزب الغالب فيلزمه شر من المغلوب وقال لقيط بن زرارة
لقوم لبني سعد فمالي وما لكم ترقون مني ما استطعت واعتق
اعذركم اني باحسن شيمة بصبر واني بالفواحش اخرق
وقال رجل لابي ذر انت الذي تفاك معاوية من الشام لو كان فيك
خير ما تفاك فقال يا بن اخي ان ورائي عقبة كؤدا ان نجوت منها
لم يضرني ما قلت وان لم انج منها فانا شر مما قلت وقال لقمان لابنه
يا بني ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب
ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخوك الا عند الحاجة اليه وسب رجل
بعض الحكما فاعرض عنه فقال له اياك اعني فقال له الحكيم وعنك
اعرض وفي هذا المعنى

قل ما بدا لك من زور ومن كذب ... حلمي اصم واذني غير صماء

وقيل يوما للاحنف
وقيل يوما للاحنف ما اهلمك فقال لست بحليم ولكن اتحالم والله اني
لاسمع كلمة فاصم لها واقاما يمنعني من جوابها الا الخوف فيما ان اسمع
شرا منها وقال الشاعر

ولست بمستبق اخا لا تلمه ... على شعث اى الرجال المهذب
ولست بمستبق اخا لا تلمه ... على شعث اى الرجال المهذب
ولست بمستبق اخا لا تلمه ... على شعث اى الرجال المهذب

وليس يتم الحلم للمرء راضيا ... اذا كان عند السخط لا يتحلم
وليس يتم الحلم للمرء راضيا ... اذا كان عند السخط لا يتحلم
وليس يتم الحلم للمرء راضيا ... اذا كان عند السخط لا يتحلم

كما لا يتم الجود للمرء موسرا ... اذا كان عند العسر لا يتيسم
كما لا يتم الجود للمرء موسرا ... اذا كان عند العسر لا يتيسم
كما لا يتم الجود للمرء موسرا ... اذا كان عند العسر لا يتيسم

وروي ان رجلا سب محمد بن جعفر فقال اما ما قلت فيما هو فينا
فنستغفر الله منه وما قلت مما ليس فينا فاما نكلك فيه الى الله
تعالى وقال بعض الحكما احذروا الغضب فرب غضب استحق
الغضبان به غضب الله تعالى وقال اكتم بر صيفي لا يكون الرجل
حليما حتى يقول السفيه انه لضعيف مستذل ولا يكون مخلصا
حتى يقول الاحمق انه مفسد ومن اشعر بيت قيل في الحلم قول
كعب بن زهير

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا ... اصبت حليما او اصابك جاهل
اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا ... اصبت حليما او اصابك جاهل
اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا ... اصبت حليما او اصابك جاهل

ووصف اعرابي رجلا فقال احلم من فرخ طاير وقال اعرابي
ان الغضب عدو العقل ولذلك يحول بين صاحبه وبين العقل والفهم
وقال صعصعة بن صوحان الغضب مقدحة في العقل ربما اصلد
وربما ازند وقال اعرابي اذا جاء الغضب تسلط العطب وكان
بن عوف اذا غضب على احد من اهله قال سبحان الله بارك الله فيك
وقال الاصمعي دفع ازد شنوة الى رجل كان يقوم على راسه كتابا وقال
له اذا رايتني اشتد غضبي فادفعه الي وكان فيه اسكن فلست بالله
انما انت بشر يوسك ان ياكل بعضك بعضا ونصيح عن قريب للدود

والرتاب وهذه السيرة اول من سنها فلكذ تبع امرا ان يكتب في كتاب
اسكن فلست بالله انما انت بشر وقال لصاحبه اذا غضبت
فاعرضه علي فكان اذا غضب عرضه عليه فاذا قراه سكن غضبه
وقال معاوية افضل ما اعطى الرجل الحلم فاذا ذكر ذكر
واذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر واذا غضب كظم واذا قدر عفى واذا
اسي استغفر واذا وعد انجز وفي الحكمة مكتوب من اطاع الغضب
حرم السلامة ومن عصى الحق غمره الذل وقال بعض الحكما كظم
الغيظ حلم والحلم صبر والتشفي ضرب من الجزع وقال احزاول
الغضب جنون واجزاه الندم وقال بعض الحكما اذا غلبت على الرجل
اربع خصال فقد عطب الرغبة والرهبة والشهوة والغضب
وقيل لبعض الصالحين ان فلانا يقع فيك فقال لاغيظن من
امره يغفر الله لي وله قيل ومن امره قال الشيطان وقال رجل لاخيه
اني مررت بفلان وهو يقع فيك ويذكر اشياء رحمك منها قال
فهل سمعتني اذكره بشيء قال لا قال فاياه فارحم وقال الفضيل
ثلاثة لا يبلا مون على الغضب المريض والصايم والمسافر وقال
الاحنف بن قيس لقد تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري
اني لجالس معه اذ جات جماعة يحملون قتيلا ومعهم رجل ما سور
فقيل هذا ابنك قتله اخوك فوالله ما قطع حديثه ولا احل
حبوته حتى فرغ من منطقه ثم التفت اليه وقال هذه الابيات

اقول للنفس تاساة وتعزية ... احدى اصابتي ولم ترد
اقول للنفس تاساة وتعزية ... احدى اصابتي ولم ترد
اقول للنفس تاساة وتعزية ... احدى اصابتي ولم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي
كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي
كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

يديك م

ثم قال لاخي المقتول قم فاطلق عم عمك وراحاك وسق الى امه مائة
من الابل فانها غريبه ومن ابل بيت قالته العرب قول بعضهم

فصبح بالخير هرش بالخنا ربح الاحلام زيال الازر

وقال اخر

يا احلام عادلا يخاف جليسهم اذا نطق العود اغرب لسان

اذا حدثوا لم يحنثوا سوء استماعهم وان حدثوا ادوا وحسن بيان

وقال المسيح عليه السلام ما حلم من لم يصبر عند الجهل وما قوة من
لم يرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب تعالى وقيل للاسكندر
ان فلانا وفلانا تنقصانك ويتلبسانك فلو عاقبتهما قال بعد العقوبة
اعذر في ثلبي وتنقصي وروي ان جرير بن عبد الله بينما راكب قد اردف
ابنه اذ لقيه رجل فنال منه وجرير ساكت فلما ولى قال ابنه يا ابت
لم سكت عنه قال يا بني افا وسع جرحي وقال بعض الحكماء متا
استفي غيظي حين اقدر فيقال لو عفوت ام حين اجهل فيقال لو
صبرت وقيل لبعض اصحاب الاحنف اكان الاحنف يغضب فقال
نعم لو لم يغضب ما بان حلمه كان يغضبه الشيء فيبين في وجهه اليومين
والثلاثة وهو يصبر ويحلم ومن لم يغضب من الاشياء التي مثلها
يغضب فقد فقد من الفضايل الشجاعه والحميه والانفه والدفاع
والاخذ بالثار والغيره لان هذه الفضايل نتايج الغضب فمن فقد
الغضب فقد ستر الفضايل على ما سنذكره في باب الشجاعة
ان شاء الله تعالى وعند فقد الشجاعه يكون فقد المهابة ومن
فقد المهابه يكون سفسافا في الاخلاق ورذل الطباع فلا يبقى لساتر

فضايله موقع وكان يقال من لم يغضب فليس بحليم لان
الحليم انما يوصف عند الغضب وكان الشعبي يقول الجاهل خصم
والحليم حاكم وقال الشافعي من استغضب ولم يغضب فهو حمار
ومن استرضي ولم يرض فهو جبار وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
يغضب ولكنه انما كان يغضب لله لا لنفسه بل عند انتهاك
حرمات الله واعلم ان الله تعالى ما مدح من لا يغضب وانما مدح
من كظم الغيظ فقال تعالى والكاظمين الغيظ وقد انشد التابعة
الجعدي بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم

ولا خير في حلم اذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا

ولا خير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم قوله وكان به عمرا اذا سافر استتبع
سيفها ويقول فستدفع به شر السفها الباب التاسع والعشرون
فيما يسكن به الغضب فاول ذلك لو نظرت الى تغير اشكالك وتبدل
صورتك واحمرار وجهك وانتفاخ اوداجك وذهاب حيائك
وسقط كلامك وفحش ما يخرج من فيك لامسكت عن الغضب
ولطال ما كنت تستحي ان تتكلم بين يدي الجلساء بالبيء الجايز
فعدت تهذر بالكثير الفاحش ولو ان من غضب استذكر
اذا صحي عربة انقلاب صورته وتغير وجهه واضطراب شفتيه
وارتعاد اطرافه وسقط كلامه وفحش خطابه وافتراء لسانه
وخفة عقله وطيشه وتوثبه من مجلسه كانه مزوا لثقافه
يمينا وشمالا كانه قرد وعدم فهمه لما يسمع كانه بهيمه وقلت

الى من يعظه كانه احمق ومن شوم الغضب وعظم بليته انه قد
يقتل النفوس ويسلب الارواح وكان سبب موت مروان بن عبد
الملك انه وقع بينه وبين اخيه سليمان كلام فجهد عليه سليمان
فقال يا من يلحق امه ففتح فاه ليجيبه واذا بجنبه عمر بن عبد العزيز
رحمه الله فامسك على فيه ورد كلامه وقال يا ابا عبد الملك احوك
وامك فقال يا ابا حفص قتلتني قال وما صنعت بك قال
رددت في جوفي الحر من الجمر ثم مال لجنبه فمات من وقته ولهذا قد
يزيد على الحمقا وصفها ان تنتقل عن الحالة التي كان عليها الى
حالة غيرها كانت الفرس تقول اذا غضب القائم فليجلس واذا
كان جالسا فليقم وبهذا المذهب كان المكرب يأخذ نفسه و
روى ان رجلا شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم القسوة فقال اطلع في
القبور واعتبر بالنشور وكان بعض ملوك الطوايف اذا غضب
القى بين يديه مفاتيح ترب الملوك فيزول غضبه وكان عكرمة
يقول في قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت يعني اذا غضبت فانه
اذا ذكر الله تعالى خاف منه فيزول غضبه وفي التوراة يا بن ادم
اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن
امحق وصفها ان يتذكر بغرة القلوب عنه وسقوط منزلته عند
ابنا جنسه ووصفهم لمقابحه وطيشه وسخفه فيكون ذلك سببا
لزوال غضبه وصفها ان يتذكر انعطاف القلوب اليه وانطلاق
الالسنة بالثنا عليه وميل النفوس اليه وان الحلم عز وزين الله
وان السفه ذل وشين وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله

عليه وسلم قال ما ازداد احد بعفو الا عزا فاعفوا يعزكم الله وقال بعض
الحكما من تذكر قدرة الله سبحانه لم يستعمل قدرته في ظلم عباده
وكتب بعض ملوك الفرس كتابا ودفعه الى وزيره وقال اذا غضبت
فتاولنيه وفيه مكتوب هالك وللغضب انما انت بشر ارحم من
في الارض يرحمك من في السما وكان معاوية كثيرا ما ينشد

انا اذا ما لمت دواعي الهوى ... ونهضت السامع للقايل
واعلج الناس بما يهم ... بقضي بحكم عاقل فاضل
تخاف ان تسفه احلامنا ... فيحمل الزهر مع الخامل

وقال بعض البلغا اياك وعزة الغضب فانها تقضي الى الذلة
العذر وقال الشاعر

واذا ما عمرتك في الغضب العزة ... فاذكر مذلة الاعتذار

وقال اخر

نزرنا على غير الفواحش قصدنا ... ولم نستخر غير الذي هو اجود

وقال عبد الله بن مسلم مجاوبا لهرون يا امير المؤمنين اسلمك
بالذي انت بيده يديه غدا اذل مني بين يديك اليوم وبالذي
هو اقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوت عني فعفى عنه
لما ذكر مقدرة الله عليه وقال رجا بن حيوة لعبد الملك بن مروان
في اساري ما استطعت ان الله تعالى قد اعطاك ما تحب من
الظفر فاعط الله ما يحب من العفو وقال المامون لابراهيم
بن المهدي وكان مع اخيه عليه اني شاورت في امرك فاشاروا علي
بقتلك الا اني وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت القتل للائم

حرمتك فقال يا امير المؤمنين اشاور بما جرت به العاده في السياسه
الا ملك ابيت اللعن تطلب النصر الامه حيث عودته من العفو فان عاقبت
فلك ذلك وان عفوت فلا نظير لك ثم انشا يقول

الا ايها الملك الذي منك وطا العذ عند لك لي مقام شاهد عدل غير متهم
وقام عليك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم
وقال بعض الحكما الغضب على من لا تملك عجز وعلى من تملك لوم وحقا
ان يتذكر ما يؤل اليه الغضب من الندم ومذلة الانتقام وشروع
القصاص في بدنه بين يدي من لا يرحمه فان ذلك ما يردعه عن الغضب

الباب الثلاثون في الجود والسخا فهذه الخصلة الجليلة قد
عد الملكه واساسها وتاجها تعنو لها الوجوه وتذل لها الرقاب و
تخضع لها الجبابره وتشرف لها الاحرار ويستمال لها الاعدا ويستكثر
بها الاوليا وتحقن بها الدما ويملك بها القربا والبعدا ويسود بها
في غير عشايرها الغربا فهذه الخصله بالغرايم الواجبات اشبه منها
بالجمال والمهمات وكم قد رايا كافرا ترك دينه والتزم دين الاسلام
ابتغا عرض قليل من الدنيا يناله وكم سمعنا من مسلم ارتد في ارض
الشرك افتتانا بيسير من عرض الدنيا ولخلق بخصلة يترك
فيها الانسان دينه الذي يبذل دونه نفسه ان تكون جليلة القدر
عظيمة الخطر واحق خلق الله اليها افقرهم الى عطف القلوب عليه
وصرف الوجوه اليه وهم الملوك والولاة واعلموا يا معشر من وسع الله
تعالى عليه دنياه واسبغ عليه الاه ونعماه انه ليس في الجنه لاو لهذا

وصف

وصف بعضهم البخلا بخيلا فقال هو حلمه من حيث وجدت لا وقالوا
في المثل هذا فلان مسخبه وحسبك بكلمة لا تدخل الجنه سفوطا وضعه
وانما اسس الجنه على ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وهذه الخصله
اعني الكرم والجود والسخا والايثار بمعنى واحد ويوصف الباري سبحانه
بالجود ولا يوصف بالسخا كما يوصف بالعلم ولا يوصف بالعقل لعدم
التوقيف وحقيقة ان لا يصعب عليه البذل ويقال السخا هو الرتبة
الاولى ثم الجود ثم الايثار فمن اعطى البعض وامسك لبعض فهو صا
حب سخا ومن بذل الاكثر فهو صاحب جود ومن اثر غيره بالحاضر
وبقي هو في مقاسات الضر فهو صاحب ايثار وقال ذو النون بدايه
السخا ان تسخو لنفسك بما في يديك ونهايته ان تسخو نفسك بما في
ايدي الناس للناس وان لا تتبال من اكل الدنيا تذاكر قوم من الزهاد
عند رابعة العدويه فجعلوا يذمون الدنيا ويكثرون من ذلك فقالت
رابعة من احب شيئا اكثر من ذكره واصل السخا هو السماحة وان ياتي
بعطيا ته عن طيب نفس وقد يكون المعطي بخيلا اذا صعب عليه البذل
والممسك سخيا اذا كان لا يستصعب العطا وان منع ولهذا قال
علما وانا ان الله تعالى لم يزل جوادا وان كان لم يقع منه عطا في الازل
لان العطا فعل والفعل في الازل مستحيل وقال الحكما ايها الجامع
لا تخذ عن فالمأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو
قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصه وقال ابو هر
يرة جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني جايع فا
طعمني فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى ازواجه يلتمس له شيا فقلن

والذي بعثك بالحق ما عندنا الا الما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
عند رسول الله ما يطعمك الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة
رحمه الله فقال رجل من الانصار انا يا رسول الله فحمله الى منزله وقال
هذا ضيف النبي صلى الله عليه وسلم فاكرميه ولا تدخري عنه شيئا فقالت
ما عندي الا قوت الصبية فقال قومي فعليليهم عن قوتهم حتى يناموا
ثم اسرجي وابرزي فاذا اخذ الضيف يأكل قومي كأنك تصلحين السراج
فاطفيه ويقال غمض الستنا الضيف النبي صلى الله عليه وسلم فعلت
وجعلا يمضغان الستنهما والضيف يظن انهما يأكلان وباتا طاويين فلما اصبحوا نظر النبي صلى الله عليه وسلم اليهما فتبسم فقال لقد عجب الله
من فلان وفلانة هذه الليلة ونزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة الايه وقال انس اهدي لبعض الصحابة
راس شاة مشوية وكان مجهودا محزونا فبعث به الى جاره فوجه به
الجار الى اهل بيت اخر فتداولته سبعة ابيات حتى عاد الى الاول
فنزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الاية وقال حذيفة
العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شئ من ماء
وانا اقول ان كان به رمق سقيته فاذا انا به بين القتلى فقلت اسقيك
فاشار ان نعم فاذا برجل يقول آه فاشار ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو
هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع اخر يقول آه فاشار هشام
ان انطلق اليه فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات
ثم رجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وروت عائشة رضي الله عنها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب

من

١٧٦

من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من
الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل السخي احب الى الله من العابد
البخيل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ابن ادم انما لك من مالك
ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او اعطيت فامضيت وما تركته
فللوارث واعلم ان السخا على وجوه سخا في الدنيا وسخا في الدين فالسخا
في الدنيا البذل والعطا والايثار وسماحة النفس قال الله تعالى ومن
يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وعلامته ترك الادخار وبغض
جمع المال وتفاهد الاخوان مسرورا بذلك قلبه والسخا في الدين ان
تسخو بنفسك ان تتعلمها لله تعالى وتريق دمك في الله تعالى سماحة
من غير كراهة لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا اجلا وان كان غير مستغن
عن الثواب لان الغالب على قلبه حسن كمال السخا بترك الاختيار
على الله تعالى حتى يفعل الله بك ما لا يحسن ان تختاره لنفسك وقيل
لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من السيد قال الجواد اذا سئل والحليم اذا
استجهل والكريم المجالسة تدعى جالسه والحسن الخلق لمن جاره وقال
النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من افضل الناس عيشا وانعمهم بالا
واكرمهم طباعا واحلمهم في النفوس قدرا فسكت القوم فقام فتى فقال
ابيت اللعن افضل الناس من عاش الناس في فضله قال
صدقت وقال الحسن باع طلحة بن عثمان رضي الله عنهما ارضا
بسبع مائة الف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا بيت هذا عنده
لا يدري ما يطرقه لعزيز بالله تعالى ثم جعلها صررا وجعل رسوله
يختلف حتى قسمها وما اصبح عنده منها درهم وكان اسماء بن خارجة

١٧٧

يقول ما احب ان ارد احدا عن حاجة لانه ان كان كريما اصون عرضه وان كان
لئيما اصون عنه عرضي وكان مورق العجلي يتلطف في ادخال الرفق
على اخوانه فيضع عندهم الف درهم ويقول اسكنوها حتى اعود اليكم ثم يرسل
الى كل رجل منهم انتم منها في حل وقال العتبي اعطى الحسن بن الحكم بن عبد
المطلب جميع ما يملكه فلما نفذها عنده ركب فرسه واخذ دمحة يريد الغزو
بمنبج فمات بمنبج فاخبرني رجل من اهل منبج قال قدم علينا الحكم وهو نا
مملق لا شيء معه فاعنا فقيل كيف اغناكم وهو مملق فقال ما اغنانا
بمال ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض وكرم العرب في الا
سلام طلحة بن عبيد الله جاءه رجل فساله رحم بينه وبينه فقال هذا الرجل
حايطي بمكان كذا وكذا وقد اعطيت به ستمائة الف درهم براح الى بالمال
العشية فان ستيت بالمال والا ستيت بالحايط ويروى ان رجلا بعث
الى جبلة بجارية فوافته بها اصحابه فقال قبيح ان اتخذها لنفسي و
انتم حضور واكره ان اخص بها واحدا منكم وكلكم له حق وحرمة
وهذه لا تحتمل القسمة وكانوا ثمانين رجلا فاقام لكل منهم يجارية او وصيف
وقيل لقيس بن سعد هل رايت قط اسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية
على امراة فحضر زوجها فقالت انه نزل بنا ضيفان فجاءنا قد فنيها
وقال شانكم فلما كان الغد جاء باخر وذبحها وقال شانكم فقلنا
ما اكلنا من الذي ذبحت البارحة الا اليسير فقال اني لا اطعم صنفي الطعام
فبقينا عنده اياما والسماء تمطر وهو يفعل ذلك فلما اردنا الرحيل وضعنا
مائة دينار في بيته وقلنا للمراة اعتذري لنا اليه ومضينا فلما منع
النهار اذا رجل يصيح خلفنا قفوا ايها الركب اللئام اعطيتموني ثمن قرانا

انه لحقنا وقال لنا لتاخذنها او لاطعنكم برمحي فاخذناه وانصرف وقال
ميمون بن مهران من طلب مرضاة الاخوان بالاسى فليصحب اهل القبور
وقال ابن عباس لاتم المعروف الا بثلاث تعجيله وتصغيره وستره فا
ذا عجلته فقد هنأته واذا صغرته فقد عظمته واذا سترته فقد تممته
وقال الحسن كان اصحابه يشقون ازاره لاحيه نصفين وقال المغيره
في كل شرف الا في المعروف وقيل للحسن بن سهل لا خير في السرف فقال لا
سرف في الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى فنظمه محمد بن حازم رحمه الله وايانا فقال

لا الفقر عار ولا الغنا شرف ولا السخا في طاعة سرف
مالك الا شيء تقدمه وكل شيء اخرته تلف

واما طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات وانما
سمي بهذا الاسم لانه كان عظيم البذل في كل وجه وكان يبتاع الرقاب ويعتقها
وكان كل معتق يولد له بن ذكر سماه طلحة فبلغ عددهم الف رجل كل يسمى
طلحة فسمي طلحة الطلحات ثم ولي سجستان وفيه يقول الشاعر

نضر الله اعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

ويبلغه ان معلما في الكتاب كان في الحجاز قد قعد به الدهر فارسل اليه
مع غلامه مائة الف درهم وقال سلمها اليه فان لم يكن قد مات وله
ولد فادفعها الى ولده وان لم يكن له ولد فرقها على اهل قومه وقال زيد
بن اسلم وكان من الخاشعين يا بن ادم امرك الله ان تكون كريما وتدخل
الجنة وهناك ان تكون لئيما فتدخل النار وقال ابو علي الثقفي المعروف
كثر لا ينفد من بر ولا فاجر وكان الزبير من اجود الناس واشجعهم وكما
مات وجد عليه مائة الف دينار ووجد مكتوب على حجارته نهز الفرص

عند امكانها ولا تحمل على نفسك هم مالم يأتك واعلم ان تقتيرك على نفسك توفير
لخزانة غيرك فكم خازن لبعل حليلته وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ما جمعت من مال فوق قوتك فانما انت خازن لغيرك وروى مالك في الموطا
ان مسكينا سئل عائشة رضي الله عنها وهي صايمة وليس في بيتها الا رغيف
فقالت لمولاتها اعطه اياه ففعلت فلما امستا اهدى اليها اهل بيت شاة و
كفنها يعني ملفوفة بالرغفان فقالت لي عائشة هذا خير من قرصك
وقال عبد الله بن عمر ما كان احد نا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحسب ان له في الفضل شيئا وقال الحسن كنا نعد البخيل من يتوضأ
اخاه الدرهم وعن عجايب ما ذكر في الايثار وما ذكر ابو محمد الازدي
قال لما احترق المسجد بمصر ظن المسلمون ان النصارى احرقوه فاخرقوا
خانا لهم فقبض السلطان جماعة من الذين احرقوا الخان وكتب رقاعا
فيها القتل وفيها القطع وفيها الجلد ونثرها عليهم فمن وقعت عليه رقعة
فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال ما كنت ابالي
لو لا ام لي وكان بجنبه بعض الفتيان فقال له في رقعتي الجلد وليست
لي ام فادفع الي رقعتك وخذ رقعتي ففعل ذلك وتخلص هذا
وحكي عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده بيف وثلاثون رجلا
بقرية بقرب الري ولم ارغفهم لتشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا
السراج وجلسوا للطعام الى ان كفوا فلما وضع اذا الطعام بحاله لم ياكل احد
منهم ايثارا لصاحبه على نفسه وروي انه اجتمع بالرملة جماعة من
ارباب القلوب فحضر طبق فيه تينتان احضر وقد غسق الليل فكان
الواحد منهم يمد يده فان ظفر بحبة خصرم اكلها وان ظفر بطيب دفعه

[3] فقال ليس لك ما تنظرين عليه فقالت اعطيه اياه صح

الى صاحبه ولم ياكله فلما رفع الطبق اذا الطيب كله في الطبق لم ياكلوا منه
شيئا وقال بعض الرواة نضر الناس يزيدون الشباب في مثل هذا اليوم
وانت قد نقصت فقال ذكرت الفقراء وما هم فيه ولم يكن لي ما اواسيهم به فاردت ان اواسيهم بنفسي في مقاساة البرد وقال الاستاذ
ابو علي الماسح غلام جليد بالصوفية الى الخليفة بالرقة فامر بضرب
اعناقهم فاما الجنيد فانه تستر بالعقة وكان يفتي على مذهب
ابي ثور واما الشحام والزقام والنوري فقبض عليهم وبسط النطع
لضرب اعناقهم فتقدم النوري امامهم فقال السياف اتدري
لم تتقدم قال نعم قال وما يعجلك قال اوثر اصحابي بحياة ساعة
فتحير السياف واتا الخبر الى الخليفة فردهم الى القاضي ليتعرف حالهم فالقى
القاضي على ابي حسين النوري مسايل فقهيه فاجابه عن الكل
ثم اخذ يقول ويعيد فان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا
نطقوا بالله وسرد الفاظا حتى ابكا القاضي فارسل الى الخليفة وقال
ان كان هؤلاء زنادقة فما على الارض مسلم فاربا طلاقهم وعن
وعن قيس بن مسلم سعد بن عباده استبطى اخوانه في العيادة فسال
عنهم فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال احزن الله
لا يمنع الاخوان من الزياره ثم امر من ينادي من لقيس عنده مال
فهو منه في حل فلسرت عتبة بابه من العشي لكثرة العواد ويروى ان
عبد الله بن جعفر وكان من الاجواد خرج الى ضيعة له فنزل على
نخيل قوم وفيها غلام اسود يقوم عليها فاتي بقوته ثلاثة اقراص و
دخل كلب فدنا من الغلام فرمى اليه بقرص فاكله ثم دنا اليه بالثاني في

[2] دخلت على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب فقلت يا ابا

لبعض المتعبدين انظنون السخاء في الدرهم والدينار والدرهم فقط انما
السخاء في بذل مهج النفوس لله سبحانه وتعالى وقال ابو بكر الدقاق ليس
السخاء ان يعطي الواجد المعدم انما السخاء ان يعطي المعدم الواجد وقال
الشيخ ابو بكر بن عبد الرحمن كان الاستاذ ابو سهل الصعلوكي من الاجواد
لم ير ولم اعلم شيئا بيده وانما كان يطرحه في الارض فيتناوله الاخذ من
الارض وكان يقول الدنيا اقل خطرا من ان تزن من اجلها يدي فوق
يد اخرى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى
وكان ينتوضا يوما في صحن داره فدخل عليه انسان فسأله شيئا فلم
يحضره شيء فقال اصبر حتى يفرغ فصبر فلما فرغ اخذ القمقمة واخرج فلما
خرج وعلم انه خرج صاح وقال دخل انسان واخذ القمقمة فمشوا خلفه فلم
يدركوه وانما فعل ذلك لانهم كانوا يلوسونه على البذل وما في معناه قيل
له ملأت يدي من الدنيا مرارا فما طمع العواذل في اقتصادي
فلا وحيت عن زكاة مال وهل تجب الزكاة على جواد

وكان ابو مزيد احد الكرام مدحه بعض الشعراء فقال ما عندي
ما اعطيك ولكن قد مضى الى القاضي وادعى علي بعشرة الاف درهم حتى اقر
لك بها لم احبسني فان الحبس لا يليق بي مجبوسا ففعل ذلك فلم يمسي
حتى دفعوا اليه عشرة الاف درهم وقال زياد بن جرير رأيت طلحة
بن عبيد الله فرق مائة الف درهم في مجلسه وانه ليخيط ازراره بيده ولما
دخل المنكدر على عائشة رضي الله عنها قال لها يام المؤمنين اصابتني فاقة
فقالت ما عندي شيء فلو كان عندي عشرة الاف لبعثتها اليك فلما خرج
من عندها جاءها عشرة الاف من عند خالد بن اسيد فقالت

ما

ما اسرع ما ابتليت فارسلت في اثره فدخل السوق فاشترى جارية
بالف درهم فولدت له ثلاثة اولاد فكانوا عباد المدينة محمد وابو بكر وعمر
بنو المنكدر وقال يحيى بن معين كان حريز بن يزيد في دار الطلب
فجاء انسان يساله فقال للغلام اذهب الى الجواري فقل لهن اراد منهن
ان تضع ثيابها فلتبعث بها فجاء الغلام بثياب كثيرة فقال للسايل
خذها وقال الاصمعي كانت حروب بالبادية ثم بالبصرة فتفاقم
الامر فيها حتى مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا في المسجد الجامع
قال فبعثت وانا غلام الى ضرار بن القعقاع بن دارم واستاذنت عليه
فاذن لي فاذا هو في شملة يخبط نوى لعنز له حلوب مخبرتة بمجتمع
القوم فامهلت حتى اكلت العنز ثم غسل القصعة وقال يا جارية
غدينا فاتت بزيت وتمر قال فدعاني فقدرت ان الاكل معه حتى
اذا قضى من اكله حاجته وثب الى طين ملقى في الدار فغسل يديه
وقال يا جارية اسقنى ماء فاتته بماء فشرب منه ومسح فضله على وجهه
ثم قال الحمد لله ما ألذات بتمر البصرة بزيت الشام متى تؤدي شكر
هذه النعمة ثم قال علي برداي فاتته برداء عدني فارتدى به على تلك
الشملة كما قال الاصمعي فتحافيت عنه استقبالا لزيه فدخل المسجد
وصلى ركعتين ومشى الى القوم فلم يبق حبوة الا حللت اعطاه ماله
ثم جلس فتحمل ما جمع ما كان بين الاحياء من الديات في ماله وانصرف

وكان البهلول بن راشد الفقيه لما سجن يعطى كل يوم دينارا
للسجان فاستكثره اصحابه وكلموه في ذلك فقال لهم حفص بن غياث
سمعت سفيان الثوري يقول اذا اكمل صدق الصادق لم يملك ما في

يده

فخر يهلول على يديه وقبلهما وجعل يقول سالتك بالله انت سمعته يقول هذا فحلف بالله لقد سمعته يقول وقال الشاعر

ذريني اكن للمال ربا ولا يكن ... لي المال ربا يحتوي عنه عيدا

اريني جوادا مات هزلا لعلني ... اذا ما تريني او بخيلا مخلدا

وكان عبد الله بن ابي بكر يتفقد على اربعين دارا من جيرانه عن يمينه واربعين عن يساره واربعين امامه واربعين خلفه ويبعث اليهم بالاضاحي واللسوة في الاعياد ويعتق في كل عيد مائة مملوك واشترى يوما جارية بعشرة الاف درهم وطلب دابة يحملها عليها فقال رجل هذه دابتي فقال احملوها على دابته الى داره وقال عبد الله بن زهير لسقم

وعاذلة تخشى الردى ان يصيبني ... تروح وتغدو باللامة والعصم

تقول هلكنا او هلكت وانما ... على الله ارزاق العباد كما زعم

واني احب الخلد لو استطيعه ... وكالخلد عندي ان الام ولم الم

وروي ان اعرابيا قدم على علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين لي اليك حاجة الحياء يمنعني ان اذكرها قال فخطها في الارض فخط فيها اني فقير فقال للغلام يا قنبر اكسه حلتي فكساه الحلة فقال الاعرابي كسوتني حلة تبلى محاسنها ... فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا

ان قلت حسن ثنائي قلت ملكرمة ... ولست ابتغي بما قد قلته بدلا

ان الثنا ليحيي ذكر صاحبه ... كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا

لا تزهدن الدهر في عرف بدأت به ... كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا

فقال علي رضي الله عنه زده مائة دينار فاعطاه اياها فلما ولى الاعرابي قال قنبر يا امير المؤمنين لو وفرتها على المسلمين لاصلحت لها شاهم

فقال مه يا قنبر لا تفعل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تشكر والده انا عليكم واذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وقال مطرف بن الشخير اذا اراد احدكم مني حاجة فليرفعها الي في رقعة فانا اكره ان ارى في وجهه ذل الحاجة قرئ على القاضي ابو الوليد وانا اسمع

وترى هذه الابيات لاسحق بن ابرهيم الذي يقال له النديم

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ... فذلك شيء ما اليه سبيل

ارى الناس خلان الجواد ولا ارى ... بخيلا له في العالمين خليل

وهل خير حالات الفتى لو علمته ... اذا نال شيئا ان يكون ينيل

واني رايت البخل يزري باهله ... فاكرم نفسي ان يقال بخيل

ولعروة بن الورد

واني امرؤ ما في اناء شركتي ... وانت امرؤ ما في اناءك واحد

اتضحك مني ان سمنت وان ترى ... بجسمي شحوب الحق والحق واحد

اقسم جسمي في جسوم كثيرة ... واحسو قراح الماء والماء بارد

وقال بعض الحكماء اصل المحاسن كلها الكرم واصل الكرم نزهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما ملكت من الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه وروي انه كان عند الهلول بن راشد طعام فغلا السعر فامر به فبيع له ثم امر ان يشترى له نصف ربع القفيز من طعام فيقال له بتبيع وتشتري فقال نفرح اذا فرح الناس ونحزن اذا حزنوا الناس وقالت ام جالم الطائي هذه الابيات

لعمري لقد غصني الجوع غصة ... فاليت ان لا اسنع الدهر جائعا

فقولا لهذا اللائم الان يكفني ... فان انت لم تستطع فعض الاصابعا

فهل ما ترون اليوم الا طبيعة ... فكيف بترك يا بن ام الطبائعا

وقال آخر

اصون عرضي بمالي لا ادنسه ... لا بارك الله بعد العرض في المال

احتال للمال ان اودي فاجمعه ... ولست للعرض ان اودي بمحتال

ويروى ان رجلا سال الحسن بن يحيى شيئا فاعطاه خمسين الف درهم وخمس مائة دينار وقال ائيت بحمال يحمله فاتى بحمال فاعطاه طيلسانه وقال يكون كراء الحمال من قبلي ويروى ان الليث بن سعد سالته امراة سكرجة عسل فامر لها بزق عسل فقيل له في ذلك قال انها سالت على قدر حاجتها ونحن نقطع على قدر نعمتنا ويروى ان رجلا استضاف لعبد الله بن عامر بن كريز فلما اراد الرجل ان يرتحل يعنه علم انه سئل عن ذلك فقال عبد الله انهم لا يعينون من يرتحل عنهم عناء وفي معناه قال المتنبي

اذا ارتحلت عن قوم وقد قدروا ... ان لا تفارقهم فالراحلون هم

الباب الحادي والثلاثون في بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما

الشح في كلام العرب البخل وضع الفضل كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرافها وسواسها وروى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا الدما واستحلوا محارمهم وقد فرق بينهما مفرقون فقال الشح اشد من البخل فان البخل اكثر ما يكون في منع النفقة واصلها قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال عز من قايل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه وقال في الشح اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا وقال ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فالشح يشبه على الكراهة والامتناع وهو يكون في المال وفي جميع منافع البدن وقال بعض ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان يطمح الى

ما ليس له ولهذا قال ابن المبارك سخا النفس عما في ايدي الناس افضل من سخا النفس بالبذل وقال رجل لابن مسعود اني اخاف ان اكون قد هلكت سمعت الله تعالى يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال ليس بالشح الذي ذكر الله ولكن الشح ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل ففرق بينهما كما ترى وقال ابن عباس رضي الله عنهما يتبع هواه فلم يقبل الايمان وقال طاوس الشح ان يبخل المرء بما في ايدي الناس والبخل ان يبخل المرء بما في يده وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال برئ من الشح من ادى الزكاة وقرى الضيف واعطى في النائبة وقال ابن زياد من لم ياخذ شيئا نهاه الله عنه ولم يدعه الشح ان يمنع شيئا امره الله به فقد وقاه شح نفسه وقال ابو الهياج الاسدي رايت رجلا في الطواف يقول اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فسالته عن ذلك فقال اذا اوقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم اقتل فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال واعلم بان البخل يكون من سوء الظن بالله عز وجل الا يخلف ولا يثيب وهو يوهن التصديق بما تكفل الله تعالى به وينطرق الخلل والامتناع الى جميع الاوامر بين العبد وبين الخالق وبين العبد والخلق في ترك معاونتهم وقال كرز لاصحابه اي داء باين ادم قالوا الفقر قال كرز الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد استمتع والشحيح لا يشبع ابدا ولما قدم الشافعي من صنعاء الى مكة كان معه عشرة الاف دينار فقالوا له اشتر دورها فضيعه فضرب خيمة خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شيء ولما حضرت وفاته

قال مرة فلانا يغسلني وكان الرجل غايبا فلما قدم اخبر بذلك فدعا بتذكرته
فوجد سبعين الف درهم دينا عليه فقضاها وقال هذا غسلي له وروى ان
ان يهودي اراد ان يسود عبد الله بن عباس فاتاه وجوه الناس وقال يقول لكم ابن عباس
تغدوا اليوم عنده فاتوه وملوا الدار فقال ما الخبز فاحضر الخبز فامر ان يشترى
الفواكه في الوقت وامر بالخبز والطبيخ فاصلح امره فلما صلح قال لوكلائه
امروا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد هؤلاء عندنا الى شهر كل يوم فاطعموا
نعم ومن الخصال الجارية مجرى الكمال والجمال ولعلها من الاصول الصبر

الباب الثاني والثلاثون في الصبر وجميل عواقبه الصبر زمام

سائر الخصال وزعيم الغنم والظفر وملاك فضيلة وبه ينال كل خير
وبكرمه قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا
وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فعظم وضايف الذين
ذكر الله تعالى ورسوله جزاء معلوم لمن اقامها الا الصبر فانه يجازى
بغير حساب قال الله تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقيل
عن الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما اخذوا باس الامر جعلهم الله
تعالى رؤسا وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون لنبيه
عليه السلام وقال انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك وقال تعالى
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى
كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ثم نبههم الى الصبر
مع وجود الاذى فقال واصبروا ان الله مع الصابرين والصبر حبس النفس
على الاوامر والمكاره وعن النواهي والمعاصي الا ترى ان اهل الجنة لما دخلوا
فقيل لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار واخبر الله تعالى انه انما

جنته

معرفة الصبر

جنته بصبرهم يعني صبرتم على طاعة الله وصبرتم عن معاصي الله قال الله
تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه اي احبس نفسك ومن امارات حسن التوفيق وعلامات السعادة
الصبر في المكاره والرفق عند النوازل وفيما يروى ان الله عز وجل
اوحى الى داود عليه السلام يا داود من صبر علينا وصل الينا وقال
سفيان الثوري بلغنا ان لكل شيء ثمرة وثمرة الصبر الظفر قال الله
تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون فعلق الفلاح على الصبر والتقوى يعني اصبروا على ما فرض
الله عليكم وصابروا اعدوكم ورابطوا فيه قولان قيل رابطوا على الجهاد
والثاني رابطوا انتظار الصلوات بدليل ما روى عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحط
الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء
عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد
الصلاة فذلكم الرباط وقال الحسن في قوله تعالى واذ ابتلى
ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال ابتلاه بالكوكب فصبر وبالقمر
فصبر وابتلاه بذبح ابنه فصبر وقال سبحانه واستعينوا بالصبر
والصلاة ان الله مع الصابرين فبدا بالصبر قبل الصلاة ثم قال
قولا عظيما فجعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقال النبي صلى
الله عليه وسلم للانصار وما يكن عندي من خير فلن ادخره عنكم ومن
يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره
الله وما اعطي احد عطاء خيرا واوسع من الصبر وقال ابن مسعود

قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل من الانصار والله انها لقسمة
ما اريد بها وجه الله فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فشق عليه وتغير
وجهه وغضب حتى وددت اني لم اكن اخبرته ثم قال قد اوذي موسى
عليه السلام باكثر من هذا فصبر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم مر
على امراة تبكي على قبر فقال لها اتقي الله واصبري فقالت اليك عني فانك
لم تصب بمثل مصيبتي فلما قفا قيل لها هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاءت اليه تعتذر الى فلم تعرفه وقالت ساصبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انما الصبر عند الصدمة الاولى ويحتمل هذا الحديث وجهان اما الطائي
فقال معناه الصبر المحمود عند اول المصيبة وقد فاتك ايها الجزع واما الفارسي
فقال معناه ان الصدمة الاولى وقت امرها النبي صلى الله عليه وسلم
بالصبر وكان هذا تعليما للكل من فاته الصبر بذهول او نسيان او
غلبة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الايمان فقال الصبر
والسماحة هذا المساومة وفي منثور الحكم قالت الصحة انا لاحق بارض العرب
قال الجوع انا معك قال الايمان انا لاحق بارض الحجاز قال الصبر انا معك
قال الملك انا لاحق بارض العراق قال القمل انا معك واعلم ان العجلة
خرق وحمق وهما من قلة العقل واحرق من ذلك التفريط في الامر بعد القدرة
ومثال ذلك كالقدر على النار وان كان ماها قليلا لا يغلي [illegible]
وان كانت مملوة لم تغل حتى تكبر نارها وتطول مدتها وفي كتاب هو بدان
جرد وليس للعجم كتاب مثله قال لحرم على السامع تكذيب القايل الا في ثلاث
هن غير الحق صبر الجاهل على محض المصيبة وعاقل ابغض من احسن
اليه وحماة احبت

فصل

واعلم ان الصبر على اقسام صبر على ما هو كسب للعبد

وصبر

وصبر على ما ليس بكسب فالصبر على المكتسب على قسمين صبر على ما امر الله تعالى
به وصبر على ما نهاه الله تعالى عنه فاما الصبر على ما ليس بمكسب للعبد
كصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله تعالى فيماله فيه مشقة وينقسم
من وجه اخر على اربعة اقسام فاول اقسامه واولاه الصبر على امتثال
ما امر الله تعالى به والانتهاء عما نهى عنه والثاني الصبر على ما فات ادراكه
من مسرة او نعمت او وقاية من مصيبة والثالث الصبر فيما
ينتظر وروده من رغبة يرجوها او يخشى حدوثه من رهبة يخافها
والرابع الصبر على ما نزل من مكروه او حل من امر مخوف وجميع اقسامه محمودة
بكل لسان وفي كل ملة وعند كل امة مؤمنة او كافرة وقال اكثم
بن صيفي من صبر ظفر وقال علي بن ابي طالب الصبر مطية لا تكبو
والقناعة سيف لا ينبو وقال ازدشير الصبر الدرك وقال عليه السلام
الصبر ضياء والصبر يتوقع الفرج وقال عليه السلام الصبر ستر من
الكروب وعون على الخطوب وقال ابن عباس افضل العدة الصبر على
الشدة وقال عبد الحميد الكاتب لو سمع اعجب من قول عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر بعليتين ما باليت ايهما ركبت و
قال بعض الحكماء بالصبر على مواقع المكروه تدرك الحظوظ وقال ابن
المقفع في كتاب الشتيمة الصبر صبران فالليم اصبر اجسامها
والكرام اصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح صاحبه ان يكون قوي الجسم
على اللدد والعمل فان هذا من صفات الحمر ولكن ان يكون للنفس غلوبا
وللامور متحملا ولجاشه عند الحفاظ مرتبطا وفي منثور الحكم
من احب البقاء فليعد للمصايب ولا مذلة للحساد كالتجمل ولا مكسبة

والاجلال كتر في المزاح ولا يجلبت للمقت كالعجب ولا متلفة للمروة كاستعمال
الهزل في مواضع الجد فاما القسم الاول وهو الصبر على امتثال اوامر الله
تعالى والانتهاء عن محارمه فهذا يصح ادا الفرائض والسنن ويدخل في قوله
تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وكذلك قال علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد وقال الجنيد
الصبر من الدنيا الى الله تعالى سهل هين على المؤمن وهو الخلق لوجه الله
شديد والصبر من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله
تعالى اشد وسئل عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعبس وكان
حبيب بن ابي حبيب اذا قرا هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه
اواب يبكي ثم يقول واعجبا اعطى واثنى وقال الخواص الصبر الثبات
على احكام الكتاب والسنة وقال عبد الواحد بن زيد من نوى الصبر على
طاعة الله عز وجل صبره الله عليها وقواه ومن عزم على الصبر عن معاصي الله تعالى اعانه الله عليها وعصمه منها وقال عمر بن عبد العزيز
للقاسم بن محمد اوصني فقال القاسم عليك بالصبر في مواضع الصبر وقال
الحسن الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عند ما نهى الله تعالى
عنه وهو الافضل وانما يختلف الصبر بالخوف والرجا من خاف شيئا
صبر عما الفرار منه وصبر عنه كراهة ما يحذر منه ضره ومن رجا
شيئا صبر عما طلبه ليظفر به واما القسم الثاني فعلى ما فات ادراكه
من مسرة او انقضت اوقاته من مصيبة فانه يتجمل به الراحة مع
الكتاب المثوبة فان صبر طايعا استراح واحرز الثواب وان لم يصبر حمل الهم
والوزر وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه للاشعث بن قيس ان تجزع فقد

استحقت ذلك منك الرحم وان تصبر ففي ثواب الله تعالى خلف من
ابنك ان صبرت جرى القلم عليك وانت ماجور وان جزعت جرى
القلم عليك وانت مازور ونظمه ابو تمام فقال

وقال علي في التعازي لاشعث ... وخاف عليه بعض تلك المأثم

... الصبر للبلوى عزاء وحسبة ... فتوجرام تسلوا سلو البهايم

... خلقنا رجالا للتجلد والعزى ... وتلك الغواني للبلى والمآتم

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان صبرت مضى امر الله وكنت ماجورا
وان جزعت مضى امر الله وكنت مازورا وقال الحسن والله لو كلفنا الجزع
ما اقتنا به فالحمد لله الذي اجرنا على ما لو نهانا عنه لصرنا اليه وعن هذا
قال الحكما الجزع اتعب من الصبر ففي الجزع التعب والوزر وفي
الصبر الراحة والاجر ولو صور الصبر والجزع لكان الصبر احسن صورة
واكرم طبيعة وكان الجزع اقبح صورة واخس طبيعة ولكان الصبر
اولاهما بالغلبة لحسن الخلقة وكرم الطبيعة وقال بعض العلما
لو وكل الناس بالجزع للجوا الى الصبر وقال يثيب بن شيبة للمهدي
انه احق ما صبرت عليه مالم تجد سبيلا الى دفعه وانشد

... واذا اصبك مصيبة فاصبر لها ... عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

وقال اخر

... وعوضت اجرا من فقيد فلا يكن ... فقيدك ما يأتي واجرك يذهب

وقال بعض الحكما ليس بمجموع له الرشد من يتابع التلف على فايت
او اكثر الفرح عند مستطرف وقال ان كنت جازعا على ما فعلت من يدك
فاجزع على مالم يصل اليك ومن ايقن ان كل فايت الى انقضاء عزاه

عند نزول القضا وقال الشاعر

ع اذا طال بالمحزون ايام حزنه كساه صنا طول المقام على الصبر

ع ولاشك ان الصبر يحمد عنبه ولكن التفاوت عليه من العمر

وقال بعض القدما الصبر على اربع مراتب على الشوق والاشفاق والزهادة والترفيب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصايب ومن راقب الموت قصر عن الخطيات فاما القسم الثالث وهو الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها او يخشى حدوثه من رهبه يخافها فالصبر والتلطف يدفع عاجلة ما يخاف وينال بفضل ما يرجو وقال محمد بن بشير ان الامور اذا اشتدت مسالكها فالصبر يفتح منها كلما ارتجا

ع لا يتئسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا

ع اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا

وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها ظفار فبينا انا اطوف في خرابها اذ رايت مكتوبا بعجاب قصر خراب هذه الابيات

ع يا من الح عليه الهم والفكر وغيرت حاله الايام والغير

ع اما سمعت بما قد قيل في مثل عند الايأس فاين الله والقدر

ع لكل مكروب اذا اشتد طارقه واصبر فقد فاز اقوام لها صبروا

ع فكل ضيق سيأتي بعده سعة وكل فوت وشيك بعده الظفر

وتحته مكتوب بخط اخر لو كان لكل من صبر ظفر صبرت ولكنا نجد الصبر في العاجل يفني العمر ويدني من القبر وما كان اصلح لذي عقل

موتة وهو طفل والسلام قلت لو راية لكتبت بخته في الصبر استعجال الراحة والانتظار الفرج وحسن الظن بالله عز وجل واحراز الحسنات وفي الجزع استعجال الالم وفقد البدن واستعجال الخيبة وسوء الظن بالله عز وجل وحمل الاثم والانتظار العقوبة وما احسن بذي العقل اجتناب هذا كله والسلام وقال بعض الحكما من صبر نال المنا ومن حصن نعما وقال الشاعر

ع الصبر مفتاح كل خير وكل شر به يهون

ع فاصبر وان طالت الليالي فربما ساعد الحزون

ع وربما نيل بالصطبار ما فيل هيهات لا يكون

وقال عمر بن عبد العزيز ما انعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها صبرا الا كان ما عوضه افضل مما انتزع منه وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وروي ان جارية لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه كانت تتصرف في حوايجه فكلما خرجت فقدت لها خياطا كان بقرب داره علي ويقول لها والله اني لاحبك فلما اكثر من ذلك شكته الى علي فقال لها ادعي الله عنه انا قال لك مرة اخرى فقولي له وانا والله احبك فيه فعاد لها فقال ذلك فقالت له وانا والله احبك فيه فقال تصبرين واصبر حتى يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فرحمت الجارية واخبرت مولاها فدعا علي رضي الله عنه الخياط فوجده مريضا فوهبها له مع نفقة يستعين بها وقال علي رضي الله عنه الصبر كفيل بالنجاح والمتوكل لا يخيب ظنه والعاقل لا يذل بادل نكبة ولا يفرح بادل رفعة وكان يقال الصبر سلامه والطيش ندامه واما القسم

الرابع وهو الصبر على ما نزل من مكروه او حل من امر مخوف فالصبر فيه يفتح
وجوه الراء ويثوق مكايد الاعداء قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني
اسرائيل بما صبروا وقال عز من قائل واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم
الامور وروى عن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان استطعت
ان تعمل لله تعالى في الرضا باليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في
الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب
واليسر مع العسر وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصبر مفاصل
الحدثان والجزع من اعوان الزمان وقال الحكيم بمفتاح عزائم الصبر تفا
لج مغاليق الامور وانشدوا

* انما اجزع مما اتقي * فاذا حل فمالي والجزع *

ولما حبس ابو ايوب في الحبس خمسة عشر سنة ضاقت حيلته و
قل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو طول حبسه وقلة صبره فورد
عليه جواب رقعة وهو يقول

* صبرا ابا ايوب صبر مفرج * فاذا عجزت عن الامور فمن لها *
* انا الذي عقد الذي لن تعقدت به * عقد المكاره فيك يملك حلها *
* صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها ان تنجلي ولعلها *

فاجابه ابو ايوب

صبرت نفسي ووعظتني وانالها * وستنجلي بك لا اقول لعلها
وعجلها من كان صاحب عقدها * كرما اذا كانت عليه حلها
فالبث بعد ذلك الا اياما حتى اطلق مكرما ولتميم بن المعز صاحب المهدية

* ساسكت صبرا واحتسابا فانني * ارى الصبر سيفا ليس فيه فلول *
* عداني ان اشكو الى الناس انني * عليل ومن اشكوا اليه عليل *
* وان امرء يشكو الى غير نافع * ويسخو بما في نفسه لجهول *

وانشد ايضا

* دع الدهر يجري بمقداره * ويقضي عجايبه اوطاره *
* ولم تومه عن ولاة الامور * وخل الزمان بتدواره *
* فانك ترحم من قد عبطت * وتعجب من قمح اثاره *

وقال اخر

* وتمنعني الشكوى الى الناس انني * عليل ومن اشكوا اليه عليل *
* وتمنعني الشكوى الى الله انه * عليم بما القاه قبل اقول *

اخر

* اذا ما ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلوى هو الله *
* اليأس يقطع احيانا بصاحبه * لا يبتئسن فان الصانع الله *
* اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * ما للامرء حيلة فيما قضى الله *

وينصرف من هذه اللفظة صابر وصبور وصبار ومتصبر فالمتصبر
هو الذي لا يشكو ولا يعجز والصبار الذي لو وقع عليه جميع البلايا والمحن
لا يتغير من جهة الحقيقة وان تغير من جهة الرسم والبشرية
والخلقة كما قال القايل

* صابر الصبر فاستغاث به الصبر * فصاح الصبور يا صبر صبرا *

والصبور هو الثابت على هذه المقامات وقيل اوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام تخلق باخلاقي فان من اخلاقي اني انا الصبور وقيل

الصبر سرعنا والصبر في الله بقا والصبر في الله بلا والصبر مع الله وفا والصبر
عن الله جفا وانشدوا

رايت الحب يلعب بالرجال ... اذا لعب الرجال بكل شئ

وكيف الصبر عن من حل مني ... بمنزلة اليمين من الشمال

وقال المحاسبي بين الصبر والنصر حاله هي النعم وذلك اذا رفع الله علما
من اعلام الاخرة يدله على منازل الصابرين عنده ينعم القلب بسرور
النعم وقال ابو محمد الحريري الصبر ان لا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع
سكون الخاطر فيهما مع سكون هو السكون مع البلاء مع وجدان اثقال المحنة

والصبر

وانشدوا

صبرت ولم اطلع هواك على صبري ... واخفيت ما بي منك عن موضع الصبر

مخافة ان يشكو اضمري صبابتي ... الى دمعتي سر افتحري ولا ادري

وقيل للمحاسبي بماذا يقوى الصابر على صبره فقال اذا علمت ان في صبرك
رضا مولاك اما سمعت قول الحكيم

رضيت وقد ارضى اذا كان مسخطي ... من الامر ما فيه رضى من له الامر

اخر في معناه

ساصبر كي يرضى وانلف حسرة ... وحسبي ان ترضى ويتلفني صبري

قلت وتكلك بمن كتبه اعظم من تكلك بنفسك هذا ايوب عليه
السلام لما اصيب بنفسه قال مسني الضر ويعقوب عليه السلام
لما اصيب بحبيبه قال يا اسفى على يوسف وقال احمد بن ابي الحواري
قال ابو سليمان الداراني اقدري بما ازال العقلا الائمة عن مواساتهم
اليهم قلت لانهم علموا بان الله تعالى ابتلاهم بذلك فصبروا ويروى

ان الله تعالى

ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انزلت بعبدي بلاي فدعاني فما
طلبته بالاجابة فشكاني فقلت عبدي كيف ارحمك من شئ به ارحمك و
قيل في قوله تعالى واصبر صبرا جميلا انه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بث
قال انس ما صبر من بث وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا استغزروا
الدمع بالتذكر ولا يبعث الاحزان مثل التذكر ومما يعين

على عظم الاشياء وشدة الجزع تذكر المصاب المنقضية وتصور
المضي والذاهبة وكثرة
الشكوى وشدة الاسف
قال الشاعر

لا تكثر الشكوى الى الصديق ... وارجع الى الخالق المخلوق لا يخرج الغريق
بالغريق وفي منثور الحكم المصيبة بالصبر اعظم المصيبتين واعلم
انه قل من صبر على شدة الا وقال ما يرجو من فرج وينبغي لمن نزلت به
مصيبة او كان في شدة ان يتغافل تسهيلها على نفسه ولا يتغفل عن تذكر
ما يتيقنه من وجوب الفنا وتقضي المسار وان الدنيا دار من لا دار
له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم
له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا ثقة له من صح
فيها سقم ومن تنعم فيها ندم ومن سقم فيها برم ومن افتقر فيها حزن
ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها
عتاب لا خيرها يدوم ولا شرها يبقى والمخلوق فيها بقا فاذا تصورت
حقيقتها فحينئذ ترى الحوادث سهله والمصايب هينه وقال الشاعر

يهون علي ما الليالي فيه ... مصائبه من قبل ان تنزلا

فان نزلت بغتة لم تر عمه ... لما كان في نفسه مثلا

راى الامر يفضي الى اخره ... فصير اخره اولا

وذو الجهل يامن ايامه ... وينسى مصارع من قد خلا

فاذ همته صرف الزمان ... ببعض مصايبه اعولا

ولو قدم الحزم في نفسه لا يعتبر الصبر عند البلا

وقال بعض الحكماء من حاذر لم يخدع ومن راقب لم يهلع ومن كان متوقعا لين متوجعا ومن لم يشعر نفسه ما ذكرناه من احوال الدنيا وتقضي المسار لم الثوى في اللحود بين التراب والجماجم وقد فارقه الاحباب واسلمه الاولياء وهجروه القربا والبعدا الفتة الحوادث دانيا فسلبته الصبر وضاعفت عليه الاسى وقال الشاعر

ان البلا الايطاق وهو غير مضاعف فاذا تضاعف فهو غير مطاق

وانشدوا

تعودت مس الصبر حتى الفته واسلمني حسن العزا الى الصبر

ووسع صدري للاذى كثرة الاذى وان كنت احيانا يضيق به صدري

وصيرني ياسي من الناس اليسا لعلمي بصنع الله من حيث لا ادري

ولبعضهم

تعزفان الصبر بالحر اجمل وليس على ريب الزمان معول

فلو كان يغني ان ترى الرجل عاذرا لنازلة او كان يغني التذلل

لكان التعزي عند كل مصيبة ونازلة بالحر اولى واجمل

فكيف وكل ليس يعدو اجامه ومالمرء فيما قضى الله محول

فان تكن الايام فينا تبدلت بؤسى ونعما والحوادث تفعل

تما لينت منا قناة صليبه ولا ذللتنا للذي ليس يجمل

ولكن رحلنا هانفوسا كريمة تحمل ما لا يستطاع فتحمل

وقينا بفضل الله منا نفوسنا فصحت لنا الاعراض والناس بلغ

الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر ومحاسنه

قال الله تعالى في كتابه العزيز عن يعقوب عليه السلام قال يا بني

لا تقصص

لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ولما افشى يوسف رؤياه عشهدا مراة يعقوب اخبرت اخوته بذلك فحل به ما حل وفي الحديث استعينوا على قضا الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقيل ان كتمان السر من الخصال المحمودة في جميع الخلق ومن اللوازم في حقوق الملوك ومن الفرايض الواجبة على الوزرا وجلسا الملوك والاتباع وقال علي رضي الله عنه سرك اسيرك فاذا تكلمت به صرت اسيره واعلم ان امنا الاسرار اشد تعذرا واقل وجودا من امنا الاموال وحفظ الاموال ايسر من كتم الاسرار لان احراز الاموال ضيعة بالابواب والاقفال واحراز الاسرار يا بزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وعبء الاسرار اثقل من عبء الاموال وان الرجل ليستقل بالحمل الثقيل يحمله ويمشي به ويقله ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه بحمل الاثقال فاذا اذاعه استراح قلبه وسكن جاشه وكما نما القى عن نفسه حبلا وقال عمر بن عبد العزيز القلوب اوعية والشفاة اقفالها والالسنة مفاتحها فليحفظ كل امرء مفتاح سره ومن اعجب الامران اغلاق الدنيا كلما كثر خزانها كان اوثق لها الا السر فمن بلوغ ما ربه ولو كتمة امن من سطوات وقال ابو شروان من حصن سره فله بتحصينه حلة خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقال بعض الحكما سرك من دمك فلا تجره في عنزا واجك فاذا تكلمت به فقد ارقته وكان لعثمان بن عفان رضي الله عنه كاتب يقال له حمران وهو مولاه فاشتكى عثمان فقال اكتب العهد بعدي لعبد الرحمن بن عوف فانطلق حمران وقال

فانه يحلها كما فاضيع وكم من اطلعها وسواة دم صاحبه وكم ضيع

لعبد الرحمن البشري فقال عبد الرحمن كذبت البشري فما ذا فاخبره الخبر
فانطلق عبد الرحمن فاخبر عثمان بذلك فقال عثمان اعاهد الله لا
يسالني حمران الدا ونقاه الى البصره فلم يزل بها حتى قتل عثمان واعلم
ان كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكما انه لاخير في اذينة لا تمسك
ما فيها كذلك لاخير في لسان لا يمسك سره ويروى ان رجلا اودع سره
عند صديق له قال له افهمت قال لا بل جهلت قال احفظت قال
بل نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال لجحد المخبر واحلف للمستخبر

وقال الشاعر

ولو قدرت على كتمان ما اشتملت ... مني الضلوع من الاسرار والخبر
لكنت اول من ينسى سريرته ... اذ كنت من نشرها يوما على خطر

ومن احسن ما سمعته في كتمان السر ما استدبه بعض فقها البصريين
بالبصره

ولها سرائر في الضمير طويتها ... نسي الضمير بانها في طيه

اخر

ومستودع سرا كتمت مكانه ... عن الحس حوفا ان ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهوة ... فاودعته في حيث لا تبلغ النفس

يعني العقل قال العتبي اسر معاويه الى عثمان بن عتبه حديثا قال
عثمان فقلت لابي ان امير المؤمنين اسر الي حديثا فاحدثك
به قال لا انه من كتم حديثه كان الخيار له ومن اظهره كان الخيار
عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكا فقلت يا ابه ايدخل
هذا بين الرجل وبين ابنه قال لا ما يبني ولكن اكره ان تذل لسانك

بافشا

بافشاء السر قال فاخبرت به معاويه قال اعتقك اخي من رق الخطا
وقيل لبعض الحكما ما اصعب الاشياء على الانسان قال ان تعرف نفسه
ويكتم سره وقال قيس بن الخطيم

اجود بمكنون التلاد وانني ... بسرك عن مسالكي لضنين
اذا جاوز الاثنين سر فانه ... يبث وتكثير الوشاة قمين
وان ضيع الاقوام سر افانني ... كتوم لاسرار العشير امين
يكون له عندي اذا ما ضمنته ... مكان سويدا القلب حين يكين

قال شيخنا قلت الناس يقولون اراد بالاثنين المودع والمودع ولا يبعد
ان يراد به الشفتين وكان يقال اصبر الناس من صبر على
كتمان سره فلم يبده لصديقه فيوشك ان يصير عدوا يوما ما فقد
روي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حدث
الرجل ثم التفت فهي امانه قلنا فاذا كان امانه حرمت فيه
الخيانه كالامانات في الاموال وقال ابو بكر بن حزم انما يتجالس
المتجالسان بالامانه فلا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه
ما يكره وقال هشام بن عروة ما من رجل ينتقص من امانته
الا انتقص من ايمانه وقال جعفر بن عثمان رحمه الله

يا ذا الذي اودعني سره ... لا ترج ان تسمعه مني
لم اجره قط على خاطري ... كانه لم يجر في اذني

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه ما افشيت سري الى رجل فافشاه
علي فلمته اذا كان صدري اضيق وقال الاحنف بن قيس يضيق
احدهم عن سره حتى يحدث به ثم يقول لا تكتمه علي ومن امثال

الغرس اذا اضفيت الى سرك واوصيتني ان لا ابوح به فهلا اوصيت بهذا نفسك

وفي منثور الحكم الفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيجور ولا شدوا

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ۞ فصدر الذي يستودع السر اضيق

وقيل وسرك ما كان عند امرئ ۞ وسر الثلاثة غير الخفي

اخر ولا تنطق بسرك كل سر ۞ اذا ما جاوز الاثنين فاشي ۞ فخير

اخر ۞ بتوح بسرك ضيقا به ۞ وتبقى لسرك من يكتم ۞

۞ فكتمانك السر فيما تخاف ۞ وفيما تحاذره اجزم ۞

۞ اذا ذاع سرك من مخبر ۞ فانت اذا لمته الوم ۞

وقال الحكيم ما كتمته عن عدوك فلا تطلعن عليه صديقك فان لم يكن لك من اذاعته لقرينة تقتضيه من صديق مسلم او استشارة ناصح مسلم فمن صفات امين السر ان يكون ذا عقل ودين ونصح ومودة فان هذه الامور تمنع من الاذاعة وتوجب حفظ الامانة ومن كملت فيه فهو عنقاء مغرب ولا تودع سرك عند من يستودعه فان طالب الوديعة خائن وقال صالح بن عبد القدوس لا تذع سرك الى طالبه فان طالب السر مذيع وبالجملة اذا زال سرك عن ضمير لسانك فالاذاعة مستولية عليك الا ودعته قلب ناصح محب واحتمال مرارة الكتمان على قلبك اسهل من التململ بتمليك سرك غيرك واعلم ان افشاءك سرك غيرك اقبح من اظهار سر نفسك لانه يبوح باحدى وضمنين اما الخيانة ان كان موقنا او النميمة ان كان مستخبرا وقال بعض الحكما لابنه يا بني كن جوادا بالمال في مواضع الحق ضنينا بالاسرار عن جميع الخلق فان احمد جود المال الانفاق في وجه البر والبخل بمكتوم السر وكان

يقال

من افشاء سره كثر عليه المتاعرون

اخر اذا ضاقت صدور حرائر والفتها الاحرار فهي تلوم اذا عاينت في افشاء سر سرية وسر عنده فانا الملوم

وكان يقال صدور الاحرار قبور الاسرار وقال الشاعر

۞ الم تر ان وشاة الرجال ۞ لا يتركون اديما صحيحا ۞

۞ فلا تفش سرك الا اليك ۞ فان لكل نصيح نصيحا ۞

اخر ۞ ما كل مكتوم يباح به ۞ احذر لسانك من جوالبه ۞

۞ مرارة الكتمان اعذب من ۞ بث تحاذر من عواقبه ۞

۞ ليس الهوى ما كنت تعرفه ۞ ايام تلعب في جوانبه ۞

۞ هذا هوى لو قد مضغت به ۞ صخر الحسام الى مضاربه ۞

الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي رهن سائر الخصال

وزعيم بالمزيد من النعما والآلاء من ذوي الجلال وهي الشكر قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وقد اتاه الله تعالى ملك الدنيا والجن والانس والطير والوحش والرياح تجري بامره رخاء حيث اصاب فلما استوسق ملكه قال عليه السلام هذا من فضل ربي ليبلوني واشكر ام اكفر فما عدها نعمة كما عدها ملوك الارض واحصبها كرامة من الله تعالى عليه كما ظنها ملوك الارض بل خاف ان تكون استدراجا من حيث لا يعلم كما قال تعالى فاملي لهم ان كيدي متين جاء في التفسير اصاب عليهم النعم وانسيهم الشكر وانما الفرح بما اوتي من الدنيا والغبطة بزهرتها والاغترار بزبرجها من شعار الكفار الا ترى الى قول قارون انما اوتيته على علم عندي فكان جوابه ما قال الله تعالى فخسفنا به وبداره الارض ولما خاف سليمان عليه السلام ان يكون استدراجا كان جوابه كما قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب

والاكرام

يترين رجلها

اعلم ارشدك الله انه ليس الشكر حافظا للنعم فقط بل هو زعيم بزيادة
النعم وامان من السلب والشكر عمل ثلاث مراتب شكر بالقلب وشكر باللسان
وشكر بساير الجوارح واما الشكر الواجب على جميع الخلق فشكر القلب
وهو ان تعلم ان النعمة من الله تعالى وحده وان النعمة على الخلق من اهل
السموات والارض الاول وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله تعالى عن
نفسك وعن غيرك بمعرفة نعم الله تعالى عليك وعلى غيرك وهذا النوع هو الذي
يقال فيه انه يجب على الخلق شكر الله تعالى على نعمة اسديت الى غيره والدليل
على ان الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله
اي اليقين انها من الله تعالى والى هذه الكلمة انتهى جميع ما قاله الخلق
في الشكر والدليل عليه ايضا قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم
اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اي اتقوني فانه شكر منعمتي و
خلق الله تعالى الحياة نعمة على العبد قال الله تعالى ثم بعثناكم من بعد
موتكم لعلكم تشكرون والعبارة عنه ان يقول الشكر اعتراف القلب بما
نعام الرب تعالى على وجه الخضوع ويقال فيه الشكر اعتكاف على بساط
الشهود بادامة حفظ الحرمة وقال ابو عثمان الشكر معرفة العجز
عن الشكر وروى ان داود عليه السلام قال الهي كيف اشكرك وشكري
لك نعمة من عندك فاوحى الله تعالى اليه الآن شكرتني وقال وهب
بن منبه قال داود عليه السلام ان ابن ادم ليس فيه شعرة الا تحتها
نعمة وفوقها منك نعمة فمن اين يكافيها فاوحى الله تعالى يا داود
اني اعطي الكثير وارضى باليسير فان شكرك ان تعلم ان ما بك من
نعمة فمن الله وفي هذا يقال الشكر على الشكر اتم من الشكر وذلك بان

ترى شكرك لتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من اجل النعم عليك فتشكره
على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر الى ما لا يتناهى وهذا الشكر ايضا
واجب قال محمود الوراق

اذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ... وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالضراء اعمم سرورها ... وان مس بالسراء اعمم سرورها
فما فيهما الا له فيه نعمه ... تضيق بها الاوهام والشعر والنثر

ومن اقر بنعمة الله واحسانه فقد اقر بقدر ما كلف لان احدا لا يمكنه
ان يؤدي شكر نعم الله تعالى وفي مناجاة موسى عليه السلام
الهي خلقت ادم بيدك ونفخت فيه من روحك واسجدت له ملا
يكتك وتوجته بتاج كرامتك واسكنته جنتك وزوجته حوى امتك
وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانت معرفته
بذلك شكره لي فصل واما شكر اللسان فقال الله تعالى فيه
واما بنعمة ربك فحدث قيل يعني النبوة وقيل يعني القرآن وحكم الآية
عام في جميع النعم وروى النعمان بن بشير ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله
والتحدث بالنعم شكر قال الله تعالى حكاية عن اهل الجنة انهم قالوا
الحمد لله الذي صدقنا وعده قال عمر بن عبد العزيز تذاكروا النعم
فان ذكرها شكرها وكتب عدي بن ارطاة الى عمر بن عبد العزيز لما
حفر نهر البصرة الذي يقال له نهر عمر اني حفرت لاهل البصرة نهرا
عذب لهم مشربه وجادت عليه اموالهم ولم ارلهم على ذلك شكرا فان اذنت

حسب
قسمت عليهم ما انفقت عليه فكتب اليه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اني لا
اعلم البصره ظلامه من رجل قال الحرسي حين حفرك هذا النهر وان الله تعالى قد
رضيها شكرا من حبشة فارضها شكرا من نهرك والسلام وحقيقة الشكر
في هذا القسم الثناء على المحسن بذكر احسانه وعلى هذا القول يوصف الرب
تعالى بانه شكور حقيقة فشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر احسانه وشكر
الله تعالى للعبد ثناؤه عليه بذكر احسانه واحسان الرب للعبد انعامه
عليه وهذه اللفظة ماخوذة من قولهم دابة شكور اذا ظهرت من السمن فوق
ما تعطى من العلف ويقال وجه شكور اذا كان ملي المحاسن ظاهرها وفي
الحديث يقول الله تعالى انا والجن والانس في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري
وارزق ويشكر غيري وقال بعضهم انما اوتي الناس لانهم في موضع صبر وهم
يحسبون انهم في موضع شكر **فصل** واما الشكر الذي على الجوارح قال
الله تعالى اعملوا ال داود شكرا فجعل العمل شكرا وقال عطا دخلت على عائشة
رضي الله عنها مع عبيد بن عمير فقال لها عبيد يا ام المؤمنين حدثينا بأعجب
ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت واي شانه لم يكن
عجبا انه اتاني في ليلة فدخل معي في فراشي حتى مس جلده جلدي ثم قال يا
بنة ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت قلت اني احب قربك واذنت له
فقام الى قربة من ماء فتوضأ واكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى ثم رفع رأسه
فبكا حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكا ثم سجد فبكا ثم رفع رأسه
فبكا فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فاذنه بالصلاة قلت يا رسول الله
ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا
شكورا فلم لا افعله وقد انزل علي الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف

الليل والنهار لاية خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي كل واحد منهما
يخلف الاخر فمن فاته العمل في احدهما عمله في الاخر فجعل الاوراد والاعمال بالجوارح
شكرا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى انتفخت قدماه فقيل
يا رسول الله اتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وقال ابو هريرة دخلت
على ابي حازم فقلت رحمك الله ما شكر العينين قال اذا رايت بهما
خيرا اذعته واذا رايت بهما شرا سترته قلت فما شكر الاذنين قال اذا
سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا نسيته قلت فما
شكر اليدين قال لا تاخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حق الله تعالى بهما قلت
فما شكر البطن قال ان يكون اسفله صبرا واعلاه علما قلت فما
شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على
ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فان فعلت فانت الشاكر
حقا **وفي حكمة** ادريس عليه السلام لن يستطيع احد ان
يشكر الله تعالى على نعمة بمثل الانعام على خلقه ليكون صانعا الى
الخلق مثل ما صنع به الخالق واذا ثبت ان فعل الطاعات شكر
فان منها ما هو اشد ملازمة من غيره فالطاعة في مواسات
الفقرا اشكل بالشكر على الغني من غيرها لانها من جنس النعمه
فاذا اردت ان تحترس دوام النعمه عليك فادم مواساة الفقرا و
الطاعة في رفع ذوي الضيعه والحمول والمسكنة بغير معصية
اشبه بالشكر على ما رفع الله تعالى عن قدرك والتزيد باسمك
والطاعة في ترخيص الفقرا وتعليطا عند يتهم اشبه بالشكر على العافية

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الشكر بالعمل فبين بهم مرادا لكتاب

www.alukah.net

من سايرالطاعات والطاعة في الشفاعه عند السلطان وقضا حوايج الغرما
اشكل بذوى الجاه من سايرالطاعات وعلى هذا القانون ينبغي ان يقابل سايرِ
نعم الله تعالى على العبيد ومن العبارات الجامعه للشكر ان يقال الشكر معرفة
بالجنان وذكر باللسان وعمل بالجوارح **فصل في الكلام على الزيادة**
قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فقال قوم انما خاطب الله تعالى بهذا
وبقوله ادعوني استجب لكم قوما دون قوم والدليل عليه انا نرى من يشكر على
الغنى لم يبتلى بالفقر ومن يشكر على العافيه لم يبتلى بالمرض والله تعالى
لا يخلف وعده وقال قوم معناه لازيدنكم من نعم الاخره فان قيل انما
تكون الزيادة من جنس المزيد فاجابوا ان النعم الدنيويه والاخرويه
وان تفاضلت واختلفت فانها كلها متجانسة من حيث انها نعمة
وقال قوم معناها لازيدنكم خيرا والخير والصلاح قد يكون في كثير من
الاوقات بالمنع والسقم ونحوهما فان من سئل الله تعالى ان يعطيه مالا
او يصح جسمه وهو يعلم انه لو وهبه المال انفقه في المعاصي او وهبه الصحه
صرف صحته الى المشي في المعاصي فالمنع ها هنا موهبة من الله تعالى جزيله
وعن هذا قال العلماء منع الله تعالى عطاء وقال قوم يمكن تقدير الاستثناء
فيه لئن شكرتم لازيدنكم الا ان تعصوا فاعقبكم بالحرمان فاجعل
كفارة لكم وهو اصلح ان اعاقبكم في الاخره والناس لا يسلمون من الذنوب
ولو تهيأ ان يسلموا من الذنوب لدرت الزيادات قال الله تعالى ولو انهم
اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن
تحت ارجلهم وقال تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء
عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين وقال قوم الاية خاصة لان

اذ لو كانت على عمومها لوجب ان لا يموت من يشكر الله تعالى على الحياة قال
الشيخ ان الله تعالى وعد الزياده وقوله الحق وقد جعل العبادة علامة
يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا رايتا الغنى
يشكر الله تعالى بلسانه وحاله في نقصان علمنا انه قد اخل بالشكر الذي قد
اخذ عليه اما ان لا يزكيه او لغير اهلها او يوخره عن وقته او يمنع حقا واجبا
عليه من كسوة عريان او اطعام جايع وبنحوهم فيدخل في قول النبي صلى الله عليه
لو صدق السايل ما افلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم اذا غير واما بهم من الطاعات غير الله تعالى ما منه من الاحسان
واذا كان القوم في ظل العافيه فان الله تعالى لا يغير ما بهم حتى يغير وا ما بانفسهم
يغير وا ما بانفسهم بترك ادب او اخلال بحق او الام بذنب كما قال بعضهم
ادنى الشكر ان لا تعصي الله تعالى بنعمه فان جوارحك كلها من نعم الله تعالى
عليك فلا تعص الله بها ويحتمل ان يكون معنى الايه لئن شكرتم لازيدنكم
ان شئت الا ترى انه قال من كان يريد حرث الدنيا نوته منها وكثير
من الخلق يريد حرث الدنيا ولا يوتيه فيكون التقدير نوته منها لمن
نشاء بدليل قوله تعالى في الايه الاخرى عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهكذا
قوله تعالى ادعوني استجب لكم ثم كثير من الناس يدعون فلا يستجاب لهم
ولكن معنى الايه استجب لكم ان شئت او لو شئت بدليل قوله تعالى فيكشف
ما تدعون اليه ان شاء وهذا من باب حمل المطلق على المقيد وقال الجنيد
رحمه الله كنت بين يدي السري وانا ابن تسع سنين وبين يديه جماعة
يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا تعصي الله تعالى بنعمه
فقال ليوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا زال ابكي على هذه

فان قيل ما معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لا يعد
وما حصل من الافعال في الوجود يمكن احصاؤه ودفع البلايا نعم لا يمكن العباد
احصاؤها فدفع الله تعالى عنهم ما في مقدوره من ذلك وما يدفع الله عنه
عبده لا يحصى **فصل** ثم عدنا الى اقوال العلما والحكما في الشكر قال بعض
الحكما موضع الشكر من النعمة موضع القوام من الصنيف ان وجد لم يزد و
ان عدم لم يقم واجتمع حكما العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر
قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقالوا مصيبة و
اجرها خير من نعمة لا يؤدى شكرها وقال بعض الحكما من اعطى اربعا لم
يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول و
من اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي الاستشارة لم يمنع الصواب
وكان يقال اذا رعيت النعم بشكر فهي اطواق واذا اوعيت بكفر
فهي اغلال قال حبيب بن اوس رحمة الله عليه اذا رعيت بشكر لم تزل
فما وان اسرع فهي مصايب **وبعث الحجاج** الى الحسن البصري بعشرة
الاف درهم فقال الحمد لله الذي ذكرني وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
لا تكن ممن يرجو عن شكر ما اوتي ويبغي الزيادة فيما بقي تنهى الناس ولا
تنتهي وتأمر الناس بالاتي تحب الصالحين ولا تعمل باعمالهم وتبغض
المسيئين وانت منهم تكره الموت لكثرة ذنوبك ولا تدعها في طول حياتك
وقال المغيرة بن شعبة اشكر لمن انعم عليك والنعم على من شكرك فانه لا بقاء
للنعمة اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت فان الشكر زيادة في النعم واما
من النقم **وكان** الحسن يقول ابن آدم ما تنفك من شكر النعم وانت
مرتهن كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر اعظم منها وقال سفيان لما جاء

قلنا نعم الله على وجهين
دفع ومنع والدفع يكن
احصاؤه صح

عليك فانت لا تنفك
بالشكر في نعمة الا الى
هي اعظم منها اصر

البشير الى يعقوب عليه السلام قال على اي دين تركته قال على الاسلام قال الحمد لله
الان تمت النعمة **وروي** ان عثمان رضي الله عنه دعى الى قوم ليأخذهم
على ريبة فاغتر قوا قبل ان يبلغهم فاعتق عثمان رقبة شكرا لله تعالى
ان لا يكون حدث على يده فضيحة رجل مسلم وروي ان الحسن بن علي رضي
الله عنهما التزم الركن وقال الهي نعمتني فلم تجدني شاكرا وابتليتني فلم تجدني
بتركي الصبر الهي ما يكون من الكريم الا الكرم ولا من الجاني الا الجفا وقال عون
بن عبد الله الخير الذي لا شر فيه الشكر مع العافية والصبر على المصيبة وروي
ان نملة قالت لسليمان بن داود عليه السلام انا على قدري اشكر لله تعالى
منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر عنه ساجدا وقال الهي لولا اني انجلك
لسألتك ان تنزع عني ما اعطيتني وقال صدقة بن يسار بينما داود عليه
السلام في محرابه اذ مرت به دودة فتفكر في خلقها وقال ما يعبأ الله بخلق
هذه فاطقها الله تعالى له فقالت يا داود بتعجبك من خلقي نسيت شكرك
ما اتاني تعالى اذكر لله واشكر له منك فيما اتاك الله تعالى **ولمحمود الوراق**

الهي لك الحمد الذي انت اهله ۞ على نعم ما كنت منك لها اهلا ۞
مشاء زدت تقصيرا تزدني ۞ تفضلا كاني بالتقصير استوجب الفضلا ۞

وكان لبعضهم صديق فحبسه السلطان فارسل اليه فقال له صاحبه
اشكر الله تعالى فضرب الرجل فكتب اليه فقال اشكر الله تعالى فجي برجل
مجوسي مبطون فقيد فجعل حلقة في رجله وحلقة في رجل المجوسي
المجوسي يقوم بالليل مرات وهذا يحتاج ان يقوم معه فيقف على راسه
حتى يفرغ فكتب الى صاحبه فقال اشكر الله تعالى فقال الى متى تقول

واي بلا أفوق هذا فقال له صاحبه لو وضع الزنار الذي في وسطه في وسطك
كما وضع القيد الذي في رجله في رجلك ما دام كنت تصنع ولبعضهم
ومن الزرية ان شكري صامت عما فعلت وان بركي ناطق
لاركي الصيغة منك ثم اشكرها اني اذا اليد الكريم لسارق
وقال رجل لسهل بن عبد الله ان اللص دخل داري واخذ متاعي قال اشكر الله
تعالى كيف لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان فاخذ التوحيد ما كنت
تصنع ولما بشر ادريس عليه السلام بالمغفرة سئل المغفرة فقيل له كيف
فقال لا اشكره فاني كنت اعمل قبله للمغفرة فبسط الملك جناحه ورفعه الى السماء
ويروى ان نبيا من الانبياء عليه السلام مر بحجر صغير يخرج منه الماء الكثير
فتعجب منه فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت الله تعالى يقول نار
وقودها الناس والحجارة انا ابكي من خوفه فدعا النبي صلى الله عليه وسلم
ان يجيره من النار فاوحى الله تعالى اليه اني اخرجته من النار ثم ان النبي
صلى الله عليه وسلم مر عليه فوجد الحجر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم
لم تبكي فقال ذاك بكاء الحزن والخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وروي
ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ارحم عبادي المبتلى والمعافى
فقال الهي ما بال المعافى فقال لقلة شكرهم على عافيتي اياهم واتاني جبرائيل
اعرابيا بلا احسنا فقال لا ابلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك والنعم
عليك نعمة يعجز عنها شكرك ولبعضهم

ساشكر لاني اجاريك منعما ... بشكري ولكن كي يزيد ذلك الشكر
واذكر ايامالدي اصطنعتها ... واخرما يبقى على الشاكر الذكر
اخر
اوليتني نعما ابوح بشكرها ... وكفيتني كل الامور باسرها

ينفجر منه الماء مثلا كان فتعجب فانطق الله الحجر

فلا اشكرنك ما حييت فان امت فلاشكرنك اعظمي في قبرها ولبعضهم
ايارب قد احسنت عودا وبدأة ... علي فلم ينقص ما حسائك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة ... فعذري اقراري بان ليس لي عذر
وكان مطرف يقول الهي منك تكون النعمة وعليك تمامها وانت تعين
على شكرها وعليك ثوابها وهذا باب عظيم من النعم على العباد قال الله
تعالى في الثناء على بعض عباده انه كان عبدا شكورا ثم قال تعالى شاكرا
لانعمه اجتباه وكذلك سائر ما اثنى على عباده ثم قال فمن شكر فانما يشكر لنفسه وان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها
تعالى وقليل ولا كثير فانه اجل من ان ينال الحظوظ واجل من ان يلحقه ثناء
مثن او شكر شاكر فان العلو والجلال له دونهم وانه يتقدس عن
الناس بثنائهم او كفر كافر قال الله تعالى يدعوكم ليغفر لكم فوا عجبا
اعطى ثم اثنى وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه كفر النعمة داعية
الكفر ومن جازاك فقد بالشكر اعطاك اعطاك افضل مما اخذ منك
وحقيق بمن اسديت اليه نعمة او قضيت له حاجة ان يكافيء فان لم
يقدر فليشكر فان شكرها فقد ادى حقها وقال الشاعر

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد ... لرفعة حال او علو مكان
لما امر الرحمن بالشكر خلقه ... فقال اشكروا ايها الثقلان

وقال البستي رحمه الله

لئن عجزت عن شكر برك قوتي ... واقوى الورى عن شكر برك يعجز
فانت ثنائي واعتقادي وطاعتي ... لاولاك ما حملتنيه مراكز

وقال اسحق ابراهيم الموصلي وقفت علينا امراة فقالت يا قوم تغير علينا

الى الملتقت

اذ قل منا الشكر وفارقنا الغنا وحالفنا الفقر فرحم الله امرأ فهم
بعقل واعطى منه فضل وواسا من كفاف واعان على عفاف وقال بعضهم
ليس فلو كان الشكر شخص يرى ليس اذا ما تامله الناظر ليس
ليس لمثلة لك حتى ترى ليس وتعلم اني امرء شاكر ليس
ليس ولكنه ساكن في الضمير ليس يحركه الكلم السايرليس
وقيل لكسرى ما الشكر فقال المكافاة على قدر الطاقه وقيل لهما الكفر
قال ترك الجزا ولو بالثنا قيل يكون احد بخل ممن يبخل بالثنا قال
نعم من عادى على الصنيعة

الباب الخامس والثلاثون

في بيان السيرة التي يصلح عليها الامير والمامور ويستريح بها

الرئيس والمرؤس وتسهل صحبة الخلايق اجمعين مستخرجة من
القران العظيم قال الله سبحانه وتعالى وما من دابة في الارض ولا
طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم فاثبت الله تعالى المماثلة بيننا
وبين ساير البهايم ومعلوم انهم ما ماثلونا في خلقنا واشكالنا
ولا في عقولنا وساير ما تدركه العين منهم ومنا فبقي المماثلة
في الاخلاق فلا احد من الخلق الا وفيه خلق من البهايم ولهذا
تجد لخلاق الخلايق مختلفة فاذا رايت مرء انسان خلقا خارجا
عن الاعتدال فانظر ما يماثل ذلك الخلق من خلق ساير الحيوان
فالحقه به وعامله كما كنت تعامله فحينيذ تستريح من منازعتهم
وليستريحون منك وتدوم الصحبة فاذا رايت الجاهل في طباعه
الغليظ في طبايعه القوي في بدنه الذي لا يوصن طغيانه وافراطه
فالحقه بعالم النمور والذيب تقول اجهل من نمر واذا رايت النمر بعدت

عنه ولم تخاصمه ولا تشاتمه فاسلك بالرجل كذلك واذا رايت الرجل
الغالب عليه السرقة الخفيه والنقب ليلا على وجه الاستراق فالحقه
هذا بمثل عالم الجرذ فمنع ملاجاته ومخاصمته كما تدع سباب الجرذ
اذا افسد رحلك ثم احبا رحلك بما يصلح له واذا رايت انسانا مجاما
على اعراض الناس وثلبهم فقد ماثل عالم الكلاب فان داب الكلاب ان
تحفو امن لا يحفوها وتبتدي بالاذيه من لا يوذيها فعامله بما كنت تعامل به
الكلب اذا بتحكك الست تذهب في شاتك ولا تخاصمه ولا تشتمه فافعل
بمن يهتضم عرضك مثل ذلك فاذا رايت انسانا جبل على الخلاف ان قلت لا
قال لا وان قلت نعم واه قلت نعم قال لا فالحقه بعالم الحمير فان داب الحمار
اذا اوذيته بعد واذا ابعدته قرب وانت تستمتع بالحمار ولا تشتبه
ولا تفارقه واذا رايت رجلا يطلب عثرات الناس وسقطاتهم فمثله
في الادميين كمثل الذباب في عالم الطير فان الذباب يقع على الجسد صحيحا
في صحيحه ويطلب المواضع العليلة منه ذوات الماده والدم والنجاسه
واذا ابتليت بسلطان يهجم على الاموال والارواح فالحقه بعالم الاسود
وخذ حذرك منه كما تاخذ حذرك من الاسد وليس الا الهرب منه
كما قال الشاعر

ولا قرار على زأر من الاسد ... واذا ابتليت بانسان خبيث كثير
الروغان والمفاجره فالحقه بعالم الثعالب واذا ابتليت بمن يمشي بالنمايم
ويفرق بين الاحبه فالحقه بعالم الظربان وهي دويبة صغيره تقول
العرب عند تفرق الجماعه تفرق الجماعه ظربان بينهم فتفرقوا وخاصية هم
هذه اذا حصلت وسط جماعه ان يتفرقوا وكان الجماعه اذا اقبلت

هذه الدابة طردها ومنعها الدخول بينهم كذلك ينبغي اخراج النمام من بين
الجماعه فان لم يفعلوا يوشك ان يفرق بينهم ويفسد قلوب بعضهم على
بعض واذا رايت انسانا لا يستمع العلم والحكمه وينفر من مجالس العلما
والحكما ويالف سماع اخبار الدنيا وسايرالخرافات وما يجري في مجالس العوام
فالحقه بعالم الخنافس فانه يعجبه اكل العذرات ويالف روايح النجاسات
فلا تراه الا ملابسا للاخلية والراحضات وينفر من روايح المسك والورد
واذا طرح عليه المسك والوردمات فالحقه بعالم الاحديه بان تكن رحلك
عنه واذا ابتليت بالرجل عليه السكينه والوقار فاياك وقد نصب اشراكه لا
قتناص الدنيا واكل اموال والودايع والامانات والارامل واليتامى فا
لحقه بعالم الذياب وكذلك قال الشاعر

ذيبا تراه مصليا ۞ فاذا مررت به ركع ۞
يدعوا وجل دعائه ۞ ما للغريسة لا تقع ۞
عجلا لها يا ذا العلا ۞ ان الفواد قد انقطع ۞

فاحترز منه كما تحترز من الذيب واذا ابتليت بصحبة انسان كاذب
فاعلم ان الكذاب كالميت في الحكم لانه لا يقبل له خبرا كما لا خبر للميت وكما
لا تصحب الموتى كذلك لا تصحب الكذاب وقيل في الامثال كل شيء يشي وصحبة
الكذاب لا شي ويجوز ان يلحق بعالم النعام فانه يدفن جميع بيضه تحت
الرمل ثم يترك واحدة على وجه الرمل واخرى تحت طاقة من الرمل وساير
بيضه في قعر الحفره فاذا راه الغر ياخذ تلك البيضه وينصرف ويكشف
عن وجه الرمل فيجد الاخرى فيظن ان ليس ثم شي اخر والخير جيلة
النعام اذا راى البيضه يحفر حتى يصل الى حاجته ولا يغتر بتلك

واذا رايت انسانا لا غا
يه خطه الدنيا لا
يستحي من الوقوع عليها

البيضه

البيضه وكذلك الكذاب اذا سمعت منه خبرا لا تصدقه حتى تبلغ الغايه
في الكشف عنه واذا رايت الرجل انما دابه ان يصنع نفسه كما تصنع
العروس لبعلها يبيض ثيابه ويعدل عمامته ويتقي ان يمسه شيء
غيره وينظر في عطفيه ويطرح القذا عن ثوبه وليس له همه بين
الجلسا الا نظاره الى نفسه واصلاح ما انتشى من ثيابه فالحقه بعالم
الطواويس التي هذه صفتها فانه يتبختر في مشيه وينظر الى نفسه
ويعرش ذنبه فيتخذه الملوك استحسانا واذا ابتليت بانسان حقود
لا ينسى الهفوات ويجازي بعد المدة على السقطات فالحقه بعالم الجمال
والوب يقول احقد من جمل وتجنب قرب الجمل الحقود واذا ابتليت
برجل منافق يبطن خلاف ما يظهر فالحقه بعالم اليربوع فان اليربوع
فاريكون في البريه يتخذ جحرا تحت الارض يقال له النافقا وله فو
هتان يدخل من احدهما ويخرج من الاخر ومنه اشتق اسم المنافق
فاذا اتاه الصياد يطلبه من احدهما دخل بحره وخرج من الباب الاخر فحذر الصياد خلفه
فلا يظفر بشيء كذلك حال المنافق لا يصلح منه شيء وعلى هذا النمط
كن في صحبة الناس مستريح منهم وترجهم منك فلعمر الله ما استقامت
لي صحبة الناس قط ولا سكنت نفسي واستراحت من مكايدة
احد لاقيتهم الا مذ سرت معهم بهذه السيره وقال الرياحي يا بني رياح
لا تحقروا صغيرا تاخذون عنه فاني اخذت من الثعلب روغانه
ومن الذيب مكايده ومن السنور قرعنه ومن الكلب نصرته ومن
الديك حذره وقد تعلمنا من القمر سير الليل ومن الشمس الظهور
الحيره بعد الحين الباب السادس والثلاثون في الخصلة

فاجتنب صحبة
الرجل الحقود ح

التي بها غاية كمال السلطان وشفا الصدور وراحت القلوب وطيب
النفوس اعلم ايها الملك انه متى كملت فيك الخصال المحموده والاخلاق المشكوره
والسير المستقيمه وملكت نفسك وقهرت هواك ووضعت الاشياء
مواضعها ثم ان الرعيه اهتضمت حقك وجهلت قدرك ولم توفك
قيمتك فبلغك منهم ما يسوك ورايت منهم ما لا يعجبك فاعلم انك لست بالاه
فلا تطمعن ان يصفو لك منهم ما يصفو الالاه وفصل الخطاب في هذا
الباب ان تعلم ان الله تعالى خلق الخلايق اجمعين وانعم عليهم بانواع
النعم فاكمل حواسهم وخلق فيهم الشهوات ثم افاض عليهم نعمه فكملت
لهم اللذات وبعد هذا ما قدروا لله حق قدره ولا عظموه حق عظمته
بل قالوا فيه ما لا يليق ووصفوه بما يستحيل عليه واضافوا اليه ما يتقدس
عنه وسلبوه ما يجب له من الاسماء الحسنى والصفات العلى فمنهم من
قال ثالث ثلاثة ومنهم من قال له ابن ومنهم من قال له زوجة
ومنهم من قال له البنات ومنهم من يجسمه ومنهم من يشبهه ومنهم
من انكره راسا وقال ما ثم الا الطبايع كما حكاه الخالق عنه فقال ونموت ونحيى و
ما يهلكنا الا الدهر وهو تعالى مع ذلك يحييهم ويميتهم ويصح اجسامهم ويعلو
سهم ويرزقهم وينعشهم ويقضي ما ربهم واوطارهم ويمتعهم متاعا حسنا
ويبلغهم اماينتهم في معظم ما يحتاجون اليه ويحاصيهم اليه صاعدن وبركاته فمعا
عليهم فارا له كل يعمل على شاكلته ويتفق ما عندن وكل دار حال اولى بها
وفي مناجات موسى عليه السلام انه قال الهي اسالك ان لا يقال في ما ليس
في فاوحى الله تعالى اليه يا موسى ذلك شيء ما فعلته بنفسي فكيف افعله
بك وفي هذه السيرة عبرة لمن اعتبر وذكرى لمن ادكر ومع ذلك ان التمست

رضى

رضى جميع الناس التمست ما لا يدرك فكيف تدرك رضا المختلفين فيا
ايها الملك الذى كتب عليه الفنا والعمر القصير والزمن اليسير والايام
المعدوده والانفاس المحصوره كيف اردت ان يصفو لك دهرك والرعيه ما لم
يصفو منهم لخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم هيهات بعيد
ما املت ومستحيل ما طلبت فلك في الناس سوة حسنة ان ترضى منهم
بما رضي خالقهم وتسير فيهم بسيرة خالقهم لم تزكيف احسن اليك وارضى
منك باليسير من العمل واكثر لك النعم والاموال والخول وانظر كيف
يستر زلاتك ويتعهد ستياتك ولا يفضحك في خلواتك ففي
هذا يمهد النفوس ويودب ذوي العقول ويهدي الى الصواب
ويوضح طريق الرشاد وسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعد كان
واعيا لما تلوت عليك فانه روي عنه انه كتب الى عمرو بن العاص
كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك اميرك والسلام **الباب السابع**
والثلاثون في الخصلة التي فيها ملجا الملوك عند الشدايد ومعقل
السلاطين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال ايها الملك
اذا اختلجت الامور في صدرك واضطربت عليك القواعد ومرجت
في قلبك وجوه الراي وتنكرت عليك المعارف والعفر لك وجه الزمن
ورايت اثار الغير فلا تغلبنك خصلتان اترك للناس دينهم ودنياهم
ولك الامان من طوارق الحدثان وما ياتي به الملوان **وقد روي**
ان المامون قال في اخر مواقفه مع اخيه الامين وقد تفرقت بيوت
الاموال والحث الاجناد في طلب الارزاق فقال المامون بقيت لاخي خصلة
لو فعلها ملك موضع قدمي هاتين فقيل له وما هي فقال والله اني لاظن

بها على نفسي فضلا عن غيري فلما خلص له الامر سئل عن
الخصلة فقال لوان الامين ناوى في جميع بلاده انه قدحط المكوس
جات والوضايف السلطانيه وسايرالجبايات عشرسنين
لملكه الامر علي ولكن الله غالب على امره ولما حشي المامون انتقاض
بيعته من اهل خراسان في فتنته مع اخيه الامين استشار الفضل
بن سهل وكان وزيره فقال له الفضل قدقرات القران وحديث
الرسول صلى الله عليه وسلم والراي عندي ان تجمع الفقها وتدعوهم
الى الحق والعمل به واحيا السنن وبسيط العدل والقعود على اللبود
وتواصل النظر في المظالم وتكرم القواد والملوك وابنا الملوك وتعد
هم المواعد الكريمة والمراكب السنيه والولايات المشاكله ففعل ذلك
وحط عن خراسان ربع الخراج فمالت وجوه الخلايق اليه وكانوا
يقولون به اخذنا ودع عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقاد اليه راضح
بن المهلب وكان من عظما الملوك بخراسان ويدخل تحت هذه
الترجمه امر اتفق عليه حكما العرب والروم والفرس والهند وهوان
تصطنع وجوه كل قبيله والمقدمين من كل عشيرة فتحسن الى حملة
العلم وحفاظ الشريعه وتدني مجالسهم وتقرب الصالحين والمتزهدين
وكل متمسك بعروة الدين وكذلك فليفعل بالاشراف من كل قبيله و
الروسا المتبوعين من كل نمط فهؤلا أزمة الخلق فبهم تملك من سواهم
يابن عم اذا سعيت في قتل اخيك فعلى من يبقى بسلطانك اعف
يعف الله عنك ففعل وقال ارسطاطاليس للاسكندر استصلح
الرعيه واذهب شرهم فمن كمال السياسة والرياسة ان تبقي على كل ذي

رياسته رياسته وعلى كل ذي عز عزه وعلى كل ذي منزلة منزلته فحينئذ يكون
للرؤسا اعيانا واعوانا ومن دانت له الفضلا من كل قبيله فاخلق به
ان يدوم سلطانه والعامه والاتباع دون مقدميهم وساداتهم احسادا بلا
روس واشباح بلا ارواح ولما قامت العامه على السلطان بقرطبه ولبسوا
السلاح كان شيخ حداد جالسا على سريره يعالج صنعته فقال ما بال الناس قالوا
قامت العامه على السلطان فقال لهم راس قالوا لا قال سقت اليكم يا غلام
فذهبت مثلا **الباب الثامن والثلاثون في بيان الخصلة التي**
لذم الرعيه السلطان قال حكيم الفرس ذم الرعيه للملك من ثلاثة وجوه
اما كريم تقربه عن قدره فاورثه ذلك ضعفا واما لئيم فوق قدره فاورثه
ذلك بطرا واما رجل منع حظه من الانصاف وفي الامثال احسانك الى
الحر يبعثه على المكافاة واحسانك الى اللئيم الخسيس تبعثه على المعاوده
وقيل للاسكندر ان فلانا ينتقصك ويثني الثنا عليك فقال انا اعلم انه ليس
بشرير فينبغي ان نعلم هل ناله من ناحيتنا امر دعاه الى ذلك فبحث عن حاله فو
جد هارثة فامر له بصله سنيه فبلغه بعد ذلك فبسط لسانه في الثنا
عليه فقال اما ان الامر الينا ان يقال فينا خيرا وشرا وينبغي للسلطان
ان لا يتخذ الرعية ملا وفتنه فيكون عليهم بلا وفتنه ولكن يتخذهم اهلا
واخوانا فيكونوا له جندا واعوانا وقد سبق المثل اصلاح الرعيه
خير من كثرة الجنود **الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العاقل والعادل مثل**
السلطان العادل مثل الياقوتة النفيسة الرفيعة في وسط العقد ومثل
الرعية مثل السذر فلا تلحظ العيون الا الواسطه واول ما تلحظ المقلبون

نزون ع

الكنوز ح
وذكا تر الجنوب

وينعقد الناقد دون الواسطة وانما يثنى الثنون على الواسطة وكلما
حسنت الواسطة عمرت سايرالشذور فلا يكاد يذكر كما قال بن صعدة
لقيت بالحجازيين هكة والمدينة سكينة بنت الحسين فسمعت لي عن
وجه ابنها واذا وجه كانه قطعة قمر وقد اتقنها بالجوهر والياقوت وانواع
الدر والحلى فالتفتت المراة الي وقالت والله ما علقته عليها الا لتفضح
كما ان جمال السلك ان يلي الواسطة الافضل فالافضل من الشذور وفا
ذلك على خلاف ذلك كان كمثيبي النظم كذلك السلطان ينبغي ان يكون
الاقرب فالاقرب اليه اهل العلم والعقل والادب والراي والصيانة
والشرف والفصاحة وذو الكمال من كل قبيلة وان كان على خلاف ذلك
كان نقصا في التدبير وكما ان جمال العقد بواسطته فكذلك جمال الرعيه
بكمال السلطان وفضله وبراعته وعدالته ومثل السلطان الجاير
مثل الشوكه في القدم فصاحبها تحت الم وقلق ويتداعى لها سايرالجسد
ولا يزال صاحبها يروم قلعها ويستعين بما في مبسوره من الالات
والمناقش والابر على اخراجها الا انها في غير موضعها الطبيعي ويوشك
ان يقلع بالاجره فاين عزيز الياقوت من شوكة القتاد وروى
ابو الزناد ان خاتم دانيال كان عليه منقوشا صورة اسدين وبينهما
صورة دانيال وهما يلحسانه ليلا ينسى نعمة الله عليه باب
اللوفي اربعين فيما يجب على الرعيه اذا جار السلطان اعلم ار
شدك الله ان الزمان وما لاهله وان راس الوعا اطيب من اسفله
كما ان راس الجره ارق واصفى من اسفلها فان قلت ان الملوك اليوم
ليسوا كمن مضى من الملوك فاعلم ان الرعيه ايضا ليست كمن مضى من الرعية

ولست بان تذم اميرك اذا نظرت اثارا من مضى منهم باول من ان يذمك
اميرك اذا نظر اثارا من مضى من الرعيه فاذا جار السلطان فعليك
الصبر وعليه الوزر وروى البخاري عن عبادة بن الصامت قال با
يعنا النبي صلى الله عليه وسلم فكان فيما اخذ علينا ان بايعنا على السمع و
الطاعه في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا واثره علينا وان لا
ننازع الامر اهله الا ان يروا كفرا بواحا يكون عندهم فيه من الله تعالى
برهان وعنه قال بن عباس رضي الله عنهما من كره من اميره
شيئا فليصبر عليه فانه من خرج من السلطان مات ميتة
جاهليه وفي رواية اخرى من فارق الجماعه شبرا فمات الا مات
ميتة جاهلية وعنه قال بن مسعود رضي الله عنه قال النبي صلى الله
عليه وسلم انكم سترون بعدي اثره وامورا تنكرونها قالوا فما تامرنا
يا رسول الله قال ادوا اليهم حقهم واسلوا الله حقكم وروى ابو داود
في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سيأتيكم ركيب مبغضون
يطلبون منكم ما لا يجب عليكم فاذا سالوا ذلك فاعطوهم ولا تسبوهم
ولتدعوا لهم فهذا حديث عظيم الموقع في هذا الباب فيدفع لهم ما
يطلبون من الظلم ولا تنازعهم فيه ولكف السنتنا عن سبهم يا
عبد الله لا تجعلن سلاطك حكما على من ظلمك الدعا ولكن التقه
بالله فلا محنة فوق محنة ابراهيم عليه السلام لما جعلوه في كفة
المنجنيق ليقذف به في نار الجحيم قال اللهم انك تعلم اني في ذلك
وعداوة قومي فافرق عليهم واكفنيهم كيدهم وقال مالك بن دينار
رحمه الله وجدت في بعض الكتب يقول الله سبحانه اني انا الله

www.alukah.net

الى

ملك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم
عليه نقمة لا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا اعطفهم عليكم وفي بعض
الكتب يا بن ادم تدعو على من ظلمك ويدعو عليك من ظلمته فان شئت اجبتك
واجبته عليك وان شئت اخرت الامر الى يوم القيمة فيسعكم العفو وقال
سليمان بن داود عليهما السلام لا تجعل همك حاك في الاعداء المكافاة ولكن الثقة
بالله عز وجل وروى ابو داود في السنن قال سرقت ملحفة لعايشة رضي الله
عنها فجعلت تدعو على من اخذها فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تسبخي
يعني لا تخففي فنهاها عن الدعاء على الظالم كما ترى فاذا قال المظلوم في دعائه
اللهم لا توفقه فقد دعا على نفسه وعلى سايرالرعية لانه من قلة توفيقه
ظلمك ولو كان موفقا لما ظلمك وان استجيب وعاد عليه وزر ظلمه لك وص
الالفاظ المروية عن سلف هذه الامة قولهم لو كانت لنا دعوة مستجابة
ما جعلناها الا في السلطان وروي عن الفضيل بن عياض رحمه الله انه
قال لو ظفرت ببيت المال لاخذت من حلاله وصنعت اطيب الطعام
ودعوت الصالحين واهل الفضل من الاخيار والابرار فاكلوا وشبعوا قلت لهم
تعالوا اندعو ربنا في ان يوفق ملوكنا وساير من يلي علينا وجعل اليه امرنا
والساقدم معاوية المدينة دخل دار عثمان فقالت عايشة بنت
عثمان والبتاه فقال معاوية يا ابنة اخي ان الناس اعطونا طاعة و اعطينا
هم امنا واظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع
كل انسان سيفه وهو يرجو امكان الكارة فان نكثنا بهم نكثوا بنا فلا ندري
اعلينا تكون ام لنا وان تكوني ابنة عم امير المؤمنين خير له من ان تكوني
امراة من عرض المسلمين وروي ان رجلا من العقلا عضبه بعض الولاة

صنعه

صنعة فاستعد عليه الى المنصور فقال له اصلحك الله اذكرك حاجتي ام اضرب
لك مثلا قال بل اضرب مثلك قال اصلحك الله ان الطفل الصغير اذا نابه امر يلجه
فانما يفزع الى امه لا يقر غيرها فطانة منه انه لا ناصر له فوقها فاذا ترعرع
واشتد فاوي كان فراره الى ابيه لعلمه بانه اقوى من امه فاذا بلغ وصار
رجلا وحزنه امر شكا الى الوالي لعلمه بانه اقوى من ابيه فاذا زاد عقله واشتدت
شكيمته شكا الى السلطان لعلمه بانه اقوى من سواه فان لم ينصفه السلطان
شكا الى الله تعالى لعلمه بانه اقوى من السلطان وقد نزلت بي نازلة وليس
فوقك احد اقوى منك فان انصفتني والا رفعت امرك الى الله تعالى في
الموسم فاني متوجه الى بيته وحرمه اذ ليس فوقك احد الا الله تعالى قال بل
انصفك واعزاه يكتب الى واليه يرد صنيعته اليه الباب الحادي
والاربعون في كما تكونوا يولى عليكم لم ازل اسمع الناس يقولون اعمالكم عمالكم
كما تكونوا يولى عليكم حتى ظفرت بها عليكم في القرآن قال الله تعالى وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا وكان يقال ما انكرت من زمانك فانما افسده
عليك عملك وقال عبد الملك بن مروان الضعفوا يا معشر الرعية تزيدون منا
شر سيرة ابي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في انفسكم بسيرتهما فسال الله تعالى
ان يعين كلا على كل وقال قتادة بنوا اسرائيل الهنا انت في السماء ونحن في
الارض فكيف نعرف رضاك من سخطك فاوحى الله تعالى الى بعض انبيائهم
اذا استعملت عليكم خياركم فقد رضيت عنكم واذا استعملت عليكم شرا
ركم فقد سخطت عليكم وقال عبيدة السلماني لعلي بن ابي طالب يا امير المؤ
منين ما بال ابي بكر وعمر نطاع الناس والدنيا عليهما ضيق من شبر و
اتسعت عليهما وليت انت وعثمان الخلافة فلم يتطاوعوا لكما فصارت

نسيكم سيرة ابي بكر وعمر

قال صح

لكما فصارت عليكما اصيق من شهر فقال لان رعية ابي بكر وعمر كانوا مثلي
ومثل عثمان ورعيتي انا اليوم مثلك ومثلهك وكتب اخ لمحمد بن يوسف يلغني
كتابك تذكر مالت فيه وليس ينبغي لمن يعمل بالمعصية ان ينكر العقوبة وما
ارى ما انتم عليه الا من شوم الذنب والسلام

الباب

الثاني والاربعون في بيان الخصلة التي بها تصلح الرعية

اعلم ان ادعى خصال السلطان الى اصلاح الرعية واقواها اثرا في تمسكهم بادبانهم وحفظهم لمروآتهم اصلاح السلطان نفسه وتنزيهه عن سيئ الاخلاق وبعده عن مواضع الريب وترفيعه نفسه عن استصحاب اهل البطاله والمجون واللعب واللهو والاعلان بالفسوق وقد كانت صحبة محمد الامين لزكرة الرجل الخليع والبتر الماجن ابي نواس الشاعر وصمة عظيمة عليه او هن بها سلطانه ووضع بها عند الخاص والعام قدره واطلق السنة الخلق بالثناء القبيح على نفسه فخلعه بذلك اخو المامون عن الولايه ووجه طاهر بن الحسين لمحاربته الى بغداد وحاربه حتى قتله وانفذ راسه الى المامون وكان يعمل كتبا تقرا على المنابر من خراسان وبقيف الرجل فيذم اهل العراق فيقول اهل فسوق وخمور ومجون ويعيب الامين بذلك ويقول استصحب ابا نواس رجلا شاعرا ماجنا كافرا استخلصه لنفسه لشرب الخمور وارتكاب المآثم ونيل المحارم وهو القايل

الا اسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر

حتى تغيرت عليه نفوس الخلق وتنكرت عليه وجوه الورى فلما بلغ الامين حبسه لم اطلقه بعدك اخذ عليه الا يشرب خمرا ولا يقول

فيه

شعرا فمتى اراد السلطان اصلاح رعيته وهو متماد على سيئ اخلاقه
كان كمن اراد تقويم الجسد مع فقد راسه واراد استقامة الجسد مع عدم
حيوته وكمن اراد تقويم الضلع مع اعوجاج الشخص وكيف يحيى النوت
مع فساد المآ ولقد اصاب الخليل في قوله اصلح نفسك لنفسك يكون
الناس تبعا لك وقديما قيل من اصلح نفسه ارغم انف اعدائه
ومن عمل حيدة بلغ كنه امانيه وسئل بعض الحكما عما يستقيم الانسان
من عدوه فقال ياصلاح نفسه ولابي الفتح البستي رحمه الله

اذا غامر ملك باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب
اما ترى الشمس في الميزان هابطة لما عدا وهو برج اللهو والطرب
وصحة الامر وتوفيق الشركما يلوح اذا امرت بالتي حملت نفسا
واذا امرت على الطيب حملت طيبا فمحال استصلاح رعيتك وانت
فاسد وارشاد هم وانت غاوٍ وهدايتهم وانت ضال وقد سبق

المثال في التحايل ما قال بعضهم فيه

ومن عجب الدنيا حكيم مصفر واعمش كحال واعمى منجم
وقول العرب ياطبيب طب نفسك وكيف يقدر الاعمى على ان يهدي
او الفقير على ان يغني او الدليل على ان يعرفك عن تطهير غيرك
من العيوب قبل تطهير نفسك كبعد الطبيب من ابراء غيره من دائه
مثله وفي قول بعض الحكما بالجد لن يبلغ الرجل في اصلاح رجل
واحد بحسن القول دون حسن الفعل ما يبلغ رجل واحد في اصلاح الف
رجل بحسن الفعل دون القول وفيه قول القايل

www.al-maktabeh.com

يا ايها الرجل العلم غيره هل الانف كان ذا التعليم تصف الدواء من السقام الذي
من الضنا ومن الضناء اذ كنت انت سقيم ما زلت تلقح بالرشاد عقولنا
صفة وانت من الرشاد عديم ابدا بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يقبل ما وعظت وتقتدى بالقول منك وينفع التعليم لا تنه عن خلق وتاتي مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم ولكن اقوى الاسباب في اصلاحهم عند فوت صلاحهم
عليهم خاصة منهم وذوى الارحام والمروات القاعدة والاديان الطاهرة ممن يراس
العامة سرائرهم فعليك بالطريق الى حفظ اديانهم ومروآتهم وتماسكهم عن الانهماك في
المحذورات وملابسة المحرمات فان الشاعر لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة
اذا جهالهم سادوا وقال مروان الفارسي خليفتان في السلطان اقرب الى صلاح الرعية
من سواهما ثقة الراي وسلطة الرحمة وما الحق السلطان ان يسلك بالرعية كل سبيل
يصلحون عليه ويسودون معه فحينئذ يكون رئيس الرؤساء واميرا على السادة الفضلاء
وانما هم بركوب شهواتهم وتوسط الرائهم ذهبت اديانهم وسقطت مروآتهم
كما جاء المثل في الكلمة المذمومة بقول العرب في القوم لا رؤسائهم ولا سراة نفسهم
هم سواسية كاسنان الحمار وتقول سواسية كاسنان المشط وفيهم يقول الشاعر
سواسية كاسنان الحمار ولا ترى لذى شيبة منهم على ناشئ فضلا ولا ان يكون اميرا
على فضلا خير امن ان يكون اميرا على الرجاير والغاغة والدناءة وقد قال عبد الملك
بن مروان يوما وقد استقام له الامر من يعذرني من عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
فانه اتى ان يدخل في سلطاني فقال بعض جلسائه تخفره وتضرب عنقه
وتستريح منه فقال عبد الملك وهل اذا قتلت ابن عمر فعلى من اكون اميرا ولما
سار داود الى الحجاز في الدولة العباسية ليقتل من هناك من بني امية
قال له عبد الله بن الحسن رضي الله عنهما يا عم اذا اسرعت

فقل

فيه شعرا فمتى اراد بابن عم اذا سعيت وفي قتل اكفائك فعلي من تباهي بسلطانك
اعف يعف الله عنك فعفا وقال ارسطاطاليس للاسكندر استصلح الرعية
واذهب شرهم تملك رئيسا لاخيار محمودي والا تكن رئيسا لاشرار مذمومين
فتكون كراعي البقر ولما استولى بنو على ملك الهند بغير حق قال له قد وهبتك لقو
ملك ووهبتهم لك فانزلهم منازلهم وبلغهم مراتبهم فكل امة لم تبلغ مرابتها وغلت
صدورها ووغرت قلوبها واستحقت فتنتها وهان عليها اعمارها وملكك
امورها شرادها وانت اعلم بهم فمن اطناب المملكة وقواعدها ان لا تسلب رئيسا
رياسته وتبقي على كل ذي عزعزة وتنزل كل ذي منزلة في منزلته فحينئذ تامن
من نوائب الاعداء التي هي نتايج الضغائن والاحقاد الباب
الثالث والاربعون فيما يملك السلطان من الرعية كتب ارسطاطاليس الى
الاسكندر املك الرعية بالاحسان تظفر منهم بالمحبة فان طلب ذلك منها
بالاحسان ادوم بقاء منه بالاعتساف واعلم انك انما تملك الابدان فتحفظها
الى القلوب بالمعروف واعلم انه اذا ملك السلطان ملك قلوب الرعية و
اذ لجار لم يملك منهم الا الرياء والتضنع وفي سير الفرس قلوب الرعية خزائن ملوكها
ملكها فما اودعوها من شي فليعلم انه فيها واعلم ان الرعية اذا قدرت ان تقول قدرت
على ان تفعل فاجهد ان لا تقول نسلم من ان تفعل وليس هذا خلاف ما روي
عن معاوية ان رجلا اغلظ له فحلم عنه فقيل له احلم عن مثل هذا فقال
اني لا احول بين الناس وبين السنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا وذلك
تفسير قوله فاجهد ان لا تقول يعني اذا عدلت لم يتكلموا بسوء وهذه
السيرة احسن من سيرة ازدشير لما رفع اليه ان جماعة من بطانته قد فسدت
نياتهم فوقع فينا نحن معاشر الملوك انما نملك الاجساد لا النيات ونحلم بالعدل

وترتيبه في مرتبته

اذا عدل السلطان

لا بالرضى ونفحص عن الاعمال لا عن السرائر قلت وانما تسع هذه السيرة لمن عجز
عن الاول لان هلاك الاجساد قد يكون بالعدل والظلم وملاك القلوب لا يكون
الا بالعدل واين هذا من قوله وقد رفع اليه انك كنت بالامس في عدة قليلة
وتلك محال الا يومن اغتيال الاعداء فوقع هو من عمر احسانه من اعداه وما
احسن ما قال عبد الملك بن مروان يا اهل الشام انما انا لكم كالظليم الرايح على
فراخه ينفي عنهم القذى ويباعد عنهم الحجر ويكنهم من المطر ويحميهم من الضباب
ويحرسهم من الذياب ويا اهل الشام انتم العدة والجد وانتم الجبية والردا
وقال العجم اسوس الملوك من قاد البلاد الرعية بقلوبها ولا ينبغي للوالي
ان يرغب في الكرامة التي ينالها من الرعية كرها ولكن في التي يستحقها بحسن
الاثر وصواب التدبير وقال عمر بن عبد العزيز اني لاجمع ان اخرج للمسلمين
امرا من العدل فاخاف ان لا تحمله قلوبهم فاخرج معه طمعا من طمع الدنيا
فان نفرت القلوب من هذا سكنت الى هذا وقال معاوية لزياد من اسوس
الناس انا او انت فقال يا امير المؤمنين ما جعل الله رجلا حفظ الناس بسيفه
كمن سمع الناس واطاعوا له بالليل وروى ان سليمان مولى زياد فخر بزياد
عند معوية فقال لمعوية اسكت فما ادرك صاحبك بسيفه الا ادركت اكثر
منه بلساني الباب الرابع والاربعون في التحذير من صحبة السلطان قال
السلطان اتفقت لنا حكماء العرب والعجم على النهي عن صحبة السلطان و
في كتاب كليلة ودمنة ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل صحبة السلطان و
ايتمان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة وكان يقال قد خاطر بنفسه
من ركب البحر واعظم منه خطرا صحبة السلطان وقال مزدك احق الامور
بالتثبيت فيها امر السلطان فانه من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس

استقصاء حسن

بقية تعاليم ووصاياهم

شعار

شعار الملوك الغرور وفي حكم الهند ايضا صحبة السلطان على ما فيها
من العز والثروة عظيمة الخطر وانما تشبه بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة
والسباع الموذية والثعابين المهلكة والاتقاء اليه شديد والمقام فيه اشد و
ليس يتكافا خير السلطان وشره لان خير السلطان لا يعدوا مزيد الحال
وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفس التي هي اطلب المزيد والخير في
الشيء الذي في سلامته مال وجاه وفي بليته الجايحة والتلف ولهذا
لما قيل للعتابي لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الادب قال لاني رايته
يعطي عشرة الاف في غير شيء ويردي من السوء في غير شيء ولا ادري اي الرجلين
اكون ولخص في ابو العباس الحجازي وكان ممن دخل ارض الصين ان جبل
الياقوت بالهند فيه ثعابين عظيمة ليس في عمور الدنيا اعظم منها و
ان الواصد منها يبلع الثور صحيحا فلا يصل احد الى ذلك الجبل ولا يقربه فاذا
كثرت الامطار احدرت السيول منه الحصى وساير ما فيه من المنافع الى
مستقر المياه على مسيرة ايام فيبحث الناس عن ذلك الحصى فيوجد فيه
الواصد بعد الواحد من احجار الياقوت وقال معاوية لرجل من قريش
اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويرضى رضا الصبي ويبطش
بطش الاسد وقال المامون لو كنت رجلا من العامة ما صحبت السلطان
وقال الاحنف بن قيس ثلاثة لا اقولهن الا ليعتبر لهن لا احلف جليسي
الا بما احضره ولا ادخل في امر لا ادخل فيه ولا اتي السلطان الا ان يرسل الي
وقال بزرجمهر لابنه ان وجدت من السلطان وصحبته غنا فاغن عنه
نفسك واعتزله بجهدك فانه من ياخذه السلطان بحقه يحل بينه وبين
لذة الدنيا ومن لا ياخذه بحقه يكسبه الفضيحة في الدنيا والوزر في الاخرة

وقال ميمون بن مهران قال يا عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عني اربعا
لا تصحبن سلطانا وان امرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامراة
وان اقرأتها القرآن ولا تدخلن من قطع رحمه فانه لك قطع ولا تتكلمن
بكلام اليوم تعتذر منه غدا وفي منثور الحكم كثرة الاشغال مذهلة
عن وجود اللذات بلينها وكم قد رأينا وبلغنا من صحب السلطان من اهل
الفضل والعلم والعقل والدين ليصلحه فسد هو به كما قال الاول
عدوى البليد الى الجليد سريعة والجمر يوضع في الرماد فيخمد
ومثال من صحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا
فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فقتله وفي كتاب كليلة ودمنة
لا يسعد من ابتلي بصحبة الملوك فانهم لا عهد لهم ولا وفاء ولا حميم ولا يكرم
عليهم الا ان يطمعوا فيما عنده فيقربوه عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم تر
كوه ولا ود ولا احا الا البلا يخزى والذئب لا يغفر وقال بزرجمهر لا يصلح
صحبة السلطان الا بالطاعة والبذل ولا مواخاة الاخوان الا بالدين والمرو
ءة وقال بعض حكماء الفرس المال والسلطان مفسدان لكل احد فقه
الا لرجل له عقل كامل وقال الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد تخا
فه الناس وهو لما يركبه لخوف قالوا ومن لزم باب السلطان بصبر جميل
وكظم الغيظ واطراح الاذى كالمكرم لا يتعلق بأكرم الاشجار لكن بادر
ناها اليه وكانت العرب تقول ان لم تكن من قربا السلطان فكن من
بعدائه وفي حكم الهند ثمانية مثل السلطان في قلة وفائه في اصحابه
وتخاذله عن من فقده منهم مثل البحر والمكتب كلاهما ذهب واحد
جاء اخر والعرب تقول السلطان ذو عدوان وذو بدوات وذو التدبير

يريد

يريد انه سريع الانصراف كثير البدوات هجوم على الامور واصله من الدفع
وهو الدفع **الباب الخامس والاربعون** في صحبة السلطان
قال ابن عباس رضي الله عنهما قال لي ابي يا بني اني ارى امير المؤمنين يستخلصك
ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واني او
صيك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا يجربن عليك كذبا ولا تغتابن
عنده احدا قال الشعبي قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من الف
قال اي والله ومن عشرة الاف وقالوا صحب السلطان بالحذر والصديق
بالتواضع والعدو بالجهد والعامة بالبشر ولا تحكم لاحد بحسن راي
الملك الا بحسن اثره وقال الحكماء لا تستطلع السلطان ما كتمك ولا تفش
ما اطلعك عليه من اول على السلطان استثقله ومن امن عليه
عاداه ومن اظهر انه يستشيره باعده وقال بعض الحكماء اذا رادك
السلطان فايسا فزده اجلالا واذا جعلك السلطان اخا فاجعله ابا
واذا رادك فزده يعني السيد مع عبده واذا ابتليت بالدخول على السلطان
مع الناس فاحذروا في الثناء عليه بالدعاء وان نزلت منه منزلة الثقة
فاعزل عنه كلام الملوك ولا تكثر بالدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه
بالوصيفة والغربة الا ان تكلمه على رؤس الناس فلا يا لها من عظيمة وذ
كرته وقال بعض المقنعين لتكن حاجتك في سلطانك ثلاث خلال رضى
ربك ورضى سلطانك ورضى من تلي عليه ولا عليك ان تلهوا عن المال والذ
كر فسيا تيك منهما ما يكفي ويطيب وقال مسلم بن عمرو لمن خدم السلطان
لا تغترن بالسلطان اذا ادناك ولا تتغيرن اذا اقصاك وروي ان بعض
الملوك استصحب حكيما فقال اصحبك على ثلاث خلال قال وما هن

قال لا تهتك لي سترا ولا تستثر لي عرضا ولا تقبل في قول قايل حتى تستبين
لي قال هذا الذي فالي عندك قال لا افشي لك سرا ولا اذخر عنك نصيحة ولا
اوثر عليك احدا قال نعم الصاحب المستصحب انت وقيل لعبد الله بن جعفر
ما الحمق قال الدالة على السلطان والوثبة قبل الامكان وقال ابن المقفع
اول الناس بالهلكة الفاحشة المقدم على السلطان بالدالة وقال يحيى بن
خالد الدالة تفسد الحرمة القديمة وتضر بالمحبة المتاكدة وقال بزرجمهر
اذا خرجت ملكا من الملوك فلا تطمعه في معصية خالقك فانه
احسانه اليك فوق احسان الملك واياقاعه بك اغلظ من ايقاعه
اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس لقيام
الهيبة فلا تترك الهيبة وان طالت المسك بهم فهو حسبهم منك ولا
تقطع السلطان مجهودك كله في اول صحبتك له فلا تجد بعد موضعا
للمزيد ولكن دع للمزيد موضعا علم السلطان وكانك تتعلم منه
وانثر عليه وكانك تستثيره اذا احتك السلطان من نفسه بحيث تسمع
منك وثق بكفايتك والحول بينك وبين بطانته فانك لا تدري
متى يتغير لك فيكون نزوعا عليك ايك ان تعاون مرة اذا شاطرح
شبابه ودخل السلطان في شبابه فتور وفي الامثال القديمة احذر زمارة
الحدء وفيه قيل

ليس الشفيع الذي ياتيك متزرا مثل الشفيع الذي ياتيك عريانا

وفي الامثال لا تدل فتمل ولا توجف فتعجف وقال الرشيد لاسماعيل
بن صبيح اياك والدالة فانها تفسد الحرمة وقال سليمان بن داود عليهما السلام
لا تغشر السلطان ولا تقعد عنده وقال بعض الحكماء شدة الانقباض

عن السلطان تورث التهمة وشدة الانبساط تفتح باب الملالة واعلم ان
من طلب العز بالذل كانت ثمرة سعيه الذل احذر منزلتك عند السلطان
بمثل التي تتبينها به من الحذر والمناصحة واحذر ان يحملك التهاون عما رقاك
اليه التحفظ اشقى الناس بالسلطان صاحبه كما ان اقرب الاشياء الى النار
اسرعها احتراقا من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطراح
الانفه وصل الى حاجته وقال الاحنف السلطان ارداه ومن تضرع اليه
تخطاه وقال ابن عباس رضي الله عنهما ثلاثة: من عادى عامة عمرته ولا السلطان
والوالد والغريم واعلم انه انما يستطيع صحبة السلطان لحد رجلين
اما فاجر مصانع ينال حاجته بفجوره ويسلم بصانعته واما مفضل مهين
لا يحسده احد واما من اراد ان يصحب السلطان بالصدق والنصيحة و
العفاف فقل ما يستقيم له صحبتهم لانه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه
بالعداوة والحسد اما الصديق فينافسه في منزلته واما العدو فيطعن
عليه لنصيحته له فاذا اجتمع عليه هذان الصنفان فقد تعرض للمهالك و
قال بعض الحكماء من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الاخرة لا
يوحشك من السلطان اكرام الاشرار فان ذلك للضرورة اليهم كما يخطر الملك
الى الحجام فيشرط فصاده ويخرج دمه وفي الامثال لا حلم لمن لا سفيه له
وكان ابن عمر رضي الله عنهما اذا سافر الى مكة استصحب رجلا فيه مما فيه يستدفع
به شر السفهاء واهل الوغادة والدره وقال المعتصم ان للسلطان لسكرات فمنها
الرضى عن من استوجب السخط والسخط على من استوجب الرضى ومنه
قول الحكماء خاطر من لج في البحر واعظم منه خطرا من صحب السلطان وقال
ابن المقفع لابنه لا تعدن شتم السلطان شتما ولا غلاظه اغلاظا فان ذلك

من قيس رجلا فان انتقصوا
عن السلطان ولا تنتهكوا
عليه فانه من اشرف اعمل

www.alabdulgader.com

بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فخرجوا ينلقونه تعظيما لامر النبي صلى الله عليه وسلم
ففزع ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال منعوني صدقاتهم واراد واقتلني
فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ثم استبرأ امرهم فوجد ما قاله كذبا فنزلت
الاية وسماه الله تعالى فاسقا وصدق ذلك قول الله تعالى سماعون للكذب
اكالون للسحت فاشترك الله سبحانه بين السامع والقايل في القبح وسوى
بينهم في الذم فكان فيه تنبيه على ان سامع النميمة غمام في الحكم واما ما روى
فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فروى مسلم في صحيحه عن همام قال كنا مع حذيفة
فقيل له ان رجلا يرفع الحديث الى عثمان بن عفان فقال حذيفة سمعت
رسول الله صلى الله عليه يقول لا يدخل الجنة قتات وفي لفظ اخر غمام وروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال
من شراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب
وقال ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون
ذو اللسانين ملعون كل شقار ملعون كل قتات ملعون كل مناء والشقار
المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة والقتات النمام والمناء الذي يميل
الخير ويمين به وروى ابن عباس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال
انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان يمشي بالنميمة ثم اخذ جريدة
رطبة فشقها فصفين فغرز في كل قبر واحدة قالوا يا رسول الله لم فعلت
قال لعلهما يخفف عنهما ما لم ييبسا وذلك لبركة يده صلى الله عليه وسلم
واما السعاية الى السلطان او ذي قدرة ومكنة فهي المهلكة الحال
لقة لانها تجمع الى مذمة الغيبة ولوم النميمة والتغرير بالنفوس والاموال
والقدح في المنازل والاحوال وتسليب العزيز عزه ويحط المكين عن

البلاغة ان ناس ص

فكان لا يستتر من البول واما الاخر

الى الكلام الخصال المذمومة

محاسن والسيد عن مرتبته فكم دم اراقه سعي ساع وكم حريم استبيح
بنميمة باغ وكم صفيين تقاطعا ومن محبين تباغضا ومن متواصلين
تباعدا ومن الفين تهاجرا ومن زوجين افترقا فليتق الله ربه
رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الاقدار ان يضيع لساعي او يستمع من
نمام وروى ابن عيينة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة لا يدخلها
ديوث ولا قلاع والديوث الذي يجمع بين الرجال والنساء سمي بذلك لانه
يدث بينهم والقلاع الساعي الذي يقع في الناس عند الاولاة يقصد
الرجل المكين عند السلطان فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه وقال كعب
اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام فخرج موسى
يستسقي ببني اسرائيل فلم يسقوا ثم خرج فلم يسقوا ثم خرج الثالثة فاوحى
الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولا لمن معك فان فيكم نماما قال موسى
عليه السلام يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله تعالى
اليه يا موسى انهاكم عن النميمة وانا كون نماما فتابوا فارسل الله عليهم الغيث
ولما لقي اشقف بجران عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا امير المؤمنين
احذر قاتل الثلاثة قال عمر وما قاتل الثلاثة قال الرجل يأتي الامام
بالحديث الكذب فيقتله الامام فيكون قد قتل نفسه وصاحبه واماه
فقال عمر ما ادراك ابعدت ووجدنا في حكم الفقد القدماء بغض بالنميمة م
الناس الى الله المثلث وقال الاصمعي الرجل يسعى باخيه عند الامام فيهلكه
بنفسه واخاه وامامه وذكر السعاة عند المامون فقال لو لم يكن
عيبهم الا انهم اصدق ما يكونون بغضا ما يكونون عند الله تعالى
وقال حكم العرب الصدق دين على كل احد الا السعاية فان الساعي

ادم وانما يكون اذا صدق وروى ان رجلا سعى بجار له عند الوليد
بن عبد الملك فقال له الوليد اما انت فتحترز في انك جار سوء ان شئت
اتركناك قال فاتركني يا امير المؤمنين قال تركناك وسدر الاسكندر
حيه وشا اليه واش بن جل فقال له الاسكندر ان شئت قبلناك على
صاحبك بشرط ان تقبله عليك وان شئت اقلناك قال اقلني قال قد
اقلناك كف عن الشر يكف عنك الشر ومن العجب الذي لا عجب بعده
ان الرجل يشهد عندك في باقة بقل فلا تقبله حتى تسئل عنه اهو من
اهل الثقة والعدالة والامانة ام لا ثم يتم اليك بحديث فيه الهلاك وفساد
الاحوال فتقبله وقال يحيى بن زيد قلت للحسن بن علي رضي الله عنه لما
سقي السم اخبرني من سقاك فدمعت عيناه وقال اما في احد قدم من
الدنيا واول قدم من الاصرة تامرني ان اغمز وقال رجل للمهدي عندي نصيحة
يا امير المؤمنين قال لمن نصيحتك هذه لنا ام لعامة المسلمين ام لنفسك
قال لك يا امير المؤمنين قال المهدي ليس الساعي باعظم عورة ولا بافتح
حال منه قبل سعايته ولا تخلو اما ان تكون حاسدا لنعمة فلا تشفي غيظك
او عدوا فلا تعاقب لك عدوك ثم اقبل على الناس وقال ايها الناس لا
تصح لنا ناصح الا بما فيه رضى الله وللمسلمين فيه صلاح وروى ان ساعيا
سعى برجل الى الفضل بن سهل فوقع على ظهر كتابه حتى نرى قبول السعاية
نرد السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجابة وليس من دل على
شئ كمن قبل واجاز لان من فعل شرهم قال وروي ان رجلا دفع الى النصور
نصيحة فوقع على ظهرها هذه نصيحة لم يرد بها وجه الله تعالى ولا
عملنا لمن اثرنا على الله وروى ان رجلا للمامون يا امير المؤمنين

www.alukah.net

في اصحاب الاخبار وفاتهم قوم ان اعطوا كذبوا وان حرموا كذبوا وهم كاذبون فقال المامون نسدرها من كلمة ما اصدقها وابين من فضلها وامر ان تثبت في ديوان اصحاب الاخبار وقال مروان بن ابي حفصة يا بني عبس احفظوا عني ثلاثا من نقل الينا نقل عنكم واياكم والتزوج في بيوتات السوء واستكثروا من الصديق ما استطعتم واستقلوا من العدو فان استكثاره ممكن وقال بعض الحكماء احذروا اعداء العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات وقال حكيم العرب اياك والسعاة فانهم اعداء عقلك ولصوص عقلك يسرقون بيه قولك وفعلك وفي المثل السائر من اطاع الواشين ضيع الصديق وقد تقطع شجرة بالفؤس فتنبت وتقطع اللحم بالسيف فيندمل واللسان جرحه لا يندمل واحق الناس برعاية ما رسمته من هذه الحال ونقلته من هذه الحكم واستودعته من هذه السير من اتاه الله سلطانا ومكن له في الارض قدما ويدا والقدرة اذا اطاع الوشاة اهلك العالم وكان بعض الحكماء يقول من اراد ان يسلم من الاثم ويبقى له الاخوان فليكن قاضيا حاكما بالعدل بينه وبينهم ولا يقبل احدا في احد ولا في نفسه الا بشهود عدول فانا قد اجبنا بقول اقوام وابغضنا بقول اقوام واصبحنا على فعلنا نادمين ومن لطيف حكم الله تعالى في النميمة حكم بفسق النمام حتى لا يقبل له قول في تشريع الخلق من شره لما علم الله تعالى من شوهها واستطارة شررها وعموم مضرتها في الورى وقال بن عمر وفد الشيطان

كذبوا وان اعطوا حد حرام

فيجعل نفسه بينهم وبينه قاضيا عدلا

قوم يرسلهم السلطان الى الناس يسئلونهم عن حالهم فيخبرونهم عن احوالهم
ان الناس راضون وليسوا براضين **واعلموا** ان الله خلق الانسان على اجزاء
شتى اضربنا عن ذكرها لكثرتها وطول تتبعها فخلق الله له الحواس
الشريفة والاعضاء النافعة الرئيسة فمن افضل ما ركب الله فيه اللسان
الذي هو آلة النطق والبيان به فضل بنيه وبين البهايم وفضله على
سايرالحيوان وامتن به عليه في اول سورة الرحمن فقال سبحانه الرحمن
علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ثم خلق فيه اعضاء تتذل وشتهاه
وجعلها جوى لفضول الشراب والطعام فمنه تنبع سقطات الكلام وروى
عثرات الاقدام التي هي كالعورة الواجب سترها وقد فيها كان قد استعمل
اترف الآلات في احسه المستعملات فضار لمن يلحس بلسانه سوءة اخيه
ارجل الكرم جوارحه لاحسالاوناس المستعرضين وارضى ان يكون في الناس
كالذباب في الطير يتبع بغل الجسد ويتحامى صحيحه وقد كان له في نشر
المحاسن شغل ولكن اهل ذي حالة اولى بها وفي هذا سبق المثل ان لم
تكن ملحا تصلح فلا تكن ذبابا تفسد ومن لم يقدر على جمع الفضايل
فلتكن فضائله ترك الرذايل واذا تتبع الامام عثرات الناس
افسدهم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم هم يوما بالخروج فشعر بناس من
اصحابه يضحكون فامتنع من الخروج اليهم حذرا ان يفسد قلبه عليهم ولو
علم الذي ينقل اخبار الناس ما جنى على نفسه لعلم ان الصمم كان اهنى
لحاله والغم لباله من سماع الاخبار اما واحدة فاذا علم نقلة الاخبار
نفاها عنده حملوا اليه الصدق والكذب فيكون في سماع البرء للكذب
مثله قال الله تعالى فيه سماعون للكذب اكالون للسحت فيكون في

سماع

سماع الصدق والكذب حمالا للسهم صرح الصدق على الخلق معاديا
لهم واعيا لعثراتهم جماعا لسقطاتهم وقد وعى منهم ما يجب ستره
وحفظ ما يجب صيانته ثم لا يقدر على الانتصاف من كل قايل لانه
لو كان ذا قدرة اهلك الرعية ثم لا يستطيع هلاك جميعها وان كان
سوقه لم يشف غيظه ثم افسد احواله والبعض ما يجب ان يحبه
واحب من يجب بغضه فلا يزال يتململ الحسايف ويرب الاحقاد
والضغاين ويرتصد لكل قايل يوما يشفي غيظه فيه وما اغفى
العاقل عن هذه البليه وسد عمر رضي الله عنه الخطاب العاص اذ قال
لرجل وقد لاحاه يوما وقال له والله لا تزعن لك فقال له
عمر الآن وقعت في الشغل يا بن اخي

الباب الثامن والخمسون في القصاص وحلمه

قال الله تعالى
ولكم في القصاص حياة يعني اذا علم القاتل وقاطع السبيل
والغاير انه يقتص منه اجمع ولم يقدر على القتل فيكون في ذلك
سبب حياته وحياة الذي هم به روى ابن مسعود ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من كانت لاخيه مظلمة فليتحلل منها فانه ليس ثم
دينار ولا درهم من قبل ان يأخذ من حسنات اخيه فان لم يكن له
حسنات اخذ من سيات اخيه فزيدة عليه وهو حديث صحيح
خرجه البخاري فان قيل يعارضه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر
اخرى فكيف يوخذ الظالم بذنب اقترفه المظلوم قلنا الاية انه
لا يعاقب احد بذنب احد ابتداء واما في مسئلتنا فمظلمة بقيت
عنده وليس له وفاؤها فهو الذي اكتسب الوزر وهو معنى قوله
تعالى

وليحمل اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وروى ابو سعيد ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال يخلص المومنون من النار فيحبسون على قنطرة بين
الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا
حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم
اهدى لمنزله في الجنة منه لمنزله في الدنيا وروى ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال قبل موته من كانت له عندي مظلمة فليات حتى اقتصه
من نفسي فقام سواد بن غزية فقال يا رسول الله انك ضربتني على بطني
ليلة العقبة فاوجعتني فقال النبي صلى الله عليه وسلم دونك فاقتص
فقال يا رسول الله انك مضربتني وانا مكشوف البطن فكشف النبي
صلى الله عليه وسلم بطنه فاذا هو كالقباطي يعني ثياب مصر فاكب
عليه يقبله فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا سواد ما حملك على هذا
فقال يا رسول الله دنا القاهو لا يعني المشركين فاردت ان يكون
اخر عهدي بك ان اقتل بطنك فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقتص من نفسه مع ان الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
لعلمه ان الله تعالى لا يدع القصاص في المظالم بين العباد لان الله تعالى
اعدل من ان يدع مظلمة لاحد عند نبي وغيره وفي الحديث
يقول الله تعالى يوم القيمة اياظالم ان فاتني ظلم ظالم ويروى ان
داود عليه السلام يقدم خصمه الى الله تعالى يوم القيمة فيقضي
له عليه فيدفعه الى اوريا سلما ثم يستوهبه الله تعالى من اوريا ثم يعوض اوريا الجنة وقال حبيب دخل عثمان بن عفان
فوجد غلامه يعلف ناقته فراى في علفها شيئا فاخذ باذنه

ابن غزية

على ذكره

وفي الحديث

العدو وعلى الجند الجد عند اللقاء والصبر عند البلاء فان كانت لهم الغلبة فليتمكنوا في الطلب وان نكره عليهم فليقصروا الاعنة وليجمعوا الاسنة و
ليذكروا اخبار غدر وينبغي للملك ان يتفقد جنوده كتفقد صاحب
البستان بستانه ويقلع العشب الذي لا ينفعه ومن العشب من لا
ينفع ومع ذلك يضر بالنبات النافع فهو بالقلع اجدر ولا يستصلح
الجند الا باد رار ارزاقهم وسد حاجاتهم والمكافات لهم على قدر غنائهم
وبلائهم وجنود الملوك وعددها وقف على سعو والايمه ونحوسها وقال
ابرويز لابنه شيرويه لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك ولا
تضيق عليهم فيضجروا منك واعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا
ووسع عليهم في الرجاء لا توسع عليهم في العطاء ولما افضى الامر الى ابي جعفر
المنصور انفذ جيشا وقال لقواده على هذه السيرة ثم قال صدق
الاعرابي اجع كلبك يتبعك فقام ابو العباس الطوسي فقال يا امير
المؤمنين اخاف ان يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك وروي
ان بعض الامراء كان ظالما لرعيته شديدا الاذاهم في اموالهم فعوتب
في ذلك فقال اجع كلبك يتبعك فكموثبوا عليه فقتلوه ممر به بعض
الحكما فقال ربما قتل الكلب صاحبه الم يجد شبعه وفي نقيض هذا
المعنى قالوا سمن كلبك يا كلك وذلك ان رجلا كان له كلب يسقيه
اللبن ويطعمه اللحم يرجو ان يصيب به خيرا فحبسه ويصيد به فاتاه
ذات يوم وهو جايع فوثب عليه الكلب فاكله فقيل سمن كلبك
يا كلك وانشدوا

هموا سمنوا كلبا ليا كل بعضهم ولو اخذوا بالحزم ما سمن الكلب

فليمتنعوا

ويروى ان كسرى صنع طعاما فى سماطه فلما فرغوا ورفعت الالات
وقعت عينيه على رجل من اصحابه اخذ جاما له قيمة كبيرة فسكت عنه
وجعل الخدم يرفعون الالات فلم يجد والجام فسمعهم كسرى يتكلمون
فقال ماكم فقالوا فقد ناجاما من الجامات فقال لاعليكم اخذه من لايرده
وراه من لا يفضحه فلما كان بعض ايام دخل الرجل على كسرى وعليه حلية
جميلة وحاله مستجده فقال له كسرى هذا من ذاك فقال نعم ولم
يقل له شيأ وسئل عمر بن معاذ وكان على الصوايف بم قدرت على جيوش
الصايفة وكان يغزوه فى كل سنه ويجر الجيوش الى بلاد الروم فقال بسمانة
الظهر والتقديد وكثرة الكعك الباب السابع والاربعون فى
سيرة السلطان فى استجبا الخراج من طال عدوانه زال سلطانه اعلم
ان المال قوة السلطان وعمارة المملكة ولقاحه الامن ونتاجه العدل و
وهو ذخيرة الملك وعمارة المملكة وحياة الارض ومن حقه ان يوخذ
من حق ويوضع فى حق ويمنع عن سرف ولا يوخذ من الرعيه الا ما فضل
من معاشها ومصالحها ثم ينفق ذلك فى الوجوه التى يعود عليها منفعها
فيا ايها الملك احرص كل الحرص على عمارة الارضين والسلام ايها الملك ومر
جباة الاموال بالرفق ومجانبة الخرق فان العلقة تنال من الدم بغير
اذى ولا سماع صوت ما لا تناله البعوضة بلسعتها وهول صوتها ولما
عزل عثمان عمرو ابن العاص عن مصر استعمل عليها عبد الله بن ابي سرح فحمل
من المال اكثر ما كان يحمله عمرو فقال عثمان يا عمرو استعرت ان اللقاح درت
فقال عمرو ذلك لانكم اعجفتم اولادها وقال زياد احسنوا الى الزارعين فا
نكم لن تزالوا سالما ما سمنوا وفى منثور الحكم من جاور الحلب حلب الدم

وفى الامثال اذا استقصى العجل فى مص امه وقصته وقال جعفر بن يحيى
الخراج عمود الملك وما استعز بمثل العدل ولا استتر بمثل الظلم واسرع الامور
الى خراب البلاد وتعطل الارض وهلاك الرعيه والكساد الخراج الجور والتحامل
ومثل السلطان اذا احمل على اهل الخراج حتى ضعفوا عن عمارة الارض مثل
من يقطع لحمه ويا كله من الجوع فهو وان قوى من ناحيه ضعف من
ناحية وما ادخل على نفسه من الم الجوع ومثل من كلف الرعيه فوق
طاقتها كالذى يطين سطحه بتراب اساس بيته ومن يهدم جسر
العمود يوشك ان يضعف فتقع الخيمه واذا ضعف الزارع عن عجزوا
عن عمارة الارض فيبقى كونها فتخرب الارض وتهرب الارزاق فتضعف
العمارات وينتج ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجند طمع الاعدا
فى السلطان ايها الملك فكن بما يبقى فى يدى رعيتك افرح منك بما يوخذ
منها فلا يقل مع الصلاح شئ ولا يبقى مع الفساد شئ وصيانة القليل
تزيد فى الجليل فلا مال للاخرق ولا عيلة للمصلح وروى ان المامون ارق
ذات ليلة واستدعى سميرا يحدثه بحديث فقال يا امير المؤمنين كان
بالموصل يومه وبالبصرة يومه فخطبت يومه الموصل الى يومه
البصره بنتها لابنها فقالت يومه البصره لا انكحك ابنتى الا ان تجعل
فى صداقها هاية ضيعة خراب فقالت يومه الموصل لا اقدر عليها الآن
ولكن ان دام علينا والينا سلمه الله سنة واحده فعلت لك ذلك قال فاستيقظ
لها المامون وحلس للظالم وانصف الناس بعضهم وسمعت شيوخ بلاد
الاندلس من الاجناد وغيرهم يقولون ما زال اهل الاسلام ظاهرين على عدو
هم وامر العدو فى ضعف ونقص لما كانت الارض مقطعة فى ايدى

الاجناد فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربي التاجر تجارته
فكانت الارض عامرة والاموال وافرة والاجناد متوافرون والكراع والسلاح
فوق ما يحتاج اليه الى ان كان الامر في آخر زمان ابي عامر فرد عطايا الجند مثنا
هره فقبض الاموال على القطع وقدم على الارضين جبات يجبونها فاكلوا
الرعايا واحتجبوا اموالهم واستضعفوهم فخربت الرعايا وضعفوا عن العمارة
فقلت الجبايات المرتفعة الى السلطان وضعف الاجناد وقوي العدو
على بلاد المسلمين حتى اخذ الكثير منها ولم يزل امر المسلمين في نقص وامر
العدو في ظهور الى ان وصلها الملثمون فردوا الاقطاع كما كان في الزمن القد
يم ولا ادري ما يكون وراء ذلك اسئل الله جميل الصنع

الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطان في بيت المال

سلكت فيه
ملوك الطوايف والهند والسند والصين وبعض ملوك الروم خلاف
سير الانبيا عليهم السلام والمرسلين والخلفا الراشدين فكانت الملوك
تدخر الاموال وتحتجبها عن الرعيه وتعدها اليوم كزهد على ما بينا
في الباب قبله وكانت الرسل صلوات الله عليهم وسلامه والخلفا بعدهم
تبذل الاموال ولا تدخرها وتصطنع الرجال وتوسع عليها فكانت
الرعايا هم الاجناد والحماة وهذه سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد
علمت ان جوعه كان اكثر من شبعه وانه مات ودرعه مرهونة
في صاع من شعير عند يهودي وكذلك الخلفا الراشدون بعده ابو
بكر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وابنه الحسن وعمر بن عبد العزيز وكان
النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح الله عليه اليمن كانت تجبى اليه الاموال
فيفرقها اليومها وقد نوضع في المسجد ويفرش عليها الاقطاع ويفرقها

من

بلغ مقابلم

وهذا باب صح

الرعيه

وعمر

في يومها

من الغد ولم يكن له بيت مال وقد روي ابو داود في السنن عن النبي
صلى الله عليه وسلم صلى عشا الآخرة ثم دخل حجرته وضج مسرعا وبيده خرقة
فيها ذهب فقسمها ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظن آل محمد لو ادركه
الموت وهذا عنده ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا للخلفا الراشدين
بعده وانما كانت الخلفا تقسم الاموال التي تجي من حلها بين المسلمين وربما
كان يفضل منها فضلات فتجعل في بيت المال او يكون في الناس غنا عنها
في ذلك الوقت فمن حضر من غايب او احتاج من حاضر قسم له حظه
ثم تفرق حتى لا يبقى في البيت منه درهم كما روي ان امير المؤمنين علي
بن ابي طالب رضي الله عنه اشرف على بيت فيه المال فقال يا بيضايا
حمرا البيضي واحمري وغري غيري ثم امر فقسم جميع ما فيه بين المسلمين
وامر قنبرا ان يكنسه ويرشه ثم دخل فصلى فيه وكثير من الملوك ساروا
في الاموال على مثل هذه السيره من ملوك الاسلام وملوك الروم ومعظم
ما اهلك بلاد الاندلس وسلط عليهم الروم التي كانت بحاورهم انما كان
لهم بيوت اموال فكانوا ياخذون الجزيه من سلاطين الاندلس ثم
يدخلون الكنيسة فيقتسمها سلطانهم على رجاله بالطاس وياخذ
ما ياخذونه وقد لا ياخذ منها شيئا وانما كانوا يصطنعون بها الرجال
وكانت سلاطيننا تحتجر الاموال وتضيع الرجال فكان للروم
بيوت رجال وللمسلمين بيوت اموال فبهذه الخله قهروا وظهروا
علينا وكان من يذهب هذا المذهب ولا يدخر الاموال يضرب فيه
الامثال ويقول عدو الملك بيت ماله وصديقه جنده فاذا ضعف
احدهما قوي الآخر فاذا ضعف بيت المال ببذله للحماة قوي الناظر

واستدباس الجند فقوى الملك واقوى بيت المال وامتلأ بالاموال
قال الناصر وضعف الحماه فضعف الملك ووثب عليه الاعداء وقد شاهدنا
ذلك في بلاد الاندلس مشاهدة واذا كان الدفاع في الرجال لا في الاموال
فانما يدافع بالاموال بواسطة الرجال فلا شك ان بيت رجال خير من
بيت مال وقد قال بعض الملوك لابنه يا بني لا تجمع الاموال للتقوي بها
على الاعداء فاني في جمعها تقوية على الاعداء يعني اذا جمعت الاموال صنعت
الرجال فيطمع فيك الصديق ويثب عليك العدو ورأينا مثل الملك
في مملكته مثل الرجل له بستان فيها عين معينة فان هو قام على البستان
واحسن تدبيرها وهندس ارضها وغرس اشجارها وحصر على حوائطها
ثم ارسل عليها الماء فاخضر عودها وقويت اشجارها وانبعث ثمارها
وزكت بركاتها فكانوا جميعا في امان من الضيعة لا يخافون فقرا ولا شتاتا ولا
آفة وان هو رغب في غلتها وجبايتها ولم يبق فيها ما يكفيها ولا ساق اليها
من الماء ما يريها رغبة في الغلة وضنة بالماء ضعفت عمارتها ورقت اشجارها
وقلت ثمارها وذهبت غلتها ومحق الدهر ماحيا من غلتها فافتقر القوم وهلكوا وتشتتوا ومثال الملك في جمع المال ليتقوى به
على عدوه كمثل طاير ينتف ريشه ويمص اصولها فيأكل ما ينبت منها
فلذلك ذاك فيجيء خصب جسمه على طيها وقوته على عدوه فلم يزل
كذلك حتى خفت ريشه وسقط الى الارض فاكلته الهوام والحشرات
ورأيت في اخبار بعض الملوك ان وزيره اشار عليه بجمع الاموال واقتناء
الكنوز وقال ان الرجال وان تفرقوا عنك اليوم فمتى اصبحت اليهم عرضت
عليهم الاموال فمنها فتوا قال له الملك هل لهذا من شاهد قال نعم هل

يحضرنا

يحضرنا الساعة من ذباب نحال لا فامر بإحضار جفنة فيها عسل فحضرت
فتساقط عليها الذباب لوقتها فاستشار السلطان بعض اصحابه فنهاه عن
ذلك وقال لا تغير قلوب الرجال فليس في كل وقت اردتهم يحضروا قال هل لذلك
من دليل قال نعم اذا امسينا ساخبرك فلما اظلم الليل قال للملك هات الجفنة
فحضرت فلم تحضرها ذبابة واحدة وقد روينا عن سيرة بعض السلاطين
في ارض مصر وكان اسمه بلوقيوس انه كان يجمع الاموال ولا يحفل بالرجال
فقال له بعض اصحابه ان امير الجيوش بالشام يتواعدك وكأنك به قد
قدم عليك فاستعد بالرجال وانفق عليهم الاموال فاوما الى صناديق
موضوعة وقال الرجال في الصناديق فغزا امير المؤمنين الجيوش
ذلك الملك وقتله ولم يسلم الصناديق ولا الملك وكان رأيه رأيا فاسدا
لان رجالا يقيمهم الملك لوقته وبجمع لحاجته انما يكونون اخيافا مجتمعين
وشرذمة مؤلفين ليس عنا ولا عندهم دفاع ولا ممارسة للحروب ومن
السير المروية في هذا الباب انه لما افتتح العراق جي بالاموال لعمر
بن الخطاب رضي الله عنه قال صاحب بيت المال ادخله بيت المال
قال اورب الكعبة لا يأوي تحت سقف بيت حتى تقسمه فقعطي في
المسجد بالاقطاع وحرسه رجال من المهاجرين والانصار فلما اصبح
نظر الى الذهب والفضة واليواقيت والزبرجد والدر يتلالا فبكى
عمر رضي الله عنه فقال له العباس وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما
يا امير المؤمنين والله ما هذا يوم بكاء ولكنه يوم شكر وسرور فقال
اني والله ما ذهبت حيث ذهبتم ولكنه والله ما كثر هذا في قوم
الا وقع باسهم بينهم ثم اقبل على القبلة ورفع يديه وقال اللهم اني اعوذ بك

فيهم ص

www.arabdulgader.com

ان اكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ثم
قال ان سراقة فاتى به اشعر الذراعين دقيقهما فاعطاه سواري كسرى وقال
البسهما ففعل فقال قل الله اكبر الله اكبر قال قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما
سراقة اعرابيا من بني مدلج ثم ظلمهما وقال الذي ادى هذا لامين فقال له
رجل انا اخبرك انت امين الله تعالى وهم يؤدون اليك ما اديت الى الله تعالى
فاذا ارتعت وتعوا قال صدقت وانما البسهما سراقة لان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لسراقة وقد نظر الى ذراعيه كاني بك وقد لبست سواري كسرى ولم يجعل
له الا السوارين ولما ولي ابو بكر رضي الله عنه جاه مال من العمال فصبه في
المسجد ثم امر فنادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين او
فليحضر قال ابو ايوب الانصاري فقلت يا خليفة رسول الله ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لي لو قد جاني مال اعطيتك هكذا وهكذا واشار بكفيه فسلت ابو بكر
فانصرفت عنه ثم عاودته فقلت اما ان تعطيني واما ان تبخل عني فقال
ما ابخل عنك فذهبت فحفنت حفنة قال عدها فعددتها فوجدت
فيها خمس مائة دينار قال عد مثلها فعددت مثلها وانصرفت بالف وخمس مائة
وابو ايوب من اعنيا الانصار وهو نزيل النبي صلى الله عليه وسلم دل الحديث
على ان بيت المال للغني والفقير ودل ايضا على انه لا يجب ان يتساوى
فيه كل جميع المسلمين بل ذلك موكول الى اجتهاد الامام والدليل عليه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال له العباس اعطني من هذا المال فقال له اذهب فخذ
فبسط ثوبه وحثا فيه فلما جا يحمله عجز عنه فقال يا رسول الله مر من يحمله علي
قال لا فنثر منه ثم حمله فعجز عنه فقال يا رسول الله مر من يحمله علي قال لا
فنثر منه ثم حمله على عاتقه فانبعه النبي صلى الله عليه وسلم ببصره حتى غاب

فصل

فصل قال الحسن بن علي الاسدي اخبرني ابي قال وجدت في كتاب
قبطي باللغة الصعيدية ما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون
يوسف من اموال مصر بحق الخراج ما يوخذ من وجوه الجبايات لسنة واحدة
على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير اصطهاد ولا مناقشة وبعد
ما يجب وضعه لحوادث الزمان ونظر اللمعاملين وتقوية لحالهم من العين اربعة
وعشرون الف الف واربع مائة الف دينار ومن ذلك ما ينصرف في عمارة البلدان
وحفر الخلجان والانفاق على الجسور وسد الترع واصلاح المنشيات وتقو
ية من يحتاج الى التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والنو
سعه في البذار وغير ذلك من ثمن الالات واجرة من يستعان به بحمل
البذار وساير نفقات تطبيق الارضين ثمان مائة الف دينار ولما
ينصرف في ارزاق الاولياء الموسومين بالصلاح ومن جملتهم من الشاكريه
والمعلمين واشياعهم وعدة جميعهم مع الف كاتب موسومين للدوا
وين سوى اتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم مائة الف واحد عشر
الف وثمانية الاف دينار ولما ينصرف للارامل والايتام يرضون به من بيت
المال والا كانوا غير محتاجين حتى لا يخلو امثالهم من يزعون بهم اربع مائة
الف دينار ولما ينصرف لكهنة براهيمهم وساير بيوت صلواتهم مائتا
الف دينار ولما ينصرف في النفقات بما يصيب صبا وبادي بريت
الذمه من رجل كشف وجهه لفاقة الاحضر فيحضر لذلك من يحضر
فلا يرد احد والا هنا جلوس فاذا راى انسانا لم يجر رسمه بان يا خذ فرد
بعد قبضه حتى اذا وفق المال واجتمع من هذه الطايفة اخذهم عدة
دخل امناء فرعون اليه وهنوه بتفرقة المال ودعوله بطول البقا ودوام

ق ٢٥٧

ق ٢٥٦

فصل

العز والسلامه وانتهى اليه حال تلك الطائفة فيامر بتغيير شعثها
بالحميم واللباس ثم يدالبسط فياكلون بين يديه ويشربون ويستعلم
من كل واحد سبب فاقته فان كان ذلك من افة الزمان رد عليه مثل
ما كان له وان كان سوء راى وتدبير غير مستقيم ضمه الى من يشرف عليه
ويأخذه بالادب والمعونة التى تصلح له مايتا الف دينار ولما ينصرف
فى نفقات فرعون الرابته لسنته مايتا الف دينار تكون النفقات على ما
تقدم تفصيلها تسعة الاف الف وثمان مايه الف ويحصل بعد ذلك مما
يتسلمه يوسف عليه السلام ويحصله لفرعون فى بيت المال لنوايب الزمان
اربعة عشر الف الف دينار وست مايه الف دينار وقال ابو دهم كانت الارض
مصر ارضا مديره حتى الما البحرى يجرى تحت منازلها وافنيتها فيحبسونه كيف
وذلك قول فرعون البيرانى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا يتصرون
وكان ملك مصر عظيما لم يكن فى الارض يومئذ ملك اعظم منه وكانت الجنان
بحافتى النيل متصله لا ينقطع منها شئ عن شئ والزروع كذلك من اسوان
الى رشيد وكانت ارض مصر كلها تزرع من ستة عشر ذراعا الماء يبرز فى جسور
رها وخلجانها والزروع ما بين الجسرين من اولها الى اخرها وذلك قوله تعالى
كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين
والمقام الكريم المنابر وكان بها الف منبر قال عبد الله بن عمر واستعمل
فرعون هامان على حفر الخليج سردوس فاخذ فى حفره وتدبيره فجعل
اهل القرى يسئلونه ان يجرى الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالا فكان
يذهب به من قريه الى قريه من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى القبله
ويسوقه كيف اراد فليس بمصر خليج اكثر عطوفا منه واجتمع له فى ذلك

اموالا عظيمة فحملها الى فرعون واخبره بالخبر فقال فرعون انه ينبغى للسيد
ان يعطف على عباده ويفيض عليهم من خزاينه وذخايره ولا يرغب فيما
بايديهم رد على اهل القرى ما اخذت منهم فرد عليهم اموالهم فهذه سيرة
من لا يعرف الله تعالى ولا يرجو لقاءه ولا يخاف عذابه ولا يومن بيوم الحساب
والثواب والعقاب فكيف يجب ان تكون سيرة من يقول لا اله الا الله
ويومن بيوم الحساب والثواب والعقاب وقال ابن عباس رضى الله عنهما
فى قوله تعالى اجعلنى على خزاين الارض انى حفيظ عظيم قال هى خزاين
الارض مصر كانت اربعين فى مثلها ولم يطع يوسف عليه السلام فرعون
ويخلفه وينوب عنه الا بعد ان دعاه الى الاسلام فاسلم فحينئذ قال اجعلنى
على خزاين الارض ولما استوثق امر يوسف عليه السلام وحمل وصار
ت الاشيا اليه وارد بك ان يعوضه على صبره لما لم يرتكب لحارمه
وحلت سنو الغلا والجوع مات العزيز وذهبت الذخاير وافتقرت
زليخا وعمى بصرها وجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت
الى الملك لعله يرحمك على ما كان منك اليه فقالت انا اعلم بحلمه وكرمه
وجلست له على الطريق يوم خروجه وكان يركب فى زهاء مايتى الف من عظما
قومه واهل مملكته فلما احست به قامت ونادت بسبحان من جعل
الملوك عبيدا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف
ومن انت فقالت انا التى كنت اخدمك على صدور قدمى وارجل
جمتك بيدى واكرم مثواك بجهدى وكان منى ما كان وذقت وبال
امرى وذهبت قوتى وتلف مالى وعمى بصرى وصرت اسئل فمنهم من
يرحمنى ومنهم من لا يرحمنى بعد ما كنت مغبوطة اهل مصرها وصرت

اليوم من خدمهم بل محرومهم وهذا جزا المفسدين فبكا يوسف عليه السلام
وارسل اليها هل بقي في قلبك من حبك اياي فقالت والذي اتخذ ابراهيم خليلا
النظرة اليك احب الي من ملك الارض ذهبا وفضة فمضى يوسف عليه السلام
وارسل اليها يقول ان كنت نادمة على ما فرط منك وان كنت قد بعد اعتنيتك
فقالت الملك اعرف بالله ان يستهزئ بي هو لم يرني ايام شبابي وجمالي
فكيف يقبلني وانا عجوز عمياء فيعيره فامرها فجهزت فتزوجها وادخلت
عليه فمضى يوسف عليه السلام قدميه وجعل يصلي ودعا الله تعالى با
سمه الاعظم فرد الله تعالى شبابها وجمالها وبصرها كهيئتها يوم ولدته
فواقعها فاذا هي بكر فولدت له افرايم بن يوسف وهيشا بن يوسف
فطاب في الاسلام عيشها حتى فرق بينهما فينبغي للقوي ان لا ينسى الضعيف
والغني ان لا ينسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب اليه يصير
راغبا ومسؤل يصير سايلا وراحم يصير مرحوما فهذا يوسف الصديق
عليه السلام نظر الى نفسه في بدء اخوته يوم الجب ثم ضعفهم بين يديه
يوم الصاع وهذه زليخا ملكة مصر سيدة اهلها عادت تتكفف الناس
في الطرقات قال الله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وكان يوسف بعد هذا
يجوع ويا كل خبز الشعير ولا يشبع فيقال له اتجوع وبيدك خزاين
الارض فيقول اخاف ان اشبع فانسا الجايع وقد رايت ان اتحفك
بحقيقة في مثلها يتنافس العقلا ويرغب فيها الملوك والوزرا وذلك
اني لما كنت بالعراق وكان الوزير نظام الملك الغالب على الغابه
خواجا بزرك رحمه الله قدوز الملك التركي الى الفتح بن الب ارسلان

وكان

وكان قد وزر لابيه من قبله فقام بدولتها احسن قيام فشدد
اركانها واستمال الاعدا والي الاوليا واستعمل الكفاة وغمر اصاغر العدو
والصديق والمبغض والحبيب والبعيد والقريب حتى الفا الملك
بجرايته وذل الخلق بسلطانه وكان الذي مهد له ذلك باذن الله تعالى
انه اقبل بكليته على مراعاة حملة الدين وبنا دور العلم للفقها وانشا
المدارس للعلما واسس الرباطات للعباد والزهاد واهل الصلاح والفقرا
ثم اجرى لهم مشاهرة الجرايات والكسوة والنفقات واجرى الجرو
الورق لمن كان من اهل الطلب للعلم مضافا الى ارزاقهم وعمر بذلك
ساير اقطار مملكته فلم يكن من اوايل الشام وهو بيت المقدس الى
ساير الشام الاعلا وديار بكر والعراقين وخراسان باقطارها وسمر
قند من وراء النهر جيحون مسيرة ثمانية ايام صاحب علم او طالب
او متعبد او زاهد في زاوية الا كرامته شاملة له وسابغة عليه
وواصلة اليه وكان الذي يخرج من بيوت اموله في هذه الابواب
ستمايه الف دينار في كل سنة فوشى به الوشاة الى ابي الفتح الملك
واوغروا صدره عليه وقالوا ان هذا المال المخرج من بيوت الاموال
تقيم به بيوتا جيوشا تركن راياتهم في سور قسطنطينيه فخامر ذلك
قلب ابي الفتح فلما دخل عليه قال له يا ابه بلغني انك تخرج من بيوت
الاموال كل سنة ستمايه الف دينار الى من لا ينفعنا ولا يغني عنا شيا
فهكا نظام الملك وقال يا بني انا شيخ اعجمي لو نودي علي فيمن يزيد
لم احفظ خمسة دنانير وانت غلام تركي لو نودي عليك عسكر تحفظ
ثلاثين دينارا وانت مشتغل بلذاتك منهمك في شهواتك واكثر ما

الفقرا وطلبة العلم والعلما

وهو اول من انشا المدارس
والخانقاوات والربط في
ساير اقطار الارض وعلى سنته
الملوك جميعا بعده وعلى رسمه
نشا ابو اسحاق الفقيه
بشيراز المدارس
والخوانق والربط افتدا به
واجرى لاهل العلم والنفقة
والصوفية والفقرا

ما يصعد الى الله تعالى معاصيك دون طاعتك وجيوشك الذين
تقدم للنوايب اذا احتشد واكافحوا عنك بسيوف طولها ذراعان
وقسى لا ينتهى مدمرماها ثلثما ية ذراع وهم مع ذاك مشغوفون
فى المعاصى والخمور والملاهى والمزمار والطنبور وانا امنت لك جيشا
يسمى جيش الليل اذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل صفوفا
على اقدامهم بين يدى ربهم فارسلوا دموعهم واطلقوا السنتهم ومدوا
الى الله تعالى اكفهم بالدعا لك وجيوشك فى فانت وجيوشك فى خفا
دهم تعيشون وبدعائهم تنبتون وببركتهم تمطرون وترزقون تحرق
سهامهم الى السما السابعه بالدعا والتضرع فبكا ابو الفتح ثم قال شا
باش يا ابة شاباش اكثر لى من هذا الجيش ومن مناقب هذا
هذا الرجل وفضائله ان رجلا قصده يقال له ابو سعيد الصو
فى قال له ياخواجا انا ابنى لك مدرسة ببغداد مدينة السلام لا
يكون فى معمور الارض مثلها يخلد لها ذكرك الى يوم القيمة قال افعل
ان شاء الله تعالى وكتب الوكلائه فى بغداد ان يمكنوه من الاموال
فابتاع بقعة على شاطئ الرجله وخط المدرسة النظاميه وبنا
ها احسن بنيان وكتب عليها اسم نظام الملك وبنا حولها اسواقا
تكون محبسة عليها وابتاع ضياعا وخانات وحمامات واوقف عليها
وكملت لنظام الملك بذلك رياسة وسود داود كر جميل طبق الارض
خبره وعم المشارق والمغارب اثره وكان ذلك فى سنتى عشر الخمسمايه
والابعمايه من الهجره ثم رفع حساب النفقات الى نظام الملك فبلغ
ما يقارب ستين الف دينار ثم نمى الخبر الى نظام الملك من الكتاب

واهل الحساب ان جميع ما انفق عليها انه نحو من تسعة عشر الف دينار
وان سايرالاموال احتجبها لنفسه وخانك فيها فدعاه نظام الملك الى
اصبهان للحساب فلما احس ابو سعيد بذلك ارسل الى الخليفه بن
العباس فقال له هل لك فان اطبق الارض بذكرك وانشر لك فخرا
لا تمحوه الايام قال وما هو قال ان تمحو اسم نظام الملك من هذه المدرسة
وتكتب عليها اسمك وتزن له ستين الف دينار فارسل اليه الخليفه
يقول له انفذ من يقبض المال فلما استوثق منه مضى الى اصبهان
فقال له نظام الملك انك رفعت الينا نحو من ستين الف دينار
نفقة واجب اخراج الحساب فقال له ابو سعيد لا تظل الخطاب
ان رضيت والا محوت اسمك المكتوب عليها وكتبت اسم غيرك وارسل
معى من يقبض المال فلما احس نظام الملك بذلك قال يا شيخ
قد سوغناك جميع ذلك ولا تمح اسمنا ثم ابا سعيد بنا بتلك الاموال
الرباطات للصوفيه واشترى الضياع والخانات والبساتين
والدور واوقف ذلك على الصوفيه فالصوفيه الى يومنا هذا فى رباط
ابو سعيد الصوفى اوقافه يتقلبون ببغداد فنى مثل هذا فليتنا
فس المتنافسون ولمثل هذا فليعمل العاملون وان فيها عن الدنيا
وشرف الاخره وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فانا لم نجد شيئا
يبقى على الدهر الا الذكر حسنا كان او قبيحا وقد قال الشاعر

ولا شئ يدوم فكن حديثا جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة الدهر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما
قدموا تذكر بالصالحات كما ذكروا وادخر لنفسك فى القيامة كما ادخروا

واعلم ان المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو
فاختر ايّ الثلاثة شئت والسلام ابن ابي داود القاضي واسع النفس
مبسوط اليدين يعطي الجزيل ويستقل الكثير ولا يرد سائلا ويبتدئ
بالنوال فقال له الواثق امير المومنين يوما قد بلغني بسط يد
ديك بالعطا فهذا يتلف بيوت الاموال فاطرق ساعة وقال يا
امير المومنين ذخاير اجورها واصلة اليك وهنايتج حسنا تقامو
صولة اليك وانما تعشقي في اتصال الثنا اليك فقال الواثق
لله انت حدبا بالعطا واكلة الشكر والثنا

الباب التاسع والاربعون في الانفاق من بيت المال وسيرة العمال

اعلم ان يوسف الصديق عليه السلام لما ملك خزاين الارض كان يجوع
ويلحظ خبز الشعير فقيل له اتجوع وفي يديك خزاين الارض فقال اخاف
ان اشبع فانسا الجايعين وروى البيهقي باسناده قال لما استخلف ابو
بكر الصديق رضي الله عنه غدا الى السوق فقال له عمر رضي الله عنه اين
تريد قال السوق قال قد جاءك ما يشغلك عن السوق قال سبحان الله
يستخلفني عيالي قال نفرض لك بالمعروف قال فانفق في سنتين وبعض
اخرى ثمانية الاف درهم ووصى ان يرد من ماله في بيت المال وروى
هذه القصة ابو الحسن البصري قال لما حضرت ابو بكر الوفاة قال
انظروا كم انفقت من مال الله فوجدوا قد انفق في سنتين ونصف ثمانية
الاف درهم قال اقضوها عني فقضوها عنه ثم قال يا معشر المسلمين
انه حضرني من قضاء الله ما ترون ولا بد لكم من رجل يلي امركم ويصلي بكم
ويقاتل لكم عدوكم فان شئتم اجتمعتم واخترتم وان شئتم اجتهدت لكم

فوالله الذي لا اله الا هو ما الوكم ونفسي الخير فبكوا وقالوا انت خيرنا
واعلمنا واعلمنا فاخترلنا فقال اني قد اخترت لكم عمر وروى مالك
هذه القصة على غير هذا الوجه قال وغدا يوما الى بني عمر بن عوف
وكان له هناك امراة من الانصار في جمال له يريد بيعها فلقيه
بعض المسلمين فقال ما تصنع هذا يشغلك عن الناس وعن النظر
في امورهم قال فكيف اصنع قالوا تتفرغ لاموالهم وتستنفق من
بيت المال قال فباع تلك الابل وغيرها من ماله الا الارض لم يطرحه
في بيت المال فكان ينفق من بيت المال على نفسه وعياله لم كان
عمر على مثل هذا ذلك لم ولي عمر بن عبد العزيز فلم يستنفق منه
فقيل له قد صنع ابو بكر وعمر ما قد علمت قال اجل ولكني اخذت من
هذا المال ولم يكن لي فيه حق فقد استوفيت وزدت والى ذلك
لفعلت قال بن عائم فاين قولهم عن عمر انه رد ثمانين الفا كذبوا
انما يقول ذلك اعداء الله هو لم يحز لولده سلف ابي موسى اياه
حين اخذ منه نصفه فكيف ياخذ من مال الله عائبة الغافل لما توفي
ابو بكر استرجع علي بن ابي طالب رضي الله عنه وجا مسرعا باكيا وقال
رحمك الله يا ابا بكر كنت والله اول القوم اسلاما واكملهم ايمانا
واشدهم يقينا واخوفهم فيه تعالى واحوطهم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم واشبههم به هديا وخلقا وسمتا وفضلا واكرمهم على الله و
اوثقهم عند فجزاك الله عن الاسلام خيرا صدقت رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين كذبه الناس فسماك الله صديقا فقال تعالى
والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون وانسته حين

تخلفوا وتمت معه حين قعدوا وصحبته في الشده حين تفرقوا الكرم
الصحبه ثاني اثنين وصاحبه في الغار ورفيقه في الهجره والمنزل عليه السكينه
وخليفته في امته باحسن الخلافه وقويت حين ضعف اصحابك و
وبرزت حين استكانوا وتمت بالامرحين فشلوا ومضيت بقوة
اذ وقعوا كنت اطولهم صمتا وابلغهم قولا واشجعهم قلبا واشدهم يقينا
واحسنهم عملا كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك
قويا في امر دينك متواضعا في نفسك عظيما مجوبا عند اهل السموات
والارض فجزاك الله عنا وعن الاسلام خيرا وقال عمر رضي الله عنه
رحم الله ابا بكر لقد اتعب من بعده تعبا شديدا وروى البيهقي عن عمر
بن الخطاب رضي الله عنه انه قال الى انزلت نفسي من مال الله سبحانه
بمنزلة ولي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت
بالمعروف وفي رواية اخرى ان اصبحت اخذت منه فاذا ايسرت
رددته وفي رواية اخرى اجركم بما استحل من مال الله وما يحل لي استحل
منه حلتي حلة الشتا وحلة القيظ وما احج عليه واعتمر وقوتي و
قوت عيالي كقوت رجل من قريش لا من اغنيائهم ولا من فقرائهم
ثم انا بعد رجل من المسلمين يصيبني ما اصابهم وقال انس رضي الله عنه اكل غلمان
الطعام على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاكل عمر الشعير وكان قبل
ذلك لا ياكله فاستكده بطنه فضربه بيده وقال هو والله ما تزدد حتى
يوسع الله على المسلمين وقال ابو عثمان النهدي رايت عمر بن الخطاب
يطوف بالبيت وعليه جبة صوف فيها نيف عشرة رقعة احداها
بادم احمر وقال عطاء بن السايب استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه

السايب

السايب بن الاقرع على المدائن فدخل بابا من ابواب كسرى فاذا صنم
يشير باصبعه الى الارض قد عقد اربعين قال والله ما يشير هذا الى
الارض الا لشيء فاحتفر فاخرجوا سفطا فيه جوهر فكتب الى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اما بعد فاني دخلت بابا من ابواب كسرى فرايت
كذا وكذا فاحتفرت فوجدت سفطا فيه جوهر فلم احداحق به منك
يا امير المؤمنين لم يكن من في المسلمين فاقسمه بينهم انما اصبنا شيئا
تحت الارض فلما قدم السفط على عمر وعليه خاتم السايب راى عمر فيما
يرى النايم كان نارا اججت وهو يراد ان يلقى فيها فكتب الى السايب ان
اقدم قال فقدمت عليه وهو يطوف في ابل الصدقة فطفت معه الى
نصف النهار ثم دعا بما فاغتسل ودعا لي بما فاغتسلت ثم ذهبت الى
منزله فاتاه بلحم غليظ وخبز منخش ثم قال انظر من على الباب فاذا اسود
من الصوفية فاذن لهم فجعل ياكل معهم فاذا اللحم غليظ لا استطيع اسيغه
وقد كنت تعودت درمك اصبهان اداوضعته في فمي دخل بطني ثم دعا
بالسفط فقال اتعرف خاتمك قلت نعم قال كتبت الي ترفق بي تزعم
اني احق به من ابن اصبته فاجبرته قال اذهب فاجعله في بيت مال
المسلمين حتى اقسمه بينهم ففعلت وقال قتادة قدم عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الشام فصنع له طعاما لم ير قبله مثله فقال هذا لنا فما
لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير قال خالد بن
الوليد رضي الله عنه لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر وقال لانا كان حظنا
في هذا الطعام وذهبوا وذهبوا الجنة فقد بايتونا بعيد وقال عبد الله
بن عمر رضي الله عنهما المروي ان عمر بن الخطاب حين قدم الشام قال لابي عبيدة

يشبعونهم

بنو امية

اذهب بنا منزلك قال ما تريد الان تقصر عينيك علي قال فدخل منزله
فلم يرشيا فقال عمر ابن هنا عندك لا ارى الا البذا وشنا وصحفة وانت امير عند
ذلك طعام فقام ابو عبيدة الى جونة فاخذ منها كسيرات فبكا عمر فقال ابو عبيدة
قد قلت انك تقصر عينيك علي يا امير المؤمنين يكفيك من الدنيا ما بلغك
المقيل فقال عمر غيرتنا الدنيا بعدك يا ابا عبيدة وقال النخعي بعث عمر بن
الخطاب رضي الله عنه مصدقين فابطوا عليه والناس حاجة شديدة
فجاء ابا الصدقات فقام فيها متوكئا بعباءة يختلف في اولها واخرها يقول
هذه لآل فلان وهذه لآل فلان حتى انصرف النهار وجاع ودخل بيته حتى
اذا امكن اكله ثم قال من ادخله بطنه النار فقد اباده الله وقال طاوس ادب
الناس على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فما اكل سمينا ولا سمنا حتى اكل
الناس وقال سعيد بن جبير اه علي بن ابي طالب رضي الله عنه قدم الكوفة
وهو خليفة وعليه ازار قطري قد رقع ازاره بخرقة ليست قطريه
من ورائه فجاء عمر ابي فنظر الى تلك الخرقة فقال يا امير المؤمنين كل
من هذا الطعام والبس من هذا اللباس فانك ميت او مقتول قال
ان هذا خير لي في صلاتي واصلح لقلبي واشبه بسنة الصالحين
قبلي واجدر ان يقتدي بي من انا من بعدي وقال الحسن ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه بينا هو يعس في المدينة بالليل اذا نار على ابوة
من الانصار تحمل قربة فسالها فذكرت ان لها عيالا وان ليس لها خادم
وانها تخرج بالليل فتسقيهم الماء وتكره ان تخرج بالنهار فجاء عمر رضي الله عنه
القربة عنها حتى بلغ منزلها وقال اغد على عمر غدوة يخدمك خادما
قالت لا اصل اليه قال انك ستجدينه ان شاء الله فغدت عليه فاذا

فاذا هي به فعرفته انه هو الذي جاء القربة فذهبت تتولى فارسل في اثرها وامرها
بخادم ونفقة ولما حج عمر رضي الله عنه قال كم بلغت نفقتنا يا يرفا قال ثمانية
عشر دينارا يا امير المؤمنين قال ويحك اجحفنا بيت مال المسلمين وقال
شهربن حوشب لما قدم عمر الشام طاف بكورها حتى نزل حمصا فقال التمسوا
لي فقراءهم فرفعوا اليه الرقعة فاذا فيها سعيد بن عامر قال من سعيد بن عامر
قالوا اميرنا فعجب عمر وقال كيف يكون اميركم فقيرا قالوا والله لا يمسك
فبكا عمر وبعث اليه بالف دينار يستعين بها في حاجته فجعل يسترجع
فقالت له امرأته مالك اصابك امير المؤمنين ببلية قال اعظم من ذلك
التتني الدنيا وخلت علي الدنيا واني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
ان فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين عاما فوالله ما
يسرني اني حبست عن الرغيل الاول وان لي ما طلعت عليه الشمس قالت
فاصنع به ما شئت قال هل عندك معونة قالت نعم فانتته بخمارها
قصر الدنانير فيه صرارة فجعلها في مخلاة وقام يصلي ويبكي حتى اصبح فاعرض جيشا من جيوش المسلمين فامضاها كلها فقالت امرأته رحمك الله
لو جئت منها شيئا نستعين به فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لو اطلعت امرأة من نساء اهل الجنة الى الارض لملأت الارض من
ريح المسك واني والله ما اثرتك عليهن فسلكت وروي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه استعمل على حمص رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت
السنة كتب اليه عمر ان يقدم فلم يشعر به عمر ان قدم ماشيا حافيا بين
عكازه واداوته وزودته وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال يا
عمير اخشنتنا ام البلاد بلادك فقال يا امير المؤمنين اما لهاك الله

ان تجهر بالسوء وعن ظن السوء وما ترى من سوء الحال فقد جيتك بالدنيا اجمعها
بقرابها قال وما معك من الدنيا قال قال عكازة اتوكا عليها وادفع بها عدوا
ان لقيته ومزودي احمل فيه طعامي واداوتي هذه احمل فيها ماء لشربي وصلاتي
وقصعتي هذه اتوضا فيها واغتسل فيها راسي واكل فيها طعامي فوالله يا امير
المؤمنين ما الدنيا بعد الا بتعالما معي فقام عمر رضي الله عنه من مجلسه الى قبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فبكا ثم قال اللهم الحقني بصاحبي غير
مقتضح ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه فقال ما صنعت في عملك يا عمير قال
اخذت الرصفة قه من اهل الرقه والابل من اهل الابل واخذت الجزيه
من اهل الذمه عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وابناء
السبيل فوالله يا امير المؤمنين لو بقي عندي منها شيء اتيتك به فقال عمر عد
الى عملك فقال عمير ان ترد بي الى عملي ولم اسلم منه حتى قلت لذي اخزاه الله
ولقد خشيت ان يخصمني به محمد صلى الله عليه وسلم ولقد سمعته يقول
انا يحج المظلوم ممن حاجته حجة ولكن ايذن لي ان آت اهلي فاذن له
فاتا اهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمايه دينار فقال ايت
عميرا فانزل عليه ثلاثا فان يك خايبا لم يخف عليك في عيشه وحال
اهل بيته وان لم يكن خايبا لم يخف عليك فادفع له المايه فاتاه حبيب
فنزل به ثلاثا فلم يره عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاث
قال يا حبيب اه رايت ان تتحول الى جيرانا فلعل اه يكون لنا اوسع
عيشا منا اما نحن فوالله لو كان عندنا غير هذا لاثرناك به قال فدفع اليه
المايه وقال بعث بها اليك امير المؤمنين فدعا بغرارة وخلق لامراته فقسمها
الخمسة والستة والسبعة فقسمها فقدم حبيب على عمر بن الخطاب رضي الله

عنه

عنه فقال جيتك يا امير المؤمنين من عند ازهد الناس وما عنده
من الدنيا قليل ولا كثير فبعث اليه عمر فقال ما صنعت بالمايه يا عمير
قال لا تسلني عنها قال لاخبرني قال فقسمتها بيني وبين اخواني من
المهاجرين والانصار فاصاب لكل بوسقين من طعام وثوبين قال يا امير
المؤمنين اما الثوبان فابقل واما الوسقان فلا حاجة لي بهما عند اهلي
صاع من بركاتهم حتى ارجع اليهم ودعا عمر بن الخطاب رضي الله
عنه صار بع مايه دينار وقال للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة بن
الجراح ثم تلكا في البيت ساعة حتى ترى ما يصنع فذهب بها اليه
فصنع وقال يقول لك امير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك
قال وصله الله ورحمه ثم قال تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة
الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انفذها ورجع الغلام الى
عمر واخبره ووجده قد اعد مثلها لمعاذ بن جبل فقال اذهب بها
الى معاذ بن جبل وتلكا في البيت حتى تنظر ما يصنع فيها فذهب
بها اليه وقال ان امير المؤمنين يقول اجعل هذه في حاجتك فقال
رحمه الله ووصله ثم قال يا جارية اذهبي الى بيت فلان بكذا والى
بيت فلان بكذا فقالت امراته ويحك والله مساكين فاعطنا ولم
يبق في الخرقة الا دينار فرمى بها اليها فرجع الغلام فاخبر بذلك
عمر فقال عمر انهم اخوة بعضهم من بعض

الباب الموفي خمسين

في تدوين الدواوين وقبض الارزاق وسيرة العمال اعلموا ارشدكم
الله ان اول من اتخذ الدواوين واجرى العطيه على ما راى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فكان يفضل اهل السابقة والذين يلونهم حتى

بلغ مقابلة

اجرى على العامه شيئا واحدا ثلاث مايه واربع مايه وفرض للعيال مايه
درهم في كل سنه وكان ابو بكر رضي الله عنه يسوي بين الناس في العطا ولا
يفضل اهل السابقه ويقول انما عملهم على الله واجورهم على الله وانما هذا المال عرض
حاضر ياكله البر والفاجر وليس بثمن الاعمالهم وكان عمر رضي الله عنه يقول
لاجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يقدر عمر الارزاق الا في ولايه عمار فاجرى على عمار ستمايه
درهم مع عطائه لولاته وكتابه ومؤدنه وكان يلي معه في كل شي لما بعثه
وبعث معه عثمان بن حنيف وزيد بن سعود الى العراق واجرى عليه في
كل يوم نصف شاه وراسها وجلدها واكارعها ونصف جريب كل
يوم واجرى على عثمان بن حنيف ربع شاه وخمسة دراهم كل يوم وكان
عطاؤه خمسة الاف درهم واجرى على عبد الله بن مسعود مايه درهم في كل
شهر وربع شاه في كل يوم واجرى على شريح القاضي مايه درهم في كل شهر
وعشرة اجربه وانما فضل عمال العلم لانه كان على الصلاة قال
مالك وكان عمر لا يفرض لصغير يرضع فاذا فطم فرض له فمر في الليل
وصبي يبكي يبتغي الرضاع وامه لا ترضعه فقال عمر ارضعيه قالت اذا
لا يفرض له عمر قال بل هو يفرض له ثم فرض عمر بعد ذلك للمولود مايه
درهم في السنه وفرض عمر للعيالات لكل عيال من ذكر او انثى جر
بير من بر في كل شهر وقسطين من حل ومايه درهم في كل سنه قال
الجريب قفيز بالقرطي والقسط قدر ثمن ربع الزيت بالقرطي قال
الحسن وكان عطا سلمان خمسة الاف وكان على رزقها ثمانين الفا من
الناس وكان يخطب الناس في عباة يلبس نصفها ويفترش نصفها

فاذا

فاذا خرج عطاؤه امضاه وكان يسف الخوص وياكل من سفيف
يده وقال الحسن قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفد من اهل
البصره منهم ابي موسى الاشعري قال فكنا ندخل عليه وله في كل يوم خبز
يلتث فربما وافقناها مادوهة بسمن واحيانا بزيت واحيانا للبن
وربما وافقنا القديد اليابس قد دق ثم اعلي عليه بالماء وربما وافقنا اللحم
الغريض وهو قليل فقال لهم يوما اني ارى والله بعد ايديكم وكراهيتكم
لطعامي واني لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واروقكم عيشا اما والله ما
اجهل اكرمكم واسمنة وعسلا وصنابا وسلايق وصلاقا والصلا
الشوى والصناب الخردل والسلايق الخبز الرقاق ولكني سمعت
الله تعالى يقول في كتابه وغير تومابا مر فعلوه فقال تعالى اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فكلمنا ابا موسى فقال لو كلمتم
امير المؤمنين لفرض لكم من بيت المال طعاما تاكلونه فكلمناه فقال
يا معشر الامر اهل ترضون لانفسكم ما ارضاه لنفسي فقلنا يا امير
المؤمنين ان المدينة ارض العيش بها شديد ولا نرى طعامك يغثنا
ولا يوكل طعامك وانا بارض ذات ريف وان اميرنا يغثنا واه طعامه
يوكل فنظر ساعة ثم رفع راسه وقال قد فرضت لكم من بيت المال
شاتين وجريبين فاذا كان بالغداة فضع احدى الشاتين على احدى
الجريبين وكل انت واصحابك ثم ادع بشراب ثم اسق الذي عن شمالك
ثم قم لحاجتك فاذا كان العشيا فضع الشاة الغابرة على الجريب الاخر
وكل انت واصحابك الاول فالاول والناس في بيوتهم واطعموا عيالهم والله ما ارى
رستاقا يوخذ منه كل يوم شاتان وجريبان الا يسرعان في خرابه

www.almaktabatulgaadeem.com

وكان عمر قد اطعم جريبين بالخل والزيت لثلاثين رجلا فكفاهم فاجراه
على كل رجل في كل شهر فمن كان في الديوان عوض ما كانت فارس تجريه
عليهم لهم واساورتهم وقال سعيد بن المسيب وابو سلمة كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ابو العيال يسلم على ابوابهن ويقول الكن حاجة وايتكن تريد
ان تشتري شيئا فيرسله معه بحوائجهن ومن ليس عنده شئ اشتراه
من عنده واذا قدم الرسول من الثغور يتجسس بنفسه في منازلهن
ويقول ازواجكن في سبيل الله وانتن في بلد رسول الله ان كان عندكن
من يقرا والا فاقرين من الابواب حتى اقرئكم ثم يقول الرسول يخرج يوم
كذا وكذا فاكتبن حتى تبعث بكتبكن ثم يدور عليهن بالقراطيس والدواة
يقول هذه دواة وقرطاس فاذنين من الابواب حتى اكتب لكن ويمر
بالمغيبات فياخذ كتبهن فيبعث بها الى ازواجهن مع الرسول
وقال الربيع بن زياد الحارثي كنت عاملا لابي موسى الاشعري على البحرين
فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يامره بالقدوم عليه هو وعماله
واله يستخلفوا جميعا فلما قدمت المدينة اتيت يرفا فقلت يا يرفا
مستر شدني سبيل الى الهيئات احب الى امير المؤمنين ان يرى فيها عما
له فاومى الى الخشونة فاتخذت خفين مطارفين ولبست جبة صوف
ولبست عمامتي على راسي على غير استواء ودخلنا على عمر وصففنا بين يديه
فصعد فينا وصوب فلم تاخذ عيناه غيري فدعاني وقال من انت قلت
الربيع بن زياد الحارثي قال وما تتولى من اعمالنا قلت البحرين قال وكم ترتزق
قلت الغا قال كثير قال فما تصنع بها قلت اتقوت ببعضها واعود
على قارب لي فما فضل منهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا باس ارجع الى مو

صنعك

ولبست صح

موضعك فرجعت الى موضعي من الصف وصعد فينا وصوب فلم تقع عينه
الا علي فدعاني فقال لي كم سنك قلت خمس واربعون قال الان حين استحكمت
ثم دعا بالطعام واصحابي حديث عهد بلين العيش وقد تجوعنا له
فاتانا بخبز واعضاء بعير فجعل اصحابي يعافونه وجعلت اكل فاجيد وانا
انظر اليه يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت اني سخت في الارض
ولا اقولها فقلت يا امير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت
الى طعام الين من هذا فزجرني ثم قال كيف قلت قلت يا امير المؤمنين
لو امرت بعوتك من الطحين ان يخبز لك قبل ارادتك اياه ويطبخ لك اللحم
كذلك قويتي بالخبز لينا وباللحم غريضا فسكت غضبه ثم قال هاهنا
غرت قلت نعم قال يا ربيع انا لو شئنا لملانا هذه الرحاب من صلايق و
سنابك يعني خبز الحواري ولكني رايت الله تعالى عاب على قوم شهواتهم
فقال عز من قايل اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها
ثم امر ابا موسى باقراري على عملي واله يستبدل باصحابي وقال قبيصة
بن ذويب دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبد الله بن سعد وكان على
اهل حمص فقال على م تحبك اهل الشام قال اني احبهم فيحبوني قال ما ما
لك اليوم قال عبدي وفرسي وبغلي وخادمي قال فما ذا تلبس في الشتا
قلت عصابة اشد راسي وجبة وكساء قال فما ذا تلبس في القيظ
لصيف قلت قميص وريطة فاعطاني عمر الف دينار وقال خذها
واستفق منها واعط منها قلت لا عرض لي فيها وسنجد من هو احوج اليها
مني قال خذها لا ان النبي صلى الله عليه وسلم دفع الي مالا وهو دون الذي
اعطيتك فقلت له كما قلت لي فقال يا عمر ما اتاك الله من هذا المال

عطاء من غير ان تعرض له او تشرف له نفسك فاقبله فاحذه فانطلق
به الى امراته فقال اتريين رجلا له هذا من فقر المسلمين ام من اغنيائهم فقالت
بل من الاغنياء فقسمها حتى بقيت منها صرة فيها دراهم او نحوها فقالت
امراته اليس قد حق فاعطاها اياه وقال رجاء حيوة بينا نحن نجا
صره اذ اتت امراة تسال عن دار عمر بن عبد العزيز فارشدناها الى الدار
فرات دار الهيئة فقالت لحياط هناك استاذن لي على فاطمة امراة
عمر بن عبد العزيز فقال ادخلي وصريتي بها فانها تاذن لك فدخلت فلما
ابصرت ما هنالك قالت جيت لزم فقري من بيت الفقر او اذا برجل
يعمل في الطين فسالتها عن امير المؤمنين فقال ذهوذاك يعمل في الطين
فقلت يا امير المؤمنين مات زوجي وترك لي ثمانية بنات فبكاء بكاء شديدا
ثم قال ما تريدين قالت تفرض لهن فقال تفرض للكبرى ما اسمها قالت فلانة
فكتبها فقالت الحمد لله حتى كتب السابعة فقالت جزاك الله خيرا يا
امير المؤمنين فطرح القلم من يده وقال لها اما انك لو وليت الحمد اهله
لا يمنا هن لكدري السبع فليوا سين منه الباب الحادي والخمسون في احكام اهل الذمة روى عبد الرحمن بن غنم
قال كتب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى اهل الشام
بسم الله الرحمن الرحيم هذا لعبد الله عمر امير المؤمنين من نصارى مدينة
كذا وكذا انكم لما قدمتم علينا سالنا كم الامان لانفسنا وذرارينا واهل
ملتنا ان لا نحدث في مدائننا ولا مما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلية ولا
صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان محيي منها في خطط المسلمين
في ليل ولا نهار وان نوسع ابوابها للمارة وابن السبيل وشرطنا لكم على انفسنا

ان لا ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ونؤيهم في كنايسنا
ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم اولادنا القران ولا
يظهر شركنا ولا ندعو اليه احدا ولا نمنع احدا من ذوي قرابتنا الدخول في
الاسلام ان ارادوه وان نوقر المسلمين ونقوم لهم في مجالسنا اذا ارادوا
الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين
ولا نفرق شعرا ولا نتكلم بكلامهم ولا نكتني بكناهم ولا نركب بالسروج ولا
نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيا من السلاح ونحمله معنا ولا ننقش
على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمور وان نجز مقادم رؤسنا ونلزم زينا حيث
كنا وان نشد الزنانير على وساطنا وان لا نظهر صلباننا وكتبنا في طريق من
طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نضرب نواقيسنا في كنايسنا الا ضربا خفيفا
ولا نرفع اصواتنا بالقراءة في كنايسنا ولا في شيء من حضرة المسلمين ولا
نخرج سعاينينا ولا باعوثنا ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران
في شيء من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا اجادرهم بموتانا ولا نتخذ من
الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نطلع على منازلهم فلما اتيت عمر بن
الخطاب رضي الله عنه زاد فيه ولا نضرب احدا من المسلمين شرطنا ذلك على
انفسنا واهل ملتنا وقبلنا عليها الامان فان نحن خالفنا في شيء مما شرطنا
لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل منا ما يحل من اهل المعاندة
والشقاق فكتب عمر رضي الله عنه ان امض ما سالوه وزد فيه حرفين
اشترطهما عليهم مع ما شرطوه على انفسهم ان لا يشتروا شيئا من سبايا
المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده وروى نافع عن
سالم عن ابيه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ان عمر كتب الى اهل الشام ان يقطع

ركبهم والا يركبوا على الاكف فشق ذلك عليهم واخبروا عمر بن عبد العزيز فقالوا يا امير المؤمنين
وروي ان بني تغلب قدموا على عمر بن عبد العزيز فقالوا يا امير المؤمنين
ان قومنا من العرب ارفض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادع لي حجاما
فقعلوا فجز نواصيهم وشق من اردافهم حزما يحتزمونها وامرهم ان لا يركبوا
السروج وان يركبوا الاكف في شق واحد وروي ان امير المؤمنين جعفر
المتوكل اقتضى اليهود والنصارى ولم يستعملهم واذلهم وخالف بهم زي
وزي المسلمين وجعل على ابوابهم مثالا للشياطين لانهم اهل ذلك وقربه
منه اهل الحق وباعد منه اهل الباطل والاهوا فاحيا الله به الحق واماته
به الباطل فهو يذكر بذلك ويثني عليه ما دامت الدنيا وكان عمر بن الخطاب
يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم اهل ربا ولا تحل الربا ولما
استقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى الاشعري من البصرة وكان
عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو في المسجد واستاذن لكاتبه
وكان نصرانيا فقال عمر قاتل الله وضرب فخذه وليت ذميا على المسلمين اما
سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم الا اتخذ
ت حنيفا فقايا امير المؤمنين لي كتابته وله دينه فقال لا اكرمهم
وقد اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ اقصاهم الله وكتب
بعض العمال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ان العدد قد كثر وان الجزية
قد كثرت فنستعين بالاعاجم فكتب اليه عمر رضي الله عنه انهم اعداء الله
وانهم لنا غنيمة بالاعاجم فكتب اليه عمر رضي الله عنه انهم فانزلهم
حيث انزلهم الله ولا تردوا اليهم شيئا وقال عمر انه اسيدا نا كتاب

ويترحم عليه ص

بسيده على ص

عمر بن عبد العزيز الى محمد بن المستشير امابعد فانه بلغني ان في عملك رجلا
يقال له حسان بن برزي على غير دين الاسلام والله تعالى يقول يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين فاذا اتاك كتابي فاد
ع حسان بن برزي الى الاسلام فان اسلم فهو منا ونحن منه وان ابى فلا
تستعن به ولا باحد من غير اهل الاسلام على شيء من اعمال المسلمين وفقنا
عليه الكتاب فاسلم وعلمه الطهارة والصلوة ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم
الى بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال اني اريد ان اتبعك وا
صيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن استعين
بمشرك ثم لحقه عند الشجرة فعرج باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانه له
قوة وجلد فقال جئتك لاتبعك واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله
قال لا قال فارجع فلن نستعين بمشرك ثم لحقه على ظهر البيداء فقال له
مثل ذلك قال تؤمن بالله واليوم الاخر قال نعم فخرج به وهذا اصل
عظيم في ان لا يستعان بمشرك هذا وقد خرج ليقاتل بين يدي النبي صلى
الله عليه وسلم ويراق دمه فكيف استعماله على رقاب المسلمين وكتب عمر بن
عبد العزيز الى عماله الا تولوا اعمالكم الا اهل القرآن فكتبوا انا وجدنا فيهم خيانة
فكتب اليهم ان لم يكن في اهل القرآن خير فاجدر ان لا يكون في غيرهم خير فقتل
ومتى نقض الذمي العهد بمخالفة شيء من الشرط الماخوذ عليه لم يرد الى مامنه
والامام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق وقال اصحاب الشافعي ويلزمهم
ان يتميزوا عن المسلمين في اللباس فان لبسوا قلانس ميزوها
عن قلانس المسلمين بالخرق ويشدوا الزنانير في اوساطهم ويكون

لنافي اللباس وان لبسوا قلانس
تميزه عن قلانس المسلمين وان لا
تولوا على اعمال المسلمين

في رقابهم خواتيم من رصاص او نحاس او جرس يدخل معهم الحمام وليس لهم
ان يلبسوا العمايم ولا الطيلسان واما المراة فتشد الزنانير تحت الازار و
قيل فوق الازار وهو اولى ويكون في عنقها خاتم يدخل معها الحمام ويكون
احد خفيها ابيض والاخر اسود ولا يكون يركبون الخيل ويركبون البغال
والحمير بالاكف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يصدرون في المجالس ولا
يبدؤون بالسلام ويلجؤون الى ضيق الطرق ويمنعون ان يعلوا على
المسلمين في البنا ويجوز المساواة وقيل لا يجوز بل يمنعون وان هلكوا دارا
عالية اقروا عليها ويمنعون من اظهار الخمر والخنزير والناقوس والجهر
بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام في الحجاز وهو مكة والمدينة واليمامة يجعل
الامام على طائفة منهم رجلا يكتب اسماءهم وحلاهم ويسترفا ما يوخذ
ون به من جميع الشرائط وان امتنعوا من ادا الجزية والتزام احكام
الملة انتقض عهدهم وان زنا احدهم بمسلمة او اصابها بنكاح
او اوى عينا للكفار او دل على عورة المسلمين او فتن مسلما عن دينه
او قتله او قطع عليه الطريق تنتقض ذمته وان ذكر الله ورسوله
بما لا يجوز قيل ينتقض وان فعل ما منع منه مما لا ضرر فيه كترك
الزنار واظهار الخمر وما اشبههما عزر عليه ومتى فعل ما يجب نقض
العهد رد الى ما منه في احد القولين وقتل في الاخر **فصل** في تقدير
الجزية خلاف بين العلما فقيل انها مقدرة الى اقل واكثر على ما كتب
به عمر الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغني ثمانية واربعين درهما
وعلى من دونه اربعة وعشرون درهما وعلى من دونه اثني عشر درهما وذا
لكد لم يحفظ من الصحابة ولم يخالفه احد وكان الصرف اثنا عشر درهما

بمثقال هذا مذهب ابي حنيفة وبن حنبل واحد قولي الشافعي وجعله
كانه حكم امام فلا ينتقض وقيل انها مردودة الى الامام في الزيادة والنقصان
وهو الاقيس وقيل انها مقدرة بالاقل دون الاكثر فيجوز للامام ان يزيد
على ما قدره عمر ولا يجوز ان ينقص منه وقال بعضهم يجوز ان يساوي
بينهم فياخذ من كل واحد دينارا وقال مالك يوخذ من الموسر اربعون
درهما ومن المعسر دينارا او عشرة دراهم ويتخرج على مذهب مالك في وجوب
تقدير طرفيها على قوليه بنا على ان العشر الماخوذ منهم هل هو تقدير
شرعي لا يجوز فيه الزيادة والنقصان وعن مالك فيه روايتان ولا جزية
على النسا والمماليك والصبيان والمجانين **وكتب** عمر بن عبد العز
يز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن اما بعد فان اهل الكوفة اصابهم
جلا وشدة وجور من العمال وسن خنيفة سنها عليهم عمال السوء
فاحرز عليهم ارضهم ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب ولا تا
خذ من الخراب الا ما يطيقون ولا من العامر الا وظيفة الخراج الا
سعة ليس لها است ولا اجور الضرابين ولا اداة الغضة ولا هدية
النيروز والمهرجان ولا ثمن المصحف ولا اجور البيوت ولا دراهم
النكاح ولا خراج على من اسلم من اهل الارض والواجب ان يوخذ
ما ضربه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من كل جريب كرم عشرة
دراهم ومن كل جريب نخل ثمانية دراهم ومن كل جريب رطبة او بجرة
ستة دراهم ومن كل جريب حنطة اربعة دراهم ومن كل جريب شعير
درهمان **فاما الكنائس** فامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان تهدم
كل كنيسة لم تكن قبل الاسلام ومنع ان تحدث كنيسة وامر ان لا يظهر

صليب خارجا من كنيسة الاكسر داس صاحبها حبه وكان عروة بن محمد
يهدمها بصنعاء وهو مذهب علماء المسلمين اجمعين وشدد في ذلك عمر بن
عبد العزيز وامر ان لا يرى في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة قديمة ولا حديثة
وهكذا قال الحسن البصري من السنة ان تهدم الكنايس التي في
الامصار القديمة والحديثة ومنع اهل الذمة من بنائها قد خرب
قال الاصطخري ان طيفوا اظهر الحايط منعوا وان طيفوا داخله الذي
يليهم لم يمنعوا ويمنعون ان يعلوا على المسلمين في البنا ويجوز المساواة
وقيل لا يجوز الباب الثاني والخمسون في
بيان الصفات المعتبرة في الولاة اعلم ارشدك الله ان منزلة
العمال من الوالي منزلة السلاح من المقاتل فاجهد جهدك في انتقاء
صالح العمال فاذا فقد الوالي عمال الصدق كان كفاقد المقاتل السلاح
يوم الحرب ويحتاج الى طبقات الرجال كما يحتاج الى الحرب الى اصناف
العدة فمنها الدرق للاستجنان والسيف للمناجزة والرمح للمطا
عنة والسهم للمباعدة والدرع للتحصين ولكل واحد منها موضع ليس
للاخر والرجال للملك كالآلة للصناع لا يسد بعضها مكان بعض
كذلك طبقات الرجال للملك منهم للراي والمشورة ومنهم لادارة الحرب
ومنهم للحجابة ومنهم للكتابة ومنهم للجمال والفخر والمباهات والذكر ومنهم
للدعا والوقار ومنهم للعلم والفتيا وحفظ اساس الملة فلا يقوم
للملك ملكه ما لم يجمع هذه الطبقات قال ابو بكر لما مات كسرى
بلغ موته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من استخلفوا قالوا ابنته بوران
قال لن يفلح قوم اسندوا امرهم الى امراة وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما

كانت

كانت فتنة الحرة ممن استعمل القوم قالوا عبد الله بن مطيع على قريش
وعبد الله بن حنظلة الراهب على الانصار قال ايمران هلك والله
القوم وليس يشترط النسب الا في الامامة العظمى دون ساير الولايات
ولما استحضر هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين وكان من
الخطبا قال له هشام بلغني انك تخطب الخلافه ولا تصلح لانك
بن امه قال فقد كان اسماعيل بن امة واسحق بن حره ومحمد صلى
الله عليه وسلم من ولد اسماعيل ثم اتهمه في امر فقال له زيد انا احلف
لك فقال هشام ومن يصدقك قال له زيد انه ليس احد فوق ان يؤمر
بتقوى الله ولا احد دون ان يامر بتقوى الله منك وقال بعض الخلفا
دلوني على رجل استعمله على امر قد هم بي قالوا وكيف يريد قال اذا كان
في القوم وليس اميرهم كان كاميرهم واذا كان اميرهم كان كانه رجل منهم
قالوا ما نعلمه الا الربيع بن زياد الحارثي قال صدقتم هو لها ويروى
ان عمر بن عبد العزيز استشار في قوم يستعملهم فقال بعض اصحابه
عليك باهل العدل قال ومن هم قالوا الذين ان عدلوا فهو الذي
رجوت وان قصروا قال الناس اجتهد عمر ولما قدم البشر بن
بن مروان على عبد الملك بن مروان سأله عن بشر فقال يا امير المؤمنين
هو الشديد في غير عنف والليين في غير ضعف قال عبد الملك ذلك الا
عن الاجوى الذي كان يامن عنده البرد ويخاف لديه السقم ويعاقب
على قدر الذنب ويوقف موضع العفو الشديد في غير عنف والليين في غير
ضعف عمر بن الخطاب وقال الحكيم اعتبر الرجال بافعالهم لا بعظم اجسا
مهم فان النسر مع عظمه لا ياكل الا ميتا وطير الماء مع ضعفه يتعاطى

ميت السمك وبالكل الحي منها وفي حكم الهدي السلطان الحازم بما احب
الرجل فاقتضاه وطرحه مخافة ضرره كالمسوع يقطع اصبعه مخافة ان
ينتشر السم في جسمه وربما البغض الرجل فاكره نفسه على توليته وتقريبه
لغنى يجده عنده كتطاره للمرء على الدواء البشع لنفعه الا ان للاسلام شروطا
قد لا تستقيم هذه السيرة عليها الا ترى الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه
لما افضت اليه الخلافة كان معويه واليا بالشام من قبل عمر ثم عثمان
رضي الله عنهما فاستشار في امره فقال بعضهم اقره على امارته وارسل اليه
بعهده فاذا دخل في بيعتك فاعزله فقال له رحمك الله انا مرتي ان
اطلب العدل بالجور ثم اعزله فكان سبب عصيانه وهكذا اشاروا
عليه فقال يا امير المؤمنين لو فضلت هؤلاء الاشراف ومن تتخوف
منهم وانما الناس اصحاب دنيا حتى اذا استوسق الامر عدت الى
التسوية فقال انا مرني ان اطلب العدل بالجور فيمه وليت عليهم
والله لو كان مالي لسويت بينهم ولم افضل بعضهم على بعض فكيف و
المال لهم واعطاء المال في غير حقه تبذير وسرف وهو يرفع ذكر صاحبه
في الدنيا ويضعه عند الله في الاخرة ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه
وعند غير اهله الا حرمه الله شكرهم وصيره لغيرهم ودهم وان بقي معه
منهم من يظهر له الود والشكر فلذلك ملق وخديعة لينال منه فان
زلت به النعل يوما فاحتاج الى معونته وهكذا فانه كما سلف من
مروءته فشر خليل والام حدين واياك ايها الوالي وحب المدح فان من
احب المدح كره من نفسه واذا علم ذلك منك جعله الناس سلما لقضاء
حوايجهم منك فيكون حينئذ قضاؤك الحوايج لنفسك لا لهم وقال النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين وسمع المقداد رجلا يمدح عثمان بن
عفان رضي الله عنه فاخذ كفا من تراب فالقاه في وجهه وسمع النبي صلى الله
عليه وسلم رجلا يمدح رجلا فقال قطعتم ظهر اخيكم لو سمعها ما افلح المقداد
بعدها وفي الحديث ضمنا ويلات احدها حمل ظاهره كما فعل المقداد با
لمادح لعثمان والثاني ان يرفع شيئا من التراب فينثره بين يديه كالمتذلل
اي من خلق من هذا ويعود اليه لا يستحق هذا الثناء والثالث لا تقض
حاجة المادح والعرب تقول لمن رجع خائبا عن حاجته رجع بكفيه
ملوءة ترابا والرابع نقيض هذا قاله شيخنا ابو العباس الرجاني قا
لمعناه اقض حاجته واعطه ما سئل فان الذي تعطيه سيصير
ترابا والخامس يحتمل ان يكون المعنى الرعالان العرب تقول اذا دعت
على احد بفيه الحجر وبفيه التراب اي فقولوا امي للمادحين كذلك وو

صف اعرابي رجلا فقال كان اذا ولي لم يطابق بين جفونه وارسل
العيون على عيونه فهو غايب عنهم شاهد معهم والمحسن راج والمسيء
خايف وقال عبد الله بن الزبير يوما لابن عمه ابن هند يعني معوية
ان كان في الخارج ما توجد في احد بعده ابدا والله وان كنا لنغرفه وما
الليث الجرب على رئته باجرى منه فتعارف لنا والله كنا لنخدعه وما
به ليلة في الارض بادهى منه والله لوددت انا متعنا به ما دام في
هذا الحجر واشار الى ابي قبيس لا يتخوف له عقل ولا تنقض له قوة
وقال الصنابحي كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي عبيدة كتابا في
مثل اذن الغارة اما بعد فانه لا يقيم امرا لله في الناس الا خصيف
العقدة بعيد الغرة لا يطلع الناس منه على عورة ولا يجزع من الحق

بلغ مقابلة

على الجزية ولا يخاف في الله لومة لايم وقال مالك رحمه الله جاء رجل الى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وساله ان يكتب له كتابا في امر فقال اذهب الى
منزلنا فاتنا بدواة وقرطاس فذهب فلم يجد عندهم شيئا فقال اطلب لنا
عندهم شيئا فلم يجد عندهم شيئا الا اذنه مزرود وكتب له في ذلك الاذن
ولما ولي المامون يحيى بن اكثم قضاء البصره بعد ان امتحن عقله
وعلمه بمسايل فوجده فوق ما يريد فتلقاه وجوه البصره فراوا شابا صبيا
ما بقلت لحيته فتعجبوا ونظر بعضهم الى بعض يقلبون الاكف ويغمزون
الحواجب فقال له بعضهم كم سن القاضي اصلحه الله فقال سل عتاب بن اسيد
اذ ولاه النبي صلى الله عليه وسلم مكة فهابوه لحدة جوابه وعرفوا فضله وكماله
لعتاب بن اسيد احد وعشرون سنة اذ ولي مكة وكاد عمر يعتوله لا
يصلح ان يلي امور الناس لاخصيف العقل وافر العلم قليل العزه بعيد
الهمة شديد في غير عنف لين في غير ضعف جواد في غير سرف لا يخاف في الله
لومة لايم وقال ايضا ينبغي للوالي ان يكون فيه من الشدة ما يكون
ضرب الرقاب عنده في الحق كقتل عصفور ويكون فيه من الرقة والحنو
والرحمة والرافة ما يجزع من قتل عصفور بغير حق ويروى ان الرشيد
احضر رجلا ليوليه القضا فقال له اني لا احسن القضا ولا انا فقيه فقال
الرشيد فيك ثلاث خلال لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة
ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطاؤه وانت رجل تشاور في
امرك ومن شاور في امره كثر صوابه واما الفقه فينضم اليك من تفقهه
به فولي فما وجد فيه مطعنا وقال ايمان بن معويه استحضرني عمر
بن عبد العزيز بهيره فحضرت فسالني فسكت فلما اطلت قال ايه فقلت سل

وقد قال فضله وقد
وعالمه وكان سن اسامة
رضي الله عنه يوم مات رسول الله
على اثنتي عشرة سنة

عما بدا لك قال اقرا القران قلت نعم قال فهل تفرض الفرايض قلت نعم
قال فهل تعرف من ايام العرب شيئا قلت نعم قال فهل تعرف من ايام العجم
شيئا قلت نعم انا بها عليم قال اني اريد ان استعين بك قلت ان في
ثلاثا لا اصلح معهن للعمل قال وما هن قلت انا دميم كما ترى وانا حديد
وانا عيي قال اما الدمامه فاني لا اريد ان احاسن بك واما العي فاراك
تغرب عن نفسك واما سوء الخلق فيفق مدى السوط تولاني واعطاني
الفي درهم فهو اول مال تموله وقال سليمان بن داود عليهما السلام ما
ملا قاه البوه سليت اشبالها با صعب من لقاحا هل راض عن
نفسه

الباب الثالث والخمسون في بيان

الشروط في بيان التي توخذ على العمال اعلم ارشدك الله ان يولى الاعمال الاهل
الحزم والكفايه والصدق والامانه وتكون التوليه للمغني لا للهوى وملاك
ك الولايات وساسها ان لا يولى الاعمال طالبها ولا راغبا فيها روى
البخاري في صحيحه عن ابي موسى الاشعري قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
ومعي رجلان فقال يا رسول الله استعملني فقال صلى الله عليه وسلم انا لا
نستعمل على عملنا من اراده قلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق
ما عرفت الذي في نفسه وقد رويناه عن بزرجمهر انه قيل له ما بال
هلك ال ساسان صار امره الى ما صار اليه قال لانهم قلدوا اكبار الاعمال
صغار الرجال ولده عمرو بن العاص حيث قال موت العاص العلي
اقل ضررا من ارتفاع واحد من السفله وقال العلا بن ايوب غضب
المامون على بعض اصحابه غضبا شديدا ثم قال له لاما قتلك الله حتى
اوتيك دولة السفل وقال رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

www.abdulgaffar.com

لرجل وقد آتاه ادركتك امرة الصبيان وقال للمستوعز الاكبر وقد كان عمر في الجاهلية ثلاث مايه سنة

وما سقطت من الدهر امة الى الذل الا ان يسود ذميمها
اذا ساد فينا بعد ذل لئيمها تصدى لنا ذل وقد ادبيمها
وما قادها للخير الا مجرب عليم باقبال الامور كريمها
وما كل ذي لب يعاش بعقله ولكن لتدبير الامور حليمها

واعلموا ان اعظم ما يدخل على الدول على الدول من الفساد هو تقليد الاعمال اهل الحرص عليها لانه لا يخطبها الا لص في ثوب ناسك او ذيب في صلاح عابد وحريص على جمع الدنيا بالدينه ومروته يبتغي عرض الحياة الدنيا وقد سبق المثل الحرص على الامانة دليل على الخيانه تحذروه عباد الله خولا واموالهم دولا واذا اهتضمت حقوق المسلمين واكلت اموالهم فسدت نياتهم وقلت طاعتهم فانتقضت الامور ودب الفساد الى الممالك وقد ذكرنا في اول الكتاب الاثار في كراهية الولايات وقال المامون ما فتق علي فتق الا وجدت سببه جور العمال ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرنه على عضد الدوله بن بويه الديلمي وقضى الرساله واراد الانصراف قال لعضد الدوله ما ذا اقول لاخيك قال قل جيتك من عند سلطان يظلم وحده فان قيل ما معنى قول يوسف عليه السلام للملك اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم قلنا يوسف عليه السلام كان نبيا من انبياء الله تعالى واثقا من نفسه بالكفاية والامانة بين يدي من لا يتحقق بواطن سرايره ولا يعلم خصائص بيصه وفضايله ويرى الامور والاعمال والولايات ضايعه في يدي

من

من ليسوا لها اهلا ويجوز مثل هذا اليوم لمن حصل بين يدي جبار لا يعلم منزلته ولا ما عنده من الخصال والفضايل ان يذكر له بعض ما يعلم من نفسه ليعلم قدره فيسلم بذلك من شره وعن هذا قال بعض اصحاب الشافعي رحمة الله عليه اذا كان القضا في يدي من لا يصلح له وجبان يخطبه من يصلح له وكان ذلك فرضا عليه وفقها الامصار على خلاف هذا الراي ويحتمل ان يكون يوسف عليه السلام قد اوحي الله اليه بما يصير امره اليه من الملك والعدل ونشر كلمة الاسلام فلهذا نبه على نفسه ومن عجيب ما روي في هذا الباب ان لقمن الحكيم كان عبدا نوبيا اسود غليظ الشفتين مصفح القدمين لامراة من بني الححا وكان جليسا لداود عليه السلام فاتاه جبرايل عليه السلام بالنبوة من عند الله تعالى الذي يصطفي لنبوته من يشا فقال لقمن يا جبرايل ان جبرني ربي فسمعا وطاعه وان خيرني اخترت العافيه فرضي الله قوله واعطاه بالحكمة وصرفت الرساله الى داود عليه السلام فكان داود عليه السلام يقول طوبى لك يا لقمن اوتيت الحكمة واوتي داود البليه وروي الله حابس داود عليه السلام وداود يعمل الدرع فاقام حولا يبصر صنعة الدرع ولا يعلم ما يصلح ولا يساله عن ذلك فلما تم حولا لبس داود عليه السلام الدرع وقال درع حصينة ليوم حرب فقال لقمن الصمت حكمة وقليل فاعلوه كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا بعث عاملا اشترط عليه اربعا لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا ياكل النقي ولا يتخذ حاجبا ولا يغلق بابه عن حوايج الناس وما يصلحهم ويقول له اني لا استعملك على ابشارهم

ولا اعراضهم ولا اعمالهم وانما استعملتك لتصلي بهم وتقضي بينهم بالعدل
وروى عباية بن رفاعة قال بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان سعد
بن ابي وقاص اتخذ قصرا وفتح له بابا وقال انقطع الصوت فارسل
عمر محمد بن مسلمة وكان عمر اذا احب ان يؤتى بالامر جاء هو بعينه
فقال له ائت سعدا واحرق عليه بابه فتقدم الكوفه فلما اتاه با
اخرج راسه واستوى نارا ثم احرق الباب فاتى سعدا الخبر ووصف
له بصفته فعرفه فخرج اليه فقال له محمد قد بلغ امير المؤمنين
انك قلت انقطع الصوت فحلف سعد بالله ما قال ذلك فقال
له محمد نفعل الذي امرنا ونودي عنك ما تقول ثم ركب راحلته
فلما كان ببطن الرمله اصابه الخمص والجوع ما الله به اعلم فا
بصر غنما فارسل غلامه بعمامته وقال اذهب فابتع منه شاة
فجاء الغلام بالشاة وهو يصلي فاراد ذبحها فاشار اليه ان يكف فلما
قضى صلاته قال انظر فاه كانه مملوكة بسمرتها فاردد الشاة
وخذ العمامه وان كان حرة فاردد الشاة الي فذهب فاذا هم مملوكه
فاخذ العمامة ورد الشاة ثم اضن بخطام ناقته وجعل لا يمر بقلة
الا خطفها حتى اواه الليل الى قوم فانوه بخبز ولبن وقالوا لو كان عندنا
شئ غير هذا اتيناك به فقال بسم الله كل حلال اذهب السغب
خير من مأكل السوء حتى قدم المدينة فنزل باهله وابتدر من الغ
ولاح فلما ابصره عمر قال لولا حسن الظن بك ما رأينا انك اديت
وذكر له امر السير فقال قد فعلت وهو يعتذر ويحلف بالله ما قال
فقال له عمر فهل امرك بشئ فقال قد رايت مكانا ان يامرني فقال

عمران ارض العراق ارض رقيقه وان اهل المدينة يموتون حولي جوعا
فخشيت ان آمرك فتبثق وليكون لك بارده ولي حاره وروى زيد بن
اسلم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له يدعا هنيئا
على الحما فقال يا هنيء اضمم جناحك للمسلمين واتق دعوة المظلوم
فان دعوة المظلوم مستجابة وادخل رب الصريمه والغنيمة واياي
ونعم بن عوف ونعم بن عفان فانهما ان تهلك ماشيتهما يرجعان الى
زرع ونخل وان رب الصريمة والغنيمة ان تهلك ماشيتهما ياتي بنيه
فيقول يا امير المؤمنين افتاركهم انا لا اباك فالماء والكلا اليسر من
الذهب والورق واليم الله انهم ليرون اني ظلمتهم انها بلادهم قاتلوا
عليها في الجاهليه واسلموا عليها في الاسلام والذي نفسي بيده لولا المال
الذي احمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا ومن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما فراى بيتا مبنيا بحجارة وجص
فقال لمن هذا فذكروا انه لعامل له على البحرين فقال ابيت
الا دراهم الان تخرج اعناقها وقاسمه ماله وكان يقول لي على كل خابن
امينان الماء والطين وكان ابو شروان يكتب في عهد العمال
سر خيار الناس بالمحبه وامزج للعامه الرغبه بالرهبة وسس
سفلة الناس بالاضافه وقال سليمان بن داود عليهما السلام كما
يصلح الهمز للفرس والرسن للحمار كذلك يصلح القضيب لظهر
الجاهل وفي الامثال من لم يصلح باليد اصلحه التليين ومن لم
يعتدل عدل وقال هلال بن اساف استعمل النبي صلى الله
عليه وسلم المقداد على سرية فلما رجع قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف

رايت الامارة يا معبد قال خرجت يا رسول الله ولا ارى ان لي فضلا
على احد من القوم فما رجعت الا وكانهم عبيد لي قال كذلك الامارة
يا معبد من وقاه الله شرها قال والذي بعثك بالحق لا اعمل على عمل
ابدا وقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يمنعك ان تقتني العمل في
الافاضل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال اكره ان ادنسهم با
لعمل وقال ابراهيم كان عمر اذا قدم عليه الوفد سالهم عن احوالهم
وعن اسعارهم وعن من يعرف من اهل البلاد وعن اميرهم هل يدخل
عليه الضعيف وهل يعود المريض فان قالوا نعم حمد الله تعالى وان
قالوا لا كتب اليه ابتل ومثل السلطان اذا ولى العمال الظالمين
مثل من يسترعي غنمه الذياب ومثل من يربط الكلب العقور
ببابه وان العامة لتشتم الحجاج بن يوسف والخاصة تلوم عبد
الملك بن مروان لانه الذي استرعاه الرعية وفيه قيل
ومن يربط الكلب العقور ببابه ... فعقر جميع الناس من رابط الكلب
وكان العلاء بن ايوب لما ولي فارس من قبل المامون يكتب عهد
العامل فيقرأ على من يحضره من اهل ذلك العمل ويقول انتم عيوني
عليه فاستوفوه منه ومن تظلم الي منه فعلي انصافه ونفقته
ذاهبا وراجعا ويامر العامل ان يقرأه على اهل عمله في كل جمعة ويقول
لهم هل استوفيتم الباب الرابع والخمسون في هدايا
العمال والرشا على الشفاعات روى ابو داود في السنن ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من شفع لاخيه شفاعة واهدي اليه هدية
عليها فقد اتى بابا عظيما من ابواب الربا والسحت فيه الا اذا قدرت على

قضا

قضا حاجة عند السلطان الظالم والسيد القاهر صار ذلك واجب
عليك وروى البخاري في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا يقال
له ابن اللتبية فلما جا قال يا رسول الله هذا لكم وهذا اهدي الي فغضب
النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما بال الرجل نستعمله على عمل من اعمالنا فيقول
هذا لكم وهذا اهدي الي لنا افلا قعد في بيت ابيه وامه وينظر هل
يهدى له وقال مالك كان عمر رضي الله عنه يشاطر العمال فياخذ
نصف اموالهم ويشاطر ابو هريرة فقال له من اين لك هذا المال فقال ابو
هريرة دواب نتجت وخادمات تداولت فقال اذا اشطر وانما شاطرهم
حين ظهرت لهم اموال بعد الولاية ولا تكن تعرف لهم وروى مالك عن ابن
عمر رضي الله عنهما انه اشترى هو وعبيد الله اخوه ابلا فبعثت بها الى الحما
فرعت فقال عمر رعيتما في الحما فشاطرهما وشاطر سعد بن ابي وقاص
حين قدم من الكوفة كانه راى انما اصاب العامل من غير دستوه واه
كان صلالا فلا يستحق ذلك لان من له الامر قوة على ان ينال من
الحلال ما لا ينال غيره فجعله كالمضارب للمسلمين ولما دفع ابو
موسى الاشعري مالا من بيت المال لعبد الله وعبيد الله ابناء عمر بن
الخطاب رضي الله عنه بالبصرة اشتريا به بضاعة فربحا بالمدينة فاراد
عمر ان ياخذ جميع الربح واخذ عمر النصف لبيت المال وكتب عمر بن
عبد العزيز الى عماله اما بعد فانما اهلك من كان قبلكم منعهم
الحق حتى يشتروه وبسطهم الباطل حتى يقتدوا الملك بالدين
يبقوك والدين بالملك يبقى وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يامر اذا قدم عليه العمال ان يدخلوا نهارا ولا يدخلون ليلا يحملوا

فراجعه عبد الله فحاكم
بينهم بنصف الربح
فاخذ جميعا نصف
الربح

وقال عتاب ابن اسيد والله ما اصبت في عملي الذي ولاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا ثوبين معقدين كسوتهما مولاي كيسان وروى السواد
ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه استعمل ابا مسعود الانصاري على السواد
فرجع الى داره وقد امتلأت قال ما هو ولاه قال الوكذلك يصنعون بالرجل
اذا استعمل قال كل هو ولا يريد ان ياكل في امارتي فرجع الى علي وقال لا حاجة
لي في العمل وقد ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة
ليستعمله قال يا رسول الله اخترني قال اقعد في بيتك وفي الامثال الهدية
تعمي وتصم وقال بعض الحكماء الرشوة رشا الحاجة وكتب بعضهم

اذا اتت الهدية دار قوم ... تطايرت الامانة من كواها

وانشدوا ايضا

ان الهدية حلوة ... كالسحر تجتلب القلوبا
تدني البعيد من الهوى ... حتى تصيره قريبا
وتعيد مصطغن العداوة بعد حقد تجيبا

ومما قيل في الرشوة

واكرم من يدق الباب شخص ... ثقيل الحمل مشغول اليدين
ينوء اذا مشى نفسا ونخا ... ويبطح بابه بالركبتين
واكرم شافع يمشي عليها ... ابو المنقوش فوق الصخنين

وقلت ايضا

اذا كنت في حاجة مرسلا ... وانت باعجازها مغرم
فدع عنك كل رسول سوى ... رسول يقال له الدرهم

الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق

اعلموا ارشدكم الله ان هذا الباب مما غلط فيه الخلق وقل من اركبوه
فعدلوا الى اخلاق العامة وخلايق الغوغا والدهاة وما يجري بينهم اذا تلاقوا
وتعاشروا من الافراط في مدح بعضهم بعضا وتقاطهم الكذب والتصنع
والملق والمراياة والمعاريض بالامور المكنونة التي يفحش اظهارها والا
تخراط في سلك المزاح والمهانة فهذا وما اشبهه عندهم من حسن الخلق
عندهم وهو عندهم نقيض ما امر الله تعالى عليه ورسوله من حسن
الخلق فاول ذلك ان تعلم انه لم تحتو الارض على بشر احسن خلقا من
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكل من تخلق باخلاق رسول الله صلى الله
عليه وسلم او بعضها وقاربها كان احسن الناس خلقا وكل خلق بعد
من اخلاقه عليه السلام فليس من حسن الخلق وهذا فصل الخطاب
لمن عقل وانما اوتي الناس من هذا الباب لما استحسنوا الاخلاق
العامية واستحسنوا الاخلاق البنوية لجهلهم باخلاق المصطفى
صلى الله عليه وسلم وها انا اتلو عليك من اخلاق الانبيا والمرسلين
والاوليا والاصفيا والعلما والصالحين ما نرجو ان ينفعنا الله و
اياك به قال الله سبحانه لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك
لعلى خلق عظيم فخص الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم من كريم
الطبايع ومحاسن الاخلاق من الحيا والكرم والصلاح وحسن العهد
ما لم يونه غيره ثم لم يزن الله تعالى نبيه من فضايله مثل ما اثنى عليه
بحسن خلقه فقال وانك لعلى خلق عظيم وعن هذا قال الشيوخ ان
الله سبحانه دعا الخلق الى احسن الخلق ودعا نبيه عليه السلام من
حسن الخلق قال عبيد بن عمير قلت لعايشة رضي الله عنها يا ام المؤ

صفي لي خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لي ما تقرأ القرآن كان خلقه
القرآن وحسبك بهذه المنقبة بالرسول عليه السلام وتعريفا لكنه بحسن
الخلق واذا كان خلق النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فالقرآن يجمع كل فضيلة
وخلق ويحث عليها وينهى عن كل نقيصة ورذيلة ويوضحها ويبينها وكذلك
لما انزل الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال النبي
صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبرائيل قال ان الله تعالى يامرك ان تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك فهذا من حسن
الخلق كما ترى فانظر الى اخلاق العالمة من هذا النمط واذا اصدهم ليقطع
من وصله ويحرم من اعطاه ويظلم من سأله ويغضب على التهمه
وانما اقتصر على هذه الكلمة لانها اصل الفضائل وينبوع المناقب لان
في اخذ العفو صلة القاطع والصفح عن الظالم واعطاء المانع وفي الامر
بالمعروف تقوى الله وصلة الارحام وصون اللسان وغض الطرف
عن المحرمات وفي تقوى الله يدخل جميع اداب الشرع فرضها ونفلها
وفي الاعراض عن الجاهلين الصفح والحلم وتنزيه النفس عن سمات
السفيه ومجارات اللجوج فهذه الاصول الثلاث تتضمن محاسن الشرع نصا وتنبيها وصمتا واعتبارا وروى انس رضي الله عنه قيل يا رسول الله اي المؤمنين افضل ايمانا قال احسنهم خلقا
وروى ابو داود في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت لاتمم محاسن
مكارم الاخلاق واقتضى الحديث ان كل نبي مبعوث الى امته انما
بعث ليعلم الناس حسن الخلق وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
بعث ليتمم محاسن الاخلاق اذ الحسن الخلق امتثال الشرايع با

باسرها روى البخاري عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن
فحاشا ولا متفحشا قال وان من اصلكم الي احسنكم اخلاقا وقال عليه
الصلاة والسلام ان الله تعالى استخلص هذا الدين لنفسه فلا
يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وكان
النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره وعليه رداء نجراني غليظ
الحاشية فجذبه اعرابي جذبة شديدة حتى اثرت حاشية الردا
في عنقه وقال يا محمد مر لي بشيء من مال الله الذي عندك فلست
تامر لي من مالك ولا من مال ابيك فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم
وقال مر واله ولم يكلمه بشيء قال انس فنظرت الى عنق النبي
صلى الله عليه وسلم قد اثرت فيه وهو يضحك ثم امر له بعطا وروي
ان اعرابيا اتا النبي صلى الله عليه وسلم بمرود له فقال له يا محمد املا
لي هذا تمرا وسويقا فانك لست تعطيني من مالك ولا من مال ابيك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعد علي كيف قلت قال فاعاد كلامه فقا
له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت املؤه له تمرا وسويقا لست
اعطي من مالي ولا من مال ابي وانما هو مال الله عز وجل قال احسن
خلقك الناس يا معاذ بن جبل وقال النبي صلى الله عليه وسلم انكم
لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق
وقال عليه السلام سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم فكما حسنت خلقي
فحسن خلقي واعلم ان الخلق الحسن افضل مناقب العبد
وبه يظهر الرجال والانسان مشهور بخلقه الا ترى ان الله تعالى خص

نبيه عليه الصلاة والسلام بما خصه من الفضايل ثم لم يثن عليه بشيء
من خصاله بمثل ما اثنى عليه بخلقه وقال بعض المفسرين في قوله تعالى
وانك لعلى خلق عظيم لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقيل
لم يوتر فيك جفا الخلق بعد معرفتك بالخلق وقال المحاسبي حسن
الخلق كظم الغيظ واطهاء الطلاقة والبشر والعفو عن الزلين الا في
ادب او اقامة حد وكف الاذى عن كل مسلم ومعاهد الا لتغيير منكر
او اخذ مظلمة لمظلوم فهذا حسن الخلق وقيل حسن الخلق الا تشغير
لمن يقف في الصف لجنبك وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن
الخلق فقال من قيس بن عاصم المنقري بينما هو ذات يوم جالس في
داره جائته خادم بسفود وعليه شوي فسقط من يدها ووقع على ابن
له فمات فذهبت الجارية فقال للروع عليك انت حرة لوجه الله وم
قيل جائت جارية لابي عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنهم بقصعة من ثريد تقدمها اليه وعنده قوم فاسرعت
بها فسقطت من يدها فانكسرت فاصابه واصحابه بما كان فيها
فارتاعت الجارية عند ذلك فقال لها انت حرة لوجه الله تعالى
لعلها ان يكون كفارة للروع الذي اصابك وكان عمر اذا راى واحدا
من عبيده يحسن الصلاة يعتقه فعرفوا ذلك في خلقه فكانوا
يحسنون الصلاة مراياة له فيعتقهم فقيل له في ذلك فقال من
خدعنا في شيء انخدعنا له وقال الفضيل لان امر احسن الا
جاره كله وكانت له دجاجة قد اساء اليها لم يكن محسنا وكان
المحاسبي يقول فقدنا ثلاثة اشياء حسن الوجه مع الصيانة وحسن

المبدع او فاجر الان يكون
فاجرا اذا انبسطت اليه
استحيا او قلع

كان بن عم الذاري واحدا
من عبيده يحسن الصلاة
يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه
فكانوا يحسنون الصلاة مراياة له
فكان يعتقهم فقيل له في ذلك
فقال من خدعنا بشيء انخدعنا له

القول

القول مع الامانة وحسن الاخلاق مع الوفاء وقال الجنيد اربعة
ترفع العبد الى اعلى الدرجات وان قل عمله وعمله الحلم والتواضع
والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وكان عبد الله بن محمد
الرازي يقول حسن الخلق استصغار ما منك واستعظام
ما اليك وقال الكتاني التصوف خلق من زاد عليك في التصوف
زاد عليك في الخلق وقال سهل بن عبد الله حسن الخلق لا تطمع
فيما ليس لك وليس بهذا الصفة احد غير الله سبحانه وقيل حسن
الخلق تحمل اثقال الخلق وقال الحسن بن علي رضوان الله عليهما
عنوان الشرف حسن الخلق وقال شاه الكرماني في علامة
حسن الخلق كف الاذى واحتمال المؤذى وقيل حسن الخلق ان
يكون من الناس قريبا فيما بينهم غريبا وقيل حسن الخلق
قبول ما يرد عليك من جفا الخلق وقضا الحق بلا ضجر ولا قلق
وقيل حسن الخلق احتمال المكروه وحسن المداراة وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال
يحيى بن معاذ الرازي سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنا
وحسن الخلق حسنة لا يضر مع كثرة السيات وقالت امراة
لمالك بن دينار يا مراي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اصلته
اهل البصرة منذ اربعين سنة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن
الخلق وروي ان ابا عثمان الجيزي اجتاز بسكة وسط الهاجرة
فالقي عليه من فوق سطح طشت رماد فتغير اصحابه وبسطوا

السنتهم فقال ابو عثمان لا تقولوا شيئا مما استحق ان يصب
عليه النار فصولح على الرهاد لم يجز ان يغضب وقيل لابراهيم
بن ادهم هل رحت الى الدنيا قط فقال نعم مرتين احداهما
كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان وبال علي والثانية كنت جا
لسا يوما فجاء انسان فصفعني وكان اويس القرني اذا راه
الصبيان يرمونه بالجحارة وهو يقول ان كان لابد فارموني
بالجحارة الصغار كي لا تدق ساقي فتمنعوني الصلاة وسئل
سهل بن عبد الله عن حسن الخلق فقال ادناه الاحتمال للا
ذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له وروي ان
علي بن ابي طالب رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثا
نية وثالثة فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا فقال اما تسمع يا
غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك
فتكاسلت قال اذهب فانت حر لوجه الله وهذا كما ترى
قوة الالهية يعزها الله على المصطفين من عباده واهل الصفوة
من اوليائه الا ترى الى قوله سبحانه وبما رحمة من الله
لنت لهم جرده عن حقايق البشرية والبسه من نعت الربوبية
حتى قواه على صحبتهم وصبره على تبليغ الرسالة اليهم مع الذي كان
يقاسيه من اخلاقهم مع كونه مستغرقا باستيلا الحق سبحانه
عليه يختص برحمته من يشا وقال النبي صلى الله عليه وسلم المومن
الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وانما سمي ادم
لانه الف من الجواهر والالوان وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجلين

متباغضين ادم الله بينكما اي الف بينكما وفيه سمي الادام الماكول لانه
يولف الطعام ويحسنه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لرجل اراد
ان يتزوج امراة انظر اليها فانه احرى ان يودم بينكما اي يولف بينكما
وروى ان معروف الكرخي نزل دجلة يتوضا ووضع مصحفه وملحفته
فجاءت امراة فاخذتهما فتبعها معروف وقال يا اختي انا معروف لا باس
عليك الكذا بره بقرا قالت لا قال افزوج قالت لا قال فهات المصحف
وخذي الثوب وروى ان اباذر كان على حوض يسقي ابله فاسرع
بعض الناس اليه فانكسر الحوض فجلس ثم اضطجع فقيل له في ذلك
فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم امرنا اذا غضبنا ان نجلس فان ذهب
عنا والا فلنضطجع وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انا لنصافح
اكفا نرى قطعها وقال ابو ذر رضي الله عنه انا لنهش في وجوه
اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقال الحارث بن قيس يعجبني من القرا
كل طلق مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن
عليك بعلمه فلا كثر الله في المسلمين مثله وقال عروة بن الزبير لمكنوف
في الحكمة ابني لتكون كلمتك طيبة ووجهك طلقا تكن احب الى الناس
من ان تعطيهم العطا ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن لا يصحب
صاحبا صالحا يغنم وروى ان ابراهيم بن ادهم خرج الى بعض البرا
ري فاستقبله جندي فقال اين العمران فاشار الى المقبرة فضرب
راسه واوضحه فلما جاوزه قيل له هذا ابراهيم بن ادهم زاهد خرا
سان فجاءه يعتذر اليه فقال انك لما ضربتني سالت الله لك الجنة
فقال ولم قال قد علمت اني اوجر على ذلك فلم ار ان يكون يصيبني

الخير ويصيبك منى الشر وحكى انه اباعثمان الجيزى دعاه انسان الى ضيافه
فلما وافى داره قال يا استاذ ليس لدخولك وجه قد ندمت فانصرف يرحمك الله
فرجع ابو عثمان فلما وافى منزله عاد اليه الرجل وقال يا استاذ قد ندمت
واخذ يعتذر اليه ثم استدعاه فمضى معه فلما وافى داره قال له كقوله الاول وجعل يعتذر ثم فعل كذلك فى الثالثه والرابعه وابو عثمان جاء وراجعا ثم قال له يا استاذ انما اردت اختبارك والوقوف على اخلاقك وجعل
يعتذر اليه ويمدحه فقال ابو عثمان لا تمدحنى على خلق تجد مثله عند
الكلب فالكلب اذا دعى حضر واذا زجر انزجر وروى ان بعض الفقراء
نزل على جعفر بن حنظلة فكان جعفر يخدمه والرجل يقول نعم الرجل
انت لولم تكن يهوديا فقال جعفر عقيدتى لا تقدح فيما تحتاج اليه من
الخدمة فصل لنفسك الشفا ولى الهداية وروى ان ابا جعفر القومذى
المتعبد لقيه بعض الاجناد ومعه كلب للصيد فقال له خذ هذا
الكلب ارفه خلفى فاما فضرب راسه بالسوط حتى اوجعه فقال له
بعض المارين ويحك هذا ابو جعفر القومذى فنزل عن فرسه وجعل يقبل
يديه ويعتذر اليه فقال انت فى حل قال ابراهيم بن الحسن سمعت ابا
جعفر القومذى يدعو لمن اغتابه اذا فرغ من حزبه فى جوف الليل يدعو ويقول
اللهم اغفر لصاحب الكلب وارحمه وقيل مكتوب فى الانجيل عبدى
اذكرنى حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق
قال المفضل فى قوله تعالى وقولوا للناس حسنا كل من لقيته فقل
له حسنا من القول فقال لقمان لابنه ثلاثة لا يعرفون الا فى ثلاثة
الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب والاخ عند الحاجه اليه وروى ان عبد الله

الخياط

الخياط كان يعامله مجوسى يخيط له الثياب ويدفع اليه دراهم زيوفا
فكان عبد الله ياخذها فجاء المجوسى يوما بدراهم رديه فلم يجده فاعطاها
لتلميذه فلم يقبلها فدفع له صحاحا فلما رجع عبد الله قال لتلميذه هذه
دراهم المجوسى وذكر قصته قال عبد الله بئس ما عملت انه يعاملنى
بهذه المعامله منذ مدة وانا اصبر عليها والقيها فى البير ليلا يعثر بها
غيرى وروى ان معاوية نظر الى يزيد يضرب امة له فقال له اتضرب
من لا تمتنع منك لقد حالت القدره بيني وبينها ولى التراب
وقال بعضهم اصل سوء الخلق ضيق القلب وضيقه على قسمين اد
ناه وهو انه لا يتسع لمراد الخلق واقصاه وشره الا يتسع لمراد
المولى وقال المحاسبى اصل سوء الخلق الاعجاب وهل سوء خلق
الرجل الا من عجبه وتكبره الا يرى فوقه احدا ولا يعرف قدر نفسه فقد
خله العزه وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى وثيابك فطهر اى
خلقك نحسه وكان لبعض النساك شاة وكان بها معجبا فراها
على ثلاثة قوايم فقال من فعل هذا بها قال غلامه انا فعلته قال
ولم قال لاغمك قال لا عمن الذى امرك بهذا اذهب فانت حر وروى
البخارى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال راى عيسى بن مريم
رجلا يسرق فقال له اسرقت قال كلا والذى لا اله الا هو فقال
عيسى فقال عيسى امنت بالله وكذبت عينى وقال على بن ابى طالب
فساد الاخلاق بعشرة اسبعها وقيل الخلق السيئ ضيق قلب
صاحبه لانه لا يسع فيه غير مراده كالمكان الضيق لا يسع فيه غير
صاحبه ويقال من سوء خلقك ان يقع بصرك على سوء خلق غيرك

بلغ مقابلة

الاعجاب وهل سوء خلق الرجل الا من عجبه وتكبره لا يرى فوقه احدا ولا يعرف قدر نفسه فقد خله العزه وقال بعضهم اصل سوء الخلق

قال

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشوم فقال سوء الخلق وروى ابو
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له ادع الله على المشركين فقال انما
بعثت رحمة ولم ابعث عذابا ولما وصى يعقوب اولاده فقال لهم احفظوا
عني خصلتين ما اتصفت من لم يكن فيه قولا ولا فعلا ولا رايت حسنة
الا اشتهيتها ولا سيئة الا استرتها كذلك فافعلوا وقال عمر اذا اسمعوا
سمعتموني اقول لمملوك اخزاك الله فاشهدوا انه حر ويقال السيئ
الخلق هو الذي لا يملك نفسه عند الغضب ويقال اصل سوء الخلق
مطالبة غيرك ان يوافقك دون ان تطلب نفسك بموافقة غيرك
وعلامة حسن الخلق احتمال معاملة سيئ الخلق ليس به سوء الخلق
وقيل العارف يعاتب نفسه ولا يعاتب خلقه وعلامة من بينه
وبين نفسه عتاب الا يكون بينه وبين خلقه عتاب وروى ان
ابن عمر كان في مجمع يتيم بسيئ الخلق فمات فحزن عليه ابن عمر فقيل له
الله يجد غيره قال فمن لي بمثل سوء خلقه وكان ليحيى بن زياد الحا
رثي غلام سوء خلق فقيل له لم تمسك هذا الغلام فقال لا تعلم
فيه الحلم وقيل في قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
الظاهرة اسوء الخلق والباطنة حسن الخلق وقال الفضيل لان
يصحبني خمار فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيئ
الخلق فان قيل اليس قد روى ان عيسى عليه السلام ويحيى بن زكريا
عليهما السلام التقيا فقال يحيى لعيسى تلقاني صاحكا كانك آمن
فقال عيسى وانت تلقاني عابسا كانك آيس فاوحى الله تعالى اليهما
ان احبكما الي ابشكما لصاحبه قلت كذلك ينبغي ان يكون المؤمن

وليبشر طلاقة خلقك وتبسمك في وجهه فنهى عنه وانما المكروه ما ذكرناه
في اول الباب من الملق والتصنع وفصل الخطاب في هذا الباب ما روى
هند بن ابي هالة في صفة مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان اصحابه
كانما على رؤسهم الطير ومعلوم ان من كان على راسه طاير لا يبرح ولا
يحرك ولا يتكلم ولا يطرف بعينه حذرا ان ينفر الطاير وقال ابن المقفع
كان لي صديق من اعظم الناس في عيني وكان راس ما عظمه في عيني
صغر الدنيا في عينه كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا
يجد ولا يكثر اذا وجد وكان خارجا من سلطان فرجه فلا يدعوا
اليه مؤنة ولا يستخف له رايا ولا دينا وكان خارجا من سلطان
الجهالة فلا يقوم ابدا الا على ثقة المنفعة كان اكثر دهره صامتا
فاذا بدا القايلين وكان مستضعفا فاذا احد الحد فهو الليث
عاديا كان لا يدخل في دعوى ولا يسئل في امر ولا يدلي بحجة حتى ترى قا
ضيا عدلا وشهودا عدولا وكان لا يلوم احدا على ما يكون العذر في
مثله حتى يعلم ما اعتذاره وكان لا يشكو وجعا الا الى من يرجو عنده
البرء ولا يستشير صاحبا الا من يرجو النصيحة طاهرا جميعا كان عن
لا يتبرم ولا يسخط ولا يشتكي ولا ينتقم من العدو ولا يغفل
عن الولي ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه وجملة
وقوته واقتصاده هذه الاخلاق فان لم تطق فاخذ القليل خير من ترك
الجميع وروى ان حكيما سمع رجلا يذم الزمن واهله ويذكر فساد الناس
وانه لم يبق احد يصحب فقال له يا هذا انت تطلب صاحبا تؤديه
فلا ينتصر وتنال منه ولا تنتصف وتاخذ رحله فلا يدرك شيء

ويجعوا عليك فيحلم فلم ينصف في الطلب ولم يجد حاجتك ولكن ان اردت
صلحا بودك فلا ينتصر ويجعوك فلا ينتقم ويأكل رحلك ولا تنال منه
شيئا وجدت اصحابا واخدانا وانا اول من يعشقك **فصل في**
الفرق بين المداهنة والمدارات من داراسلم ومن داهن اثم وهذا
باب اختلط على معظم الخلق فداهنوا وهم يحسبون انهم يدارون
فالمداهنة منهي عنها والمدارات ماوى بها قال سبحانه في المداهنة ودوا
لو تدهنون وقال النبي صلى الله عليه وسلم في المدارات راس العقل بعد
الايمان بالله التودد الى الناس وامرت بمدارات الناس كما امرت باداء الفرا
ئض فاذا سمعت المداراة صارت مداهنة فالمداهنة ان تداري الناس
على وجه يذهب فيه دينك والمدارات مخالفتهم على وجه يسلم لك دينك
وذلك ان هذه الاية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قالت له قريش
يا محمد اعبد الهتنا سنة ونؤمن بك فابى فقالوا شهرا فابى فقالوا فيوما
فابى قالوا فساعة فابى قالوا فاستلمها بيدك ونؤمن بك فوقف النبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك وطمع ان فعل ذلك يؤمنوا فانزل الله تعالى ودوا لو تدهن
فيدهنون وقيل له ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا
اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات **مثاله** ان يقول لظالم
ابقاك الله ومن دعا لظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله عز وجل
وهذا باب ينبغي لذوي الدين حفظه **وقد داى** بعض الفقها الخروج
من هذه العهدة بالتعريض فكان الفقيه بن الحصار يعرض له
جار نصراني يقتضي حوائجه ويستشفع به فكان الفقيه يكنيه ان يقول ابقاك
الله وتولاك اقر الله عينك يسرني والله ما يسرك جعل الله يومي

قبل

قبل يومك لا يريد على هذه الكلمات فيبتهج النصراني ويسره فعوتب الفقيه
في ذلك فقال انما ادعوا بمعاني وقد عرف الله ذلك من نيتي اما قولي
ابقاك الله وتولاك فاني اريد ان يبقيه لغرم الجزية ويتولاه بالعذاب
واما قولي اقر الله عينك فاريد ان يقر حركتها حتى يعرضها فلا تترك
جفونها واما قولي جعل الله يومي قبل يومك يسرني والله ما يسرك فان
العافية تسرني كما تسره واما قولي جعل الله يومي قبل يومك فاريد ان يجعل
الله اليوم الذي ادخل فيه الجنة قبل اليوم يدخله فيه النار على كفره **الباب**
السادس والخمسون في الظلم وشؤمه وسوء عاقبته قال الله سبحانه
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقال ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الفاسقون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
وردت الايات الثلاث في بني اسرائيل فكان من لم يحكم بما انزل الله وجاء من عند
رسوله كان اما كافرا وظالما وفاسقا فالكفر موقوف على خلاف
العقيدة وقال سبحانه ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقال
احمد بن خضرويه لوذان لي في الشفاعة ما بدات الا بظالمي لانني تبينت
منه لغرته بالله تعالى في قوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
قال ولا اغتم سفرا لا يكون فيه من لا يؤذيني ويظلمني شوقا مني
لتعزية الله تعالى للمظلومين وقال ميمون بن مهران كفى بهذه الاية
وعيدا للظالمين وتعزية للمظلوم وقال كعب الاحبار لابي هريرة في
التوراة من يظلم يخرب بيته فقال ابو هريرة وذلك في كتاب استقال
قال الله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا فالظلم ادعى شيء الى سلب
النعم وحلول النقم وروى مسلم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه

فيما يروي عن ربه سبحانه انه قال اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته
بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم
يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار
الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار
وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا
ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان اولكم واخركم
وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في ملكي شيئا
يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد
ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم
قاموا في صعيد واحد فسالوني فاعطيت كل انسان مسئلته ما
نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر يا عبادي انما
هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد
غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ص من رواية ابي ادريس الخولاني عن ابي ذر
مسندا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو ادريس اذا حدث به جثى
على ركبتيه وروى عبد الله بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا
دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب وروى ابو هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت لاخيه عنده مظلمة من عرضه
او ماله فليتحلل منه بقدر مظلمته قبل ان لا يكون درهم ولا دينار ان
كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات
اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه وقال سعيد بن زيد قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم من الارض شبرا طوق من سبع

قال الظلم ظلمات يوم القيمة وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم

ارضين قال ابو جعفر الطحاوي معناه ان ينقلب شجاعا اقرع فيطوقه
كما قال عليه السلام في مانع الزكاة يجعل ماله يوم القيامة شجاع اقرع
يتبعه يقول انا كنزك وكان هذا داخلا في قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال مطل الغني ظلم وروى ابو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وقرا وكذلك
اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وروى انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انصر اخاك ظالما كان او مظلوما قالوا
يا رسول الله ينصره مظلوما كيف ينصره ظالما قال تاخذ فوق يده وروى
ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من اهل النار لم ارهما
قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات
عاريات مائلات ممايلات رؤسهن كاسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن
ريحها وقال تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا
فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وفي الاية تاويلان
احدهما امرناهم بالطاعة ففسقوا اي خرجوا عن الطاعة والثاني
على قراءة المدايني كثرنا عددهم واسبغنا النعم عليهم فعصوا وتباعدوا
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة
اي كثيرة النتاج واعلموا ان حشرات الارض وهوامها تلعن العصاة
وقال مجاهد اذا اشتعت الارض تقول البهائم والهوام هذا من
اجل عصاة بني ادم لعن الله عصاة بني ادم فذلك قوله اولئك يلعنهم
الله ويلعنهم اللاعنون وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

انا مالك

فيما نصره مظلوما كيف نصره ظالما

اي موئمره مصلوحه

اذا اشتعت الارض فظر بعاهم

ان الحسد ليموت هزلا ويذنب بن ادم يعني ان بذنوب الخلق يمتنع
المطر ولاينبت الارض فتهلك الدواب والحشرات وسمع اباهريرة رجلا
يقول ان الظالم لايضر الا نفسه وقال بن مسعود خطية بن ادم قتلت
الحسل والحشرات وروى مسلم في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع
حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة واوجب له النار قال رجل وان
كان شيئا يسيرا يارسول الله قال وان كان قضيبا من اراك وقال
بن مسعود ما ظهر الغلول في قوم الا القى الله في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنا في
قوم الا كثر فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع عنهم الرزق
ولا حكم قوم بغير الحق الا فشا فيهم الدم ولا خان قوم العهد الا سلط عليهم
العدو وقال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند
القدرة قدرة الله عليك ولا يعجبنك امرء رجب الذارعين يسفك الدما
فان له قاتلا لا يموت وروى ان بعض الملوك رقم على بساطه هذه
الابيات

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا ۞ فالظلم مرتعه يفضي الى الندم
تنام عينك والمظلوم منتصب ۞ يدعو عليك وعين الله لم تنم
لا شك دعوة مظلوم يصل بها ۞ دار الهوان ودار الذل والنقم
وانشدني قاضي القضاة ابو عبد الله الدامغاني ببغداد
اذا ما هممت بظلم العباد ۞ فكر واذكر الهول يوم المعاد
فان المظالم يوم القصاص ۞ لها قد تزود هاشر زاد

وقال سحنون بن سعيد كان يزيد بن حاتم يقول والله ما هبت
بشر اقط هيبتي رجلا ظلمته وانا اعلم لا ناصر له الا الله فيقول لي حسبك

فقال بل والله حق ان الحسنات ليموت في وكرها بظلم الظالم

وقد رحم الله وحرم غيبة الحيوان

ابن المهلب بن ابي صفرة

الله بيني وبينك وقال بلال بن سعيد اتق الله فيمن لا ناصر له الا الله
وقال ابو سليمان الداراني لما دخل اصوة يوسف عليه السلام عرفهم
ولم يعرفوه فكان على وجهه برقع فخلى بكبيرهم وكان بن خالته فقال له
بما اوصاك ابوك قال يا ربع قال ما هن قال لي يا بني لا تتبع هواك
وتفارق ايمانك فان الايمان يدعو الى الجنة والهوى يدعو الى النار و
لا تكثر منطقك فيما لا يعنيك فتسقط من عينه ولا تتشبث بريبة الظن
فلا يستجيب لك ولا تكن ظالما فان الجنة لم تخلق للظالمين فبكى
علي بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك فقال ابكي على من ظلمني اذا
وقف غدا بين يدي الله فعالى لم يكن له حجة وقال محمود الوراق

اني وهبت لظالمي ظلمي ۞ وعفرت ذاك له على علم
وداريته اسدا الي يدا ۞ ابان بجهله حلم
رجعت اساءته عليه ۞ واحساني مضاعف الجرم
وعذوت ذا الجرو محمدة ۞ وغدى يكسب الذم والاثم
مازال يظلمني وارحمه ۞ حتى بكيت له من الظلم
فكانما الاحسان كان له ۞ وانا المسيء اليه في الحكم

ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي
على من ظلم من لا يجد ناصرا غيري وقال بن مسعود لما كشف الله
العذاب عن قوم يونس ردوا المظالم حتى ان كان الرجل ليقلع
الحجر من اساسه فيرده وقال ثور بن يزيد الحجر في البنيان من
غير صلة عربون على خرابه وقال غيره لولا ان الجنة اسست وهي دار
البقا على حجر من الظلم لاوشك ان تخرب وقال الحكيم العدل تنور

والظلم ظلمة يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما رأيت رجلا اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن الزبير وما رأيت رجلا اشد تعظيما لحرمات الله من ابن الزبير وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما رأيت رجلا اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن الزبير وما رأيت رجلا اشد تعظيما لحرمات الله من ابن الزبير وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما رأيت رجلا اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن الزبير وما رأيت رجلا اشد تعظيما لحرمات الله من ابن الزبير

والظلم ظلمة بالعدل تحن اليك الحوائج وبالجور تهجم عليك الحوائج
فاحذر من لا جنة له الا التقة بنزول العفو ولا سلاح له الا الابتهال
الى مقلب القلوب وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب يا حشر
الظلمة لا تجالسوا اهل الذكر فانهم اذا ذكروني ذكرتهم برحمتي واذا ذكروني
بي ذكرتكم بعقوبتي وقال ابو امامة يجيء الظالم يوم القيمة حتى اذا
كان على جسر جهنم القاه المظلوم وعرف ما ظلمه به فما يبرح الذين ظلموا
حتى الذين ظلموا حتى ينزعوا ما بين ايديهم من الحسنات فان لم يجدوا
حسنات حمل عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموا حتى يردوا الدرك الاسفل
من النار وفي صحيح مسلم ان هشام بن حكيم مر بالشام على اناس
قد اقيموا للشمس وصب على رؤسهم الزيت فقال ما هذا قالوا لهذا
بون في الخراج قال اما اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا اخبرني رجل ممن كان
يقرأ العلم بالاسكندرية قال كان هاهنا شيخ عينا على الملكا
سيره يدور حولهم فرآنية في النوم بعد وفاته فقلت له ما فعل
بي فقال لا تسأل فاعدت عليه فقال لا تسأل فسألته قال دخلت
الجحيم قلت له فاين تذهب قال الى مثل الدار التي خرجت منها
قلت فكيف لقيت قال وما ذاك لقيت كان لحمي جعل في هاون ودق
حتى صار مثل المخ واخبرني رجل من اهل العلم والدين قال
رأيت فلانا البياع في النوم بعد وفاته فقلت له ما ذا فعل
الله بك قال انا محبوس عن الجنة قلت بما ذا قال كنت ابيع
في الدكان ويزدحم الناس علي فاخذ دراهمهم فاضعها في فمي وكلما

بلعنتي ص

فرغت وزنتها واعطيت كل انسان حقه فاختلط في فمي دراهم رجلين
ودفعت لاحدهما دراهم صاحبه وكانت انقص من دراهمه ثم حوسبت
وبقي علي حبة قلت فادفع الحبة وتخلص فجعل يقلب كفيه ويقول من اين
ادفع اليه بكر دهامرات ويروى ان يونس عليه السلام لما نبذ بالعراء و
انبت الله عليه شجرة من يقطين كان يأوي الى ظلها فيستحي فبكا عليها
فاوحى الله تعالى اليه تبكي على شجرة فقدتها ولا تبكي على مائة الفا ويزيدون
اردت ان اهلكهم قيل لابن السماك الا ترى ايام معاوية كيف تركت
الناس قال مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي وقال بعض الحكما
افقر الناس اكثرهم كسبا من حرام لانه استدان بالظلم ما لا يرد له
من رده وقال رجل كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فذكر الحجاج فسبه رجل
ووقعت فيه فقال عمر ان الرجل لينظلم بالمظلمة فلا يزال المظلوم يشتم
الظالم ويسبه حتى يستوفي حقه ويكون للظالم فضل عليه وقال عمر
بن دينار نادى رجل في بني اسرائيل من رآني فلا يظلمن احدا فسئل عن
حاله فقال كنت اسير على شاطئ البحر في بعض سواحل الشام اذ ورث
بنبطي قد صاد سبعة اثوان فاخذت منها نونا وهو كاره بعد ان
ضربت راسه فعض النون ابهامي عضة شديدة ثم اكلها فوقعت
الاكلة في الابهام فاتفقت الاطباء على قطعه فقطع فوقعت في الكف
ثم في الساعد ثم في العضد فمن رآني فلا يظلمن احدا فخرجت اسيح في البلاد
واريد قطع العضد اذ رفعت لي شجرة فاويت الى ظلها فنعست
فقيل لي في المنام لاي شيء تقطع اعضاءك رد الحق الى اهله فجئت الصياد
فقلت يا عبد الله انا عملوك فاعفني فقال ما اعرفك فاخبرته فبكى و

ذراعه من عضده
ها فاذا ذهب ذراعه من اعلى
وهو يبكي ويقول من رآني
فلا يظلمن احدا

تضرع وقال انت فى حل فلما قالها تناثر الدود من عضدي وسكن
الوجع فقلت له ماذا دعوت على قال لما ضربت راسي واخذت السمكه
مني نظرت الى السماء وبكيت وقلت يارب اشهد انك عدل تحب
العدل وهذا منك عدل وانت حق وهذا منك حق وخلقتني و
خلقته وجعلته قويا وجعلتني ضعيفا فاسئلك بالذي خلقتني و
خلقته ان تجعله عبرة لخلقك وقال معاوية اول الناس بالعفو
اقدرهم على الانتقام وانقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه وقال
بعض الحكما الظلم على ثلاثة اوجه ظلم لا يغفره الله وظلم لا يتركه الله
وظلم لا يعبأ الله به شيأ فاما الظلم الذي لا يغفره فهو الشرك بالله و
واما الظلم الذي لا يعبأ الله به فظلم العبد فيما بينه وبين الله تعالى
وقال ميمون بن مهران من ظلم رجلا مظلمة فعليه ان يخرج منها
فاستغفر له دبر صلاة رجوت ان يخرج من مظلمته وقال يوسف
بن اسباط توفى رجل من الحواريين فوجد واعليه وجدا شديدا وشكوا
ذلك الى المسيح فوقف على قبره فدعا فاحياه الله وفى رجليه نعلان
من نار فساله عيسى عن ذلك فقال والله ما عصيت قط الا انى مررت
بظلوم فلم انفره فنعلت هذه النعلين واما انا فاوصيك اذا فعلت
باحد مكروها فاذع الله تعالى واستغفر له كما فعل موسى عليه السلام
لما آذى هرون عليه السلام واخذ بلحيته وراسه ثم تبينت له برأته
بان بنى اسرائيل غلبوا عليه وعلى عبادة العجل فقال رب اغفر لى ولاخى
وادخلنا فى رحمتك وانت ارحم الراحمين وروى ان قوم لوط كانت
فيهم عشر خصال اهلكهم الله بها كانوا يتغوطون فى الطرقات و

واما الظلم الذى لا يترك الله فظلم العباد ضه

الاشجار المثمرة وفى المياه الجارية وعلى شطوط الانهار وكانوا يحذفون الناس
بالحصا فيعودونهم فاذا اجتمعوا فى المجالس اظهروا المنكر باخراج الريح
منهم واللطم على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل الغائط ويأتون بالطامة
الكبرى وهى اللوطية قال الله تعالى انكم لتاتون الرجال وتقطعون
السبيل وتاتون فى ناديكم المنكر والنادى المجلس ويلعبون بالحمام ويرمون
بالجلاهق وضرب الدف وشرب الخمور وقص اللحيه وتطويل
الشارب والتصفيق ولبس الحمره وتزيد عليهم هذه الامة اتيان النساء
بعضهن بعضا وانما حملهم على اتيان الرجال انهم كانت لهم ثمار كثيرة فى
منازلهم وحوايطهم فاصابهم سنة قحط وقلة من الثمار فقالوا باى شئ
نمنع ثمارنا حتى لا يطرقها الناس فاصطلحوا على ان من وجدوه فيها
للحوه واغرموه اربعة دراهم ففعلوا وما سبقهم اليها من احد من العالمين
قال ابن عباس فكان بدو الفاحشة فيهم انهم هموا بذلك فجاءهم ابليس
فى هيئة اجمل صبي رواه فنكحوه واجتروا على ذلك وقال ابو العتاهيه

الا واسه ان الظلم شوم ... ولكن المسئ هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضى ... وعند الله تجتمع الخصوم
ستسئل الايام عن ام تقتضت ... ستخبرك المعالم والرسوم

وروى ان انوشروان كان له معلم حسن التاديب فعلمه وفاق فى العلوم
فضربه المعلم يوما من غير ذنب فاوجعه فحقد انوشروان عليه فلما
ولى الملك قال له ما حملك على ضربى يوم كذا وكذا ظلما قال لما رايتك ترغب
فى العلم رجوت لك الملك بعدابيك فاحببت ان اذيقك طعم الظلم ليلا
تظلم اذا وليت فقال انوشروان زه وقال عبد الرحمن جمع زياد بن ابيه

قوله زه هذه كلمة تقولها الاعاجم اذا استحسنت الشئ

الناس بالكوفة في امارته عليهم ليعرضهم على العدو امير المؤمنين علي بن ابي طالب
والبراة منه فلما اتم المسجد والرحبة والقصر وكان على الناس يوم عظيم
قال وكنت في القوم فاعفيت اعفاة ومعي اناس من اصحابي من الانصار
فرايت في منامي شيخا قد اقبل طويل العنق اهدب الهدب فقلت
له من انت قال انا النعمان بن المنذر واكرقبة بعثت الي صاحب هذا القصر فا
استيقظت فزعا فاخبرت اصحابي بالذي رايته فوالله كان ريث ناقة
وانا في الحديث اذ خرج علينا حاجب زياد فقال ايها الناس انصرفوا
فان الامير عنكم مشغول فاذا هو قد ضربه الله سبحانه في تلك الساعة
بالفالج وروي ان عبد الله بن مصعب الزبيري سعا ل الرشيد يعني عبد الله
بن حسن الطالبي فجمع الرشيد بينهما فقال له يحيى واسمعا امير المؤمنين
لقد قال في باطلا وانا مستحلفه قال عبد الله انا احلف له فقال قل
ان الحول والقوة دون حول الله وقوته الى حولي وقوتي ان لم اكن
صادقا فيما ادعيته عليك فلجلج وامتنع من اليمين فغضب الرشيد
وقال له ان كنت صادقا فاحلف فحلف بهذا اليمين فقال يحيى الله
اكبر لا يحلف بها احد كاذبا الا عجل فاخذ في يومه وضربه الله بالجذام
وسود وجهه وبدنه قال سليمان بن جعفر لقد دخلت عليه في اليوم
الثالث من بليته قبل وفاته بيوم فوالله ما عرفته وجدته كالزنجي و
قد تقطع جذاما وروى ان مالك بن دينار دخل على بلال بن ابي بردة
فقال له بلال ادع الله لي ايا يحيى قال وما ينفعك دعائي وبالباب
ما يتان يدعوان عليك الله ومثل ذلك قول سليمان بن عبد الملك
لابي حازم ادع الله لي فقال انا ادعو الله لك هاهنا ومظلوم بالباب

يدعو الله عليك فاي الدعوتين احق بالاجابة وكان سابق مول
بني هاشم يقول في دعائه اللهم قد صاد فينا دولة بعد القسمة والمرتنا
عليه بعد المشورة وعهدنا امير اتا بعد الاختيار للامة واشتريت
الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والارملة وحكم في اشعار المسلمين اهل
الذمة وتولى القيام باموره فاسق كل محله اللهم وقد استحصد
زرع الباطل وبلغ نهايته واستجمع طريقة فاتح له من الحق يدا حا
صدة تبدد شمله وتفرق امره ليظهر الحق في احسن صوره والتم نور
وقال شوذب قال عمر بن عبد العزيز يذكر الظلمة الوليد بالشام و
الحجاج بالعراق وقرة بن شريك بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز ومحمد بن
يوسف باليمن امتلاءت والله الارض جورا فاما ظلم الوليد
فقال عبد الرحمن بن محمد الانصاري رايت ابيات النبي صلى الله عليه وسلم
وعليها المسوح السود فلما قدم الوليد المدينة نظر الى ابيات النبي صلى
الله عليه وسلم يدخلها الجنب والحائض فقال اهدموها فهدموها
فقال حبيب بن عبد الله بن الزبير عمد الى اية من ايات الله كنا ننظر
اليها فمحاها فبلغت كلمة الوليد فكتب الى خليفته اقم حبيبا على باب
المسجد فاضربه مائة سوط ثم اقمه على البيدر يفزع بالبكرة وكان في
يوم شديد البرد فمات وقال الشعبي دخلت على يزيد بن هبيرة
فوالله لقد اردت كلمة ارضي بها اميري ولا اسخط خالقي فما قدرت
عليها ونظر رجل الى ابي يوسف القاضي وعليه خلعة الرشيد فقال
حبذا لو اخذ عنك ديني فاذا انت في زي قارون وقال وهب
بن منبه اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام اذا لم تكن ظالما فلا تصحب

الظالمين متحوّن في عيني وقال به عباس يكون في آخر الزمان قوم يتهمون
عن ايتان الولاة ولا ينهون يباعدون الفقراء ويقربون الاغنياء ويقبضون
عند الحقراء ويبسطون عند الكبراء اولئك الجبارون اعداء الرحمن وقال علي
به ابي طالب رضي الله عنه يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور
على المظلوم وروى ان عيسى عليه السلام بينما هو في سياحته اذا بفارس قد
نزل على شاطئ نهر فاكل وشرب ثم ركب وانصرف ونسي كيسا كان معه فاقبل
صبي فاخذ الكيس ومضى ثم اقبل شيخ فتوضا وصلى ونام فذكر الفارس
الكيس فرجع فايقظ الشيخ وساله عن الكيس فانكر ان يكون وجد
شيئا فانتزع سيفه فقتله فقال عيسى عليه السلام يا اكرم الاكرمين
الصبي اخذ الكيس وقتل الشيخ فاوحى الله اليه ان ابا الفارس ظلم الصبي
على الكيس والشيخ قتل ابا الفارس وانشدوا

يا ذا الذي ليس له زاجر ... عن ظلم امثالي ولا ناهي
ان لمه قوم اذا اوعدوا ... تواعدوا والموعود بالله

الباب السابع والخمسون في الشعاية والنميمة وقبحها

قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير
معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم فذكر الله تعالى في القرآن اصناف اهل
الكفر والالحاد والتثليث واهل الزهو والفسق والظلم واشباههم
ولم يسم سبحانه احدا منهم الا النمام في هذه الآية وحسبك بهذه
خسة ورذيلة وسقوطا وضعة وهذه الآية نزلت في الوليد بن
المغيرة في اصح الاقوال والعتل في اللغة الغليظ الجافي واصله من العتل
وهو الدفع بالعنف قال به عباس العتل الشديد المنافق وقال

عبيد

فتركها ثم ندم فقال لغلامه قم فاقتص اثري فاتبع الغلام فلم يزل يتبع
حتى قام فاخذ بابزه ثم قال اعركك وهو يقول شتمتني حتى عرف عثمان
انه يلمح ثم قال واها للقصاص الدنيا من قصاص الآخرة وروى
عون بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا خادما له فلم يجبه
لما كان نائما وما كان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا القصاص لا
وجعتك وروى بن وهب عن مالك في موطائه عن بن شهاب قال وقد قاد
النبي صلى الله عليه وسلم والخليفتان من انفسهم ليستن بهم ولم يتعدوا
صيغا وكانوا سلاطين وفي صحيح مسلم روى ابو هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اتدرون ما المفلس قالوا المفلس من لا متاع له ولا
درهم قال ان المفلس من امتي يأتي يوم القيمة بصلاة وزكاة وصيام
ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا
وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل
ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم وطرحت عليه ثم القي في النار
قال مالك بلغني ان ابا بكر الصديق لما ولي ضرب رجلا ثم ندم
وقال مالي ولهذا فحكم الا رددتها عليهم فسمعته عائشة رضي الله
عنها فارسلت الى عمر رضي الله عنه فجاء عمر فقال اني ضربت رجلا و
كنت معافى من هذا ان اضرب فقال عمر كذلك الامام قال فالمخرج
قال ان تاتي الرجل فتساله ان يجعلك في حل فاتيا فاستحلاه ولت
الاثار على ان الامير والمامور في القصاص سواء اذا جنا احدهما على
الاخر وان الامير اذا ظلم المامور لم تامره عليه في ذلك المعنى
وكان الامير في ذلك المعنى كبعض المؤمرين حتى يتحاكما الى السلطان

قدم
منهم

وهذا من حسناتهم

الخلافه

الاعظم وكان عمر يقول انما بعثت عمالي ليعلموا الناس دينهم ويقسموا
بينهم فيئهم ولم ابعثهم ليضلوا ابشارهم ويخلقوا اشعارهم فمن ظلمه
اميره فلا امرة له عليه دوني حتى اخذ له بحقه فقال عمرو بن العاص
يا امير المؤمنين الادب رجل رجلا من رعيته ليقتص له منه فقال
كيف لا اقتص منه وقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه
فاما القصاص بين البهائم فاختلف في حشرها وفي جريه
القصاص بينها فكان ابن عباس يقول حشرها موتها وحشر كل شيء
الموت الا الجن والانس فانهما يتوافيان يوم القيامة وقال معظم
المفسرين انها تحشر ويقتص لها وقال الجبائي كعب تحشر البهائم و
قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب وقال ابو هريرة ما من دابة
في الارض الا تحشر يوم القيامة ثم يقتص لبعضها من بعض ثم
يقول لها كوني ترابا واقرا ان شئتم وما من دابة في الارض ولا طائر
يطير بجناحيه الا امم امثالكم الى قوله ثم الى ربهم يحشرون وقال ابو
الحسن الاشعري لا يقطع باعادة البهائم والجمادات ومن لم يبلغه الدعوة
ويجوز ان يعاد وا ويدخلوا الجنة ولا يعادوا والدليل على ثبوت الدعوة
الاعادة في الجملة قوله تعالى واذا الوحوش حشرت وقوله وما من دابة
في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ثم قال الى ربهم يحشرون
وروى مسلم في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من
الشاة القرناء وقال ابو ذر انتطحت شاتان عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اتدرون فيما انتطحا قلنا لا ندري قال لكن الله يدري وسيقضي

بينهما وقال ابو ذر لقد تركنا النبي صلى الله عليه وسلم وما يقلب طائر جناحه في السماء
الا ذكرنا منه وقال ابو ذر ان الحجر ليسئل عن نكبة اصبع الرجل وفي الحديث
الصحيح عند مسلم والبخاري وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لياتين احدكم
على رقبته بعير له رغاء على رقبته بقرة لها خوار على رقبته شاة تيعر ثم
يبسط لها بقاع قرقر فتطؤه باظلافها وتنطحه بقرونها كلما مرت عليه
اولاها عادت اخراها والحديث وارد في مانع الزكاة وقال ابو الحسن
الاشعري في المقاصة بين البهائم لانها غير مكلفة ولا يجري عليها القلم
قال وما ورد في ذلك من الاخبار نحو قوله عليه السلام يقتص للجماء
من القرنا وسئل العود لم خدش العود فعلى سبيل المثل والاخبار عن
شدة التقصي في الحساب وانه لابد ان يقتص للمظلوم من الظالم
واتى ذلك الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني في الجامع الجلي وقال يجري
القصاص بينهما قال ويحتمل انها كانت تعقل هذا القدر في دار الدنيا
فلهذا جرى فيه القصاص قلت وكلام الاستاذ له وجه في
الصحة لان البهيمة تعرف النفع والضر فتفر من العصا وتقبل
للعلف وينزجر الكلب اذا زجر ويتكاسل اذا اشتكى والطير
والوحش يفزعن من الجوارح استدفاعا لشرها فان قيل القصا
ص انتقام وهو جزاء على جناية وقعت مخالفة للامر والبهائم ليست
مكلفة ولا لها عقول ولا جاءها رسول والعقول عندكم لا
يجب بها شيء فما على العقلاء فضلا عن البهائم وفي هذا انفصال
عن قول الاستاذ انها كانت تعقل هذا القدر اذ لا يجب بالعقل
شيء ويشهد له قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

فالجواب انها ليست مكلفة لان من ضرورة التكليف ان يعلم
الرسول والمرسل وذلك من خصائص العقلا وهم الثقلان
واذا لم يكن مكلفا كانوا في المشيئة يفعل الله بها ما اراد كما سلط عليها
في الدنيا الاستسخار والذبح فلا اعتراض عليه والله يفعل في ملكه
ما يشاء من تنعيم وتعذيب واذا جاز ان يولم البهيمة ابتداء
جاز ان يولمها بعد حياتها والاية محمولة على من يعرف الرسول والمر
سل ويجوز ان الله تعالى خلق لها العلم الضروري بالعلم من ذلك
لم لم يجر عليها القلم في الدنيا لرفع الاحكام عنها لكن يوخذ فيها تنبيها
لها وقد روى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الوزغ فانه
كان ينفخ على ابراهيم عليه السلام فهذا بعجها عوقبت بصنيع سوء
جنسها وفيه دليل على ان الله يعذب بحكمه لا بالمعصية وقد ضرب
موسى الحجر الذي فر بثوبه وبنو اسرائيل ينظرون عورته رواه البخاري
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ضربه بعصاه والحجر يفر وموسى يقول
يا حجر ثوبي قال ابو هريرة والذي نفسي بيده ان للندب الحجر ستة او
سبعة وروي في تفسير قوله تعالى وقودها الناس والحجارة انها
التي تنكب الناس في الدنيا ويروى ان المسيح مر بجبل فسمع انينه
فسئله عن ذلك فقال سمعت الله يقول وقودها الناس والحجارة
فلا ادري اكون من تلك الحجارة ام لا وقد تاول بعضهم قول ابن عباس
حشرها موتها تحشر لضرب القصاص بينها ثم تصير ترابا قلت
وتاويل ابن عباس بعيد لان الحشر الجمع وليس في موتها جمعها بل فيه
تفريقها وتمزيق اجزايها ثم قال الى يهم يحشرون وانما يكون الحشر

الى

الى الرب لا عاة الحياة اليها وجمعها الى ربها جل وعلا انباب

التاسع والخمسون في الفرج بعد الشدة قال الله تعالى وهو
الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وقال سبحانه امن يجيب
المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال سبحانه ان مع العسر يسرا
فقد جاءكم وقال الحسن لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم
ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود
والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر لن يغلب عسر يسرين
ومعنى الاية لما عرف العسر ولام اليسر ومن عادة العرب اذا اعادت
اسما معرفا ثم اعادته فهو ذاك واذا نكرة ثم كررته فهو اثنان وقال
ان يكن مالك الزمان بلوى عظمت شدة عليك وجلت
ويلها لو اذع باكيات سيمت دونها الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها فالرزايا اذا تولت تولت
فاذا اوهنت قواك وجلت كشفت عنك جملة فتجلت
وقال ابن عباس رضي الله عنهما اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام
اسماعيل عليه السلام اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاءها
ابراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند
البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلا المسجد وليس بمكة يومئذ
احد ولا ماء بها فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاية
ماء ثم قفل ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل وقالت يا ابراهيم
اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه ونرددت ذلك مرارا
وهو لا يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا

بحيث استقبل
ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية لا يرونه
البيت بوجهه ثم رفع يديه ودعا بهذه الدعوات وقال ربنا اني اسكنت
من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ لعلهم يشكرون
وجعلت ام اسمعيل ترضعه وتشرب من الشقا فلما نفد عطشت
وابنها وهي تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه وفي رواية
اخرى وقال يا اسمعيل مت حيث لا اراك فوجدت الصفا اقرب
جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل
ترى احدا فلم ترى احدا ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت
الوادي ثم اتت المروة وقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر
احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
فذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت
صه تريد نفسها ثم سمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان
عندك غياث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه
او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا
وتغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف منها فقال النبي صلى الله
عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل عليه السلام لو تركت زمزم او قال لو لم
تغرف لكانت عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال
لها الملك لا تخافوا ضيعة فان ها هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام
وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت يومئذ تلا مرتفعا
من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وشماله فكانت
كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين
من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا
الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا
جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم بالماء فاقبلوا
قال وام اسمعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك
فقالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال
النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهي تحب الانس
فنزلوا فارسلوا الى اهاليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل
ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم
اليه حين شب فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت ام اسمعيل
فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل
فسأل امراته عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم
وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه فقال
فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه
فلما جاء اسمعيل كانه آنس شيئا فقال هل جاءكم من احد قالت
نعم اتانا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته وسألني كيف عيشنا
فاخبرته اننا في جهد وشدة قال فاوصاك بشيء قالت نعم امرني
ان اقرأ عليك السلام ويأمرك ان تغير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد
امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث
عنهم ابراهيم ما شاء الله ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امراته
فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم
فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله فقال ما طعامكم قالت
اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم
والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان
لهم دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم
يوافقاه قال فاقرئي عليه السلام ويأمرك ان تثبتي عتبة بابك
فلما جاء اسمعيل قال هل جاءكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن
الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا
فاخبرته اننا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلام
ويأمرك ان تثبتي عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان
امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك فوجد اسمعيل
يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا
كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله
امرني بامر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال وأعينك
قال فان الله امرني ان ابني ها هنا بيتا وأشار الى اكمة مرتفعة على ما
حولها قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتي
بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه
له فقام عليه وهو يبني وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع
العليم قال فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا
تقبل منا انك انت السميع العليم

قال

قال فاجتنبهم الناس وتغيروا لهما حتى تنكرت لهما الارض بما رحبت
فما نزل منها وكنت اطوف في الاسواق واشهد الصلاة مع المسلمين
ولا يكلمني احد واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه واقول
في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام ام لا فلما طال ذلك علي من
جفوة الناس تسورت جدار حايط لابي قتادة وهو ابن عمي واحب
الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فلما كملت خمسون
ليلة من يوم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامنا صليت صلاة الفجر
وانا على ظهر بيت من بيوتنا جالسا على الحالة التي ذكر الله قد
ضاقت علي نفسي والارض بما رحبت وما كان شيء اعظم علي من ان
اموت فلا يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم او يموت النبي صلى الله عليه وسلم
فاكون بين الناس في منزلة لا يكلمني احد ولا يصلي علي احدا فانز
ل الله تعالى توبتنا وسمعت صوت صارخ في اعلا الجبل يقول يا
كعب بن مالك ابشر فخررت ساجدا وعلمت ان الفرج قد جاء
فجعلت تؤتى علي الصارخ ببشراه قولا والله ما املك غيرهما ثم
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه ووجهه يبرق من السر
ور فقال ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قلت يا
رسول الله ان من توبتي ان اخلع من مالي صدقة الى الله ورسوله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك فهو خير لك وذكر
ان ابراهيم عليه السلام لما شب ودرج من موضع تربيته جن عليه الليل
فراى كوكبا يقال له الزهرة قال هذا ربي فلما افل قال لا احب
الافلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل بعد طلوع الفجر قال

ليه لم يهد بي ربي لاكونن من القوم الضالين فلما اصبح ورأى الشمس بازغة
قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قومي اني بري مما تشركون
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من
المشركين وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء
علما افلا تتذكرون قالوا يا ابراهيم اما تخاف من الهتنا ان تخبلك
او تصيبك بسوء لا تقوم له ان انت سبتها وعبتها قال وكيف
اخاف ما لا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به
عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون وكان ازر ابوه
يصنع اصناما يعبدها فوجه ثم يعطيها ابراهيم عليه السلام ليبيعها
فيكسرها ويذهب بها الى نهر لهم ويصبها فيه على رؤسها ويقول لها
اشربي استهزاء بها واظهارا لقومه فساد ما هم عليه فغشي ذلك
عندهم من غير ان يبلغ ذلك نمرود فاول ما بادى قومه ان نظر
في النجوم فقال اني سقيم يعني من الغيظ عليهم وعلى اصنامهم فظنوا
انه مطعون وكانوا يفرون من الطاعون اذا سمعوا به فتولوا عنه
مدبرين فراغ الى الهتهم فدخل عليها وقد وضعوا لها طعاما وشرابا فقال
لها الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فاقبل فراغ عليهم ضربا باليمين فكسرها
وقطع ايديها وارجلها حتى صيرها جذاذا وارى طعامها وشرابها
وعمد الى فاس فعلقه بيد الهتهم العظما ثم خرج عنها وتركها
وعند رجوع قومه من عيدهم دخلوا بيت اصنامهم فلما رأوها
ما صنع بها راعهم ذلك وعظموه وقالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن

الظالمين

الظالمين فقال بعضهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قال النمرود
فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون فلما اتي ابراهيم قالوا ءانت
فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان
كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم فقالوا انا قد ظلمناه بما نسبنا اليه
ثم قالوا وقد عرفوا انها لا تضر ولا تنفع لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما
تعبدون من دون الله افلا تعقلون قال النمرود حين سمع ذلك
منه صف لي الهك الذي تقبده وتدعو الى عبادته قال ابراهيم ربي
الذي يحيي ويميت قال نمرود انا احيي وامنيت قال وكيف ذلك قال
اخذ رجلين قد استوجبا القتل في سلطاني فاقتل احدهما فاكون
قد اميته واعفي عن الاخر فاكون قد احييته فقال ابراهيم فان كنت
صادقا فاحيي الذي قتلت بزعمك فاخرج روحا من جسد من غير
ان تقتله وان كنت صادقا فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات
بها من المغرب فبهت الذي كفر فبهت عند ذلك نمرود ولم يرد على
نمرود ابراهيم شيئا وامر به الى السجن فلبث فيه سبع سنين وجعل يدعو
اهل السجن الى الاسلام والى الله حتى ظهر امره وفشى واتبعه قوم كثير
على دينه فلما اراد الله ان يحرق ابراهيم عليه السلام واجتمع لذلك
بنو حيران طول جداره ستون ذراعا وعرضه الى سمك جيل منيف
لم يرام ولا يرقا وبطن الجدار فلا يمشي فيه احد الا زلق عنه واذن نمرود
نمرود ايها الناس احتطبوا النار لابراهيم ولا يتخلف عن ذلك
انثى ولا ذكر ولا حر ولا عبد ولا شريف ولا وضيع ومن تخلف عن ذلك

القى في النار فعلوا في ذلك اربعين ليلة حتى ان المراة منهم لتجعل ذلك نذرا
على نفسها ان رجع غايبها او افاق عليلها فلما كمل ذلك قذفوا فيه النار حتى كان
يسمع وهجها على المسافة البعيدة فلما فرغ من ذلك وضع ابراهيم في كفة
المنجنيق وقال وهب بن منبه بلغني ان السماء والارض والجبال
ضجت الى الله سبحانه ضجة واحدة وقالت ربنا ليس في الارض احد يعبدك
غيره فاذن لنا نكلمه في نصرته فاوحى الله تعالى اليها انه استغاث بكم فاغيثوه
وان دعاني فانا وليه وناصره فلما وضع في كفة المنجنيق وقذف في النار
قال حسبي الله ونعم الوكيل اللهم انك تعلم اني في بك وعداوة قومي فيك
فانفرج عليهم وجعلني من النار فاوحى الله تعالى اليها كوني بردا وسلاما
على ابراهيم فاطاعت النار ذلها ولولم يقل سلاما لمات من شدة
البرد ولبث فيها سبعة ايام وظن قومه انه قد احترق قال نمرود انظروا
ماذا فعل ابراهيم فاني رايت الليلة في النوم ان جدارهكذا هذا
الحيز قد تهدم وخرج ابراهيم يمشي فاطلعوا على ابراهيم فراوه صحيحا
سليما والنحاس الذي سد به باب الحيز قد ذاب واحترق الجدار
فصار رمادا وخرج الناس ينظرون اليه على تلك الحال فلما راهم خرج
يمشي على قصد امه وهي في الجمع وقعد اليها واقبلت ساره وجلست اليه
وكانت اول من آمن به وقالت يا ابراهيم آمنت بالذي جعل عليك النار
بردا وسلاما قالت لها امة احذري القتل على نفسك فقالت اليك
عني فاني لا اخاف شيئا واني آمنت بالله ابراهيم والناس في جمع لا يحصى
عددهم الا الله حول ابراهيم عليه يامرون في عذابه فارسل الله عليهم ريحا
عاصفا فسفت رماد النار في وجوههم وعيونهم فعموا عنه وقام ابراهيم

عليه السلام داعيا الى الله وذكر انه وقال مجاهد وقتادة وغيرهما
ان نبي الله سليمان عليهما السلام انطلق الى الحمام ومعه جني يقال له صخر وكان
سليمان عليه السلام يدخل الخلا بخاتمه فدخل الحمام واعطى الشيطان
خاتمه فالقاه في البحر فالتقمته سمكة وسلب سليمان ملكه والقي على
الشيطان شبهه سليمان فجلس على كرسيه وتسلط على جميع ملكه
غير نسائه وجعل يقضي بين الناس والناس ينكرون ما قضيته حتى
قالوا قد فتن نبي الله سليمان وبقي سليمان عليه السلام اربعين يوما
جايع تايع حتى اتى الى ساحل البحر فراى صيادين فاستطعم احدهم
صيدا واخبره ان سليمان فقام اليه وضربه بعصاه فشجه واقبل
يغسل الدم عن ساحل البحر ولام الصيادون صاحبهم على ضربه اياه ثم
اعطوه سمكتين قد تغيرتا عندهم فلم يشغله حاله وما كان من
ضربه ان قام وشق بطونهما وغسلهما فوجد خاتمه في بطن احدهما
فاخذه وتختم به فرد الله عليه ملكه وملكه وصفت الطير عليه فعرف
القوم انه سليمان فجاءوا يعتذرون اليه وروى وهب بن منبه
ان الله تعالى لما وهب لابراهيم عليه السلام اسحق وبلغ سبع سنين
اوحى الله اليه ان يذبحه وان يجعله قربانا فلما اتم ابراهيم عليه السلام
ذلك امر اسحق وامه وجميع الناس وامر ذلك الى خليل له يقال له العاذر
وكان اول من آمن به من قومه يوم رمي في النار فقال ان الله سبحانه
رفع اسمك في السما على جميع اهل السما حتى صرت ارفعهم بليه ليرفعك
الله بذلك في اعلا المنازل والفضايل وقد علمت ان الله لم يبتليك
بذلك ليفتنك ولا ليضلك فلا تيئس باس ظنك واعوذ بالله ان

ثم اقبل على حالته تلك

يكون ذلك معينا على الله سبحانه او سخطا بحكمه الذي حكم على عباده لكن حسن
ظن به فان عزم ربك على ذلك فكره عند احسن عمله بك ولا حول ولا قوة الا بالله
فتعزى ابراهيم عليه السلام بقوله واشتدت بصيرته فلما صعد به الجبل
قاله اسحق يا ابه اري معك اداة القربان فلما صعد به الجبل قال له اسحق
يا ابه اري معك اداة القربان ولا معك قربانا فقال ابوه القربان يا بني يعين
ربك فانظر اليه فان شاء رحم ابالك فلم يستعر اسحق فلما وافى اعلا الجبل قال له
ابوه يا بني ارسله يامرني بذبحك ويصيرك قربانا يرفعك اليه ويقبلك فانظر
ما ذا ترى فتهلل وجه اسحق عليه السلام واستبشر فقال له ابوه لقد
فجعتك يا بني بامرها فجع به والدوله واني لارى من سرورك بذلك وشكرك
لربك ما رجوت به العافيه والفرج فقال يا ابه لم يكن شئ في الدنيا احب الي
من بر بك وبامي وقد حرمنيه فاذا اردت ذبحي فاشدد وثاقي فاني
اخاف حين يفارقني عقلي واجد الم الحديد ان يتحرك عضو مني فيوذيك
واكره ان اختم بذلك عملي واذا فرغت من شاني فاقرا الي السلام مني وقل
لها لا تجزعي فقد احرز الله ابنك في حياته فلما فرغ منه وصيته عمد
ابراهيم اليه فعصبه بعمامته ما بين منكبيه الى كعبيه ثم كبه على وجهه كراهة
ان ينظر اليه فيرحمه اذا تشحط في دمه ثم ادخل يده تحت ذقنه فلما اراد
ان يمر السكين انقلبت فاوجس في نفسه ثم اعاد الثانيه فلما اراد ان يمر
على حلقه انقلبت فنودي يا ابراهيم قد صدقت الرويا انا كذلك نجزي
المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم هذا فداء ابنك
قد فديناه لك به فالتفت ابراهيم خلفه فاذا بكبش قد اوثق قرنه
الايمن على ساق شجرة فاخذه ووجهه الى مكة وكانت قبلته يومئذ

وذبحه وقضيه اسحق عليه السلام فلما فرغ منه قربا قربانا فرفعه الله
اليه وتقبله قال ابو هريرة ولما سار يوسف عليه السلام الى مصر واسترق
بعد الحزن جزع جزعا شديدا واقبل يبكي الليل والنهار على ابويه واخوته
ووطنه وابت تلاءه بالرق واحيا ليلة من تلك الليلة يدعو ربه تعالى و
يقول رب اخرجتني من احب البلاد الي وفرقت بيني وبين اخوتي
وابوي ووطني فاجعل لي من ذلك فرجا ومخرجا من حيث احتسب ومن
حيث لا احتسب وحبب الي البلاد التي انا بها وحببها لكل من يدخلها
وحبب الي اهلها وحببني اليهم ولا تمتني حتى تجمع بيني وبين ابوي
واخوتي في يسر منك ونعمة وسرور تجمع لنا به خير الدنيا والاخرة
انك سميع الدعا فاعلم في نومه ان الله تعالى قد استجاب لك دعاءك
واعطاك مناك ووريك هذه البلاد وسلطانها وجمع لك ابويك واخوتك
واهل بيتك فطب نفسا واعلم ان الله لا يخلف وعده فبدعا يوسف
عليه السلام صارت مصر محبوبة لكل من دخلها لا يكاد يخرج منها
قال قتادة ما سكنها نبي قبله ولا جمع الله له شمله وتكاملت فيه من
عليه اشتاق الى لقاء ربه فقال رب قد اتيتني من الملك وعلمتني
تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت ولي في الدنيا والاخرة
توفني مسلما والحقني بالصالحين ولما وجه سليمان بن عبد
الملك محمد بن يزيد الى العراق لاطلاق اهل السجون وقسم الاموال
صنيع عما يزيد به ابي مسلم فلما ولي يزيد به عبد الملك الخلافة
ولا يزيد بن مسلم افريقية واستخفى منه محمد بن يزيد فطلبه يزيد
فاتي به في شهر رمضان عند المغرب وفي يده عنقود عنب فقال له يزيد

www.alabdulgader.com

اذ راه محمد بن يزيد قال نعم قال اما والله لطال ما سالت الله ان يمكنني منك
من غير عهد ولا عقد فقال محمد وانا والله لطال ما سالت الله تعالى
ان يجيرني منك والله يعيذني فقال يزيد فوالله ما اجارك ولا اعاذك
والله سابقني الى روحك هلك الموت سبقته والله لا اكل هذه الحبة
حتى اقتلك فاقيمت الصلاة ووضع يزيد العنقود وتقدم يصلي
فكان اهل افريقية قد اجمعوا على قتله فلما ركع ضربه رجل بعمود فاسرعه
فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل
الامير واحيا الاسير سنة الله التي قد خلت في عباده طلوع الحياة من
شفار الموت وحصود الموت من معدن الحياة ويروى ان سلطانه
صقليه ارق ليلة ومنع نومه فارسل الى قايد البحر وقال له انفذ الان
مركبا الى افريقيه واتني باخبارها فعم القايد المركب وارسله في حينه
فلما اصبح المركب في موضعه لم يبرح فقال الملك للقايد الم تفعل ما امرتك به
قال نعم انفذت المركب كما امرتني ورجع بعد ساعة وسيخبرك مقدمه
وجاء ومعه رجل فقال له الملك ما الذي ردك عما امرتك به قال
بينما نحن في جوف الليل والنواتيه يقذفون اذ بصوت يقول ياالله
ياسلام ياغياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته عيانا رأيناه
مرارا البيك وهو ينادي ياالله يا غياث المستغيثين ونحن نجيبه
لبيك ونوجهنا نحو الصوت فلقيناه هذا الرجل غريقا في احد زوارق من
الحياة فاخذناه وسالناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقيه
فغرقت سفينتنا منذ ايام فلم ازل اسبح حتى كدت ان اموت ولم
اشعر الا بالغوث من ناحيتكم فسبحان من ارق سلطانا واسهر جبارا

وقد
فقره

فقره لغريق في لجة البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة الوحشة
واخبرني رجل كان امام في الجامع قال كنت في صقليه في فتنة العدو
وقد زحف الينا العدو في نحو ثلاثمائة سفينة وارست على الساحل
فرأينا امرا مهولا وفينا الشيخ الصالح العابد به السميطار فهلع الناس اليه و
جمعوا حوله يتبركون به وينتظرون الفتح على يديه قال فنظر نحو السماء
هنيهة ثم سجد وعفر خده بالارض يقلبها يمينا وشمالا قال فوالله ما
برحنا حتى هبت الريح ومزقتهم كل ممزق فلم يجتمع منهم اثنان واخبرني
ابو القاسم بن هلال رحمه الله قال عطش الناس في صحراء بتوك وبحرة في
طريق الحجاز وعدم الحاج فلم يوجد الا عند صاحب له جمال وكان يبيعه بالدنانير
بارفع الاثمان فجاء رجل موسوم بالصلاح عليه قطعة فنظر يعمل الكوة
ومعه شيء من دقيق وتشفع الى الجمال ليبيعه الماء بذلك الدقيق فعلمته
فاتى عليه ثم عاد وتة فاتى قال فبسط الرجل قطعه في الارض ونثر عليه
الدقيق ثم رمق الى السماء ببصره وقال اللهي انا عبدك وهذا رقيقك
وما اهلك غيره وقد اباه يقبله ثم ضرب بيده في النطع وقال وعزتك
وجلالك لا برحت حتى اشرب قال فوالله ما تفرقنا حتى سقا السحاب
السحاء وامطرنا في الحين فشرب الماء ولم يبرح فكان ممن قال النبي صلى الله
عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له مطرود بالابواب لو اقسم على الله لابره
واخبرني شيخ قديم كان يصحب العلماء بالقيروان يقال له جرير قال
اخبرني عبد الكافي الرياحي قال رأيت بالقيروان اية عظيمة وذلك ان
رجلا جاهيء بصبي له قد اسكت فلا يتكلم فدخل الى الفقيه ابي بكر بن
عبد الرحمن واخبره انه لا يتكلم منذ ايام فاوقع الله له قال الله الا الله

www.abdulgadir.com

www.arabdulgader.com

عبد القادر

ان رجلا خباز ابمدينة دمشق بينما هو يخبز في تنوره اذ مر به رجل
يبيع المشمش فاشترى منه واقبل ياكل بالخبز الحار فلما فرغ عتى
عليه ثم نظره فاذا هو ميت فجعل اية يصون به ويستدعون له الا
الاطباء يلتمسون دلايل الحياة منه فقصوا عورته فغسل وكفن وحمل
الى الحيانة فلقيهم عند باب المدينة رجل طبيب يقال له النيروزي
وكان ماهرا حاذقا بالطب وسمع الناس يخوضون في امره فقال لهم
حطوه حتى اراه فحطوه فجعل يقلبه ويتامل دلايل معرفته في الحياة ثم
فتح فاه وسقاه شيئا وقال حفنة فاندفع ما هنالك يسيل فاذا هو
قد فتح عينيه وتكلم وعاد الى دكانه على حاله وكان رجل يمشي ببغداد
في بعض طرقها عليه ملك كالجبل العظيم فوافقت راسه طاقة في حيطانها
ما احطاته وصارت الدار كوما وخرج من الطاقة سالما وحدثني ابو
القاسم الحضرمي قال كنت باليمن في ارض الصليحي فوشي بي واش الى السلطا
فامر بقتلي واخرجت الى القتل واسهل لي السياف وقال لي مد عنقك
واستند ففعلت وقلت دونك يا هذا فنحن على هذا اذا بصارخ
من العصر لا تقتلوه فخلى سبيلي وكان بقرطبة قصة غريبة في دولة
المنصور بن ابي عامر وذلك بقاسم بن محمد التبا نسي مشهد عليه بالزند
قة وكانوا من اعيان قرطبة والمنادا عليهم في كل جمعة في اثر صلاتها
بباب جامعها الاعظم من كان عنده شهادة فيهم فثبت على قاسم
سجل عند القاضي بن الشرقي في مجلسه بشهادات البينة بانواع من
المنكر تتضمن الزندقة والكفر فاحتفل الناس في العصر في مجلس
عظيم واستفتى الفقهاء فيه فافتوا بقتله واستحضر قاسم وابوه

وابنان لقاسم صغيران وقد لبسا ثياب الجداد واحضر ابوه نعشا وحما
ليه وهو يبكي وابوه يبكي وبنوه يبكون على باب القصر وقد دعي لضرب عنقه
سياف يعرف بابن البشتي ودفعت له عدة اسياف من القصر فجعل يهزها
ويتامل شفارها وابوه وصبيته ينظرون والتفت حضور الفقيه ابي عمر بن
الكوفي الاشبيلي على كره وكان يابا ان يحضر فاستفتح فقال يا هؤلاء
ان الدما لا تسفك الا بالحق الواضح دون شبهة احسبوا قاسما
فرجا جاءوا كنتم تقتلونه فقال القاضي اين الشرقي فيما ثبت عندي
والفت الظرفيه قال الفقيه اوقفني عليه فاخذه وتامله ثم قال
اخبرني بمن تقبله من هؤلاء الشهود فقال بهذا وهذا حتى عد له
خمسة فقال له بجميعهم تقتله قال نعم قال فلو شهد منهم اثنان خا
صة اكنت تقتله قال لا اما قوى بعضهم ببعض وبرك اكثرهم عندي
فالتفت الفقيه الى الفقها الحاضرين وقال يا هؤلاء بالدعاء تقتل
المملوك عندكم وتسفك دماؤهم ليست ارى قتله ولا اشير به فرجع
الفقها الى قوله وابوجبوا عليه شيا معه ان افتوا بقتله سنة اشهر
وانفض الجمع وشيم السيف وذهب البشير الى بن ابي عامر بخبره
بالمجلس فقال بن ابي عامر اردتم قتل بن النباني قد فهم القاضي
وقد اجتهد بالدين والقاتل عمد جل فحبس اياما ثم اطلق فكان
الفقيه بن ذكوان يقول للقاضي في مثل هذا قال قائل اذا سئل
بم عرفت الله قال بنقضه غرايمي ومعنى الدعا يخفى في طريق الفقه
هم الشهود الذين لو انفرد منهم اثنان لم يثبت الحكم ولا قتل
فيه فاذا كثروا وقوي بعضهم بعضا فلا يثبت القتل بهم في نقيض ذلك

القاضي

حد ثني ابو مروان الدالي بطرطوشة وقد ولي قضاها وغيره نتذاكر
يوما ان قافلة نزلت بقرية خربة من اعمال دانيه فلجوا الى دار خراب
ليسكنوا فيها من الرياح والمطار وقد استوقدوا نارا لهم وذكروا
عيشهم وكان فيها حايط قد اراد ان ينقض او قال ستقف فقال
رجل لسايرهم يا هؤلاء ميلوا عن هذا الغرز ولا تدخلوا هذه الدار
فابوا الا دخولها وبات الناس لهم خارجا عنهم لم يترب المكان ثم
انهم اصبحوا في عافية وارتحلوا فهم كذلك اذ دخل الرجل الخرب ليصطلي
بالنار فخر عليه السقف فمات وبلغني عنه بعض العقها ان
جيشا من الجيوش كان بجزيرة صقلية يتحول من مكان الى مكان
فنزلوا ببعض شانهم فاذا عقرب تدب فضربها بعضهم بعمرعة
ثم اشالها الى عنقه فاذا بها قد تشبثت باهدابها وهو لا يشعر
فلدغته في عنقه فقضى مكانه واخبرني القاضي ابو الوليد الباجي
رحمه الله عن ابي ذر رضي الله عنه قال كنت اقرا الحديث على الشيخ
ابي حفص عمر بن احمد بن شاهين ببغداد في دكان رجل عطار
فبينما نحن جلوس اذ جاء رجل من الطوافين بالعطر فيطبق
في يده واعطى الشيخ عشرة دراهم ليدفع اليه اشياء سماها من
العطر فوضعها في طبقة ومشى وسقط من يده وتفرق جميع ما
كان فيه فاقبل يبكي ويجزع حتى رحمناه فقال الشيخ ابو حفص
لصاحب الدكان لعلك تجر له بعض الاسباب قال نعم فنزل وجمع
جميع ما يجمع منها وجبر ما نقصه ثم اقبل عليه يصبره وينهاه
عن الجزع فقال له لا تظن جزعي لما ضاع لي يعلم الله اني كنت في

قافلة

قافلة فضاع لهما في بارع مائة دينار واربعة الاف الشك من ابي ذر ومعها
فصوص فيتمها مثل ذلك فما جزعت لضياعها ولكن جزعي اني ولدلي
مولود والنفس تحتاج مالا بد منه ولم يكن عندي سوى العشرة دراهم
واشفقت ان انفقتها بما تحتاج اليه فابقى ولا راس مال لي ولا اقدر
على التكسب فرايت شراء شيء اطوف به نهاري ولعلي استفضل منها ما
اسد به رمق اهلي ويبقى لي راس مال احترف به فلما شاء الله ضاعها
جزعت وقلت لا شيء ارجع به ولا يبقى لي فيما احترف به ولم يكن بد من
النفاد منهم وتركهم على حالهم يهلكون بعدي فهذا الذي اوجب جزعي
قال الشيخ ابو ذر وكان عندي جالسا على باب داره قد شاهد
القصة فذكر الشيخ ابو حفص ليدخل معه في داره اذا فرغ من امره
وقام فدخل فظننا ان يعطيه شيئا ثم دخلنا داره فقال للطواف
لقد عجبت من جزعك فاعد علي قصتك فاعاد عليه فقال له و
كنت في القافلة قال نعم وكان فيها من اعيان الناس فلان وفلان
فعلم الجندي صحة قوله فسأله ما علامة الهميان وفي اي موضع
ضاع منك فوصف له اللون والعلامة فقال له اتعرفه اذا رايته
قال نعم فاخرج له هميانا ووضعه امامه فقال هذا هميانك وعلامتي
فيه من الاحجار ما صفتها كذا وكذا وفتح عن ذلك فوجد الاحجار كما ذكر
فقال له خذه بارك الله لك فيه فقال له الطواف فتمم الاحجار مثل
الدنانير او اكثر فخذ الدنانير فان نفسي بذلك طيبة فقال له ما كنت
احف على ما منعتني شيئا فضل وهو من الفقر اوضح وهو من الاغنياء
لم يبك الجندي بكاء شديدا فقال له الشيخ ابو حفص ما الذي ابكاك

يستفتي بالحديث فقال الشيخ ابو حفص انا ارعى اولى بكم من
رجل من الجند

فتح الهميان ووجده على ما ذكر
فقال الجندي خذ مالك بارك الله لك فيه

مالا

وقد ادى الله امانتك وبذل لك كثيرا فان شئت سالناه ان يعيده عليك
قال ما ابكاني بعدا وانما ابكي ان اجلي قد قرب فانه ما بقي من اجلي الا ان يا
تيني الله بصاحب الهميان فلما كان ذلك بفضل الله وتم املي ايقنت بتمام
اجلي قال الشيخ ابوذر فما انقضى الشهر حتى دفناه وصلينا عليه رحمه الله
وحدثني ابو القاسم قال لقد مررت بالموصل في هذا المسجد والحا
نوت والدار واشار اليها فقصة غريبة وذلك ان صاحب الدار كان تاجرا
يسافر بالخز الى الكوفة فبينما هو على حماره وتحته خرجه فيه خزه وهو
جميع ماله اذ نزلت القافلة فاراد حط اثقاله عن الحمار فلم يقدر لثقله
فمر به انسان فنزله معه ثم قعد ياكل فاستدعى ذلك الانسان للاكل
فاجابه ثم سأله عن امره فاخبره انه خرج من الكوفة لاحراز عجه دون
زاد فقال تكون معي وتعينني على سعدي وطعامك عندي فقال اني حريص
على خدمتك ومحتاج الى طعامك فسار معه يخدمه على احسن حال حتى
وصلا تكريت فنزلت الرفقة خارج المدينة ودخل الناس لقضاء حوائجهم
فقال التاجر للخادم احفظ رحلي حتى ادخل واشتري حاجتي ثم دخل وقضى حاجته
وابطأ ثم خرج ولم يجد الرفقة ولا صاحبه فظن انه رحل معها فلم يزل يسعى
حتى وصل اليها بعد جهد فسأل عن صاحبه فقالوا له مالاح ولا راياه
ولكنه وضع الاسباب على الحمار ودخل المدينة على انه تركك وظننا انك
امرته فرجع الى تكريت فسأل عنه فلم يجد له اثرا ولا سمع له خبرا فيئس
منه ورجع الى الموصل مسلوب المال فوافاها غريبا ناحيفا فقيرا
مجهودا فقعد عن الدخول فهاب احياء منه وخوفا من شماتة الناس
او تحزن صديق حتى امسى ودخل فدق باب داره فخرج اليه هذا قال فلان

كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن سافر الى الكوفة

فمر به انسان

للخادم احفظ هناكم

يعني نفسه فسر الحاجتهم اليه وقالوا المهدية الذي جاءك على حال ضرورة
وفاقة فقد طال سعيك واحتاج اهلك وهي نفساء وقد ولدت اليوم ولدا
ووالله ما وجد فاشتيا شيئا تشتري به لها وقد باتت طاوية على حالها
فانظر في دقيق ودهن نسرج به فلما سراج عندنا فزاد غمه وكره
ان يخبرهم بحاله فيحزنهم فاخذ وعاء الدهن وظرف الدقيق و
خرج الى هذه الحانوت وكان فيه رجل يبيع الزيت والدقيق و
العسل وقد اغلق دكانه واطفى مصباحه ونام فناداه فاجابه وعرفه
وشكر الله على سلامته فقال له التاجر اسرج مصباحا وزن لي زيتا
ودقيقا وعسلا اصحبه اليه الساعة وكره اخباره بتاخير الثمن
فيمتنع منه فقدح زناده واستصبح فقال له زن لي من الدقيق
كذا وصن الزيت كذا ومن العسل كذا ومن السمن كذلك ومن الملح كذا
ومن الحطب كذا اليرفق به حاله تلك الليلة ثم التفت في قعر الحا
نوت فراى خرجه فلم يتمالك ان وثب اليه والتزمه وتعلق بالبياع
وجذبه فقال له البياع مالك فما علمتك متعديا ولا اعلم اني جنيت
عليك ولا على سواك فما هذا قال خرجي هرب بحلوم لي بجميع مالي وتجاري
قال مالي علم غير ان رجلا ورد علي بعد المغرب واشترى مني عشاء
فاستضافني فاضفته وجعل هذا الخرج في حانوتي والحمار في دار
جاري والرجل في المسجد بائت فقال له احمل الخرج معي وانهض الى
الرجل معي فرفع الى الرجل الخرج معه الى عاتقه ومشى الى المسجد
فاذا هو نائم فايقظه فقام مذعورا فقال له مالك قال اين مالي
يا خاين قال على عنقك والله ما عرفت منه داره قال واين الحمار والتا

لصاحب الحانوت اقدح زنادك

الى نفسه

والقاعده في طلاق صاحب الحانوت

قال هو عند صاحبك فنهض الى داره فوجد ماله سليما واستخرج الحمار
من موضعه ووسع تلك الليلة على اهله واجنبهم بقصته فازدادوا اهله
فرحا وسرورا وبتركوا بمولودهم وما فاق موسى لصهره شعيب عليهما
السلام الاجل الذي اجلاه لرعي موسى غنمه عوضا عن مهر ابنته اخذ
موسى اهله وكر راجعا من مدين فلما وافى الوادي المقدس عند جانب
الطور اعتراهم ظلام الليل فبينما هم بائتين اذ ضرب الهله الطلق وكانت
حاملا ولم يكن عندهم ما تحتاج اليه النفساء من الغذاء والدواء واصلاح نفاسها فبقوا في ضيق الحال وقلة من الحيلة فخرج موسى يلتفت يمينا
وشمالا ويلتمس فرجا لهم من الضرا ذرى نارا فقال لاهله اصكثوا اني
انست نارا لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فلما اتاها وضاق
ذرعه وحرج قلبه وليس من الرفق ندوي من شاطئ الوادي الايمن يا
موسى اني انا ربك وهذا لطف الخالق سبحانه مع من سلم لامره ورجا فضله
وتكلم بالهدى والبشرى ففسح امله واعطاه فوق ما امله هذا موسى
خرج ليقتبس نارا فنودي بالنبوة ولهذا قال علماؤنا في ليس حضار
الخير واه جلت ولا في انواع الاعمال واه عظمت اعمالا من حسن الظن
بالله نظمه بعض الشعرا فقال

ايها المرء كن لما انت ترجو ... من نجاة ارجى لما انت راج
ان موسى مضى ليقتبس نارا ... من ضياء رآه والليل داجي
فاتى اهله وقد كلم الله ... وناجاه وهو خير مناجي
وكذا الكرب كلما اشتد بالعبد ... دنت منه ساعة الانفراجي

ولما نزلت سفن العدو بساحل افريقية في عدد كثير نزلوا ماء لهم

وعطشوا

وعطشوا فايقنوا بالهلاك فاستغفر المسلمون لهم فخلق كثير من سواحل
البحر والحصون ومنعوهم النزول لاستقاء الماء وسالوا المسلمين ان
يتركوهم والماء فابوا فزاد عطشهم ولم يستقوا في الهلاك ثم شرعوا في اجلهم
ودعوا وتضرعوا الى الله سبحانه في الاستسقاء فما لبثوا حتى التفت بارقتها ثم امطرت ماء كثيرا فبسطوا اوطاعهم وجفانهم واوانيهم وشربوا
وملوا وعيتهم فضج المسلمون وقالوا هذا اعداء الله ورسوله اخلصوا
الى ربهم وانابوا اليه وسالوه ما يحيون به رمقهم فاغاثهم فنحن لحق بالدعا
والصلاة والابتهال الى الله عز وجل ان يريهم اية يقوى بها قلوب
الضعفا ويزداد شكر اهل المعرفة والاولياء في ذلك اذ ارسل الله
عليهم ريحا بددتهم ومزقتهم وكسرتهم فلم يجتمع منهم اثنان ومن عجيب
صنع الله تعالى في هذا الباب ان رجلا من ديار بكر حج الى بيت المقدس
فزار قبر الخليل عليه السلام واكل من ضيافته فدخلت حبة عدس
من ذلك الطعام في خيشومه ولم يزل حرد وجها بكل حيلة فاعجزته
حتى تركته مضنا حتى رجع الى بلاده فبينما هو جالس اذ عطس
فخرجت الحبة من خيشومه فالتقطها طاير لوقتها فسبحان من جعل
الف الرجل حرزا لقوت هذا الطاير على بعد المشقة وطول المسافة
واما انا فحين اردت الرحيل في طلب العلم من بلدي الى المشرق
جزعت من الخروج وكنت اقول اه ذهبت نفقتي ماذا اقول لابي
كنت لا اعرف التجارة ولا اي حرفة ارجع اليها وكان اقوى املي اني احفظ
البسائين بالنهار بالاجرة وادرس العلم بالليل ثم اني استخرت الله
تعالى على الرحلة وكانت نفقتي وافرة في تكتي ولم ازل اسمع

يقولون من نام بليل في قفر وعنده نفقة فليحلها فان اللصوص
يبتدرون اوساط الناس عند خروجهم عليهم فخرجت من بلاد السويدية
الى انطاكيه وهي اذ ذاك حربا للروم فسريا ليلتنا واصبحنا على باب
انطاكيه فاخذتني عيني وحللت تكتي ونمت فلم استيقظ الا ضحى
نهارا ومددت يدي الى تكتي فلم اجدها فجعلت اتامل في وجوه
الناس في القافلة وقد سقط في يدي وفقدت حيلتي فاسترجعت
ورفعت امري الى الله سبحانه واذا رجل من اهل الرفقة قد واجهني
يضحك لما رأى ما بي ثم قال مالك ايها الفقيه قلت خيرا فرأيتني
فقلت خيرا فقال لي وقال خذهميانك عافاك الله فسألته
كيف ظفرت به قال لابتك قد تزحزت ذراعيه او ثلاثة فرأيت سودا
في موضع مناهدك فاخذته فاذا هو هميانك فرحمة الله عليه ورضوانه

الباب الموفستين في الخصلة التي هي ام الخصال وينبوع
الفضايل من فقدها لم يكمل فيه فضيلة وهي الشجاعة يعبر عنها
بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس قال الحكما اصل الخير كله ثبات القلب
وضعفه يستتبع جميع الرذايل وهي الثبوت والقوة على ما يوجبه العدل
والعلم والجبن غريزة يجمعها سوء الظن بالله تعالى والشجاعة حاله بين
سطة بين الجبن والتهور وسئل الاحنف بن قيس عن الشجاعة
فقال صبر ساعة وسئل ابو جهل عنها فقال الصبر على حر السيوف
فواق ناقة وهو ما بين الحلبتين واعلم ان الفار من القتل طريدة
الموت واستقبال الموت خير من استدباره وقد قال الاول
رب حياة سببها التعرض للوفاة ووفاة سببها طلب الحياة وقد

حرص على الموت في الجهاد وهبت له الحياة وقالوا الهزيمة شفرة من
شفار الموت والفار يمكن من نفسه والمقاتل يدفع عنها وقال عمرو الشجاعة
الاصون من العدو واعلم ان من قتل في الحرب مدبرا اكثر ممن قتل مقبلا
وقالوا تاخير الاجل حصن الهارب وقيل لبعضهم في اي جنة تحب
ان تلقا عدوك قال في اجل متاخر وقيل لاخر في اي سلاح تريد ان
تلقا عدوك قال في اجل متاخر واعلم ان الشجاعة
لمدة كانت له مدة فاذا انقضت المدة لم تكن تنفعه كثرة العدة قال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا انقضت المدة كانت الهلكة في الحيلة
واعلم ان كل كريهة تدفع او مكرمة لا تتحقق الا بالشجاعة الا ترى
انك اذا اصمت انك تمنح شيئا من مالك جار طبعك ووهن قلبك
وعجزت نفسك فشحت به فان حققت عزمك وقويت نفسك
وقهرت عجزك اعطيت ما ضننت به من مالك فعلى قوة القلب وضعفه
تطيب النفس باخراجه او يكره اخراجه وعلى هذا النمط جميع الفضايل متى
متى لم تقارنها قوة النفس لم تتحقق فاتت مخدوجة وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشجاعة والجبن غرايز يضعها الله
في من يشاء من عباده والجبان يفر عن ابيه وامه والشجاع يقاتل عمن
لا يوب به الى رحله فبقوة القلب يصابر امتثال الاوامر وبقوة القلب
ينتهي عن اتباع الهوى والتصبر بالرذايل وقال الشاعر

جمع الشجاعة والخضوع لربه ما احسن المحراب في المحراب

وبقوة القلب يصبر الجليس على اذى الجليس وجفا الصاحب وبقوة
القلب تتقي الكلمة العوراء والفعلة الدنماء من جانب وبقوة القلب يصبر

وبقوة القلب تنفذ كل عزيمة ورؤية وجهها العقل
والحزم والعدل وبقوة القلب تضحك الرجال صح

يصبر على اخلاق الرجال وتضحك الرجال في وجوه الرجال وقلوبها مشحونة
بالضغائن والاحقاد كما قال ابوذر انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا
لتلعنهم وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انا لنضاحك اقواما وان
وليس الصبر والشجاعة وقوة النفس ان يكون مصرا في المحال لجوجا في الباطل
والا ان يكون جلدا عند الضرب صبورا على النقب مصماعا على التعزير والنهور
فاه هذه الخنازير والحمير ولكن ان يكون صبورا على اداء الحقوق صبورا صفة ص
على مساعدة القاها اليك عالب القوك ما لكا لشهواتك ملثرما للفضائل
يجهدك عاملا في ذلك على الحقيقة التي لا يحيمك عنها حياء ولا موت حتى
يكون عندك قوة على الخير الذي اشاريه العلم واوجبه العدل خيرة من
البقاء على ما اوجب رفض العلم والعدل كما قال علي للحسن يا بني وما
يبالي ابوك لو اه الخلق حالوا هذا كان على الحق وهل الخير كله الا الحق
بعد الموت وعن هذا قال حكما الهند اذا لم يكن للملك من نفسه معين
كان في جميع امره مضيعا محذولا واعلم ان الجبن مقتلة والحرص
محرمة والعجز ذل والجبن ضعف والجبان معين على نفسه يفزع عن ابيه
وامه وصاحبته وبنيه والشجاع يحمي من لا ينا سبه ويقي مال الجار والر
فيق بمهجته والجبان يخاف من لا يحس به الجبان حتفه من فوقه وقالوا
الشجاعة عند اللقاء على ثلاثة اوجه رجل اذا التقا الجمعان وتقارب
الزحفان وتكملت الاحداق بالاصلاق برز من الصف الى وسط
المعترك يجول ويكر وينادي هل من مبارز والثاني اذا ناشب القوم
وصار حرب بهم مختلطين ولا يدري احد من اين يا تيه الموت يكون رابط الجاش
ساكن القلب حاضر اللب لم يحاوره الدهش ولا حالطته الحيرة فينقلب

تقلب

تقلب الفاهم على نفسه المالك لامره والثالث اذا انهزم اصحابه
يلزم الساقة ويضرب في وجوه العدو ويحول بينهم وبين اصحابه
ويرجع الضعفا ويقوي قلوبهم ويميدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فمن
وقع اقامه ومن وقف حمله ومن كردس عن فرسه كشف عنه حتى
يئيس العدو منه وهذا احد الشجاعة وعن هذا قالوا المقاتل من
قاتل وراء العار كالمستغفر من وراء الغافلين ومن كرم الكريم الله
فاع عن الحريم وقالوا الكل احد يومان لابد منها احدهما لا يعجل عليه و
الثاني لا يقصر عنه فما الجبان والفرار وكان شيوخ الجند يحكون
في بلادنا قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار فرق فوجدوا
في المعركة قطعة من بيضة الحديد قد ربلها بما حوته من الراس فيقال
انه لم يرقط ضربة اقوى منها وكان شيوخ الجند في بلدنا يحكون انهم
جوا في ايام سيف الدولة في سرية الى بلاد العدو واذ لقيتهم سرية للروم يز
ون منا ما نزيد ضعفهم كالوعرف بعضنا بعضا وكان في القوم صناديد الروم
وكان فينا صناديد المسلمين فتواقعنا ساعة ثم شددنا وشدوا فالتقينا
وتجالدنا ساعة ثم منحنا الله اكتافهم فجعلنا هم حصيدا كانهم جزد
في الاوضام وكان هناك بقربهم قرية فيها تين من الخمر فشربناه وسكرنا ثم
اشتهينا شرايح اللحم فقمنا نقطع من لحومهم ونجعل على النار ونكلنا منه
فتفرع من كان اسرنا منهم وبلغ الحديث الى بلاد النصرانية فانقلبت النصرا
بجيا منا وقذف الرعب في قلوبهم وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لقي عمرو بن معدي كرب فقال له عمر اي السلاح افضل في الحرب قال فعن

ايها تسئل اقال ما تقول في السهام قال منها ما تخطي وتصيب قال ما
تقول في الرمح قال احوك وربما خانك قال فما تقول في الترس قال هو
الدايره وعليه تدور الدوايير قال فما تقول في السيف قال ذاك والله ابوك
وكان عمر ومن شجعان العرب وابطالها نزل يوم القادسيه على النهر
فقال لاصحابه اني عابر على الجسر فان اسرعتم مقدار جزر جزور

وانا قايم بينهم وان ابطاتم فيلا وحدتموني قتيلا بينهم
ثم انغمس محمل على القوم

وصرعني ويروى ان عمرو حمل يوم القادسيه على رستم وهو الذي كان
قدم بين يدي ملك الفرس يوم الحكيمه القادسيه عما قتال المسلمين واستقبل
عمرو رستما عا فيل فجذم عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع
طرخان كان معه عليه فيل ربعون الف دينار وقتل رستم وانهزمت العجم و
روى انا قاتل رستما ايها الناس ابن فلان واما الدرهم التي حيكاها انها جازت
تلك البيضه بماصوته من الراس فلم يسمع مثلها في جاهلية ولا اسلام
فحملها الروم وعلقوها في كنيسة لهم وكانوا اذا عبروا بالزار يقولون لقينا
رجالا هكذا صرفا فرحل ابطال اليها ليروها وانما كانت العرب تضرب
في هذا الباب بقول الشاعر قاسط يصف ضربة سيف كان معه

ثوب

ابقى

اشفى الحوادث والايام من عزفا سنا مسيف قديم اثره بادي
تظل تخمر عنه ان ضربت به بعد الذراعين والقيدوم والهادي

وينشد قول الشاعر ايضا

يقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب

واين هذا من قد الحديد بما حواه من الراس واين الترياق من الترى و
اين الحسام من المنجل ولولا كراهية التطويل لذكرنا من امثال هذا
ما فيه العجب وقد قالوا السيف ضل الموت والسيف لعاب المنيه و
الرمح رشا المنيه والسهام رسل لا تؤامر من ارسلها والرمح احوك و
ربما خانك والدرع مشغلة للرجل متعبة للفارس وانها الحصن
الباب الحادي
حصين والترس مجن وعليه تدور الدوايير
والسنون في ذكر الحروب وتدبيرها وحيلها واحكامها ومن حزم الملك
ان لا يحتقر عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم
من يرعوفة اسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا وقال الشاعر

فلا تحقرن عدوا رماك وان كان في ساعديه القصر
فان السيوف تحز الرقاب وتقرع عما تنال الابر

وفي الامثال لا تحقر الذليل فربما شرق بالذباب العزيز ومثل العداوة
والعدو ومثل النار ان تدارکت اولها سهل اطفاؤها وان تركت حتى
يستحكم امرها صعب مراسها وتضاعف بليتها ومثاله ايضا مثل
القرح الخبيث ان تداركته سهل برؤه وان اغفلته حتى تغل عظمت
بليته واعضل الاطباء برؤه واعلموا ان الناس قد وضعوا في تدبير
الحروب كتبا وتوافيه ترتيبا قد يسع سايرهم الاقاليم اذ لكل امه

= في الغالب نوع من التدبير وصنف من الحيله وضرب من المكيده
= وجنس من اللقا والكر والفر وتعبية المراكب وحمل بعضهم على
بعض ولكن يصف منه اشيا تجري مجرى المعاقد لانكاد تختلف في
الضارمة الحروب فنبدا بما ذكر الله تعالى قال الله سبحانه وتعالى واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
وقوله سبحانه ما استطعتم مشتمل على ما في مقدور البشر من
العدة والآلة والحيلة وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة فمر على الناس بر مون
فقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي وكان بعض
الصحابة اذا اراد الغزو لا يقص اظفاره ويتركها عدة ويراها قوة وقال
ذلك ان يقدم بين يدي اللقا عملا صالحا من صدقة او صيام او رد
مظلمة او صلة رحم او دعا مخلص او امر بمعروف او تغيير منكر وامثال
ذلك فقد كان عمر بن الخطاب يامر بذلك ويقول انما تقاتلون باعمالكم
وروي انه بريدا ورد عليه بفتح المسلمين فقال له عمر اي وقت لقيتم
العدو وقال غدوة قال ومتا انهزم قال عند الزوال فقال عمر
انا لله وانا اليه راجعون وقام الشرك للايمان من غدوة الى الزوال لقد
احدثتم بعدي حدثا او احدث بعدكم حدثا والشان كل الشان في استحاذ
القواد واستحثاث الامراء اصحاب الالوية فقال فقد قال حكيم العجم اسد
يقود الف ثعلب خير من ثعلب يقود الف اسد فلا ينبغي ان يقدم
على الجيش الا الرجل ذالبساله والنجدة والشجاعه والجراة ثبت
الجنان صادم القلب جريء رابط الجاش صادق الباس قد
توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الرجال وقارع

الالوية

الابطال

الابطال عارفا بمواضع الفرس خبيرا بمواقع الغلب واليمنة واليسرة من الحروب
وما الذي يجب سده بالحماة والابطال من ذلك بصيرا بصفوف العدو ومواضع
الغرة منه ومواضع الشدة منه فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عنه وارده كان
جميعهم كانهم مثله فان راى الغراع الكتايب وجها والاخذ الغنم الى الزريبة
واعلم ان الحرب خدعه عند جميع العقلا واحزمها يجب وكوبه قرع الكتايب
وحمل الجيوش بعضها على بعض فليبدا بتعريف الحيله في نيل الظفر قال نصر
بن سيار امير خراسان من قبل مروان الجعدي اخر ملوك بني اميه قال
كان عظما الترك يقولون ينبغي للقايد العظيم القدر ان يكون فيه عشرة
اخلاق من اخلاق البهايم شجاعة الديك وبخت الدجاجة وقلب الاسد
وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الحروج وحراسة الكركي
وغارة الذيب وسمن يعدوا وهي دويبة تكون بخراسان تسمن على
التعب وكان يقال اشد خلق الله عشره فاشد خلق الله الجبال
والحديد تنحت الجبال والنار تاكل الحديد والمايطفي النار والسحاب
يحمل الما والريح تصرف السحاب والانسان يتقي الريح لحاجته والسكر يصرع
الانسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فاشد ما خلق ربك الهم
فاول ذلك ان يبث حواسيسه في عسكر عدوه ليستعلم اخباره
مع الساعات ويستعلم روسائهم وقادتهم وذوي الشجاعه منهم ويدس
اليهم ويعدهم وعدا جميلا ويوجه اليهم بضروب الخدعه ويقوي اطماعهم
في ان ينال ما عنده من الهبات الفاخره والولايات السنيه فا
ذا راى وجها لمعالجتهم بالهدايا والتحف وسامهم الغدر لصاحبهم
واما اعتزاله وقت اللقا وبيثي على السنتهم كتبا مدلسة اليه

وبثها في عسكرهم ويكتب على السهام اخبارا مزوره ويرمي بها في جيوشهم
ويضرب بينهم بما فيه الشر من ذلك فان جميع ما ذكرنا ينفق فيه الاموال
والحيل واللقا ينفق فيه الارواح والرؤس ووجوه الحيل لا تحصى والحاضر
فيها البصر من الغايب وسد را المهلب لما كتب اليه الحجاج يعجله في حرب
الازارقة رد الجواب فقال ان من البلا ان يكون الراي عند من يملكه
لا عند من يبصره وقال المختار ليزيد بن انس حيث ولاه الجزيرة
وامره بقتال عبد الله بن زياد الق عدوك برأي غير مستبد وبجزم
غير مشكل ولا تركن الى الدوله فربما انقلبت واستشر من لا يطمع في
عمكك ولا يسر بقتلك واستخر الله تعالى قبل اقدامك توفق واوصت
ام الرباك العبسيه ابنها الفاتك وهو من اشد العرب يا بني لا تشب
في حرب وان وثقت بشدتك حتى تعرف وجه المهرب منها فان النفس
اقوى مبتغي اذا وجدت سبيل الحيله واضعف مبتغي اذا يئست
منها ولعل الشده ما كانت مدبرة لها ان لم يكن النصر من الله قايدها
ولتختلس من محارب خلسة الذيب وطرفها طيران الغراب فان الحذر
زمام الشجاعه والتهور عدو الشده وقال ابو السرايا وكان احد
الفتاك لابنه يا بني كن بحيلتك اكثر منك بشدتك وبحذرك
اوثق منك بشجاعتك فان الحرب حرب المكر وغيلة الحذر
واعلم ان الله اذا زالت الدول صارت حيلها وبالا عليها واذا اذن
الله في حلول البلا كانت الآفة في الحيله وقال الحكما اذا نزل القضا
كان العطب في الحيله واذا انقضت مدة الدول ساء برئ سنة
العقله من سنة الحذر ويغلب الضعيف باقبال دولة كما يغلب

القوي بفنا مدته **وقالوا** سعود الدول ونحوسها مقرونة بسعود الملك
ونحوسه وقالوا يشتي على كل امرئ في دولته فاذا انقضت دولته بدت عورته
وقال بعض الحكما اذا ولت دولة ولت امه واذا انتت دولة نسخت
امة وقالوا رب حيلة اهلكت المحتال من الحزم المالوف عند سواس
الحروب ان يكون حماة الرجال وكماة الابطال في القلب فانه مهما انكسر
الجناحان فالعيون ناظرة الى القلب فاذا كانت راياته تخفق وطبوله
تدق وكان حصنا للجناحين يأوي اليه كل منهزم فاذا انكسر القلب
عرف الجناحان **مثال** ذلك ان الطاير اذا انكسر احد جناحيه يرجى
عوده ولو بعد حين واذا انكسر الراس ذهب الجناحان ولا يفر
كثرة الكفار جناحي العسكر مع ثبات القلب فان الفارين يترجعون
الى القلب ويكون الظفر لهم وقل عسكر انكسر قلبه فافلح او تراجع
الا ان يكون مكيدة من صاحب الجيش فيخلي القلب قصدا او
تعمدا ولا يعادر به كبير امر حتى اذا توسط العدو واشتغل بنهبه
اطبقت عليه الجناحان فقد قتله رجال من اهل الحرب ومن اعظم
المكايد في الحروب الكمين ولا يحصى كثرة كم عسكر استبيحت بيضته
وقل عزة بالكمين وذلك ان الفارس لا يزال على جهة من الدفاع
وحماية الذمار حتى يلتفت فيرى وراه بندا منشورا او يسمع ضرب
الطبل فحينئذ همته خلاص نفسه ولكل لتكن همتك وراء ذلك وعليك
مدار الحرب واصطناع الشجعان واختبار الابطال فاصطناع
ذوي البساله والاقدام والحماه ولا عليك الا يكثروا يبعد عليك ان ينكسروا
ولا تنس قول الشاعر

والناس الف منهم كواحد ٥ واحد كالف ان امرعنا

بل قد جرب ذلك فوجد والعدو الواحد خير من العشرة الآف وساحكي
لك من ذلك ما تقضي منه العجب فهم في الجيش وان قلوا كالنخة في اللبن
ممن ذلك لما التقى المستعين الصغير بن هود مع الطاغية بن ردمير النصراني
قصمه الله عامد بينة وشفة جيرها الله في ثغور بلاد الاندلس وكان العسكران
كالمتكافيين كل واحد منهما يزاهق عشرين الف مقاتل يزيد خيل ورجل
فمشى رجل من حصر الوقعة من الاجناد قال لما دنا اللقاء قال الطاغية بن ردمير قصمه
الله لمن يثق بعقله وممارسته للحروب من رجاله استعلم من في عسكر المسلمين
من الشجعان الذين نعرفهم كما يعرفونا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب
ثم رجع فقال فيهم فلان حتى عدد سبعة رجال فقال انظر الان من
في عسكري من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب فيهم ومن حضر فعدوهم
فوجد وهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو
يقول وابيا صنك من يوم ثم تناشب الحرب فلم تزل المضاربة بين الفريقين
يقتتلون ولم يول واحد منهم دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى افنى اكثر العسكر
ولم يزل واحد منهم وللكاه وقت العصر نظروا اليها ساعة ثم حملوا علينا حملة
واحدة فخلونا مداخلة فرقوا بيننا وصرنا شطرين وحالوا بيننا وبين اصحابنا
وصاروا بيننا وكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تقم الحرب الا ساعة
عنه ونحن في خسارة معهم فاشار مقدموا العسكر على السلطان ان
ينجو بنفسه ويكسر عسكر المسلمين ويفرق جمعهم وملك العدو مدينة الف
وشفة جيرها الله فليعتبر ذو الحزم والبصيرة من جمع يحتوي على ازيد من
مقاتل ولا يحضر من الشجعان المعدودين الا خمسة عشر ولتعتبر بفعاله العلج

بالنظر

الظفر والغنيمة لما اراد في ابطاله رجل واحد وسمعت استاذنا القاضي ابا
الوليد الباجي رحمه الله قال بينما المنصور بن ابي عامر في بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فراى جيوش المسلمين بين يديه ومن خلفه وعن يمينه
وعن يساره وقد ملؤوا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يقال
له ابن المصعبي قال كيف ترى هذا العسكر ايها الوزير قال ابن المصعبي اراه جمعا
كثيرا وجيشا واسعا قال له المنصور لا يعجزنا ان يكون في هذا الجيش الف
مقاتل من اهل الشجاعة والبسالة فسكت ابن المصعبي فقال له المنصور
سكوتك قال ليس في هذا الجيش الف مقاتل قال لا فتعجب المنصور ثم
عطف عليه فقال افيهم خمس مائة مقاتل من الابطال المعدودين قال لا فحقق
المنصور ثم قال افيهم مائة رجل قال لا قال افيهم خمسون من الابطال قال لا فسبه
المنصور واستخف به وامر به فاخرج عنه اقبح صفة فلما توسطوا بلاد المشركين
اجتمعت الروم وتضافرت الجمعان فبرز علج من الروم وسأل السلاح يكرر
يغره ويقول هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله
العلج ففرح المشركون وصاحوا واضطربت لها المسلمون ثم جعل العلج يموج بين الصفين وينادي هل من مبارز اثنين بواحد فبرز اليه رجل من المسلمين
فتجاولا ساعة فقتله العلج وجعل يكر ويتمايل وينادي هل من مبارز ثلاثة
بواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فقتله العلج فصاح المشركون وذل
المسلمون وكادت تكون كسرة فقيل للمنصور فقال ما لهاعيز بن المصعبي فبعث
اليه فحضر فقال له الا ترى ما يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم قال بجبيني
جميع ما جرى قال ما الحيلة فيه قال وما الذي تريد قال ان تلقى للمسلمين شرة
قال نعم ان شاء الله ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من رجال النفور

المنصور

عامر فرس قد نشزت اوراكها هرا الا وهو يحمل قربة على الفرس في نفسه وفي
حليته غير منصنع فقال ابن المنجمي الترى ما يصنعه هذا الفلح منذ اليوم قال
قد رايته قال فما ذا ترى فيه قال تريد راسه الآن قال نعم فحمل القربة الى رجله و
ليس لامة حربه ويرد اليه فتحا ولا ساعة فلم ير الناس الا المسلم حاملا قربته على
ولا يدرون واذا الرجل يحمل راس الفلح فالقى بين يدي المنصور وقال له عن هؤلاء
الرجال اخبرك انه ليس في عسكرك منهم الف ولا خمس مائة ولا خمسون ولا عشرون
والعشرة فرد ابن المنجمي الى منزلته واكرمه واعلم ان اول الحرب شكوى وو
سطها بجوى وآخرها بلوى الحرب شعشاعا بسه شوها كالحة حرون في
حياض الموت شموس في الوطيس تتعذى بالنفوس الحرب اولها كلام و
آخرها الحمام الحرب مرة للذاق اذا قلصت عن ساق من صبر فيها عرف ومن
ضعف عنها تلف جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير وعينها الحذر وجنا
حها الطاعة ولسانها المكيدة وقائدها الرفق وسايقها البصيرة وقال الرسول
عليه السلام الحرب خدعة وقيل الحرب عشوم سميت بذلك لانها تخطي
الى غير الجاني كما قال الحارث بن عباد حين قتل مهلهل ابنه بجير بن الحارث بن عباد
لم اكن من جناتها علم الله ولي لحرها اليوم صالي قالا خر
رايت الحرب تجنيها الناس ويصلى حرها قوم برآء
ومن الاشعار التي تنشد قديما في الحروب
الحرب اول ما تكون فتية تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا اضطربت وشب ضرامها عادت بحورا غير ذات حليل
شمطا جزت راسها وتنكرت مكروهة للشم والتقبيل
وقال بعض العلما قد جمع الله لنا ادب الحرب في قوله تعالى يا ايها الذين

الرسم

فصل ذكر طبقات هذه الامة
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل كم طبقات امتي فقال ثلاث طبقات اثنتان منها اثنتان وسبعون طبقة وطبقة منها اربعون امة فطبقتي وطبقة اهل العلم والاثر والدين اهل البر والتقوى والذين يلونهم الى السنين ومائة والذين يلونهم الى الثلاثمائة والذين يلونهم الى الخمسمائة والذين يلونهم الى الستمائة والذين يلونهم الى السبعمائة والذين يلونهم الى الثمانمائة والذين يلونهم الى التسعمائة والذين يلونهم الى الالف والذين يلونهم الى الالفين وهم اهل الفضل والعلم والدين والطبقة الثانية اثنتان وسبعون طبقة كلهم اهل علم ويقين فذكر فيها معنى حديث
امتي امة مرحومة عذابها بايديها في الدنيا والاخرة وهذا الحديث رواه انس وفي روايته زيادة
امر من نفسه فيه نظر وقد تكلموا في تعليلها غير انها طائفة
الحديث فيه نظر وقد ذكرت من كل طبقة من هذه الطبقات
الحديث بني على حديث انس وذكرت من كل طبقة من
حسن طبقات كلها من عيون المسلمين والزاهد
فيها في جلة من المقرئ والمحدث والمقرئ المفتي
والفقيه والمحدث سنة عمر ذكرت في كل طبقة
في كل الاعصار والحق ذلك ابو الحسن الطبري
الزمانه والحق محمد ناصر احفظ من
الزمانه والحق محمد ناصر احفظ من
عليه الملك وانا اذكر ذلك مختصرا
الطبقة الاولى وكان الخليفة عند راس المائة
فالحبر عبد الله بن عباس والحبر عبد الله بن عمر
والفقيه عبد الله بن زيد بن ثابت والزاهد ابو الدرداء
والمقرئ والمحدث انس بن مالك
والفقيه سعيد بن المسيب
والمحدث ابن شهاب الزهري
والمقرئ مجاهد
والزاهد الحسن
البصري الطبقة
الثانية وكان الخليفة
عند راس المائة
هشام بن عبد الملك
والفقيه النعمان ابو
حنيفة والمحدث مالك
والمقرئ عبد الله بن كثير
والزاهد ما كحل عينه بنوم
الطبقة الرابعة وكان الخليفة
عند راس المائتين
المهدي والفقيه
ما لك بن انس والمحدث سفيان
الثوري والمقرئ نافع بن ابي
نعيم المدني والزاهد الفضيل
بن عياض الزاهد

www.alhadulgadeem.com

امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله و
رسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين
واستوصى اكثم بن صيفي قوما في حرب اراد وها فقال اقلوا الخلاف على امرائكم
واعلموا ان الصياح فشل ولا جماعة لمن اختلف عليه وتثبتوا فان حزم
الفريقين الركين وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لاصحابه الا ترون اصحاب
محمد جثيا على الركب كانهم خرس يتلمظون تلمظ الحيات ورايت غير واحد
من الف الحروب يكره رفع الصوت عند التلبيب ويقولون يذكر الله في نفسه
واعلم ارشدك الله ان الله سبحانه قد اوضح لنا في كتابه علة الصبر و
قلة العزايم والفرار فقال سبحانه يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله
ينصركم ويثبت اقدامكم يعني ان تنصروا دين الله ورسوله واما الفرار
فغلبة المعاصي قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم اي بشؤم
ذنوبهم وتركهم المركز الذي رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
انه ربت عليه الصلاة والسلام الرماة يوم احد على تلعة الجبل ليمنعوا
قريشا ان يخرجوا علينا من ذلك الموضع فلما التقى المسلمون والكفار
وانهزم الكفار فقال الرماة لا يفوتنا الغنايم وتركوا المركز الاول فلما
جت خيل المشركين من هنالك واقبلوا على المسلمين فكانت مقتلة احد
وليخف قايد الجيش العلامة التي هو مستعلم بها فان عدوه ان استعلم
حليته واكرا خيله ورابته ولا يلزم خيمته ليلا ولا نهارا وليبدل رايته
ويغير خيمته ويعمي مكانه كي لا يلتمس عدوه خيمته وغرته واذا سلكت
الحرب فلا يمش في النغر البعيد من قومه خارج عسكره فان عيون

الخليفة عشرين للثمانية المأمون
والفقيه الشافعي والمحدث يحيى بن
يحيى والمقرئ يعقوب الحضرمي
والقاضي اسماعيل بن اسحاق الطبقة
السادسة كان عدة الخلفاء ثمانية
والفقيه ابو بكر الابهري والمحدث ابو
داود السجستاني والمقرئ ابو بكر بن مجاهد
والزاهد ابو بكر الشبلي الطبقة
السابعة كان عدة الخلفاء ثلاثة
والفقيه ابو بكر الصيرفي والمحدث ابو
عبد الرحمن النسائي والمقرئ ابو الحسن
بن شنبوذ والزاهد ابو الحسن الدينوري الطبقة
الثامنة كان الخليفة
على رأس العشرين وثلثمائة المقتدر والفقيه
ابو بكر بن القاسم الانباري والمحدث ابو سعيد بن الاعرابي
والمقرئ ابو بكر بن مجاهد والزاهد ابو الحسن
بن سالم الطبقة التاسعة كان الخليفة
على رأس الستين وثلثمائة المطيع والفقيه
ابو بكر الابهري والمحدث ابو علي بن الصواف
والمقرئ ابو بكر بن الجلاء والزاهد
ابو عثمان المقرئ الطبقة
العاشرة كان الخليفة على رأس الاربعمائة
القادر والفقيه ابو حامد الاسفرائني
والمحدث ابو الحسن بن رزقويه والمقرئ ابو الطيب
بن غلبون الطبقة الحادية عشر كان على رأس الاربعين
والاربعمائة القائم بامر الله والفقيه ابو
الطيب الطبري والمحدث بن غيلان
والمقرئ ابو القاسم بن عباد البصري
والزاهد ابو الحسن القزويني الطبقة
الثانية عشر كان على رأس الثمانين والاربعمائة
الخليفة المقتدي بامر الله والفقيه
ابو الوفاء بن عقيل والمحدث رزق
الله التميمي والمقرئ ابو منصور محمد بن احمد

عدوه قد اوكبت عليه وعلى هذا الوجه كسر المسلمون عساكره فريقيه عند فتحها
وذلك ان الحرب سكنت في وسط النهار فخرج معتمدا يمشي خارج العسكر فتبعه
عساكر المسلمين فجاء الخبر الى عبد الله بن ابي سرح وهو نائم في قبته فخرج فتبعه وتبعه
من رجاله فحمل على العدو وقتل الملك وكان الفتح ولما عبر طارق مولى موسى
ربيطير الى بلاد الاندلس ليفتحها وموسى اذ ذاك بافريقيه خرجوا بالجزيره
الخضراء وتحصنوا في الجبل العظيم الذي يسمى اليوم جبل طارق وهو في الف وسبع
مائة رجل وطمعت الروم فيهم فاقتتلوا ثلاثة ايام وكان على الروم تدميرا
استخلفه لذريق ملك الروم وكان قد كتب الى لذريق يعلمه بان قوما لا
يدري اهم اهل الارض ام من اهل السما قد وصلوا الى بلادنا وقد لقيتهم فا
نهض الي بنفسك فان لذريق في تسعين الف عنان ولقيهم طارق على
خيله معتب الدوسي مولى الوليد بن عبد الملك فاقتتلوا ثلاثة ايام اشد
قتال فرى طارق ما الناس فيه من الشدة فقام يحضهم على الصبر ويزهدهم
في الشهادة ويبسط في اماهم ثم قال ايها الناس البحر من ورائكم والعدو امامكم
فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم وانا فاعل شيئا فافعلوا كفعلي والله لا
قصدن طاغيتهم فاما ان اقتله واما ان اقتل دونه فاستوثق طارق من
خيله وممن عرف من حلية لذريق وعلامته وخيمته ثم حمل مع اصحابه عليه
حملة رجل واحد فقتل الله لذريق بعد قتل ذريع في العدو وحمى الله المسلمين فلم
يقتل منهم كثير شيء وانهزمت الروم فاقام المسلمون يقتلونهم ثلاثة ايام و
هذا ما بقي على الملوك من الروم مكانا واحدا واخذ طارق راس لذريق
فبعثه الى موسى بن نصير وبعث به موسى الى الوليد بن عبد الملك وسار
معتب الى قرطبة وسار طارق الى طليطلة ولم يكن لهم همة غير المائدة التي

يذكر اهل الكتاب انها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام فدفع اليه
بنو اخت لذريق المائدة والتاج فعومت المائدة بمائتي الف دينار ورما
منها من الجواهر التي لم ير مثلها وبهذه الحيلة قهر البارسلان الملك التركي
ملك الروم وقبضه وقتل رجاله واباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا
قال ان يجتمع له بعدهم مثلها وكان مبلغ عددهم ستمائة الف مقاتل كتايب
متواصلة وعساكر متوافرة وكراديس تتلو بعضها بعضا كالجبال الشا
مخة لا يدركهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا بالكراع والسلاح و
المجانيق والآلات المعدة لفتح الحصون والحروب وما يعجز عن الوصف عنها
وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام ومصر والعراق وخراسان وديار
بكر بينهم ولم يشكوا ان الدولة قد دارت لهم وان نجوم السعود قد خد
متهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتفاترت اخبارهم ببلاد المسلمين و
اضطربت لها بلاد الاسلام فاحتشد للقائها البارسلان التركي وهو
الذي يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة اصبهان واستعد
بما قد رعليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكران يتدانيان الى ان علمت
طلائع المسلمين الى المسلمين وقال البارسلان غدا يترادى الجمعان فبات
المسلمون ليلة الجمعة والقوم في عدد لا يحصيهم الا الذي خلقهم وهالهم
من المسلمين الا اكلة جائع جائع فبقي المسلمون واجمين بما دهاهم
فلما اصبحوا اصبح يوم الجمعة فنظر بعضهم الى بعض فهال المسلمون ما رأوا
من كثرة العدو وقوتهم والتهم فامر البارسلان ان يعتد المسلمون فبلغوا
اثنا عشر الف تركي واداهم منهم كالرمة في ذراع الحمار فجمع ذوي الرأي
من اهل الحرب والتقدير والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر في امورهم

واستشارهم في استخلاص صواب الراي فنشاوروا برهة ثم اجمع رايهم
على اللقا فتوادع القوم وتحالفوا وناصحوا الاسلام واهله ثم تناهبوا اهبة
اللقا وقالوا للبا رسلان بسم الله تحمل قال البا رسلان يا معشر الاسلام
امهلوا وهذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون ويدعون لنا على المنابر في
شرق الارض وغربها فاذا زالت الشمس وفاءت الافياء وعلمنا ان
المسلمين قد صلوا وصلينا نحن علمنا وانا فصبر والى ان زالت الشمس فصلوا
ودعوا الله تعالى ان ينصر دينه وان يوهن عدوه ويلقي في قلوبهم الرعب
وكان البا رسلان قد استوسق من خيمة ملك الروم وعلا متنه
وفرسه وابيه ثم قال لرجاله لا يتخلف احدكم ان يفعل كفعلي ويضرب
بسيفه ويرمي بسهمه حيث اضرب بسيفي واري بسهمي ثم حمل وحملوا
حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها وخلصوا
اليه وقتل من حوله واسر ملك الروم وجعلوا ينادون بلسان الروم
قتل الملك فتل الملك فسمعت الروم انه قتل فتبددوا ومزقوا كل ممزق
وعمل السيف فيهم ايما واخذ المسلمون اموالهم وغنايمهم واستحضر
الروم بين يدي البا رسلان وقال له ما اذا كنت تصنع لو اخذتني
قال وهل يشك اني كنت اقتلك فقال البا رسلان انت اقل في عيني
من ان اقتلك اذهبوا به فبيعوه ممن يزيد فكان ينادا بالحبل وينادى
عليه من يشتري ملك الروم فما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل
المسلمين وينادي عليه بالدراهم والفلوس حتى باعوه من انسان بكلب
فاخذ الذي كان يتولى بيعه الكلب والملك وحملهما الى البا رسلان فقال
طفت به جميع العسكر ونادين عليه فلم يبذل احد فيه شيئا الا رجل واحد

وان ربط على قلوبهم بالصبر

دفع الي فيه كلبا فقال البا رسلان قد انصفك لان الكلب خير منه فا
قبض الكلب وادفع اليه هذا الكلب ثم امر بعد ذلك باطلاقه فذهب
الى قسطنطينية فعرفت الروم وكحلته بالنار فانظر الى ما يناتي عن الملوك
اذا عرفوا في الحرب من الحيلة والمكيدة واعلم ان القدر ما قالوا لكثرة
الرعب وللقلة النصر ثم اعلموا ان الله تعالى قال ويوم حنين اذ اعجبتكم
كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم
مدبرين فالكثرة ابدا يصحبها الاعجاب ومع الاعجاب الهلاك وخير الا
صحاب اربعة وخير السرايا اربع مايه وخير الجيوش اربعة الاف ولن
يغلب جيش يبلغوا اثنا عشر الفا من قلة اذا اجتمعت كلمتهم واما
صفة اللقا وهو احسن ترتيب رايناه في بلادنا وهو الذي تدير تفعيله
في لقا عدونا ان يتقلد الرجالة بالدرق الكاملة والرماح الطوال والمزارق
المسنونة النافذة فيصفوا صفوفهم ومركز واسواخر رماحهم خلف ظهورهم
في الارض وصدورها شارعة الى العدو وهم جاثون في الارض كل رجل
منهم قد القم ركبته اليسرى وترسه قايم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون
الذين تمرق سهامهم الدروع والخيل خلف الرماة فاذا جاءت الروم على
المسلمين لم يتزحزح الرجالة عن هيئتها ولا قام رجل منهم عما قدميه فاذا
قرب العدو واشتغلهم الرماة بالسهام والرجالة بالمزارق وصدور الرماح
تلقاهم فيا حذ وايمنه وبسرة ثم فتخرج خيل المسلمين فتنال منهم
ما شاء الله ولقد حدثني من حضر هذه الوقعة في بلدي بطرطوشة
قال صاغفنا العدو على هذا الترتيب فحملوا علينا فبينا رجل منا كان
في اخر الصف فقام على قدميه فحمل عليه علج من العدو فاصاب غرته

فقتله ولما بلغ المقتدر بن هود ملك شرق الاندلس من سرقسطه في
تغوره بلاد الاندلس حماها الله للقاء الطاغيه ردميز عظيم الروم
لعنه الله وكان كل منهما قد احتشد فيما في ميسوره من ذلك فالتقى المسلمون
والكفار ثم تنازلوا للقتال وتصافوا ودام القتال بينهم صدر كبير من
من النهار وكان المسلمون في خسارة فانزع المقتدر ذلك وفرق المسلمون
من شؤم ذلك اليوم فدعا المقتدر رجلا من المسلمين لم يكن في الثغور
اعرف منه بالحرب يسمى سعداره فقال له المقتدر كيف ترى هذا اليوم
قال سعداره هذا يوم اسود ولكن بقيت لي حيلة فذهب سعداره
وكان له راي الروم وكلامه كلام الروم بهم بمجاورتهم وكثرة مخالطتهم فما
تقمس في عسكر الكفار ثم قصد الى الطاغيه ردميز عظيم لعنه الله فما
لقاه تشاكا في السلاح مكفنا في الحديد لا يظهر منه الا عيناه فجعل يخيله
ويترصد غرته الا ان امكنته الفرصه فحمل عليه فطعنه في عينه فخر صريعا
للبيدين والفم وجعل ينادي بلسان الروم قتل السلطان يا معشر الروم
وشاع قتله في العسكر وتخاذلوا ولو شهرين وكان الفتح بإذن الله
ولما استضعف الروم صقليه ضرب عليهم الخراج فكانوا يحملون اليه
الخراج ويحملون الاموال الى الروم ما قر بقيه يستجدون بهم على الروم
فقال لهم ملك الروم مثلي ومثلكم كمثل رجل كان له زوجتان عجوز وشابه
فكان اذا بات عند الشابه تلقط الشيب من لحيته كي تخفي امارة السن منه
واذا بات عند العجوز تلقط الشعر الاسود من لحيته لتشيخه في عين الصبيه
فينوشكان ان لم هذا ان يبقى اطلس كذلك حالكم معي ومع العرب اذا لم
يتم المال الي والي العرب يوشكان ينفد مالكم فتبقوا فقراء ضعفاء لا شيء لكم

ويروى انه لما طلب اخذ صقليه امر ان يبسط بساطا في الارض ثم جعل
في وسطه دينارا ثم قال لوجوه رجاله من اخذ منكم هذا الدينار ولم هم
بيطا البساط علمت انه يصلح للملك فوقفوا حوله ولا يصل احد اليه فلما اعيا
ذلك طوى ناحية البساط من عنده وامر كل واحد منهم بطوي ما يليه حتى
طوى البساط فمدوا ايديهم فلحقوا الدينار فقال لهم اذا اردتم مدينة صقليه
فخذوا ما حولها من الحصون الصغار والمدن والضياع والقرى حتى اذا
ضعفت اخذتموها وكان بسرقسطه فارس يقال له بن فحتون وكان
يانسبني من جهة امي فيقع خيالي وكان اشجع العرب والعجم وكان المستعين
ابو المقتدر بالله يرى ذلك ويعطيه وكان يجري له في كل عطيه خمسمايه
دينار وكانت النصرانيه باسرها علمت مكانه وهابت لقاءه فيحكون ان
الرومي اذا سقي فرسه ولم يشرب يقول له اشرب ابا بن فحتون رايت
في الماء محسده فنظاره عاكره كثره العطا ومنزلته من السلطان واعزازه به
صد المستعين فمنعه بعض ما كان يعطيه اياه ثم ان المستعين
انشا غزوه الى بلاد الروم فتواقف المسلمون والمشركون صفوفا ثم برز
علج الى وسط الميدان فنادى هل من مبارز فخرج اليه فارس من
المسلمين فتجاولا ساعه فقتله الرومي فصاح الكفار سرورا وانكسرت
نفوس المسلمين وحمل الرومي بكربين يديه الصفين وينادي ثلاثا
بواحد فلم يبرز احد من المسلمين يخرج اليه فبقي الناس في حيره
فقيل للسلطان ما لها الا ابن فحتون فدعاه واستطعنه وقال اما
ترى ما يصنع هذا العلج فقال هو بعيني قال فما الحيله فيه قال ابو الوليد
فما تريد قال ان نلقي المسلميه شرها قال الساعه يكون ذلك بحول الله

وقوة فلبس غلالة كتان واستوى على سرجه بلاسلاح واخذ بيده سوطا
طويل الطرف وفى طرفه عقد معقوده ثم برز اليه فجبب منه النصرانى وحمل
كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة النصرانى سرج به فتحول واذا ابن
فحول متعلق برقبة الفرس ونزل بالارض لاشئ منه على السرج ثم ظهر
على سرجه وحمل عليه وضربه بالسوط على عنقه واخذه بيده من السرج و واقتلعه
وجاء به فلقاه بين يدى المستعين فعلم المستعين انه كان محظيا فى
صنيعه معه فاكرمه ورد اليه احواله ايها الاجناد اقلوا الخلاف
على الامراء فلا ظفر بعد اختلاف ولا جماعة لمن اختلف عليه قال الله تعالى
ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم اول الظفر الاجتماع واول الخذلان
الافتراق وعماد الجماعة السمع والطاعة واعلموا ان على بن ابي طالب رضى الله عنه
يوم صفين وكان ظهر اهل العراق على اهل الشام يوم صفين وتضعضعت
صفوف معاوية فتحاوزوا نه مغلوب فقال لعمرو بن العاص اذهب فخذ
الامان من بن عمك يعنى عليا فاراد عمرو الحيلة وامرهم ان يرفعوا المصاحف
على اطراف الرماح وينادون ندعوكم الى كتاب الله فلما رأى ذلك اصحاب
على كفوا عن الحرب فقال على يا قوم هذه مكيدة منهم ولم يبق فى القوم دفاع
فعصوه وتركوا القتال فكان ذلك سبب الحكمين واعلم ان من احزم
المكايد فى الحرب اذكاء العيون واستطلاع الاخبار وافشاء الغلبة و
اظهار السرور واماتة الخلف والاحتراس من العدو وان لا يخرج هارب
الى القتال ولا يضيق امانه على مستأمن وقال بعض المصنفين كثرة
التكبير عند اللقاء تفل غضو الاصوات وتجانبوا السكينة والهلوا اللوازم
واخفوا الحس وادعوا الليل فانه اخفى للويل الليل يكفيكه الجبان ويصيف

الشجاع الليل لمدد الاعظم الجالم يحذر عدوه على كل حال الموانبة
ان قرب والغارة ان بعد والكمين ان انكشف والاستطراد ان ولا
الجهل قوة الجراءة من اغتر بقوته فقد وهن ليس من القوة التورط
فى الهوة لكن اشد ما يكون حذرا ما كنت عند نفسك اكثر قوة
وعدادا منه استضعف عدوه واغتر ومن اغتر ظفر به عدوه اشعروا
قلوبكم فى الحرب الجراءة فانها سبب الظفر واذكروا الضغائن فانها
تبعث على الاقدام والتزموا الطاعة فانها حصن المحارب اذا وقع اللقاء
نزل القضاء والقى السيف نزال الحيارب مليت ابلغ من
يجده رب كلمة هزمت عسكر الصبر سيف الظفر الظفر الصبر
اجعل قتال عدوك آخر حيلك النصر مع التدبير لا ظفر مع بغى لا
تغترن بالاقوى لفضل قوتك على الضعفا لا تجبنوا عند اللقاء ولا
تمثلوا عند القدرة ولا تقرفوا عند الظهور لا تغلوا عند الغنايم وتز
هو الجهاد عن عرض الدنيا الباب الثانى والستون فى القضا
والقدر والتوكل والطلب واحكامها اعلم ان مذاهب اهل الحق فى
القضا والقدر وخلق الافعال وارادة الكاينات منتشرة ولا يخرج
عن علمه وقضائه وقدره وحكمه حادث ثم من خالفنا فى القضا والقدر
وافقنا فى العلم فيه وقد تباين الخلق فيه وتشتت مذاهبهم و
تقاطعوا فيه وتدابروا وكل حزب بما لديهم فرحون ولم يضع هذه الترجمة
لاستيفاء ما قالوا والاحتجاج لكل فريق لان ذلك يستدعى مجلدات
واسفارا وانما نذكر فى هذا الكتاب احكاما ظاهرة قريبة من العقول
لتقريب الغاية على الخاطر فاعلم اولا ان كل ما يجرى فى

الخلق

العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة و
معصية وكذلك فلا يطير طاير بجناحيه ولا يدب حيوان على بطنه
او رجليه ولا يسقط من ورقة ولا تطرق بعوضة الا بقضاء الله
وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجري شئ من ذلك الا وقد سبق علمه به
ثم اعلم ان القدر والطلب لا يتنافيان والتوكل والكسب لا يتضادان
وذلك ان تعلم ان كل ما قضى الله تعالى وقدره فهو كاين لا محالة
كان ما علم الله به يكون فهو كاين ممن خالفنا في القضا والقدر وا
في العلم فرب امر قدر الله تعالى وصوله اليك بغير طلب وهو اصل و
امر قدر الله تعالى وصوله اليك بعد الطلب ولا يصل اليك الا بالطلب
والطلب ايضا من القدر فلا فرق بين الامر المطلوب وبين الطلب في
انهما مقدوران فمن ها هنا قلت انهما لا يتنافيان وكذلك التوكل
مع الكسب لان التوكل محله القلب والكسب محله الجوارح ولا يتضا
دان شيآن في محلين بعد ما يتحقق العبد ان التقدير من قبل الله تعالى
فان فسر شئ فبتقديره وان اتفق شئ فبتيسيره قال ابن جابر رجل
على ناقة له فقال يا رسول الله ادعها واتوكل فقال اعقلها وتوكل فا
التوكل والاعتصام بالقدرة يستمدان من العقل والطلب والكسب
يستمدان من الامر فالتوكل على الله هو الثقة بما ضمنه والقطع كون ما
يحكم به فمن رام امرا من الامور فليس الطريق في تحصيله ان يغلق بابه عليه
ويقعد في داره وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق ان يشرع
في طلبه على الوجه الذي شرعه الله فيه وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم
بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة ليستظهر به ويحترس من العدو

واقام الرماة يوم احد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يليق لامة الحرب ويعبي الجيوش
ويامرهم وينهاهم بما فيه مصالحهم واستر قاوامر بالاستر قا وتداوى وامر با
لمداواة وقال انزل الدوا الذي انزل الداء فان قيل اليس قد روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من استر قا واكتوى فقد من التوكل قلنا اليس قال
اعقلها وتوكل وظاهر بين درعين وساير ما ذكرنا انفا فان قيل فما المخرج
من ذلك قلنا معناه استرقى واكتوى متكلا على الرقية والكي وان البرء من
قبلهما خاصة فهذا يخرجه من التوكل وانما فعله كما فر يضيف الحوادث الى الله
تعالى فاما من باشر الاسباب والادوية وتعاطى تدبير الامور بنفسه
واعوانه ومماله على ما جرت به سيرة الله تعالى في ارضه وعادته في
خلقه غير معتمد معتمد على شئ فبتقديره ومعتمده في ذلك على المسبب
لا على الاسباب فهذا هو التوكل لكن من شرطه ان يعتني في ذلك كله مع
الامر ولا يسلك طريقا فيه معصية فليس يستدرك ما عند الله بما
صيبه وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ابتغى امرا بمعصية الله كان
لما رجى واخوف لما اتقى ومن ظن ان الطلب والاكتساب ينافيان فقد
التوكل فعقد في بيته واغلق بابه متوكلا على الله تعالى في زعم كان عن
العقل خارجا وفي تيه الجهل والخبا ويقال له فيجب من هذا اذا جعت
وحضر الطعام الا تمد يدك اليه وان لا تفتح فمك فان مشا عليه كان الى
العقل اخرج منه الى المعرفة وينبغي لاهله ان يداوه الا ترى ان الله تعالى
قال لمريم وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فامرها بفعل لا
امرها السكون ثم حمل الرطب الى فيها وهكذا القول فيمن له دابة وبستان
يوم يسقي البستان وحمزه واصلاح شانه ويوم يان يعلف الدابة

وانشدوا في هذا المعنى

الم تر ان الله قال لمريم ... وهزي اليك الجذع يسّاقط الرطب

ولو شاء انثى الجذع من غير هزه ... اليها ولكن كل شئ له سبب

وهكذا قال الرسول عليه السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل رزقها اليها فاوكارها بل الهمها طلبها بالغدو والرواح وكان جميل رئيس الغيد هاربين يرى من تصديق القدر وتكذيب الطلب دون اهل زمانه من الملوك ما عجزه عن الطلب والتدبير واخرجه اخرجه من سلطانه وقهره على مملكته وقال بعض الحكماء ان ترك الطلب يضعف الهمم ويذل النفس وصاحبه صاير الى اخلاق ذوات الاظمجة من الحيوان كالضب وسايل الحشرات تتشفى في اجحرتها وفيه يكون موتها ثم جمعوا بين القدر والطلب وقالوا انها كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل واحد منهما الربح مما حمل الاخر سقط في حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وصح بوافيه مثلا عجيبا وقالوا ان اعمى ومقعدا كانا في قرية بقفر وضرا قايد للاعمى والحامل للمقعد وكان في القريه رجلا يطعمهما كل يوم احتسابا لقوتهما من الطعام والشراب فلم يزالا في عافية الى ان هلك المحتسب فلبثا بعده اياما فاشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فاجمعا رايهما على ان يحمل الاعمى المقعد على الطريق فيدله المقعد على طريق في القريه يستطعما اهلها فمضيا فصح اوهما ولم نفعلا هلكا فكذلك القدر سبيه الطلب والطلب سبيه القدر فكل واحد منهما معين لصاحبه فاخذ جميل بالطلب وظفر باعدائه ورجع الى ملكه فكان جميل

يقول لا تدع الطلب اتكالا على القدر ولا تجهد نفسك في الطلب معتمدا عليه مستهينا بالقدر فانك اذا جهدت نفسك بالطلب ثم جمع التدبير مصدقا بالقدر نلت ما تحاول ولم تلتمع عليك الامور وان علمت ذلك والتوى عليك مطلوبك فذلك من علامة القدر والملك قد اتيت ذنبا فتفقد جوارحك واستكشف ظاهرك وباطنك وتب الى الله تقال من كل ذنب اتيته بجارحة من جوارحك واخرج من كل مظلمة ظلمتها فاذا فعلت ذلك قابلك الحظ وساعدك القدر انشاء الله واعلم ان هذا الاصل الذي قررناه يخرج كل ما ورد في القرآن وحديث الرسول عليه السلام من الامر بالتوكل على الله والتسليم اليه والتفويض اليه فمن ذلك ان سليمان الخواص تلى يوما قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت فقال لا ينبغي لاحد بعد هذه الاية ان يلجأ الى احد غير الله قلنا معناه لا يلجأ الا لا سباب اعتمادا على الاسباب ولكن يلجأ اليها واثقا بان الله يفعل ما يشاء كما امر النبي صلى الله عليه وسلم بعقل الناقة ولبس الدرعين الا ترى ان من تطلب الزرع والولد ثم قعد في بيته وقال لا بذر ارضه معتمدا في ذلك على الله تعالى واثقا به ان تلد امرأته من غير وقاع وتنبت ارضه الزرع من غير بذر كان عند المعقول خارجا عن امر الله تعالى تاركا وللايمة والحكماء في القدر الفاظ بارعة سليمة عن الشين والامتحان منها ما روي ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه سئل عن القدر فاعرض عن السايل فابى الا الجواب فقال علي اخبرني ايخلقك كما شئت او كما شاء فامسك الرجل فقال علي

الحاضرين اترونه يقول كما شاء او كما شاءت فقال
ايجيبك كما يشاء او كما تشاء قال كما يشاء قال افيد خلك حيث يشاء
ام حيث تشاء قال حيث يشاء قال فليس لك من الامر شيء ويروى ان حليمين
قدريا ومجوسيا تناظرا فقال القدري للمجوسي مالك لا تسلم فقال
المجوسي لو اراد الله لاسلمت قال القدري قد اراد الله ان تسلم ولكن
الشيطان يمنعك قال المجوسي فانا مع اقواهما وروي عن الامر ايليات
ان نبيا من انبياء الله قال لهر بفخ منصوب واذا طائر قريب منه
فقال الطائر يا نبي الله هل رايت اقل عقلا من هذا نصب هذا
الفخ ليصيدني وانا انظر اليه قال فذهب عنه ثم رجع فاذا الطائر في
الفخ قال له عجبا منك الست القايل الفاكذا وكذا فقال يا نبي الله
اذا جاء الحين لم يبق اذن ولا عين وقال رجل من الخوارج لعلي بن
ابي طالب رضي الله عنه ارايت مسيري من جنبي سبيل المقدور ام سلك
بي سبيل الذي احسن الي آمرا فقال علي ان كنت قد استوجبت
عليه حقا فهو يفعل ما يشاء وقال ميمون بن مهران لغيلان القدري
سل فاقوى ما تكون اذا سالتم فقال غيلان ان شاء الله ان يقضي
فقال ميمون ليقضي الله كارها فاقطع غيلان ويروى ان رجلا
قال لابن جعفر نفعل ننتظر في القدر قال وما تصنع بالمناظرة
رايت امرا ظاهرا استدللت به على باطن رايت احمق مرزوقا وعالما
محروما فعلمت ان التدبير ليس الى العباد وقال بعضهم
يخيب الفتى من حيث يرزق صاحبه ويعطي الناس من حيث يحرم كالبهائم
ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد

الملك قال له يزيد بن المهلب انت ادهى الناس واعلمهم فكيف طر
حت نفسك في يدي سليمان فقال موسى ان الهدهد يهتدي
من الماء في الارض القيفار ويبصر القريب من البعيد منه عما بعده
من التخوم وينصب له الصبي الفخ بالدودة والحبة فلا يبصره
ويقع فيه وفي الاسرائيليات ان الهدهد كان رائد سليمان
بن داود عليهما السلام فيستقدم معسكره ثم ينظر الى الارض فيعرف
الماء هنا على الف قامة او اقل او اكثر فينادي بحفر فيحفر ولا
يلحق سليمان الا وقد استعذب الماء واعلى ان الهارب مما هو
مقضي مقدر كالمتقلب في كف الطالب وانشد بعضهم
واذا خشيت من الامور مقدرا وفررت منه فنحوه تتوجه

وليشار بن برد الاعمى

طلبت علما في غير محبرتي هواي ولو خيرت كنت المهذبا
اريد فلا اعطا واعطا فلم ارث وقصر علمي ان نال المغيبا
واصرف عن قصدي وعلمي عقمرث واهسي وما اعقبت الا التحيبا
ولما وقع الطاعون بالكوفة في سنة ابي ليلى على حماره يطلب النجاة فسمع
منشدا ينشد

لن تسبق الله على حمار ولا على ذي منعة طيار
او يأتي الحتف على مقدار قد يصبح الله امام الساري

فلان حي مهرب وقال ابن علي بن عزم حميد الطوسي على الحج
لم يدر له فدخلت عليه فقلت اصلح الله الامير ما اقعدك عن
الحج فقال بلغني ان في الطريق وبا فقلت في ذلك

اقام على المسير وقد بيحت مطاياه وغرد حاديها
وقال اخاف عادية الليالي على نفسي وان القي رداها
وقلت له عزمت عليك لا ما بلغت من العزيمة منتهاها
فمن كتبت منيته بارض فليس يموت في ارض سواها

ولما قتل كسرى بزدجرد وجد في منطقته كتابا فيه اذا كان
القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طبعا فا
لثقة بكل احد عجز واذا كان الموت بكل احد نازل فالطمانينة
الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد والحسن البصري في قوله
تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب
فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن
وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يوقن بالموت
كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يوقن
بعرض الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمانن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله

وقال يحيى بن معاذ عجبت من ثلاثة رجل يشغلهم عدوه ومن
عالم مفتون يعيب على زاهد مغبوط وقال ابن مسعود ان الرجل
ليشرف على الامر من امر التجارة او غيرها فاذكره الله تعالى فوق سماوات
يقول للملائكة اصرفوا عنه عبدي هذا الامر فاني ان يسرته له
ادخلته به جهنم فيظل يتغيظ على جيرانه فيقول سبقني فلان
وحسدني فلان وحاصرته عنه الا الله تعالى استاذن العقل
على الجد فقال اذهب فلا حاجة لي بك فقال العقل ولم قال
لانك تحتاج الي ولا احتاج اليك واوصى حكيم ابنه وعاله

فقار

٢٧٢

رجل يريد يتناول رزقه بتدبيره وهو يرى تناقض تدبيره

واوصى

فنفع فقال يا بني رزق الله جدا يخدم مكبر ذوي العقول والارزاق
عقلا تخدم بر ذوي الجدود وكان يقال افراط العقل مضر
بالجدود وبيان رجلا خيرني امرين فقال انا بجدي
اوثق مني بعقلي فاخترع وفي الامثال اسع لجدا لا بكد اسع بجد
اودع جدك لا كدك الجد للجد لجدا غنى من الكد واعلم ان
زمام الامور التوفيق ولم ينزل من السماء الى الارض قدر من
التوفيق وهو مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقد كنت جمعت فيه كتابا من جملة
كتابي في الاسرار هذا التوفيق فهكتب او موهبة لا سبب
فلا فريد عليه ومن لطيف ما وقفت عليه في مجرى القضا
والقدر فان الهارب من القادر كالمتقلد بيد الطالب
ما نزل بمدينة الاسكندرية وذلك ان رجلا ابن خدمة
السلطان اخذ بخدمته وغاب اياما ثم طلع بغرمائه الشرطة
فقادوه الى السلطان فخشي من سطوة السلطان فيناهم
يتقاودونه اذ مروا على بير في شارع الطريق فانساب
منهم وتردى في البير وهذه المدينة تحت الارض سرب يسير
فيها الراجل قائما من اولها الى اخرها فمازال هذا الرجل
يمشي في نقوب تحت الارض الى ان وجد بيرا صاعدة
فتعلق بها واذا البير في دار السلطان فلم يستفق اهل
الدار الا والرجل قد طلع عليهم من البير فقصد السلطان
واوهمه ان غرمه من فوره الى السلطان فذكرها فمضى

٢٧٣

الباب الثالث والستون

برجله اليه طايعا وهكذا تفعل الاقدار

وهذا باب جامع من اخبار ملوك العجم وحكمائهم وهو يشتمل على خمسة فصول الاول يشتمل على اخبار وقعة البنا بعد الفراغ من هذا الكتاب فالحقنا هكذا ثاني والثالث يشتمل على حكم ملوك الفرس خاصة والثالث يشتمل على حكم ملوك الهند خاصة والرابع يشتمل على حكم ملوك العرب خاصة والخامس يشتمل على حكم مجموعة منتخبة رسمنا كذلك لتنظر في عقول القوم واعراضهم ومنتهى مرامهم مجموعة من كتاب حاوينداره جرد الفارسي قال ثلاثة لا يصلح فسادهم بشيء من اصل العداوة من الاقارب ومتحاسد الاكفاء والشركاء في العقل وثلاثة لا تستفسد صلاحهم بنوع من اكمال العبادة في العلما والتقنع من المبصرين والسخي في ذوي الاخطار وثلاثة لا يشبع منهم الحياة والعافية والمال وقال ابن لقمان لابنه ما ذا العار قال عونة مولوده قال فما الحرج الدوي قال المرأة السوء قال فما الحمل الثقيل قال العدم فلما قرأ هذه الحكاية ابو عبادة الكاتب وكان ظريفا فاخبره قال لكن والله العدم اخف من ريش وكان اسرع الناس غضبا فقيل له انما عنى لقمان ان احتمال العدم ثقيل قال والله لا يقوى على احتمال العدم الا الجمل غضب يوما على بعض اصحابه فرماه بدواة فشجه فجعل الدم يسيل فقال ابو عبادة صدق الله حيث قال والذين اذا ما غضبوا هم

يغفرون

قال فبلغ ذلك المامون فاستحضره فقال ويلك لا تحسن تقرا الاية تمامها فقال بلى والله يا امير المؤمنين اني لاقرا من السورة الواحدة الف اية قال فضحك المامون وامر باخراجه وقيل لانوشروان ما العقل قال القصد في كل الامور قيل فما المروة قال ترك الريبة قيل فما السخا قال ان تنصف من نفسك قيل فما الحمق قال الاعتراف في الذم والحمد وقيل لبعض الحكما ما الحزم قال سوء الظن قال فما الصواب قال المشورة قال فما الذي يجمع القلوب على المودة قال كف بذول وبشر جميل قيل فما الاحتياط قال الاقتصاد في الحب والبغض وقال بعضهم في قوله الحزم سوء الظن انما اراد سوء الظن بنفسه لا بغيره وقال معاوية لزياد حين ولاه العراق يا زياد ليكن حبك وبغضك قصدا فان الغيرة كامنة واجعل للرضوع و النزوع بقية من قلبك واحذر صولة الانهماك فانها تؤدي الى الهلاك وهو مثل قول علي رضي الله عنه احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما ومن ذلك قول

ولا تياس من الدهر من ودكاشح ولا تامن الدهر ضرم حبيب

وانشدنا ابو عبد الله رحمه الله

واحبب حبيبك حبا رويدا فليس يعوك ان يصرما

وسئل يزدجمهر عن العقل قال ترك ما لا يعنى قيل فما الحزم قال انتهاز الفرصة قيل فما الحلم قال العفو عند المقدرة قيل فما الشدة قال ملك الغضب قيل فما الخرق قال حب مغرط وبغض مفرط وقيل لبعض الملوك وقد بلغ في المنزلة والقدر ما لم يبلغه احد

من اهل زمانه الذي بلغ بك هذه المنزله قال عفوي عند قدرتي
ولين بعد شدتي وبذلي الانصاف ولو من نفسي واتقائي في الحب
والبغض مكان الموضع الاستبداد وقال الاسكندر لبعض الحكماء
وارد سفرا ارشد في لاحزم امري قال لا تملكن قلبك محبة الشيء ولا تتشو
ل عليك بغضه واجعلها قصدا فان القلب كاسمه يتقلب وله
خاصية من التقلب ينزع ويرجع واجعل وزيرك التثبت وسميرك
التيقظ ولا تقدم الا بعد المشوره فانها نعم الدليل واذا فعلت
ذلك ملكت قلوب رعيتك ملك استعباد وقيل لبعض الحكماء ما
الدليل الناصح قال غريزة العقل مع الطبع قيل فما القايد المشفق
قال حسن النطق قال فما الغنى قال قليل يقنعك ممن لا طبع له وقال
الفضل بن سهل سالت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم فقا
ل لم يزل عرفه وجرد سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة
ورهبة لا ينهضم حده ولا تخرج رعيته سهل النوال حزين النكال
الرجاء والخوف معقودان في يده قلت فكيف حكمه قال يرد الظلم
ويردع الظالم ويعطي كل ذي حق حقه فالرعية اثنان راض ومغتبط
قلت كيف هيبتهم له قال يتصور في القلوب فتغمض له العيون قال
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الحبشة الى اصغاى اليه واقبال
عيني عليه وكانت الرسل تقتل عندي فقال لترجمانه قل له
ما الذي يقول الرومي قال يصف ملكهم ويذكر سيرته فكلم
الترجمان نبيي فقال له النبي انه يقول ان ملكهم ذو اناة عند
القدرة وذو حلم عند الغضب وذو اسطوة عند الغلبة وذو اعفو به عند
الاجرام فذكر سيرته جميل نعمته وقصرهم بعنف عقوبته فهم بين آمن ونا
ئل الهلا حيا لا دنيا فونه خوف الموت فكان كذلك وقد وسعهم عدله

وقال الشاعر
وما سمي الانسان الا لنسيه
ولا القلب الا انه يتقلب

في نسخة
ولا ينهض جنده ولا تخرج
رعيته

ملك الروم
في نسخة
فنظر

ورد عهم سطوة وكلمة لا تهنه فرحة ولا تونسه غفلة اذا اعطى اوسع
واذا عاقب اوجع فالناس امنان راج وخايف فلا الراجي خائب الامل
ولا الخايف بعيد الاجل فقلت فكيف هيبتهم له قال لا ترفع اليه العيون
احقانها ولا تتبعه الابصار انسانها كان رعيته طيور ترقرق عليهم صقور
صوايد فحدثت المامون بهذين الحديثين فقال كم قيمتهما عندك
قلت الفي درهم قال يا فضل ان قيمتها عندي اكثر من الخلافة اما علمت
حديث امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قيمة كل امرئ ما يحسن اقصر فتعرف
احد اخي الخطباء والبلغا يحسن ان يصف شيئا او احدا من خلفا والراشدين
المهديين بمثل هذه الصفة قلت لا قال امرت لهما بعشرين الف دينار
معجلة لهما واجعل العدة مادة بيني وبينهما على العود فلولا حقوق الاكرام
واهل البيت اعطاهما ما في بيت مال الخاصة والعامة دون ما استحقاه
وقال الفضل بن سهل كان عندي رسول ملك الهند وكان يحدثني عن اخت
للملك وكان يقال لها خاتون وقال اصابتنا سنة اعتدم شواظها
علينا بحرارة للصايب وصنوف الافات ففزع الناس الى الملك فلم يرد
ما يجيبهم فقالت له خاتون ايها الملك ان الخرم علق لا يخلق جديده
ولا يمتهن عزيزه وهو دليل الملك على استصلاح رعيته وزاجر له
عن استفسادها وقد فزعت رعيتك بفضل العجز عن الالتجاء
الى من لا تزيده الاساءة الى خلقه عز ولا ينقصه العود بالاحسان
اليهم ملكا وما احدا ولي بحفظ الوصية فز الموصي ولا بركوب الدلالة
فز المدل ولا بحسن الرعاية فز الراعي ولم يزل في نعمة لم تغيرها نقمة
ولا زال ولا بحسن الرعاية فز الراعي ولم يزل في نعمة لم تغيرها نقمة
وفي رضا لم يكدره سخط الى ان جرى القدر بما عمي به البصر وذهل
عنه الحذر فسلب الموهوب السالب هو الواهب فعد اليه بشكر

ورد عهم

النعم وعذبه من فضيع النقم فمتى تنسه ينسك ولا تجعل الحياء
من النذل للنعم للذل شريكا سينك وبين رعيتك فتستحق مذموم
العاقبة ولكن مرهم وتنسك بصرف القلوب الى الاقرار بكثرة
القدرة وتبذيل الالسن فالدعا بحسن الشكر له فان الملك رعا عاقب
عبده ليرجعه عن سيئ فعله الى الصالح عمله او ابتعثه على ود شكر
يحوزبه فضل احرافاهرها الملك ان تقوم فيهم فتنذرهم بهذا الكلام
ففعلت فرجع القوم على بابه و قد علم الله منهم قبول الوعظ في الامر
والنهي فحال عليهم كولوما بينهم مفتقد نعمة كان سبيلها وتواترت
عليهم الزيادات بجميل الصنع فاعترف للملك بالفضل فعقلها الملك
وجمع الرعية على الطاعة في المحبوب والمكروه فهذا فعل الله باعدائه
وضرائر نعمه لما شكروه اعاد لهم في نعمهم ما كان قد استرجع وزادهم
من فضله ما تمنوه فكيف بمن يوحده ويؤمن به لو صدقت نياتنا
وصحت ضمايرنا الى الله قوله حدثه توفخد سول بعض
الملوك بدمشق في خلافة هشام بن عبد الملك فوجد في جيبه
لوح من ذهب مكتوب فيه اذا ذهب الوفا نزل البلا واذا مات
الاعتصام عاش الانتقام واذا ظهرت الخيانات امتحقت
البركات وقال الوضاحي وجه انوشروان رسوله الى ملك
قد اجمع على محاربته وامره ان يتعرف سيرته في نفسه ورعيته
فرجع اليه فقال وجدت عنده الهزل اقوى من الجد والكذب
اكثر من الصدق والجور ارفع من العدل فقال
انوشروان رزقت الظفر به سر اليه ولكن عمله

في محاربته بما هو عنده اضعف واقل واوضع فانك منصور وهو مخذول
فسار اليه فقتله واستولى على مملكته وقال بزرجمهر زخافة الجد والكذب عدو
الصدق والجور مفسدة الملك فاذا استعمل الملك الهزل ذهبت هيبته واذا
استصحب الكذب استخفه واذا ظهر الجور فسد سلطانه وكان نقش
خاتم رستم وهو احد ملوك الفرس يقول الهزل مبغضة والكذب منقصة و
الجور مفسدة وقتل بعض اصحاب اسفنديار رجلا من الترك فاصاب
معه في عنقه لوحا من ذهب فيه مكتوب آفة الثروة التهيب وآفة
المنطق الحيا وآفة كل شئ الكذب وقيل لبعض الحكما ما قيمة الصدق قال
الخلد في الدنيا قيل فما قيمة الكذب قال الموت عاجل قيل فما قيمة العدل
قال ملك الابد قيل فما قيمة الجور قال زوال الحياة قال وسئل ملك الهند الاسكندر
وقد دخل بلاده ما علامة الملك ودولته قال الجور في كل الامور قال فما
علامة زواله قال الهزل فيه قال فما سرور الدنيا قال الرضا بما رزقت
قال فما غمها قال الحرص عما لعلك لا تناله وقال بزرجمهر ثلاث هن سرور
الدنيا وثلاث هن غمها فاما السرور فهو الرضا بالقسم والعمل في الطاعة با
لنعم ونفي الاهتمام بالرزق لغد واما غمها فرض مسرف وسؤال مجحف
وتمني ما يلهف ومر بعض الملوك بغلام يسوق حمارا غير منبعث وقد عنف
عليه في السوق فقال يا غلام الرفق به فقال الغلام ايها الملك في الرفق به
مضرة عليه قال يطول طريقه ويشتد جوعه وفي العنف احسان اليه قال وما مضرته
يخف حمله ويطول اكله فاعجب الملك كلامه وقال له قد امرتك بالف درهم
قال رزق مقدور وواهب مشكور قال وقد امرت باثبات اسمك في حسبتي
قال كفيت مؤنة ورزقت بها معونة قال لولا انك حديث السن لاستوزرتك

www.alabdulgadir.com

قال الذي يعدم الفضل من رزق العدل والعقل فهل تصلح لذلك قال انما يكون
الحمد والذم بعد التجربة ولا يوقف الانسان نفسه حتى يبلوها قال فاستوزره
فوجده ذا راي صليب وفهم رصيب ومشورة تقع مواقع التوفيق قال
وكتب الاسكندر الى ارسطاطاليس وقد نفذت يده في الشرق والغرب اكتب لي
لفظة موجزة تنفع وتردع فكتب اليه اذا استولت بك السلامة فجدد
ذكر العطب واذا هنتك العافية فحدث نفسك بالبلا واذا اطمان بك
الامن فاستشعر الخوف واذا بلغت نهاية الامل فاذكر الموت واذا احببت
نفسك فلا تجعل لها في الاساءت اليها نصيبا قال وعظ بعض الحكما ملكا
فقال له ايها الملك ان الدنيا دار عمل والاخرة دار ثواب ومن لا يقدم لا يجد
وقد خلقت نفسك حلاوة عيشها بترك الاساءت اليها واعلم ان زمام العافية بيد
البلا وامر السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا
تكونن في حال من هذه الثلاث غير متوقع لاضدادها ولا تجعل نفسك غر
ضا لسهام المهلكة فان الدهر عدو بن ادم فاحترز من عدوك بغاية الا
ستعداد واذا فكرت في نفسك وعدوها استغنيت عن الوعظ قال وكتب
الاسكندر عامل بابل الاسكندر به اجل قريب في يد غيرك وسوف حثيث
من الليل والنهار واذا انتهت المدة حيل بينك وبين العدة فاحتل قبل المنع
واكرم اجلك بحسن صحبة السابقين واذا انسك السلامة فاستوحش من
العطب فانه الغاية واذا اوحشت المعافية فاحزن للبلا فاليه تكون الرجعة واذا
بسطك الامل فاقبض نفسك عنه بذكر الاجل فهو الموعد واليه المورد وقال
بن الاعرابي حدثني من راى بين اصبهان وفارس حجرا مكتوبا عليه العافية
مقرونة بالبلا والسلامة مقرونة بالعطب والامن مقرون بالخوف ولما

ضرب انوشروان عنق بزرجمهر لما رغب عن دينه المجوسية وانتقل الى دين
المسيح عليه السلام وجد في منطقته كتابا فيه ثلاث كلمات اذا كان العدل
حقا فالحرص باطل واذا كان العدل في الناس سطحا طباعا فالتقة بكل احد عجز
واذا كان الموت بكل احد نازل فالطمانينة الى الدنيا حمق ولما ناشد الله
عالم النبي سليمان بن داود عليهما السلام رد عليه ملكه كتب على كرسيه اذا ضحت
العافية نزل البلا واذا تمت السلامة نجم العطب واذا تم الامن علق الخوف
وجد حفير بفارس فوجد فيه لوح رخام فيه اربعة اسطر محفورة فاولها
ايها المعافا ابشر بالبلا والثاني ايها السالم توقع العطب والثالث
ايها الآمن خذ اهبة الخوف والرابع ايها الموسر لن يبعد عنك العسر
ولما نزل ابو مسلم مدينة سمرقند اتاه اسقفها فقال ايها الملك
انه بالعندهار حجر احمد فونا فيه ثلاثة اسطر وجدت في الكتاب
ان سليمان بن داود بعث به ودفن في هذا الموضع ووجدانك انت
الذي تستخرجه وتعمل بما فيه فامر به فاخرج فاذا اول سطر منه الحزم
انتهاز الفرصة وترك الوفا فيما يخاف اليه الفوت والسطر الثاني الرياسة
لا تتم الا بحسن السياسة والسطر الثالث لم يقتل الآمن بترك للا
بما ولم يصب من لم يجب فكان ابو مسلم يقول علم جليل تتم به هذه
الدولة ان لم ينزل القدر بما يحول بيننا وبين الحذر ولم نزل نستعمل هذا
الكلام الى ان قدم العراق فاعماه القدر عن الاستعانة بالحذر ولما حج
ابو مسلم قيل له ان بالحيرة نفرا يا قد اتت له مائتا سنة وعنده علم
من العلم الاول فوجه اليه فاتي به فلما نظر الشيخ الى ابي مسلم قال قد مت
بالكفاية ولم تنل العناية وقد بلغت النهاية احرقت نفسك لمن
سيسكن حسك وكان قد عاين رمسك فبكا ابو مسلم قال لا تبك

فالذكر لم يؤت من حزم ونيق ولا من راي رفيق ولا من تدبير نافع ولا من
سيف قاطع ولكن اسبجع لاصل اهله الاسرع به في تقريب اجله قال فما تراه
يكون قال اذا تواطا الخليفتان على امر كان والتقدير في يدي من يبطل معه
التدبير وان رجعت الى خراسان سلمت وهيهات فاراد الرجوع فكتب اليه
المنصور بالمضي ووجه اليه من يحثه فلولا ان البصر يعمى اذا نزل القدر لكانت
هذه دلالة تقع موقع العيان وتبعث على التيقظ في الحذر والاحتيال
في الهرب على ان لكل نفس غايه ولكل امر نهايه قيل لجالينوس الحكيم وهو
راس الطب وفيلسوفه وقد تهكنته العلة الا تعالج نفسك قال اذا كان الدا
من السما بطل الدوا واذا قدر الرب بطل حذر المربوب ونفع الدوا للاجل ويئس
الدا للامل وقال بعض الغزاة فتحنا حصنا من بلاد الروم فرايتا فيه صورة
اسد في صحر مكتوب عليه الحيله خير من الشده والتاني افضل من العجله
والجهل في الحرب احزم من العقل والتفكر في العاقبه مادة الحزم وقال احمد
بن سهيل وجه ملك الروم الى هرون الرشيد ثلاثة اسياف مع هدايا
كثيره وعاسيف منها مكتوب ايها المقاتل احمل تغنم ولا تفكر في العاقبه
فتهزم وعلى الثاني منها اذا لم تصل ضربة سيفك فصلها بالفحوده وعلى
الثالث مكتوب التاني فيما لا يخاف عليه الفوت افضل من العجله الى اد
ركك الامل وقال الحسن بن سهل قراة في كتاب جاوذان جرد ثلاث تبطل
مع ثلاث الشده مع الحيله والعجله مع التاني والاسراف مع القصد وقال
الحسن بن عجاد رايت بعدن راس حجر عليه مكتوب بالحمير يه ايها الشديد
احذر الحيله ايها الجحود خف التاني ايها المحارب قاس بالتفكر في العاقبه
ايها الطالب موجود لا تقطع امدك من بلوغه وكتب فيضر الكسر
اجر في اربعة اشيام اجر من يعرفها واخالها عندك اجر في ما عدو الشده

وصديق

وصديق الظفر ومدرك الامل ومفتاح الفقر فكتب اليه الحيلة عدو
الشده والصبر صديق الظفر والتاني مدرك الامل والجود مفتاح
الفقر وقال بعض الملوك لحكيم واراد سفرا اوقفني على اشيا من حكمتك
اعمل بها في سفري فقال له اجعل تانيك زمام عجلتك وحيلتك رسول
شدتك وعفوك ملك قدرتك واناصتا من لك قلوب رعيتك ان لم
تخرجهم بالشدة عليهم او بتطرهم بالاحسان اليهم وقال الخضر بن علي
قرات في كتاب جاوذان جرد اضعف الحيله انفع من قوي الشدة
واقل التاني اجدا من اكثر العجله والدولة رسول القضا المبرم واذا
اذا استبد الانسان برايه عميت عليه المراشد وكان المحتكا ن
ابو بزرجمهر حامل القدر وضيع الحال مفوه المنطق فلما انت لبزر
جمهر خمسة عشر عاما حضر مجلس الملك وقد جلست الوزرا على كراسيها
والمرازبه في مجالسها وقف فحيا الملك ثم قال الحمد لله المامول نعمه للو
هوب نقمه والدال عليه بالرغبة اليه المويد الملك بسعوده في الفلك حتى
رفع شانه وعظم سلطانه واناره البلاد واعاش به العباد وقسم له
في التدبير التقدير ووجوه التدبير فرعى رعيته بفضل نعمته وحماها
المويلات واوردها المعشبات وذادها عن الاكلين والفها بالرفق
واللين انعاما من الله عليه وتثبيتا لما في يديه واسئله ان يبارك له فيما
ل اتاه ويجير له في ما استرعاه ويرفع قدره في السماء ويشير ذكره
تحت الماصي لا يبغي بينهما له مساوي ولا يوجد له فيها مدافي واستوهب
له حياة لا تنغيص فيها وقدرة لا استاذ عنها وملكا لا بوس فيه وعافية
قديم له البقا وتكثر له النما وعز ايوفيه من انقلاب رعية او هجوم بليه

بلغ

فانه موفق الخير ودافع الشر فامر الملك فحبسني فمه بنفيس الجوهر ولم تدفع حرارة
سنة مع بذل كلامه ان استوزره فقلده خيره وشره فكان اول داخل واخر
خارج وقال عمر بن عبد العزيز لله على العاقل نعمة افضل بعد الاسلام مما ينفعه
هذه المسئلة بالفهم والعقل ولو لم يكن هكذا ما عرف الله الا بالجهل الا ترى
ان الله خاطب اولي النهى وذوي الالباب وذوي البصائر ويجب على
العلية ان يحمد والله على ما بثها هذه المسئلة بالعقول والافهام كما يجمدونه
على جميع النعم وقيل لمروان بن محمد آخر ملوك بني امية ما الذي ادركك
الى هذا قال الاستبداد برأي لما كثرت علي كتب نفر سيأتي ذكره بالرجال
والاموال قلت في نفسي هذا رجل يريد الاستكثار من الاموال والجند
فيما يظهر لي فلم آمن فساد الدولة قبله وهيهات من ان تنتقض حتى
سان فانتقضت دولته من خراسان قال الواقدي قال الفضل بن
سهل لما دعى للمأمون في كور خراسان بالخلافة جاءتنا هدايا الملوك
مرددا بمكانه من الخلافة ووجه ملك كابلشاه بشيخ يقال له ذوبان
وكتب يذكر انه وجه بهدية ليس في الارض اسنى منها ولا ارفع ولا ابجل ولا
افخر فعجب المأمون وقال سل الشيخ ما معه فسألته فقال ما معي شيء اكثر
من علم قلت واي شيء علمك قال رأي ينفع وتدبير يقطع ودلالة تجمع
فسر المأمون بذلك بأنزاله واكرامه وكتمان امره فلما اجمع على التوجه
الى العراق للقتال اخبره قال لذوبان ما ترى في التوجه الى العراق قال رأي وثيق
وامر وثيق وحزم مصيب وملك قريب والسير ماض فامض ما انت
قاض قال له فمن نوجه قال له العنق الاعور الظاهر الاظهر يسير فلا يعثر
قوي مرهوب مقاتل غير مغلوب قال وكم نوجه معه من الجند قال اربعة

الاف صوارم الاسياف لا ينقص في العدد ولا يحتاج الى المدد فر المأمون
ووجه بطاهر بن الحسين قال وفي اي وقت يخرج قال مع طلوع الفجر يجمع للدالام
ويصير الى النصر بنصر سريع وقتل ذريع ويفرق تلك الجموع والنصر له لا عليه ثم يرجع
الامر اليك واليه فظفر طاهر وكان النصر له وقتل علي بن عيسى وزير الامين و
استولى على عسكره واحواله فامر المأمون لذوبان بمائة الف درهم فلم
يقبلها وقال ايها الملك ان مليكي لم يوصني اليك لانقصك مالك ولا تجعل
ودي لنعمتك تستخطا وسأقبل ما يفي بهذا المال ويزيد قال ما هو قال
كتاب يوجد بالعراق فيه مكارم الاخلاق وعلوم الاقاق من كتب عظيم الفرس
فيه شفاء للنفس من صنوف الاداب وما ليس في كتاب عند عاقل لبيب
ولا فطن اريب يوجد في الخزائن تحت ايوان بالمدائن فيقاس با
لذراعين في وسط الايوان لا زيادة ولا نقصان فاحفر المدر واقلع الشجر
فاذا وصلت الى الساجة فاقلعها تجد الحاجة ولا تقرض لغيرها فيلزمك
عيب غيرها فارسل المأمون الى ايوان كسرى فحفر في وسطه فوجدوا
صندوقا صغيرا من زجاج اسود عليه قفل من نحاس فحمل الى المأمون
وقال لذوبان هذه حاجتك وبغيتك قال نعم ايها الملك قال خذه
وانصرف وتكلم بلسانه وفتح القفل وانفتح فاخرج منه خرقة ديباج
فنشرها فسقط منها اوراق فعدها مائة ورقة ولم يكن في الصندوق
شيء غيرها فاخذ الاوراق وانصرف الى منزله قال الفضل بن سهل فجئته
فسألته فقال هذا كتاب جاوبذان جرد تأليف لبجود وزير الملك
انوشروان فطلبت شيئا منها فدفع الي ورقات منه وترجمها لي الخفر
بن عمي ثم اجزت المأمون فقال احمل الي الورقات فحملتها اليه فعزاها فقال

هذا والله الكلام لا ماخن عليه من ابي السنتا في فحوات اشد افتا ولولا
ان العهد جبل طرفه بيد الله وطرفه بايدينا لاخذته منه **فصل في**
حكم بزرجمهر الفارسي قال نصحني النصحا ووعظني الوعظا شفقة
ونصيحة وتاديبا فلم يعظني احد مثل شيبتي ولا نصحني مثل فكري
واستنارت بنور الشمس وضوء النهار فلم استضئ بشئ اضوا من نور
قلبي وكنت هذا الامر والعبيد فلم يملكني احد ولا قهرني غير هواي
وعاداتي الاعدا فلم ار اعدى الي من نفسي اذا جهلت واحترست لنفسي
بنفسي من الخلق كلهم حذرا عليها وشفقة فوجدتها شر الانفس لنفسها
ورايت انه لا ياتيها الفساد الا من قبلها وزحمتني المضايق فلم يزحمني
مثل سوء الخلق ووقعت من البعد البعد واطول الطول فلم اقع من
شئ احز علي من لساني ومشيت على الجمر ووطيت على الرمضا فلم ار
نارا احر من غضبي اذا تمكن مني وطلبني الطلاب فلم يدركني مثل
اساي ونظرت ما الذي القائل ومن اين ياتي فوجدته من معصية
ربي سبحانه والتمست الراحة لنفسي فلم اجد شيئا امرح لها من تركي
ما لا يعنيها وركبت البحار ورايت الاهوال فلم ار اهول من الوقوف
على السلطان الجاير وتوحشت في البريه والجبال فلم ار اوحش
من القرين السوء وعالجت السباع والضباع والذياب وعاشرتها
وعاشرتني وغلبتها فغلبني صاحب الخلق السوء وكلت الطيب
وشربت المسكر وعانقت الحسان فلم اجد شيا الذ من العافيه
والامن وتوسطت الشياطين والحيات والسباع فلم اجرع الا من
الانسان السوء واكلت الصبر وشربت المر فلم ار شيا امر من الفقر وشهدت

الزحوف ولقيت الحتوف وباشرت السيوف وصرعت الاقران فلم ار قرنا اغلب من
السوء وعالجت الحديد ونقلت الصخور فلم ار اثقل من الدين ونظرت فيما يذل
العزيز ويكسر القوي ويضع الشريف فلم ار اذل من ذي فاقة وحاجة ورشقت بالنشاب ورجمت بالحجاره فلم ار انفذ من الكلام السوء يخرج من فم طالب الحق
وعبرت السجن وشددت في الوثاق وضربت بعد الحديد فلم تهد مني مثل ما
هد مني الهم والغم والحزن واصطفت الاحزان وانتجبت الاقوام للعدة و
الشده والنايبة فلم ار شيا خيرا من التكرم عند هم وطلبت الغنا من وجوهه
فلم ار اغنى من القنوع وتصدقت بالذخاير فلم ار صدقة انفع من رد سوء
ضلالة ال هدك ورايت في الغربة الوحده والذله فلم ار اذل من مقاسات
جار السوء وشيدت البنيان لاعزبه واذكر فلم ار شرفا ارفع من
اصطناع المعروف ولبست الكسى الفاخره فلم البس مثل الصلاح وطلبت
احسن الاشيا عند الناس فلم اجد شيا احسن من حسن الخلق ومررت
بعطايا الملوك فلم اسر بشئ اكثر من الخلاص منهم **فصل من حكم**
سابان ملك الهند للملك بهرقما بطن الهندي ايها الوالي اتق عثرات
الزمان وتنحس تسلط الايام ولوم غلبة الدهر واعلم ان للاعمال جزا فاتق
العواقب وللايام عدرات فكن عاذرا وللاقدار بغتات فاستعد
لها والزمان منقلب لولبي فاحذر دولة لئيم الكره تخف سطوته سريع
الغره فلا تامن دولته واعلم ان من لم يداوي نفسه من سقام الاثام
في ايام حياته فما بعده من الشفا في دار الادوا بها ومن اذل حواسه[2] يضبط نفسه وهي واحده لم يضبط حواسه وهي خمس واذا لم يضبط حواسه
واستعبدها فيما يقدم من خير لنفسه بان فضله وظهر نبله ومن
حواسه مع قلتها وذلتها صعب عليه ضبط الاعوان مع كثرتهم و

جانبهم فكانت عامة الرعية في نواحي البلاد واطراف المملكة البعد من الضبط
فليبدا الملك بسلطانه على نفسه فليس من عدو احق ان يبداه بالقهر من
نفسه ثم يشرع في قهر حواسه الخمس لان قوة الواحدة منهن دون صولجا
نها قد يابى على النفس القوية الحذرة فكيف اذا اجتمعت على نفس واحدة
واعلم ان لكل واحدة منهن شرا ليس للاخرى فمن قهرها سلم من شرها وانما
يهلك الحيوان بالشهوات الا ترى ان الفراش يكره الشمس فيتلف من
حرها ويجتنب ضوء النار فيدنو منه فيحترق الناذ والظبي على نفار قلبه
وشدة حذره ينصت للسماع الموتق الملقى فتمكن القابض من
نفسها وذباب الورد المتبع لطيب الروايح يطلب ما يقع من اثر
الكحل الفيل بطيب رايحته فانه في طيب رايحة المسك فيلهيه طيب
الشم عن الاحتراس من تحريك الفيل اذنه فيتولج في اصل اذنه فتقع عليه
ضربة الاذن فتقتله والسمك في البحر تحمله لذة الطعم فتبتلعه فتحصل
السنارة في جوفه فيكون فيه تلفه قال وخصال معروفة قتلت
بالافراط فيها ملوكا معروفين فالصيد مات فيه قيد الملك والافراط
في القمار مات فيه قنتشب الملك والافراط في السكر مات فيه خارف
الملك وشدة الحرص مات فيه مهدي والغضب لمن يجتني والطمع
قاتل والفرح واطاب والانغمار تولش والتواني دميق هوص واخلق
بخصال اتلفت ملوكا ان يتجنبها الملوك الرعية فتستظم الملك
العادل استظماء اهل الجدب الى الغيث ويفتشوه فطلعته عليهم
كانتعاش البيت بما يناله من القطر بل الرعية بالملك العادل اعم نفعا
منها بالغيث لانه لمنفعة الغيث وقتا معلوما وعدل الملك على الدوام

وذكر هذا الحكيم

اخر يجتي الملك

زميز بهوج

واعلم ان

يتعهد له وقت ويحيه بالملك ان يشبه تصاريف تدبيره بطباع ثمانية
اشياء منها الغيث والشمس والقمر والريح والنار والارض والماء والموت اما
شبه الغيث فتواتره في اربعة اشهر من السنة ومنفعته لجميع السنة فيجعلهم
كذلك ينبغي للملك ان يعطي جنده وعونه في اربعة اشهر تقدير النتمة
السنة فيجعلهم رفيعهم ووضيعهم في الحق الذي يستوجبوه بمنزلة واحدة
كما يسوي المطر بين كل امة مشرفة وغائط مستقل ويغمر كل
ما يليه على قدر حاجته ثم يستجبي الملك في الثمانية الاشهر حقوقه من
غلاتهم وضرائبهم كما تجبي الشمس ثمرها وحدة فعلها مداوة الغيث في الا
اربعة الاشهر للامطار واما شبه الريح فان الريح لطيفة المداخل فيتولج
بواطن الابدان فينبغي للملك ان يكون له جواسيس فتتولج على اقارب
الناس بجواسيسه وعيونه لا يختفون عنه بشيء حتى يعرف ما يتردون به في
بيوتهم واسواقهم وكما الريح اذا استهل الثمامة فاصاب اعتدل نوره على الخلق
وسر الناس بهبوبه ينبغي ان يكون بهجة الملك وزينته واشراقه في مجلسه
وايناسه رعيته في مشوره ولا يختص شريفا دون وضيع بعدله وكما لا
رضى في كتمان السر والاحتمال والصبر والامانة وكان رعاء اهل الزعان
والفساد وكعاقبة الموت في الثواب والعقاب يكون عقابه لا يقصر عن
اقامة حد ولا مجاوزة وكالماء في ليينه لمن لا يلينه وهدمه البيوت واقلاعه
الصم لمن حاربه واعلم انه قد يكتنف السلطان من شرار الخلق
الناس والاعوان على الحاجة اليهم من يستتبع كالحيات تكتنف الصندل
فيقتلها الصندل بطيب رايحته وبرده وبيسه وينتفع الصندل به
اذ لا يغرب منه من يريد قطعه ولكن فيكتفع لطفه تشد دائما

يجترى عليك فان الغر يستثار بضره ويظهر بدل الشيء يستظل فيها من حرها
ويتكن بظلها وقالت العرب في مثل هذا لا تكن حلوا فتؤكل ولا مرا فتلفظ
اجعل لكل طبقة من اعدائك طبقة منهم من اعوانك ليبوسونهم فالهم
بالماء في الاذن لاجلة في اخراجه اوفق من الما الذي هو من جنس اذا
عاديت رجلا واستبق من ذوبه لحدا فعسى تنتفع به فان السيف لقاتل
من جنس الدرع الواقي ولا تطمئن الى الكذوب والمطبوع الشرار بالا
حسان فانها كالقرد كلما سمنته باطعام الحلاوة والدرس ازداد وجعه فتحاقد
يرد الواحد كيد الجمع اذا كان عاقلا كما يرد شعاع النار اذا كان واقفا عليه
ارمى الناس من يقتل بسهمه واحد لكن رميه عاقل فطن تقتل الجيش
باسره الملك الشريف العاقل لا ينفذ فيه قدح اهل البغي في من انقطع
اليه ولزمه كالجوهر المضيء بنوره لا يطيقه عواصف الرياح من كان قابلا
للبور وعليه من ثقاته الى كل قول يسمعه كالراح تميل كل ريح ليبنة
ثم لا يثبت الا عصفت الريح ان يطفئ تدبير الملك الحازم لسلطانه كنفاعة
صاحب البستان يخرج باجل عيدانه وشوكه شجرة فيحيط به عما غرسه
وزرعه ليقيه من الشر والفساد كما تنتخب الملوك لاهل الشكيمة
والبساله فيجعلهم في اقاصيه وحدوده رؤساء للمملكة وليكن الملك احذر
ما يكون امن ما يكون وقال الشاعر

اذا متنا صرف الزمان فمتم ... رب خوف ممكن الامن فيه

فهذا شانا ف الملك اقامت المراة على فراشه رجلا لئام فراشه وهم
فقتله وسراح الملك قتلته امراة بخلخال مسموم ورؤف الملك فقتلته
المراة بمديه خبأتها في عقاصها واعلم ان العدو قد علم منك مواضع

الحذر

وسائر هذا الباب قد
قدمته في تراجمة فانبا

الحذر حالات الامن واغاير صد اكد في حالات الامن والموضع الذي يظن ان العدو
لا يمكنه فيها فخذ حذرك **فصل** قال عمرو لا ينبغي ان يكون للملك ايام معلوم يظهر فيها
فانه في ذلك خاص لامور موهنة منها انه قد يعوق ذلك اليوم شغل مهم او يعرض الكسل
او لذة مغتنمة فيلزمه الخروج عما كره وفيها انه اذا تخلف عن الظهور في ذلك اليوم لاعر
ما قاولت اعناق الرعية وكثر كلامها وقالوا مرض او مات او اصابته افة
فكتب العدو جراة وسرورا ويكتسب الولي حزنا وجبنا وفيها انه قد واعد عدوه
ليوم يلتقيان فيه ولا ينبغي ان يكون الملك كثير التصرف عنه فساد الرعاة و
خبث الرعية وعن هذا قالت الحكما اذا كان الجمل كثير القفز كان نصيب
الذئب **فصل من حكم** اكتم سر صيغي فان فسدت بطانته كان كمن غص بالما
افضل من السؤال وكوب الاهوال ومن حسد الناس سلم بادرة نفسه العدم
من احتاج الى اليتيم من لم يعنه فقد خسر ما كل عثرة تقال والكل فرصة
تنال ولا وفا لمن ليس له حيا قد شهر السلاح في بعض المزاح من وفا بالعهد
فاز بالمجد للوت يدرك والمرء يلهو اطول الغضب يورث الوصب رب عمق ثمر
من رق من اصطنع قوما احتاج اليهم يوما ما الكذب يهجت والخلف مقت
من لم يكف اذاه لقي ما اساءه الحر يقاضا لك نفسه والليم يستحسن من
وتحسم وليس بانسان من ليس له اعوان انت مرآة بنفسك ان صحت
هو دونك عليك بالمحاملة لمن لا تدوم له مواصلة في الاسفار بيد والا اختيار
افسد كل حسيب من ليس له ادب افضل الفعل صيانة العرض بالمال ليس من
حاد جهول بذي حقوق ليس للمختلف مثل الرد من جالس الجهال فليستعد
لقيل وقال ما جلا عنك البيان مثل اللسان ولا قناعة مثل البهتان مثل البرهان
لم يبخ من الموت عيني بماله ولا فقير بما قاله اذا اردت حاد الحر فسمه الهوان كثرة

العلل آفة النحل كفر النعم لوم وصحبة الاحمق شوم ان من الكرم ليين الشيم لباك
والحديقة فانها خلق اليتيم امحض اخاك النصيحة حسنة كانت او قبيحة رب
سباب قد اهاجه عتاب الصديق وداوته وشيب الحرمان النوائي من سال فوق
قدره استحق الحرمان ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب ان من
الفساد اضاعة الزاد من حلم ساد ومن تفهم ازداد لا ترغب في من يزهد ٢
فيك رب بعيد اقرب من قريب المزاح يورث الضغائن سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار عند خير من سمين غيرك من جد
السير ادرك المقيل استر عورة اخيك بما يعلم فيك لا تكثر المزاح فتذهب
هيبتك ولا من الضحك فيستخف بك من اكثر من شيء عرف به كفى بالحلم نا
صرا للمنة تقدم الصنيعة نعم الشيء الهدية بين يدي الحاجة ربما نصح
غير الناصح وربما غش المستنصح الكلام فيما ينفعك خير من السكوت
والسكوت عما يضرك خير من الكلام لا يعرفك من جاهل قرابة ولا اجوار ولا الف
فان اقرب ما تكون النار اقرب ما يكون منها بعد ارفض الدناءة تلزمك المهابة
ودع مجالسة اهل الريب على كل حال فانك ان تسلم لم تسلم من سوء المقال
الكرم شكر البلا واللوم كفر النعمة اكرم الصنايع سلامة الصدر لن تسلم من
الناس حتى يسلموا منك ومن عدم الايمان لم تزده الرواية فتها الحرص مفسدة
للعقل ومقطعة للحيلة كثرة النوم امانة الغلب شدة الحزن تدل على
ضعف اليقين محادثة الجهال والسفهاء تورث سوء الخلق الدليل على
الحمق اعجاب المرء بعقله من لم يسمع الحديث فارفع عنه مؤونته من
حدث من لا يفقه كمن قدم مايدة لاهل القبور من قطع عنك الحديث
فلا تحدثه فليس بصاحب ادب من عرف بالصدق جاز كذبه من عرف

بالكذب

بالكذب لم يجز صدقه من وصل من يحبه قوى عدوه وقهر نفسه اغتفر زلته
صديقك من غضب من غير شيء رضي من لا شيء من غضب على من لا يقيد
وعليه طال حزنه الرجل عند هواه لولا جهل الجاهل ما عرف عقل العاقل من
خاف ربه كف ظلمه كسل الغفير هلاكه شح الغني فضيحته من لم يتورع في كلامه
اظهر فجوره كل شيء لا يوافق الاحمق فاعلم انه صواب اذا غلبتك امرأتك
على الامر فجاهدها فانها عدوك من لم يعرف الخير من الشر فالحقه بالبهائم
من طلب ما عند البخيل في المفازة مات جوعا جار الرجل الجواد لمجاور البحر
لا يخاف العطش وجار البخيل هالك اذا لم تنتفع بمصادقة الاكفاء فا
اهل القبور من عادى من فوقه بغضه من تحته الرزق مقسوم والحريص
محروم من كثر كلامه على الماء عثر بطنه وبغضه اصحابه العلم زين ومن
والجهل شين ومفزعة الجاهل يستطعم الشر والعالم يمنع نفسه من الشر
لم يربح التاجر فليلزم الضيعة في المروة اذا كان كذبا جارا وصديق لا تنتفع
به فضول مثله في الحايط فانه زين للحايط واخف للمؤنة العاقل يرغب
في الادب والجاهل هرب منه العاقل اذا فاته الادب لزم الصمت لا
تستنطق من تكذبه العاقل من يتهم رايه في نفسه والجاهل يقيم على
جهله من لم يكمل عقله لم يمكد نفسه من اظهر محاسن ودون مساويه
كمل عقله من غلب هواه عقله افتضح من استشار عدوه في صديقه
امر بتغطيته مصادقة الكرام غنيمة ومصادقة اللئام غرامة
لا تدع حلب صديقك التهمة فيرجع لك عن النصيحة اذا انقطع رجاؤك
من صديقك فاحمقه بعدوك من طلب مرضات الاخوان بغير سوء
فليصادق اهل القبور العاقل ليس في مصادقته مخادعة لله

راس مال الاحمق الحذيم وفايدته العضب الحكيم راس ماله الصمت وفائدته
الحلم اذا جهل عليه الاحمق فليس له صلاح الا الرفق صديق كل امرئ
عقله وعدوه حمقه ومن انذر نفسه عاقلا انذر الناس جاهلا من
فرح بكذب الثناء اظهر للناس ما يكره السكوت عن الاحمق جوابه
السكوت يزين الاحمق والكلام يشينه من استطال عليك بحلمك بخل
بفضله فلا كثر الله في الناس مثله الجواد محبب والبخيل مبغض اذا
حملت للبخيل ماء وندا بدا الكلام والعداوة البخيل يمنع ما عنده
ويبخل على الجواد بجوده من طلب من البخيل حاجة فهو شر منه من بذل
للبخيل صلته ورفع عنه ماءونته دامة له مودة ضيف البخيل آمن
من التهمة عدة الكريم نقد وعدة البخيل تسويف الكريم يعاسي اخوانه
في دولته واللئيم يقطعهم لا تخضع لليم فانه لا يعطيك شيئا الا
الصديق يبذل كل ماله عند الحاجة وينعشك عند البلية ويحفظك عند الغيب
وينفعك عند الرضا اذا صادقت الوزير فلا تخشى الامير ينفعك في الصدام تعاده ومن عشرك في العداوة فلا تأمنه وان كان الناس
عنده سواء لم يكن للصديق من صادق الاخوان بالملك كافوا بالعدم
من لم يواسي الاخوان في دولته خذلوه بكبتهم اياك ان تتعمد مودة
من يحسدك فانه لا يقبل اخاك ومن حسدك على عملك لم يشبع حديثك
الحاسد يفرح بنزلتك ويعيب صوابك وسرك ان تسلم منه فعم عليها مورك
من صبر على مودة الكاذب فهو مثله كل شيء بثمن ومودة الكاذب لا تشتري
من بدا بجهله فكافه بحلمك تتعمد اول المروة طلاقة الوجه والثانية
البشر والثالثة الفصاحة الفاجر لا يبالي ما قال والورع يتعهد

كلا من شغل مشغولا فقد اظهر ثقله من صبر على شغل سوء فقد نظر
الى سخنة عينه من لم يغلب الحزن بالصبر طال غمه من استطال على الناس
بغير سلطان فليصبر على الذل يا لها من لا تحتقر الفقير اليسير ولا ترغب
في الغنى الدنيء من تشبه بالشرات وغلبت عليه الدناءة فلا تكثر من
البغضتهم انكرته ومن اغنيته اعطفته من تعرض لصاحب الدولة انقلب
بخيبة من صانع بما لم يحتشم من طلبا حاجته من صاحب الكتاب
حلوه ومن عاداهم انكرده ومن سمح عليك بما نفعه وطمح ببصره ولم
يدخل عليك فضله خليق ان عليك سبيله السعيد يقطع مودة لم تزل
ويكسب عداوة لم تكن حمل المودة ثقيل من سالم الناس غنم خلاه
الجار لوم رجال البلا قليل احفظ اخوانك تذل لاعدائك ما اجمل
الصبر على ما لا بد لك منه المحروم من طال نصبه وكان لغيره تعبه لا قوي
اقوى ممن قوي على نفسه ولا عاجز اعجز من عجز عن اختيار اهله
غريب والشر من اهله قريب ما اضعف قوة من يغالبه لا يغلب

الباب الرابع والستون

مشتمل على حكم منثوره واحاديث مشهوره اعلم ايها المريد
ان الله تعالى يمتحن انبيائه واصفياءه باعدائه ويضطر اوليائه واحباءه
الى اعدائه رفعة وتقريبا لانبيائه وتمحيصا لعفوات اوليائه
وذخيرة لهم عنده وذلك كما قال الله تعالى لنبيه عليه السلام
لعظيم ما كان يلقاه من سطوة اعدائه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
من المجرمين وقال سبحانه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا يا محمد لا

ولا تشمتنا

لا تستوحش منا ومنه في سيرتنا فهذه سيرتنا فيمن نحبه ويحبنا
فالبلاء وجهين احدهما كفارة لذنب والآخر رفع درجة وتوفير
اجر وكذلك كان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل
والبلا بلا آن بلا رحمة لتضعيف درجة وتمحيص سيئة وبلوغ
فضيلة وعلو منزلة وبلا عقوبة لانتهاك حرمة واقتراف معصية
ولن تخلو الكاره ان تكون لحادث رحمة فلا رغبة عنها لعلم الله بها او لشبهة
عن اضاعة فلا غناء عن زاجر عنها وواعظ في تنكبها فلاي ذلك كان حلولها
عظمت به المنة ووجبت لله به النعمة وكان جعفر ابن محمد اذا وقع في شيء
يكرهه قال اللهم اجعله ادبا ولا تجعله عضبا وفي الحديث من البين صلى الله عليه وسلم
لو كان المؤمن في راس جبل لقيض الله له من منافق يوذيه فيا من ضاق
صدره وحرج قلبه وساء خلقه من عدو اقلقه وحاسد حسده
طب نفسا وقر عينا وانعم عيشا بشهادة الرسول عليه الصلاة والسلام
لكذب بالايمان وعدوك بالنفاق بحجج اشجان عقلها اما كذبك الانبيا
اسوة اما كذبك الصالحين قدوة فلوم لكم لقي الله من الحسنات الا
بما اقترفوا اختيارا للاخيار الله ما تقارس الحسنات ثقلا
من السيات قال الناظم

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم
وقال بعض الحكما الذي رايناه ما نحب في ما نكره اكثر مما رايناه ما نحب فيما
نحب وقال علي رضي الله عنه ما هممت بذنب امهلت بعده حتى اصلي ركعتين
السجود قبول الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء اسعد الناس من
كان القضا له مساعدا وكان لمساعدته اهلا غلب على الكرام من بدر

اليه

٢٩٦

اليه الشماتة لوم عوام الناس عزة لخواصهم بجري القدر يسبق الحذر
من سخر من شيء حاق به ومن عير من بشيء ابتلي به والناس ذنب
للمصايب مذاكرة الرجال تلقيح لالبابها اقل ما في طلب الحيلة الخروج
من الاستكانة جاني العقوبة على نفسه اعظم جرما عليها من المعاقب
له عليها قرابة بغير منفعة بلية عظيمة النعمة منقصة كفاك ادبا للمتسخر
ما كرهته لغيرك الحمية تشوب الجهل الانقم قوام السفه قل الانف الى
يقتضب ذلا العادة كمين لا يؤمن ازدحام الكلام مسئلة الصواب عجلة العقل
قبل سوء الظن والحاق السيئة اعجب ما في الانسان قلبه وله مواد من الحكمة
واضداد من خلافها فان سنح له الرجا اذله الطمع وان هاج به الطمع اهلكه
الحرص وان تملكه الياس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد الغيظ
وان استعد بالرضا نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحذر وان اتسع
له الامر استلبته العزة وان حدثت له نعمة اخذته العزة وان استحسن بعض بعيبه
مضخه العجب وان افاد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة شغلته البلوى وان
جهده الجوع تعذر به الضعف وان افرط في الشبع كظته البطنة فكل تقصير به
مضر وكل افراط له مفسد افضل القول بديهة امر وردت مقدمة الخوف
اشد الناس غما الذي يرى غيره في الموضع الذي هو به اولى ما اخذ الله لا
طاعة الاوقع عنه طاعته من العجب ان لا ترضى ممن يتغار صاحبك واعجب من
ذلك غيرة الاسد بيشبه صولته علامة العلم المتعلم الاعراض عن المبادهة
الانقاد واحتى تروا ولا تقروا واحتى تفعلوا ولا تنفعوا حتى تظلموا وجه الشفعا
براءة الساحة من لزوم الصحة والاستقامة لزمة الفضيلة والسلامة
الاولين مواعظ الاخرين البحث يوضح الحق كما يورى الناد القدح ليس مع

٢٩٧

الحسد سرور ولامع الحرص راحة ولامع السخط عنا قال جعفر بن محمد
الصادق عجبت لمن ابتلي باربع كيف يغفل عن اربع لمن ابتلي بالضر كيف
يذهب عنه ان يقول رب مسني الضر وانت ارحم الراحمين والله تعالى قال فاستجبنا
له فكشفنا ما به من ضر وعجبت لمن ابتلي بالغم كيف يذهب عنه ان يقول لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من الظالمين والله تعالى يقول فاستجبنا له ونجيناه
من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وعجبت لمن خاف كيف يذهب عنه ان
يقول حسبي الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول فانقلبوا بنعمة من الله وفضل
لم يمسسهم سوء وعجبت لمن مكر به كيف يذهب عنه ان يقول فوفاه الله
سيئات ما مكروا وعجبت لمن انعم الله عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهب
عنه ان يقول ما شاء الله لا قوة الا بالله وهو تعالى يقول ولولا اذ دخلت جنتك
قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله كذا سنة الله في خلقه فيمن صدق قلبه في

الالتجا

التجاء اليه وابتوكل في مهماته الاعليه اليمين ما منعه او مندمة الذا لموارد
منجاة من تلف او قدوم غايب بعد ان جاءت بالناس منه الرايب وامر
المصادر طرعا فتوط الطبيعة مخالفة للمروة فاصبر لحق وجب عليك وان
حالف هواك بها المجلس الشريف بالرجل النافع راحة وروح العمل النافع قد
بالرجل المدبر بها اليا قوت واللؤلؤ في يتجاه الملوك ما انور الهدى ما اجهل
اظلم العمى ما اكرم التقوى ما اهذع الهوى ما اثقب المنى ما اسرع البلا ما اجهل
الصبا الجود يحفظ الروح حفظا الجسد والاسراف ان يحفظ الجسد حفظ
الروح والعدل ان يعطي كل واحد منهما حقه والشح ان تكلف حفظهما
عنهما عدوانا فالله فيما تكره خير من صديق لا يخافه فيما يحب ومعالجي
ان تطلب في صحة كل علم ما ينفعنا وتكل العلم الى الله تعالى من بخشاعة

وأفوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد والله يقول ص

اليقين

صحته لا يروعك الباطل مما ترمى به ولكن احذر ان يصدع عليك ما الحق
فتشهد عليك وجهك وعيناك من يطل رشاؤه قليلة فجة الزعق فقير
بغدر رغبة الحق يعطي ويمنع تحاوزعه ذنوب الناس لتجتنى عليهم و
الذنوب لتثقل مجتهم عليك الفراغ الفاضل عن الحمام مفسدة الحميم احد العلتين
الفرق ينسلي لجة حالك العلية في كلامك وسوئهم وبيه السفلة في احكامك
موتى في عرصة من حيات في ذل الافاعي كل نمط متباعدون ما ضاع حيث
عرف قدر نفسه الذعة المتنية تكون بعد انقضاء العمر لمن يفارق الخرصا
حتى يفارقه صير الناس من تواضع عن رفعة وعفا عن قدرة الحاسد
يظهر ودا في كلامه ويبغضا في احكامه فاسمه الصديق ومعناه العدو والرياء
يفسد العلانية والعجب يفسد عمل السريرة اذا كثرت العدد قلت الشهود
من عرف قدر كفاك نفسه كفى بالظفر شفيعا للمذنب الى الحليم لسان الجاهل
دليل حتفه لا تظرف مع بغي ولا صحة مع نهم ولا ثناء مع كبر ولا صداقة
مع خبث من لم تعرف قدره فاكفف نفسك احق ما رد ما خالف شهادة الحق
تقطع ظهرك وافساد الدين رجلان جاهل ناسك وعالم فاجر هذا يدعو
الناس الى جهله بنسكه وهذا ينفر الناس من علمه بفسقه لسان الجاهل
دليل على حتفه من قوي هواه ضعف حزمه من ظهر غيضه ضعف كيده
كفى بالظلم طارد النعمة وداعيا للنقمة من قبل صلتك فقد باعك
مروته الهدية تقفو اعين الحكيم عفو الراي خير من استكراه الفكر ما
استنبط الصواب بمثل المشاورة ولا حصنت النعم بمثل المواساة من لم
يوقر بالله العظيم فقد كفر ومن حمد الله فقد شكر ما كتب البغضاء بمثل الكبر
من استغنى بالله افتقر الناس اليه بحكمك عن الصراب الافراط يحمك

من جهل الله فقد خ

حر العقل

المقصر

في الحظات لات حصال ما اجتمعن الا في كريم حسن المحض واحتمال الزلة
وقلة الملالة اكفي مجرة العمابي ما مضى وكفى عبرة لذوي الالباب ما جرى بوا التهاون
بالمطلوب اول الاسباب حرمان التهمة ظلمة لمن يضيع صواب العمل حتى
يضيع صواب العمل الامور مبناها على اجله وحسنت عاقبته لا شرف مع سوء ادب
ولا نجح بر مع شح ولا اجتناب محرم مع حرص ولا محبة مع زهو ولا جالة الفكر
يستخرج الراي المصيب وبحسن التاني تدرك المطالب وبالنعمة يكثر المواصلون
الفاحشة عار الابد وعقوبة غد الندامة تعقب الندامة من سخر ابتلي قال الله تعالى
ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا فقد المتفضلون هلك المبخلون
رب صابة غرست من لحظة وحرب جنيت من لفظة ما شاهد على غائب
يا دال من طرف على قلب شر المال ما لا ينتفع منه اقضل المال ما صين به العرض وبالاقضال
تمشي الاقدار الذي يسبب الفساد ونعم اذل من يعبده عبده او دهره لا تعتمد
الودبعة ما لا شهوة رق الحر ص كلب يعبر عن اللسان وعن المودة العنان لا تشرف
اعلان الاسلام والاثم اعلان التقوى ولا شفيع اغنى من التوبة اول الناس نادم
من حافظ عليه الخير موضع له الله وهو فور الله عمل به الرعية مفتاح الطلب
ومصلبة الحسود لحرصه داع الى الحرمان التنقل بالحسنة يمحى السيئة المكافات بالسيئة
دخولها البغي سابق الى الخير اصلاح الرعية اكثر انفع من كثرة الجند حق المذموم
الثاني سيد وحق المرحوم المعونة من الجهل والخفا اظهار الفرح عند المخزون يحقد يحزون
على الفرح ويشكر للممتنع من ضل السلامة تدرك الافات واعظم الناس قدرا من لم
يجعل الدنيا قدرا ما احدث المحدث بدعة الا وترك لها سنة عنا يم الامور شارها
ومحدثاتها شرارها الملك يكسب من انفاقه والعاقة يتفقون من كسبه من اقتنى عمرا
في جمع المال خفي العدم فقد اسلم نفسه للعدم قال الشاعر ومن ينفق الساعات
في جمع ماله مخافة فقر فالذي صنع الفقر منه يقدر على جمع الفضائل فلتكن
فضائلك تدرك الرذايل ان كم تكن ذليلا تصلح فلا تكن ذبابا تفسد اصطلاح بعض
العدو افضل من هدنة من مسعاة المرء ان يطول عمره ويرى في عدده ما يسره خير
الكتب ما اذا اعاد قارئه النظر فيه زاد حسنا ووقق على ضده اثقل الاعمال من الشحت

مروته

مروته وضاقته مقدرته استحى من الله بقدر قربه من عقله وا طعه بقدر حاجتكم اليه
وخفه بقدر قدرته عليكم واعصه بقدر صبرك على النار واعمل للدنيا بقدر بقائك
في الملك ينفق ليكتب والعامة تكتب لتنفق الطاعة بقدر الفاقة يفجر زوال النعم
اذا زال البعد التجمل اولى الامور بكل واجب عليك الدنيا العافية والشباب الصحة والسرور
الامن اذا اقبل الامر اشبه واذا ادبر صرح واذا عدل الصلطان ملك قلوب الرعية
واذا جار لم يملك منهم الا الدنيا والتصنع الصدقة من سعة وابدء من تعول اذا
اضرة النوافل بالفرائض تركت النوافل وقد تتلافى الفرائض قدر الرجل على
قدر همته وصدقته على قدر مروته وشجاعته على قدر انفته وعفته على
قدر غيرته من اطاع الواشي ضيع الصديق من جعل النصح حظا من الظنون
روح عن قلبه شر ما كدها لزمك كسبه وحرمة منفعة انفاقه ربح مغبوط
بليلة قامت بواكيه فاخرها لا ترجو اخيرها لا يرجو اخير ولا تامن
جانب من لا يامن جانبك تلون الطبع ارجى لعوده من تاركه جورا
ثمرة الشهوات الخازي الخصومة تمرض القلب اعم الاشيا نفعا فقد
الاشرار من استكفا الكفات كفى الاعدا خير ما كدما اغناك وخير منه ما قوك
صورة الكريم حلم ذنب الاسد خير من راس الثعلب بجبهة العير تعدي
حاجز الفرس من استبد برايه فعقت وطاته على اعدائه انما كدين دنياك
ما اصلحت به شوائك من امن الزمان خانه ومن تعزز عليه اهانه كم تحي
ان تكون المراة اعنى من ان ظرفها فكذلك يجب ان يكون المؤدب افضل
ممن يؤدب من تعلم بما ينبغي على ما لا ينبغي ليس في الشراسوة ولا في
الحظا قدوة لن تكون للناصح حتى تحب عدوك اذا اطاع الله في عدوك
على عدوه وتتنزع عما عاداك عليه وتبغض وليك اذا عصى الله في مولاك

وتنزع عما ولاك عليه ولا تكن على الاساءة اقوى منك على الاحسان الشقي
من جمع لغيره وضن على نفسه بخير وشر الخلائق الكريم ان يمنع خيره وخير احلا
في اللئيم ان يكف شره من كانت الاخرة راس ماله كانت الدنيا ربحه ومن كانت
الدنيا راس ماله كانت الدنيا خسارته افضل العلم وفوق كل ذي علم عليم افضل
المال ما قضيت به الحقوق البدع مخاخ مخبوثة قد جعلت على الفاظ ظاهرة
رجا العامة ابنية على ضلاله ورجا الخاصة يقين على ثقة القليل من الملك كا
الكثير من غيره عطا الملك زينه وسوالة شرف اذا كذب الصغير بطل التدبير
اخبث الازمنة زمان لا يهتم فيه الصواب لا تقطر اني العضو ما خفتم
العزم لحقوق الاذان اسماع تؤدي والقلوب قوابل تعي من احب
ان يسمو اهيا لم يظهر ها ولا ليل اهدى من التوفيق الخلا بلا من عرض
نفسه للتهم فلا يلومن بساتم الظن لحفظ قيد العلم الدراسة اذكا للفهم
المقايسة احيا للفطن استديم النعم بالشكر والقدرة بالعفو والطاعة
فالتالف والنصر بالتواصل للخلق استقلال الكثير تعرض للتغيير
ثلاثة اشياء يستدل بها على عقل اربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه ق
الرسول على عقل مرسله والهدية على عقل مهديها ثم يحكم على العقول
حاكم كالعبر ولم يحكمها كالتجربة من عاب سفله فقد رفعه ومن عاب سيدا
فقد وضع نفسه حق ان سوان يؤتمن على اهل الدنيا اهل الاخرة صح
من صحت سرايره وسلم من سقمت ضمايره بالكلام يعرف فضل العقل
كلما بالرسول يعرف قدر المرسل ولا اكارم كالدين وعصمتكم التقوى وزينتكم
الادب حصونوا اعراضكم بالحلم اذا عطيت حالا يرضا فارض بما اعطيت
بقدرها وكلما ازداد الخير كثرة كان الخارج منه اعظم خيره وبقدر السمو

في الرفعة

الاخرة

وفي نوادر جاور بحرا او ملكا

والرحمة

في الرفعة تكون وجبة الوقعة الاسقاط على العمل اشد من العمل من التوقي لكثرة
الافراط في التوقي توريث الحرمة والاقدام سبة في المروة كما ان وراثة التركة
وديعة في الديانة لا عدمها اما اكثر من قدر فتكون صهيبا لنفسك كذابا
على غيرك لا تفرح بسقطة غيرك فانك لا تدري متى يحدث الزمان بك مثله
الجفا الكلام في الامر الجسيم من غير مشاورة اكثر الناس مخادع لنفسه في
امر جسيم عند الحميه وفي امر مروية عند الشهوة وفي امر دينه عند الشبهة
المصايب بعقبات العاقل المدبر اجرى من الاحمق المقبل اشرف الصنايع
ما لم يكن مكافاة لماض ولا جالب لباق ارض البطيخ كافة وانس
الملهي ثم اسمع منه لم تكن عواية ولا هداية الا واليها سابق وعنها ناكص احسا
الحر تحرصه على المكافاة واحسان الخسيس تبعثه على معاودة المسئلة
ليس بممتحن الاديب بان يكون فاعلا الخير بما يمتحن بان يكون فاعلا
للشر من صنع خيرا فاضعفه والا فلا يعجز ان تكون مثله الاشرار
يتبعون مساوي الناس ويغفلون عن محاسنهم كما يتبع الذباب
المواضع الثغلة من الجسد ويدع الصحيح الظرف فطنة هاربها عبارة
عن حذر وتوق فاذا دخلت الفطنة من التوقي فصاحبها طيب الظرف
فاذا كانت فطنة معها بعض الاسترسال الالفاظ التي ترتفع عنها اهل
الجلالة من المخلصين في باطن الدنيا والمرتفعين في ظاهر الحال وسمعت
القاضي ابا العباس الحجاجي بالبصرة يقول اول من تكلم بهذه الكلمة
عمر بن الخطاب وذلك انه اتي بسارق فقال اسرقت قال لا قال لا فقال عمر
انك لظريف جهد البلا الاقلال والعيال وينبغي للعالم ان ينطامن
عن الجاهل بقدر ما رفعه الله عليه العقل افرغ الحكمة والادب من الجسد

نك

لا يستمتع باهل المروة واذا حلت الفطنة العبارة وقارنها فصاحة وفصاحبها بليغ

الى الطعام والشراب اعظم الناس غما من زالت نعمته وبقيت شهوته
وضاقت مقدرته قلة العيال احد اليسارين معاجلة اللوح خير من
انتظار المفقود من عدم الحيا عند الفضيحة والصبر عند التصبر سهلنا
عليه المعاصي كلها العالم مثل السراج من مر به اقتبس من تقدم يحسن
اليه نصره التوفيق لن يكون لك ناصحا حتى تجب ان يكون عدوك
له مطيعا من اذا الناس بالسلطان كان مصيره الى الهوان ما وجد
بما ليس فيك فخاطب غيرك بحوابه وتوابه ساقطان عنك الكبر و
الخديعة في النار اثنان ثاني من عمل ما منه يأتي الحذر الماكول للبدن
والموهوب للمعاد والمحفوظ للعدو من غضب ممن لا تقدر على غمه
عذب نفسه واشد غيضه اطلب ما يغنيك واترك ما لا يغنيك
فان في ترك ما لا يغنيك درك ما يغنيك من اتكأ الاشيا لعدوك ان تريه
الكره لا تعاديه كل آت قريب الاستماع من الميت خير من الغنا فيه من حفر
جبرا ان تسمع بمطر لا تخرج فيما يزول ولا تعنى فيما يفنى شر العيوب ما كان
بعيوب شر الذنوب ما كان علة للذنوب ابلغ الرسل الكتب حاول الامر بالنصفه
وان زعم لك بالظفر من اراد جمالا لا تقدمه الايام فليصحب المروة والصيانة
فهما ذروة الشرف رب امر له ما بعده من سيئ اليه كان له صفوته
من شرط المروة التعاون للضعيف المروة ترك الدنية فيما واستقصاء
العفو على القوي ان يكون ظلما ويكون استيفا الغني من الفقير ان يكون
جهلا القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق وآخره علم المحادثة على الطعام
تزيد في الشهوة وتذهب الحشمة وتزيل الانقباض له تنال ما تحب
حتى تصبر على كثير مما تكره وله تنجو مما تكره حتى تصبر على كثير مما تحب ذهاب

البصر خير من كثير من النظر لا تعد العزم عزما ما لم تساعد عليه جوامع الرأي الاول
الوهم النظرة بعد النظرة تعقب لما قبلها وتدبير لما بعدها ليس مدح الرجل
ضارا في تركيبه انعم الناس من كفي امر دنياه ولم يهمه امر دينه الغريب من فقد
اخوانه ونظراؤه وان كان في وطنه الغريب من لا صديق له الغريب الاحمق
الغريب الفقير الغريب من لا نام له شيا لا يسمى العاقل منها المريض والغربة
الفقر من كانت الدنيا بسبب صلته فانها بسبب قطيعته فاحذر
ان تجعلها وسطا بينك وبينه احد علامة الاشرار ان من خالطهم لا يسلم منهم
ومن تركهم لا يعرفوا عنه شرهم واما الاخيار فمن خالطهم ربح عليهم ومن
خالفهم ترك رشده البر ثلاثة الصدق في الغضب والجود في العسر والعفو
عند المقدرة ومن عتب على الزمان طالت معتبته ومن ضاق خلقه ساء قلقه
لا تعاد اذا صح الارتياد للرشاد وجد المراد ما عنق من الذم ملكه الحمد
والاظفر بالعزم من احتمل ما في المصيبة المعصية من الذل والاحتراز من
الدناءة من عرف جمع عقله الى الدنيا اخو الظلمة مرتب المعاملة اخو الكسبة
ما عد من اهل الحجا من كان من اهل الهوى ولا من اهل التقى من حاد
عن سبيل الهدى من ذم اوتي الاحسان الاستماع اقصاهم ابعدهم
منه من دواعي الهلكة اضاعة المعروف واعجابه بنفسه ذاره وهدم جسمه
ولن يبرم امر الدنيا واموره في نفسه تحمل قال علي بن ابي طالب رضي الله
عنه من لم يكن معنا كان علينا والساكت اخو الراضي الكاتم للعلم
كمن لا علم له او هو غير واثق فيه بالصواب العلم بما في المصيبة من
الثواب يسلي المصيبة شر من المصيبة سوء الخلق فيها الحكمة ربيع القلوب
الخصومة تكشف المروة بلا وتورث المعرة بلا المرء مخبوء تحت لسانه
قيمة كل امرئ ما يحسن

في طلب ما يبقى من حذر لكن بشرك الشفيع جناح الطلب اذا اقبلت الدنيا
عليك فانفق فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق فانها لا تبقى قال الشاعر
فانفق اذا ابسرت غير مقتر ... وانفق على ما خبلت حين تعسر
فالكنز يفني المال والحظ مقبل ... ولا البخل يبقي المال والحظ مدبر
وقال آخر
لا تجعلن لدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف
وان تولت فاحرى ان تجود بها ... فالجد منها اذا ما ادبرت خلف
الغريب في كل مكان مظلوم من سكر لجل من العيشار لم يجر راكب القصد
عجبا للئيم يستحل الفقر الذي منه هرب ويفوته الكرم الذي اياه طلب فيعيش
في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الاخرة محاسبة الاغنياء من طال ذيله كثر
وبله غشك خير من سمي غيرك ان لا يفوتك ما تشتهي فاشتهي ما يمكنك
من قصد اسهل ومن صرف او عز القصد احزم للحمام مشى السير الخفيف يقوي
لنفسك في المجالس مجلسا لا يقصرك ولا تقام عنه اقلع الشر من صدر غيرك
تقلعه من صدرك ازجر المسيء بانابة المحسن لكي يرغب في الاحسان لن يهلك
من مالك ما وعظك الخلاف لهدم المراي خير الناس للغير خيرهم لنفسه احسانه
الله مكفور عند من اصبح مصرا على ذنب مستور بصبر التخلق خلقا بالاجتهاد
والاعتبار والحجر المنقوش في البنيان رهن على الخراب مرباشرق شارب الما
قبل ريه يحاب راي النمع من مال وحزم اقوى من رجال من استوعب
الحلال قاحة نفسه الحرام من ذم الزمان لم يحتج الى ترجمان ومن عرف
الايام لم يغفل عن الاستعداد سوء الترجمان عثلك الطاعة عيبة
الاكياس عند تفريط العجزة وكل ما شئت الظلام حسن ضوء السراج الثنا
باكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عيا او حسد

ل
او الناس

اولى الناس بالرحمة من احتاج اليها فحرمها من لم يدر قدر البلية لم يرحم
اهلها كفاك ادبا لنفسك ما كرهته لغيرك ما جالست الاحمق غرر والقيام
عنه ظفر لاستسال عالم يكن فان في الذي قد كان شغل النجل جامع لمساوي
العيوب وهو زمام يقاد به الكل سوء رب معبوط بادل ليلة قامت
بواكيه في اخراها اذا صح القلب وصح العمل كان التوفيق احرا والعواقب
بالاجتهاد الاجتهاد ارجح بضاعة التوفيق خير قايد كمال العلم التوفيق
من ترفق في الاستمام الحظ من البغية ادرك وبلغ مقاربة الناس
في اخلاقهم امن من غوايلهم لا تنتظر الى احد بالموضع الذي رتبته فيه زمانه
ولكن انظر اليه بقيمته في الحقيقة فانها مكانه الطبيعي ابعد الناس
سفرا من سافر في طلب اخ صالح ليست البركة من الكثرة لكن الكثرة
من البركة وقال داود عليه السلام ان كان ما ترى من الجهال يغيظك
اذ كثرة الجهل وقيل لبزرجمهر ما لكم لا تعايبون الجهلة
قال انا لا نريد من العميان ان يبصروا العشة مرض نفس فارغة لا همة لها
قال ايا لا نريد من العميان ان يبصروا العشة مرض نفس فارغة لا همة لها
لحالة الفكرة واستراح العقلة تتبع الاساءة بالندم وتتبع الندم بالاقلاع
الامن والبراءة كثرة الصديق بالتواضع اعم الاشيا نفعا فقد لا تزار من
يذر عداوة حصد ندامة الشبهة للنساء ظلمة وللرجال غفلة قال
المسيح عليه السلام ما حلم من لم يصبر عند الجهل وما قوة لمن لم يرد الغضب
وما عباد من لم يتواضع للرب تعالى عبادة التوكل المجيء في غير وقت و
المجلوس فوق القدر اذا وقعت الضرورة ان تفعت المشورة قيل
لحكيم اخبرني هذا الهم من قلبك قال ليس باذني دخل من اغتر بحاله

السمن والنساء ظلم
وللرجال غفلة

قصر في احتياله اياكم وطلب الامور من غير وجوهها فيعييكم طلبها
ولا تدركوا حظا منها هيبة الزلل تورث الحصر وقيل لحكيم لاي شئ تزوجت
امرأة ذميمة وانت وسيم قال اخترت من الثرا قله وقيل لحكيم ما تقول
في الزواج قال لذة شهر وهم دهر فتنة العالم الى ابليس خير من غواية
الفجاهل يتمنى المعايب ولا يتمنى المعاذير الموالاة في الاسلام بمنزلة
الحلف في الجاهلية بحال المعلم شرف عند اهل الفضل لان الجاهل
منسوب الى فعله وكما ان الحكيم يتالم بحديث الجاهل كذلك الجاهل يتالم
بسماع الحكمة اغنى الناس عن الحقود من عظم قدره عفو المجازاة الكبير الهمة من
الرجال من كان عنف الناصح عنده الطف من ملق المحامل الناصح اذا كانت الحدود
هي الحظوظ فما بال الحرص وان كانت الامور ليست بدائمة فما بال السرور وان
كانت الدار غرارة فكيف الطمانينة اليها وقال الشعبي رحمه الله ما رايت
الله سبحانه اعطا عباده اجل من العلم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خمس
من لم تكن فيه فلا ترجه لشئ من امر الدنيا والاخرة من لم يعرف الوثيقة
في رويته والدماثة في خلقه والكرم في طبعه والبذل في نفسه والتحاقر
عند ذلك وقال ابو عبد الله ابن حمدون كنت مع المتوكل لما خرج
فراد ~~دير~~ زعفرانا الى دمشق فركب يوما الى بصافة هشام بن عبد الملك فنظر
الى قصورها ثم خرج فرأى ديرا هناك قديما حسن البنا بين مزارع
وانهار واشجار فدخله فبينما هو يطوف اذ بصر برقعة قد الصقت
في صدره فامر بقلعها فاذا فيها هذه الابيات

ايا منزلا بالدير اصبح خاليا ... تلاعب فيه شمأل ودبور
كانك لم يسكنك بيض نواعم ... ولم يبتخترني فنائك حور

وابناء املاك عوابس سادة ... صغيرهم عند الانام كبير
اذا البسوا ادراعهم فعوابس ... وان لبسوا تيجانهم فبدور
على انهم يوم التغاضل غم ... وانعم يوم النوال بحور
ليالي هشام بالرصافة قاطنه ... وفيك ابنه يا دير وهو امير
اذا العيش غض والخلافة لدنة ... وانت طريد والزمان عزيز
ورد صنك مرتاد وتوك من هر ... وعيش بني مروان فيك نضير
بلى فسقاك الغيث صوب سحابة ... عليك لها بعد الروح بكور
تذكرت قومي فيك فبكيتهم ... بشجو ومثلي بالبكا جدير
فعريت نفسي وهي نفس اناجري ... لها ذكر قومي انه وزفير
لعل زمانا جار يوما عليهم ... لهم بالذي تقوى القوي يدور
فيفرح محزون وينعم بائس ... ويطلق من قيد الوثاق اسير
ويدكر ان الدهر ابتسم غدة ... وان صروف الدايرات تدور

فلما قراها المتوكل ارتاع وقال اعوذ بالله من شر قد اراد بي صاحب
الدير مسالة عن من كتبها فقال لا علم لي به فانصرف واما الكتب
وصفة فنجل عن بلوغ الوصف ولقد احسن بن الجهم في قوله

سمير اذا جالسته كان مسليا ... فؤادك فيما كان فيه من الوجد
يفيدك علما او يزيدك حكمة ... وغير حسود او مصر على حقد
ويحفظ ما استودعته غير غافل ... واخا نيا عهدا على قدم العهد
زمان ربيع في الزمان باسره ... يضيحك روضا غيره واجد جدد

والسند في بعض العاجم

اذا ما خلى الناس في دورهم ... نجم سلاف وخود كعاب

وانهم حسك الليالي ☙ لغير النداما وزهر الصحاب ☙
خلوت وصحبتي كتب العلوم ☙ وبنت عروسي بنت الكتاب ☙
ودرس العلوم شراب العقول ☙ فشمروا على ذاك الشراب ☙
وما جمع المرء في دهره سوى ☙ العلم يجمعه للتراب ☙
ومن ملح ما ينشد في الدفاتر والكتب ☙
اذا ما خلوت من الموانس ☙ جعلت الموانس لي دفتري ☙
فلم اخل من شاعر محسن ☙ ومن عالم صح منذر ☙
ومن حكم بيده اثنا بها ☙ فوائد ناظر الفكر ☙
وان صاق صدري بأبراره ☙ واودعته السر لم يظهر ☙
وان صح الشعر باسم الحبيب ☙ فلم احتشمه ولم احضر ☙
وان عدت من ضجر بالهجير ☙ ومست بالخليفة لم احذر ☙
وباشت فيه كريم المغيب ☙ لندمانه طيب المخبر ☙
فلست ارى موئرا ماحييت ☙ نديا الى المحشر ☙
وانشد بن حزم رحمه الله لبعض الادباء ☙
ان صحبنا الملوك تاهوا علينا ☙ واستخفوا اهلا بحق الجليس ☙
او صحبنا التجار عدنا الى البوس وصرنا الى عداد الفلوس ☙ ولزمنا
البيوت نشتغل الخير وعلماء ☙ وجوه البطروسي وقنعنا بما
رزقنا ☙ فضربنا امرأ على الملوك الرؤسي

ازدفيه بن حزم

فقال

لو تركنا وذاك كنا ظرفنا ☙ يا هانينا بعلق نفيسي ☙
غير ان الزمان اغنى بغيضه ☙ حسدونا على حياة النفوسي ☙

انست الى التزود طول عمري ☙ فحمالي في البرية من انيس ☙
جعلت محادثي وندیم نفسي ☙ وانسي دفتري بدل الجليس ☙
قد استغنيت عن فرس وعير ☙ اذا سافرت او بغل كبوسي ☙
ولي عرس جديد كل يوم ☙ بطرح الهم في امر العروسي ☙
فبسطني سفرتي والخرج جسمي ☙ وهمياني فهي ابدا وكيسي ☙
وبيتي حيث يدركني مسائي ☙ واهلي كل ذي علق نفيسي ☙
ولين كان الناظمون قد وصفوا نجودا وقالوا فابلغوا فلقد
قصروا واحل محمد مدح من استقصر في مدحه واستبرز في
نعته تقريظ المحتقل وكيف لا والكتاب نعم الانيس في ساعة الوحده ☙
ونعم المعرفة في بلاد الغربة ونعم القرين والذخيل ونعم الوزير والنزيل
وعاء ملئ علما وظرفا ملئ ظرفا واناء ملياكا راجا وحقا
وبستان تحصل فيه ورد ونرجس وتقلب في حجر اذا سئمت شجرة
تؤدي اكلها كل ساعة بالوان مختلفة وطعوم متدانية هل
سمعت شجرة لا تذوي وثمرة لا تفنى وهل لك بجليس يفيدك
الشئ خلافه والحبس وضده ينطق عن الموتى ويترجم
عن الاحياء ان عضضت عليه لم يغضب وان عربدت عليه
لم يجب اكتم من الارض وانعم من الريح والهم من الهوى
واخضع من المنا وامنع من الضيا وانطق من سحبان
وايل واعيا من باقل هل سمعت بمعلم واحد يحتمل كل تحمل
كثيرة وجمع اوصاف غزيرة عزي فارس لهندي سندي

المنتهى

رومي يوناني اه وعظا سمع وان الهي استمع وان ابكي
وادمع وان ضربه اوجع يفيدك ويستفيد منك ويزيدك
ويستزيدك اه حده قسوه وان مدح فتزهم قبر الا
سرار وحرز الودايع قيد العلوم وينبوع الحكم ومعدن
المكارم ومؤنس الايتام يفيدك علم الاولين ويخبرك
عن كثير من انباء الاخرين هل سمعت في الاولين او يلفك
عن احد من الناس لقيد من جمع هذه الاوصاف وبع قلة
سوء ثم رحقت محله لا يزداك شيء من دنياك للانعم
الذ خرا والعقده المشتعل بحرفه جليس لا يضجر
ورفيق لا يملك يطيعك بالليل طاعة تامة ويطيعك
في النهار طاعة في الحضر ان ادمت النظر اليه اطال
الفاظك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بيانك وفخم
الفاظك ان الفتك خلد على الايام ذكرك وان درست
رفيع في الخلق ذكرك وان حملت نوه عندهم باسمك
يقعد العبيد في مقاعد السادة ويجلس السوقة في مجالس
الملوك فاكرم بمرء من صاحب وابعز به من موافق
وقد قال في الفتى الاول خلسا ما يميل حد يتهم
اليتاما ما سونون غيبا وشهدا يفيدونا من علمهم
علم ما مضى ورايا وتاديبا وعقلا مسددا
بلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة ولا يتقى منهم لسانا ولا يد
فان قلت اموتا فانت كاذب وان قلت احيا

نلسر منقند